

الكامل

في اللغة والأدب

لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد

عارضه بأصوله وعلق عليه

محمد أبو القضل إبراهيم

الجزء الثاني

الطبعة الثالثة

١٤١٧هـ / ١٩٩٧م

ملتزم الطبع والنشر

دار الفكر العربي

٩٤ شارع عباس العقاد - مدينة نصر - القاهرة

ت: ٢٧٥٢٩٨٤ - فاكس: ٢٧٥٢٧٣٥

الطبعة الأولى

١٤١٧هـ = ١٩٩٧م

مطبعة المدني
الهيئة العامة للمطبوعات
٦٨ شارع الميمنية - القاهرة - ت. ٤٨٧٨٠١١

باب

[في المختار من أشعار المولدين]

قال أبو العباس: هذه أشعار اخترناها من أشعار المولدين حكيمةً مُستَحْسَنَةً. يُحْتَاجُ إليها لِلتَّمَثُّلِ؛ لأنها أَشْكَلُ بالدَّهْرِ، وَيُسْتَعَارُ من أَلْفَاظِهَا في المَخَاطَبَاتِ وَالخُطَبِ وَالْكَتَبِ.

[لعبد الصمد بن المعذل]

قال ابن المعذل^(١):

تَكَلَّفْنِي إِذْ لَالَ نَفْسِي لِعِزِّهَا وَهَانَ عَلَيْهَا أَنَّ أَهَانَ لَتُكْرَمَا
تَقُولُ سَلِ الْمَعْرُوفَ يَحْيَى بْنَ أَكْثَمٍ فَقُلْتُ سَلِيهِ رَبَّ يَحْيَى بْنَ أَكْثَمَا^(٢)

[لبشار بن برد]

وقال بشار بن برد يذكر عبيد الله بن قزعة، وهو أبو المغيرة أخو الملوّ المتكلم، قال - وقال المازني: لم أر أعلم من الملوّ بالكلام، وكان من أصحاب إبراهيم النّظام -:

خَلِيلِي مِنْ كَعْبٍ أَعَيْنَا أَخَاكُمَا عَلَى دَهْرِهِ إِنَّ الْكَرِيمَ مُعِينُ
وَلَا تَبْخَلَا بَخْلَ ابْنِ قَزْعَةٍ إِنَّهُ مَخَافَةٌ أَنْ يُرْجَى نَدَاهُ حَزِينُ
كَأَنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ لَمْ يَلْقَ مَا جَدًّا وَلَمْ يَدْرَ أَنَّ الْمَكْرُمَاتِ تَكُونُ
فَقُلْ لِأَبِي يَحْيَى مَتَى تُدْرِكُ الْعُلَا وَفِي كُلِّ مَعْرُوفٍ عَلَيْكَ يَمِينُ
إِذَا جِئْتَهُ فِي حَاجَةٍ سَدَّ بَابَهُ فَلِمَ تَلْقَاهُ إِلَّا وَأَنْتَ كَمِينُ

نظير قوله:

* وفي كلِّ معروفٍ عليك يمينٌ *

قول جرير:

وَلَا خَيْرَ فِي مَالٍ عَلَيْهِ أَلِيَّةٌ وَلَا فِي يَمِينٍ عُقِّدَتْ بِالْمَأْتَمِ^(٣)

(١) ر: «عبد الصمد بن المعذل».

(٢) زيادات ر: «بالثاء مثله لا غير، وكذلك أكثم بن صيفي، ويقال إن يحيى بن أكثم من ولد أكثم بن صيفي».

(٣) ر: «عقدت». ودويوانه ٥٥٣: «ولا في يمين غير ذات مخارم».

[لإسماعيل بن القاسم المعروف بابي العتاهية]

وقال إسماعيل بن القاسم:

أَطْعَ اللَّهُ بِجُهِهِ هَدَاكَ عَامِدًا أَوْ دُونَ جُهِهِ هَدَاكَ
أَعْطَى مَوْلَاكَ كَمَا تَطْ لُبٌّ مِنْ طَاعَةِ عَبْدِكَ

[لمحمود الوراق]

وقال محمود:

تَعْصَى إِلَهِهَ وَأَنْتَ تَظْهَرُ حُبَّهَ هَذَا مُحَالٌ فِي الْقِيَاسِ بَدِيعُ
لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَادِقًا لَأَطَعْتَهُ إِنَّ الْمُحِبَّ لِمَنْ يَحِبُّ مُطِيعُ

وقال أيضًا:

إِنِّي شَكَرْتُ لظَالِمِي ظُلْمِي وَغَفَرْتُ ذَاكَ لَهُ عَلَى عِلْمِي
وَرَأَيْتُهُ أَسَدَى إِلَى يَدَا لَمَّا أَبَانَ بِجَهْلِهِ حَلْمِي
رَجَعْتُ إِسَاءَتَهُ عَلَيْهِ وَإِحْسَ إِنِّي فَعَادَ مُضَاعَفَ الْجُرْمِ
وَعَدَوْتُ ذَا أَجْرٍ وَمَحْمَدَةٍ وَغَدَا بِكَسْبِ الظُّلْمِ وَالْإِثْمِ
فَكَأَنَّمَا الْإِحْسَانُ كَانَ لَهُ وَأَنَا الْمُسِيءُ إِلَيْهِ فِي الْحُكْمِ
مَازَالَ يَظْلِمُنِي وَأَرْحَمُهُ حَتَّى بَكَيْتُ لَهُ مِنَ الظُّلْمِ

أَخَذَ هَذَا الْمَعْنَى مِنْ قَوْلِ رَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ لِرَجُلٍ قَالَ لَهُ: إِنِّي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ آلِ الزُّبَيْرِ أَوْ غَيْرِهِمْ يَشْتُمُونَكَ شَتْمًا رَحِمْتُكَ مِنْهُ، قَالَ: أَفَسَمِعْتَنِي أَقُولُ إِلَّا خَيْرًا! قَالَ: لَا، قَالَ: إِيَّاهُمْ فَأَرْحَمُ.

وقال الصديق^(١) - رحمه الله - لرجل قال له: لَأَشْتِمَنَّكَ شَتْمًا يَدْخُلُ مَعَكَ فِي قَبْرِكَ، قَالَ: مَعَكَ وَاللَّهِ يَدْخُلُ، لَا مَعِيَ.
وقال ابن مسعود: إِنَّ الرَّجُلَ لِيَظْلِمَنِي فَأَرْحَمُهُ.

(١) ر: «أبو بكر الصديق»، س: «الصديق رضي الله عنه».

وقال رجل للشعبيّ كلاماً أقذعَ له فيه، فقال الشعبيّ: إن كنت صادقاً فغفر الله لي، وإن كنت كاذباً فغفر الله لك.

ويروى أنه أتى مسجداً فصادف فيه قوماً يفتابونه فأخذ بعضهم الباب، ثم قال:

هَنِيئًا مَرِيئًا غَيْرَ دَاءٍ مُخَامِرٍ لِعِزَّةٍ مِنْ أَعْرَاضِنَا مَا اسْتَحَلَّتْ

وذكر ابن عائشة أن رجلاً من أهل الشام قال: دخلت المدينة فرأيت رجلاً راكباً على بغلة لم أر أحسن وجهاً ولا سمّاً ولا ثوباً ولا دابةً منه، فمال قلبي إليه، فسألت عنه، فقليل: هذا الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليهما السلام، فامتلاً قلبي له بغضاً، وحسدتُ علياً أن يكون له ابن مثله، فصرتُ إليه، فقلتُ له: أنت ابنُ أبي طالب؟ فقال: أنا ابن ابنه، فقلت: فبك وبأبيك أسبهُما، فلما انقضى كلامي قال لي: أحسبك غريباً، فقلت: أجل، قال: فمَلُ بِناء، فإن احتجت إلى منزل أنزلناك، أو إلى مال أسيناك، أو إلى حاجة عاوناك، قال: فانصرفت عنه ووالله ما على الأرض أحدٌ أحبُّ إليّ منه.

[لمحمود الوراق أيعنا]

وقال محمود الوراقُ:

وَمُشَاهِدًا لِلأَمْرِ غَيْرَ مُشَاهِدٍ	يَا نَاضِرًا يَرْنُو بَعَيْنِي رَاقِدٍ
طُرُقَ الرَّجَاءِ وَهَنَ غَيْرُ قَوَاصِدٍ	مَنِيَّتْ نَفْسُكَ ضَلَّةً وَابْخَتَهَا
دَرَكَ الْجَنَانِ بِهَا وَقُورَ الْعَابِدِ	تَصِلُ الذُّنُوبَ إِلَى الذُّنُوبِ وَتَرْتَجِي
مِنْهَا إِلَى الدُّنْيَا بِذَنْبٍ وَاحِدٍ	وَنَسِيتَ أَنَّ اللَّهَ أَخْرَجَ أَدَمًا

[للحسن بن هانئ الحكمي المعروف بابي نواس]

وقال الحكمي للفضل بن الربيع^(١):

كَيَدِ أَبُو الْعَبَّاسِ مَوْلَاهَا	مَا مِنْ يَدٍ فِي النَّاسِ وَاحِدَةٍ
وَسَرَى إِلَى نَفْسِي فَأَحْيَاهَا	نَامَ الْكِرَامُ عَلَى مَضَاجِعِهِمْ

(١) زيادات ر: هو أبو نواس الحسن بن هانئ، وهو منسوب إلى حكم، قبيلة من مذحج.

قَدْ كُنْتُ خَفْتُكَ ثُمَّ آمَنَنْيَ
فَعَفَوْتَ عَنِّي عَفْوً مُقْتَدِرٍ
مَنْ أَنْ أَحَافَكَ خَوْفَكَ اللَّهُ
حَلَّتْ لَهُ نِقْمٌ فَأَلْفَاها

[لعبد الله بن محمد بن أبي عيينة]

وقال عبد الله بن أبي عيينة لدى اليمينين^(١):

لَمَّا رَأَيْتُكَ قَاعِدًا مُسْتَقْبِلًا
فَارْضُ بِهَا وَتَعَرَّ مِنْ أَثْوَابِهَا
مَا لَا يَكُونُ فَلَا يَكُونُ بِحِيلَةٍ
يَسْعَى الذِّكْيُ فَلَا يَنَالُ بِسَعْيِهِ
سَيَكُونُ مَا هُوَ كَائِنْ فِي وَقْتِهِ
اللَّهُ يَعْلَمُ أَنْ فُرْقَةً بَيْنَنَا

أَيَقُنْتُ أَنَّكَ لِلْهُمُومِ قَرِينُ
إِنْ كَانَ عِنْدَكَ لِلْقَضَاءِ يَقِينُ
أَبَدًا وَمَا هُوَ كَائِنْ سَيَكُونُ
حِظًّا وَيَحْظِي عَاجِزٌ وَمَهِينُ
وَأَخُو الْجَهَالَةِ مُتَعَبٌ مَحْزُونُ
فِيمَا أَرَى شَيْءٌ عَلَى يَهُونِ

[لصالح بن عبد القدوس]

وقال صالح بن عبد القدوس^(٢):

إِنْ يَكُنْ مَا بِهِ أُصِيبْتُ جَلِيلًا
كُلُّ آتٍ لَا شَكَّ آتٍ وَذُو الْجَهِّ

فَذَهَابُ الْعِزَاءِ فِيهِ أَجَلُ
لِ مُعْنَى وَالْغَمِّ وَالْحُزْنِ فَضْلُ

[من الأبيات المنفردة]

وَأُنْشِدُ مُنْشِدٌ مِنَ الْأَبْيَاتِ الْمُنْفَرِدَةِ الْقَائِمَةِ بَأَنْفُسِهَا:
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْصِ الْهُوَى قَادَكَ الْهُوَى إِلَى بَعْضِ مَا فِيهِ عَلَيْكَ مَقَالُ^(٣)

ومنها قول ابن وهيب الحميري^(٤):

وَأِنِّي لِأَرْجُو اللَّهَ حَتَّى كَأَنِّي
أَرَى بِجَمِيلِ الظَّنِّ مَا اللَّهُ صَانِعُ

(١) هو طاهر بن الحسين، وكان من أكبر أعوان المأمون، وفي زيادات ر: «سمى ذا اليمينين؛ لأنه ضرب إنسانا فجعله قسمين».

(٢) زيادات ر: «صلبه عبد الملك بن مروان على الزندقة - أعنى صالحا». وفي معجم الأدباء ١٢ : ٧ أن الذي قتله هو المهدي العباسي، ضربه بالسيف فشطره شطرين، وعلق بضعة أيام للناس، ثم دفن».

(٣) حواشي الأصل: «هذا البيت قاله هشام بن عبد الملك ولم يقل شعرا غيره».

(٤) في ر، س: «ابن أبي وهيب» وصوابه ما في الأصل. وانظر معجم الشعراء ٤٢٠.

وقال آخر:

وَيَعْرِفُ وَجْهَ الْحَزْمِ حَتَّى كَأَنَّمَا

وقال أَشْجَعُ السُّلَمَى:

رَأَى سَرَى وَعُيُونُ النَّاسِ رَاقِدَةٌ

وقال آخر:

فَلِلَّهِ مِنِّي جَانِبٌ لَا أَضِيعُهُ

وقال آخر:

فَلَوْ عَابَ نَفْسِي غَيْرُ نَفْسِي لَسُوَّتُهُ

وقال آخر:

يَرَى فَلَتَاتِ الرَّأْيِ وَالرَّأْيُ مُقْبِلٌ

يُخَاطِبُهُ مِنْ كُلِّ أَمْرِ عَوَاقِبُهُ

مَا آخَرَ الْحَزْمَ رَأَى قَدَمَ الْحَذَرَا

وَلِلَّهِ مِنِّي وَالْبَطَالَةِ جَانِبٌ

فَكَيْفَ وَنَفْسِي قَدْ أَتَتْ مَا يَعْيبُهَا

كَأَنَّ لَهُ فِي الْيَوْمِ عَيْنًا عَلَى غَدِ

[لعبد الصمد بن المهذل أيضا]

وقال عبد الصمد بن المعدل:

أَمُنُّ عَلَى الْمُجْتَئِدِي

كَأَنَّ لَمْ يَزَلْ مَا أَتَى

أَرَى النَّاسَ أَحْسَدُوثَةً

وقال أيضًا:

زَعَمْتُ عَاذَلْتِي أَنِّي لَمَّا

كَلَفْتَنِي عِذْرَةَ الْبَاخِلِ إِذْ

لَيْسَ لِي عِذْرٌ وَعِنْدِي بُلْغَةٌ

حَفِظَ الْبُخْلُ مِنَ الْمَالِ مُضِيعُ

طَرَقَ الطَّارِقُ وَالنَّاسُ هُجُوعُ

إِنَّمَا الْعُذْرُ لِمَنْ لَا يَسْتَطِيعُ

[للحسن بن هانئ أيضًا]

وقال الحسن بن هانئ الحكمي:

إِلَيْكَ غَدَتْ بِي حَاجَةٌ لَمْ أُبَحْ بِهَا

فَارْخَ عَلَيْهَا سِتْرَ مَعْرُوفِكَ الَّذِي

أَخَافُ عَلَيْهَا شَامِتًا فَأُدَارِي

سَتَرْتُ بِهِ قِدَمًا عَلَى عَوَارِي

وقال أيضاً:

قَدْ قُلْتُ لِلْعَبَّاسِ مُعْتَذِراً
أَنْتَ أَمْرُؤٌ جَلَّلْتَنِي نَعَمًا
فَإِلَيْكَ بَعْدَ الْيَوْمِ تَقْدِمَةٌ
لَا تُحَدِّثُنَّ إِلَيَّ عَارِفَةً
مَنْ ضَعَفَ شُكْرِيهِ وَمَعْتَرَفًا
أَوْهَتْ قُوَى شُكْرِي فَقَدْ ضَعُفًا
لَا قِتْكَ بِالتَّصْرِيحِ مُنْكَشِفًا
حَسْبِي أَقْوَمُ بِشُكْرِ مَا سَلَفًا

[لدعبل بن علي الخزاعي]

وقال دعبل بن علي الخزاعي:

أَحْبَبْتُ قَوْمِي وَلَمْ أَعْدِلْ بِحُبِّهِمْ
دَعْنِي أَصِلْ رَحِمِي إِنْ كُنْتُ قَاطِعَهَا
فَاحْفَظْ عَشِيرَتَكَ الْأَدْنَيْنِ إِنْ لَهُمْ
قَوْمِي بَنُو مَذْحِجٍ وَالْأَزْدُ إِخْوَتُهُمْ
ثُبْتُ الْحُلُومِ فَلِنْ سَلَّتْ حَفَائِظُهُمْ
لَا تَعْرِضَنَّ بِمَرْحٍ لَامِرِي طَبَن
فَرُبَّ قَافِيَةٍ بِالْمَرْحِ جَارِيَةٍ
إِنِّي إِذَا قُلْتُ بَيْتًا مَاتَ قَائِلُهُ
قَالُوا تَعَصَّبْتَ جَهْلًا قَوْلَ ذِي بَهْتٍ
لَأَبْدَ لِلرَّحِمِ الدُّنْيَا مِنَ الصَّلَةِ
حَقًّا يُفَرِّقُ بَيْنَ الزَّوْجِ وَالْمَرَةِ (١)
وَالْ كُنْدَةَ وَالْأَحْيَاءُ مِنْ عِلَّة (٢)
سَلُّوا السُّيُوفَ فَأَرْدُوا كُلَّ ذِي عَنَتٍ
مَا رَاضَهُ قَلْبُهُ أَجْرَاهُ فِي الشَّفَةِ
مَشْثُومَةٍ لَمْ يَرِدْ إِنْمَاؤُهَا نَمَتِ
وَمَنْ يُقَالَ لَهُ وَالْبَيْتُ لَمْ يَمْتَ

وقال أيضاً:

نَعَوْنِي وَلَمَّا يَنْعَنِ غَيْرُ شَامِتٍ
يَقُولُونَ إِنْ ذَاكَ الرَّدَى مَاتَ شَعْرُهُ
سَأَقْضِي بَيْتَ يَحْمَدُ النَّاسُ أَمْرُهُ
(يموت ردى الشعر من قبل أهله
وغير عَدُوٍّ قد أصيبت مقاتلته
وهيئات عمر الشعر طالت طوائله
ويكثر من أهل الرواية حامله
وجيده يبقى وإن مات قائله) (٣)

(١) المرة: لغة في المرأة (رغبة الأمل).

(٢) علة: قبيلة.

(٣) زيادات ر: «البيت الأخير ليس لدعبل، وإنما هو مضمن».

[لإسماعيل بن القاسم أيضاً]

وقال إسماعيل بن القاسم:

يا مَنْ يَعِيبُ وَعَيْبُهُ مُتَشَعِّبٌ
لِلَّهِ دَرَكٌ كَيْفَ أَنْتَ وَغَايَةٌ
كَمْ فِيكَ مِنْ عَيْبٍ وَأَنْتَ تَعِيبُ!
يَدْعُوكَ رَبُّكَ عِنْدَهَا فَتُجِيبُ

وقال أيضاً:

يا عَلِيُّ بْنُ ثَابِتٍ بَانَ مِنْى
يا عَلِيُّ بْنُ ثَابِتٍ أَيْنَ أَنْتَ
قَدْ لَعَمْرِي حَكَيْتَ لِي غُصَصَ الْمَوْتِ
صَاحِبُ جَلٍّ فَقَدَهُ يَوْمَ بَنَيْتَا
أَنْتَ بَيْنَ الْقُبُورِ حَيْثُ دَفَنْتَا
تِ وَحَرَكْتَنِي لَهَا وَسَكَنْتَا

وقال أيضاً:

صَاحِبُ كَانٍ لِي هَلَكُ
يا عَلِيُّ بْنُ ثَابِتٍ
كُلُّ حَيٍّ مُمَلِّكٍ
وَالسَّبِيلُ الَّتِي سَلَكَ^(١)
غَفَرَ اللَّهُ لِي وَلَكَ
سَوْفَ يَفْنَى وَمَا مَلَكَ

وقال أيضاً:

طَوَّتَكَ خُطُوبٌ دَهْرَكَ بَعْدَ نَشْرِ
فَلَوْ نَشَرْتَ قُؤَاكَ لِي الْمَنَايَا
بَكَيْتُكَ يَا أُخِيَّ بَدَمَعَ عَيْنِي
كَفَى حَزْناً بِدَفْنِكَ ثُمَّ إِنِّي
وَكُنْتُ فِي حَيَاتِكَ لِي عِظَاتٌ
كَذَاكَ خُطُوبُهُ نَشْراً وَطَيًّا
شَكَّوتُ إِلَيْكَ مَا صَنَعْتَ إِلَيَّا
فَلَمْ يُغْنِ الْبُكَاءُ عَلَيْكَ شَيْئاً
نَفَضْتُ تَرَابَ قَبْرِكَ عَنْ يَدَيَّ
وَأَنْتَ الْيَوْمَ أَوْعَظُ مِنْكَ حَيًّا

وكان إسماعيل بن القاسم لا يكاد يُخْلِى شعره بما تقدم من الأخبار والآثار
فينظم ذلك الكلام المشهور، ويتناوله أقرب مُتَنَاولٍ، ويسرقه أخفى سرقة.
فقوله: «وأنت اليوم أوعظ منك حياً»، إنما أخذه من قول الموبد لقباد الملك
حيث مات، فإنه قال في ذلك الوقت: كان الملك أمس أنطقَ منه اليوم، وهو اليوم
أوعظُ منه أمس.

(١) زيادات ر: «والسبيل التي سلك: ابتداء وخبر، ومن قال غير هذا فقد أخطأ».

وأخذ قوله :

قد لَعِمْرِي حَكَيْتَ لِي غُصَصَ الْمَوْتِ وَحَرَكْتَنِي لَهَا وَسَكْتَنَا

من قول نادب الإسكندر، فإنه لما مات بكى من بحضرته فقال نادبه: حَرَكَنا بسكونه.

[لإسماعيل بن القاسم أيضًا]

وقال إسماعيل بن القاسم^(١):

يَا عَجَبًا لِلنَّاسِ لَوْ فَكَّرُوا
وَعَبَّروا الدُّنْيَا إِلَى غَيْرِهَا
الْخَيْرُ مِمَّا لَيْسَ يَخْفَى هُوَ الْوَعْدُ
وَالْمَوْتُ وَمَا بَعْدَهُ أَلَّا
لَا فَخْرَ إِلَّا فَخْرُ أَهْلِ التَّقَى
لَيَعْلَمَنَّ النَّاسُ أَنَّ التَّقَى
عَجِبْتُ لِلْإِنْسَانِ فِي فَخْرِهِ
مَا بَالُ مَنْ أَوَّلُهُ نُطْفَةٌ
أَصْبَحَ لَا يَمْلِكُ تَقْدِيمَ مَا
وَأَصْبَحَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِهِ

وَحَاسَبُوا أَنْفُسَهُمْ أَبْصَرُوا
فَإِنَّمَا الدُّنْيَا لَهُمْ مَعْبَرٌ^(٢)
مَعْرُوفٌ وَالشَّرُّ هُوَ الْمُنْكَرُ
حَشَرٌ فَذَلِكَ الْمَوْعِدُ الْأَكْبَرُ
غَدًا إِذَا ضَمَّهُمْ الْمَحْشَرُ
وَالْبِرُّ كَانَا خَيْرَ مَا يُذْخَرُ
وَهُوَ غَدًا فِي قَبْرِهِ يُقْبَرُ
وَجِيفَةٌ آخِرُهُ يَفْخَرُ!
يَرْجُو وَلَا تَأْخِيرَ مَا يَحْذَرُ
فِي كُلِّ مَا يُقْضَى وَمَا يُقَدَّرُ

أما قوله :

يَا عَجَبًا لِلنَّاسِ لَوْ فَكَّرُوا وَحَاسَبُوا أَنْفُسَهُمْ أَبْصَرُوا

فمأخوذ من قولهم: الفكرةُ مرأةٌ تُرِيكَ حَسَنَكَ مِنْ قَبِيحِكَ. ومن قول لُقْمَانَ لابنه: يَا بُنَيَّ لَا يَنْبَغِي لِعَاقِلٍ أَنْ يُخْلِيَ نَفْسَهُ مِنْ أَرْبَعَةِ أَوْقَاتٍ: فَوْقَ مَنْهَا يَنْاجِي فِيهِ رَبَّهُ، وَوَقْتُ يُحَاسِبُ فِيهِ نَفْسَهُ، وَوَقْتُ يُكْسِبُ فِيهِ لِمَعَاشِهِ، وَوَقْتُ يُخْلِي فِيهِ بَيْنَ نَفْسِهِ وَبَيْنَ لَذَّتِهَا؛ لَيْسَتَيْنِ بِذَلِكَ عَلَى سَائِرِ الْأَوْقَاتِ.

(١) زيادات ر: «وهو أبو العتاهية».

(٢) زيادات ر: «معبر بفتح الميم وكسرهما لابن سراج، وفتح الميم لا غير، رواية عاصم».

وقوله:

وَعَبَرُوا الدُّنْيَا إِلَىٰ غَيْرِهَا فَإِنَّمَا الدُّنْيَا لَهُمْ مَعْبَرٌ

مأخوذ من قول الحسن: اجْعَلْ الدُّنْيَا كَالْقَنْظَرَةِ تَجُوزُ عَلَيْهَا وَلَا تَعْمُرُهَا.

وقوله:

الْخَيْرُ مِمَّا لَيْسَ يَخْفَىٰ هُوَ الْـمَعْرُوفُ وَالشَّرُّ هُوَ الْمُنْكَرُ

مأخوذ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: قال رسول الله ﷺ: «يَا عَبْدَ اللَّهِ كَيْفَ بِكَ إِذَا بَقِيتَ فِي حُثَالَةٍ مِنَ النَّاسِ مَرَجَتْ عُهُودُهُمْ وَأَمَانَاتُهُمْ، وَصَارَ النَّاسُ هَكَذَا»، - وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ -، فَقُلْتُ: مُرْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: «خُذْ مَا عَرَفْتَ، وَدَعْ مَا أَنْكَرْتَ، وَعَلَيْكَ بِخُويصَّةِ نَفْسِكَ، وَإِيَّاكَ وَعَوَامَهَا».

قوله ﷺ: «فِي حُثَالَةٍ مِنَ النَّاسِ»، أَمَا الْحُثَالَةُ فَهُوَ مَا يَبْقَى فِي الْإِنَاءِ مِنْ رَدَى الطَّعَامِ، وَضَرْبِهِ مَثَلًا. وَقَوْلُهُ: «مَرَجَتْ عُهُودُهُمْ». يَقُولُ: اخْتَلَطَتْ وَذَهَبَتْ بِهِمْ كُلُّ مَذْهَبٍ، يَقَالُ: مَرَجَ الْمَاءُ إِذَا سَالَ فَلَمْ يَكُنْ لَهُ مَانِعٌ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾^(١).

وقوله:

لَيَعْلَمَنَّ النَّاسُ أَنَّ التَّقَىٰ وَالْبِرَّ كَانَا خَيْرَ مَا يُذْخَرُ

مأخوذ من قول أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إِذَا حُشِرَ النَّاسُ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ نَادَىٰ مُنَادٌ مِنْ قَبْلِ الْعَرْشِ: لَيَعْلَمَنَّ أَهْلُ الْمَوْقِفِ، مَنْ أَهْلُ الْكَرَمِ الْيَوْمَ؟ لِيَقُمِ الْمُتَّقُونَ! ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾»^(٢).

وقوله:

مَا بَالُ مَنْ أَوَّلُهُ نُطْفَةٌ وَخَيْرُهُ آخِرُهُ يَفْخَرُ!

مأخوذ من قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: وَمَا ابْنُ آدَمَ وَالْفَخْرُ وَإِنَّمَا أَوَّلُهُ نُطْفَةٌ، وَآخِرُهُ جِيفَةٌ، لَا يَرْزُقُ نَفْسَهُ، وَلَا يَدْفَعُ حَتْفَهُ.

(١) سورة الرحمن ١٩.

(٢) سورة الحجرات ١٣.

[لابن أبي عيينة]

وقال ابن أبي عيينة:

مَا رَاحَ يَوْمٌ عَلَى حَيٍّ وَلَا ابْتَكْرًا
وَلَا أَتَتْ سَاعَةٌ فِي الدَّهْرِ فَانْصَرَمَتْ^(١)
إِنَّ اللَّيَالِيَّ وَالْأَيَّامَ أَنْفُسَهَا
إِلَّا رَأَى عِبْرَةً فِيهِ إِنْ اِعْتَبَرَ
حَتَّى تَوَثَّرَ فِي قَوْمٍ لَهَا أَثَرًا
عَنْ غَيْرِ أَنْفُسِهَا لَمْ تَكُنِ الْخَبْرَا

فأخذ هذا المعنى حبيب بن أوس الطائي وجمعه في ألفاظ يسيرة فقال:
عَمْرِي لَقَدْ نَصَحَ الزَّمَانُ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْعَجَائِبِ نَاصِحٌ لَا يُشْفِقُ

فزاد بقوله: «ناصح لا يشفق» على قول ابن أبي عيينة شيئاً طريفاً، وهكذا
يفعل الحاذق بالكلام. ولو قال قائل: إن أقرب ما أخذ منه أبو العتاهية:

لَيَعْلَمَنَّ النَّاسُ أَنَّ التَّقَى وَالْبِرَّ كَانَا خَيْرَ مَا يُذْخَرُ

من قول خليل بن أحمد:

[قال أبو الحسن: زعم النسابون أنهم لا يعرفون منذ وقت النبي ﷺ إلى
الوقت الذي وُلِدَ فيه أحمدُ أبو الخليل أحداً سُمِّيَ بأحمد غيره].
وَإِذَا افْتَقَرْتَ إِلَى الذِّخَائِرِ لَمْ تَجِدْ ذُخْرًا يَكُونُ كَصَالِحِ الْأَعْمَالِ^(٢)
لكان قد قال قولاً.

وقال العباس بن الفرّج:

أَمَلِي مَنْ دُونِهِ أَجَلِي فَمَتَى أَفْضَى إِلَى أَمَلِي

[للخليل بن أحمد]

وقال الخليل بن أحمد، وكان نظر في النجوم فأبعد ثم لم يَرْضَها فقال:

أَبْلَغَا عَنِّي الْمُنْجَمَ أَتَى كَافِرٌ بِالَّذِي قَضَتْهُ الْكَوَاكِبُ
عَالِمٌ أَنَّ مَا يَكُونُ وَمَا كَانِ نَبَحْتُمْ مِنَ الْمُهَيِّمِينَ وَاجِبُ

(١) زيادات ر: «فانصرفت» أشبه للمطابقة، والمشهور «انصرفت».
(٢) كذا نسبه في الأصول والمشهور أن البيت للأخطل، وهو في ديوانه ١٥٨.

[لمحمد بن بشير يعيب المتكلمين]

قال محمد بن بشير يعيب المتكلمين، أنشدنيه الرياشي:

وَعَنْ صُنُوفِ الْأَهْوَاءِ وَالْبَدَعِ
فَمَا يَقُودُ الْكَلَامَ ذُو وَرَعٍ
ثُمَّ يَصِيرُونَ بَعْدُ لِلشُّعْنِ
لَمْ يَكُ فِي قَوْلِهِ بِمَنْقَطِعِ

يَا سَائِلِي عَنْ مَقَالَةِ الشَّيْعِ
دَعْ مَنْ يَقُودُ الْكَلَامَ نَاحِيَةً
كُلُّ أَنْاسٍ بَدِيهِمْ حَسَنٌ
أَكْثَرُ مَا فِيهِ أَنْ يَقَالَ لَهُ

وأنشد الرياشي لغيره:

فِي الدِّينِ بِالرَّأْيِ لَمْ تُبْعَثْ بِهَا الرُّسُلُ
وَفِي الَّذِي حُمِّلُوا مِنْ حَقِّهِ شُغْلُ

قَدْ نَقَرَ النَّاسُ حَتَّى أَحْدَثُوا بَدْعًا
حَتَّى اسْتَخَفَّ بِحَقِّ اللَّهِ أَكْثَرُهُمْ

وقال محمد بن بشير:

وَمَنْ تَكُونُ النَّارُ مَثْوَاهُ
يُذَكِّرُنِي الْمَوْتَ وَأَنْسَاهُ
وَعَاشَ فَاَلْمُوتُ قُصَّارُهُ
قَدْ كُنْتُ آتِيَهُ وَأَغْشَاهُ
يَرْحَمُنَا اللَّهُ وَإِيَّاهُ

وَيْلٌ لِمَنْ لَمْ يَرْحَمْ اللَّهُ
يَا حَسْرَتًا فِي كُلِّ يَوْمٍ مَضَى
مَنْ طَالَ فِي الدُّنْيَا بِهِ عُمُرُهُ
كَأَنَّهُ قَدْ قِيلَ فِي مَجْلِسِ
صَارَ الْبَشِيرِي إِلَى رَبِّهِ

وقال أيضاً:

وَنَعِيمٌ إِلَّا إِلَى تَغْيِيرِ
لَيْسَ رَهْنًا لَنَا بِيَوْمِ عَسِيرِ
أَنَا فِيهَا عَلَى شَفَا تَغْيِيرِ!
هَذَا مَتُّ أَوْ عَذَابُ السَّعِيرِ
هَمَّا بَعْدَهُ يَصِيرُ مَصِيرِي
مِنْهُ تَبَرُّزُ النُّعَاةِ سَرِيرِي
كُنْتُ حَيًّا بِهِمْ كَثِيرَ الْمُرُورِ
قِيلَ هَذَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشِيرِ

أَيُّ صَفْوٍ إِلَّا إِلَى تَكْدِيرِ
وَسُرُورٍ وَلَذَّةٍ وَحُبُورِ
عَجَبًا لِي وَمِنْ رِضَايَ بَدْنِيَا
عَالِمٌ لَا أَشْكُ أَتَى إِلَى الدَّلِّ
ثُمَّ الْهُوَ وَلَسْتُ أَدْرِي إِلَى أَيِّ
أَيُّ يَوْمٍ عَلَى أَفْطَعٍ مِنْ يَوْمِ
كَلَّمَا مُرَّبِّي عَلَى أَهْلِ نَادِ
قِيلَ: مَنْ ذَا عَلَى سَرِيرِ الْمَنَايَا

[للحكمي أبي نواس أيضا]

وقال الحكمي أبو نواس :

أخِي مَا بَالُ قَلْبِكَ لَيْسَ يَنْقَى
أَلَا يَا بَنَ الَّذِينَ فَنُوا وَبَادُوا
وَمَا أَحَدٌ بَزَادَكَ مِنْكَ أَحْطَى
وَلَا لَكَ غَيْرَ تَقْوَى اللَّهِ زَادَ

كَأَنَّكَ لَا تَظُنُّ الْمَوْتَ حَقًّا
أَمَّا وَاللَّهِ مَا ذَهَبُوا لِتَبْقَى
وَمَا أَحَدٌ بَزَادَكَ مِنْكَ أَشْقَى
إِذَا جَعَلْتَ إِلَى اللَّهَوَاتِ تَرْقَى

ومما يستحسن من شعره قوله :

لَا أَذُودُ الطَّيْرَ عَنْ شَجَرٍ
قَدْ بَلَوْتُ الْمَرْءَ مِنْ ثَمَرِهِ

فمثل هذا لو تقدم لكان في صدور الأمثال ، وكذلك قوله أيضًا :

فَامْضِ لَا تَمْنُنْ عَلَى يَدَا
مَنْكَ الْمَعْرُوفُ مِنْ كَدَرِهِ

وكان يقول : ذكرُ المعروف من المنعم إفسادٌ له ، وكتمانه من المنعم عليه كفرٌ

له ، وفي هذا الشعر أبيات مختارة ، فمنها :

وَإِذَا مَجَّ الْقَنَا عَلَقًا
رَاحَ فِي ثَنَى مُفَاضِيَتِهِ
تَتَأَبَّى الطَّيْرُ غَدَوَتَهُ
فَسَأَلَ عَنْ نَوَى تَوَمُّلِهِ
لَا تَغْطِي عَنْهُ مَكْرُمَتُهُ
ذُلَّلَتْ تِلْكَ الْفَجَاجُ لَهُ

وَتَرَأَى الْمَوْتَ فِي صُورِهِ
أَسَدٌ يَدْمَى شَبَابَ ظُفْرِهِ
ثِقَةٌ بِالشَّيْبِ مِنْ جَزَرِهِ
حَسْبُكَ الْعَبَّاسُ مِنْ مَطَرِهِ
بِرُبَا وَادٍ وَلَا خَمَرِهِ
فَهُوَ مُجْتَازٌ عَلَى بَصَرِهِ

وقد عابوا عليه قوله :

كَيْفَ لَا يُدْنِيكَ مِنْ أَمَلٍ
مَنْ رَسُولُ اللَّهِ مِنْ نَقَرِهِ

وهو لعمري كلام مُسْتَهْجَنٌ موضوع في غير موضعه ؛ لأن حق رسول الله

ﷺ أن يُضاف إليه ، ولا يُضاف إلى غيره ، ولو اتسع متسع فأجراه في باب الحيلة

لخرج على الاحتيال ، ولكنه عسرُ موضوع في غير موضعه ، وباب الاحتيال فيه أن

تقول : قد يقول القائل من بني هاشم لغيره من أفناء قريش : منا رسول الله ﷺ ،

وَحَقُّ هَذَا أَنَّهُ مِنَ الْقَبِيلِ الَّذِي أَنَا مِنْهُ . فَقَدْ أَضَافَهُ إِلَى نَفْسِهِ ، وَكَذَلِكَ يَقُولُ الْقُرَشِيُّ
لِسَائِرِ الْعَرَبِ ، كَمَا قَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ :

وَمَا زَالَ فِي الْإِسْلَامِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ دَعَائِمُ عِزٍّ لَا تُرَامُ وَمَفْخَرُ
بِهَالِيلٍ مِنْهُمْ جَعْفَرٌ وَابْنُ أُمِّهِ عَلِيٌّ وَمِنْهُمْ أَحْمَدُ الْمُتَخَيَّرُ

فَقَالَ : « مِنْهُمْ » كَمَا قَالَ هَذَا « مِنْ نَفَرِهِ » ، أَرَادَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ الْعَبَّاسُ هَذَا
الْمَدُودِ مِنْهُمْ .

وَأَمَّا قَوْلُ حَسَّانَ : « مِنْهُمْ جَعْفَرٌ وَابْنُ أُمِّهِ عَلِيٌّ وَمِنْهُمْ أَحْمَدُ الْمُتَخَيَّرُ » فَإِنَّ
الْعَرَبَ إِذَا كَانَ الْعَطْفُ بِالْوَاوِ قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى :

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ ﴾ ^(١) وَقَالَ : ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ
وَالْإِنْسِ ﴾ ^(٢) ، وَقَالَ : ﴿ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ ^(٣) ، وَلَوْ كَانَ بِشَمَّ أَوْ
بِالْفَاءِ لَمْ يَصْلَحْ إِلَّا تَقْدِيمُ الْمَقْدَمِ ، ثُمَّ الَّذِي يَلِيهِ وَاحِدًا فَوَاحِدًا .

وَأَمَّا قَوْلُهُ فِي هَذَا الشَّعْرِ :

وَكَرِيمُ الْخَالِ مِنْ يَمَنِ وَكَرِيمُ الْعَمِ مِنْ مُضَرِّهِ

فَأَضَافَ « مُضَرَّ » إِلَيْهِ ، فَهُوَ أَجُودُ كَلَامٍ لَا يَمْتَنِعُ مِنْهُ مَمْتَنِعٌ ، قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي
طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ يَوْمَ الْجَمَلِ لِلْأَشْتَرِ - وَهُوَ مَالِكُ بْنُ الْحَارِثِ أَحَدُ النَّخَعِ
ابْنِ عَمْرِو بْنِ عَلَّةَ بْنِ جَلْدٍ - وَكَانَ عَلَى الْمَيْمَنَةِ - : أَحْمَلُ ، فَحَمَلَ فِي أَصْحَابِهِ
فَكَشَفَ مِنْ بَازَائِهِ ، ثُمَّ قَالَ لِهَاشِمِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَالِكِ أَحَدِ بَنِي زُهْرَةَ بْنِ كِلَابٍ
- وَكَانَ عَلَى الْمَيْسَرَةِ - أَحْمَلُ ، فَحَمَلَ فِي الْمَضَرِّيَّةِ فَكَشَفَ مِنْ بَازَائِهِ ، فَقَالَ عَلِيُّ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِأَصْحَابِهِ : كَيْفَ رَأَيْتُمْ مُضَرِيَّ وَيَمَنِي ! فَأَضَافَ الْقَبِيلَتَيْنِ إِلَى نَفْسِهِ ،
قَالَ جَرِيرٌ :

إِنَّ الَّذِينَ ابْتَنَوْا مَجْدًا وَمَكْرُمَةً تَلِكُمْ قُرَيْشِي وَالْأَنْصَارُ أَنْصَارِي

(١) سورة التغابن ٢ .

(٢) سورة الرحمن ٣٣ .

(٣) سورة آل عمران ٤٣ .

[لإسحاق بن خلف البهراني بمدح علي بن عيسى القمي]

ومما يستحسن من أشعار المحدثين قول إسحاق بن خلف البهراني، ونسبه في بنى حنيفة لسبأ وقع عليه، يقوله لعل بن عيسى بن موسى بن طلحة الأشعري المعروف بالقمي^(١):

وَلِلْكَرْدِ مِنْكَ إِذَا زُرْتَهُمْ
وَمَازَالَ عَيْسَى بْنُ مُوسَى لَهُ
لِسْلُ السِّیُوفِ وَشَقُّ الصُّفُوفِ
وَلُبْسُ الْعَجَاجَةِ وَالْخَافِقَاتِ
وَقَدْ كَثُرَتْ عَنْ شَبَابِهَا
وَجَاءَتْ تَهَادَى وَأَبْنَاؤُهَا
خَرُوسٌ نَطُوقٌ إِذَا اسْتَنْطَقَتْ
إِذَا خُطِبَتْ أَخَذَتْ مَهْرَهَا
أَلَذُّ إِلَيْهِ مِنَ الْمُسْمَعَاتِ
وَشُرْبُ الْمَدَامِ وَمَنْ يَشْتَهِيهِ
بَعَثْنَا النَّوَاعِجَ تَحْتَ الرَّحَالِ
إِذَا مَا حُدِينَ بِمَدْحِ الْأَمِيرِ

بَكَيْدَكَ يَوْمَ كَيَوْمِ الْجَمَلِ
مَوَاهِبُ غَيْرِ النِّطَافِ الْمُكَلِّ^(٢)
لِنَقْضِ التَّرَاتِ وَضَرْبِ الْقُلَلِ
تَرِيكَ الْمَنَا بَرَّوَسِ الْأَسَلِ
عُرُوسُ الْمَنِيَةِ بَيْنَ الشُّعَلِ
كَأَنَّ عَلَيْهِمْ شُرُوقَ الطُّفَلِ
جَهْلٌ تَطِيشٌ عَلَى مَنْ جَهْلُ
رُءُوسًا تَحَادَرُ قَبْلَ النَّفْلِ
وَحَثُّ الْكُوُوسَةِ فِي يَوْمِ طَلِ
مُعَاطٍ لَهُ بِمَزَاجِ الْقُبَلِ
تَسَافَهُ أَشْدَاقُهَا فِي الْجُدْلِ
سَبَقُنْ لِحَاطِ الْمَحِثِ^(٣) الْعَجَلِ

قوله: « تريك المنا ». يريد المنايا، وهذه كلمة تخفُّ على ألسنتهم فيحذفونها، وزعم الأصمعي أنه سمع العرب تقول: دَرَسَ الْمَنَا، يريدون المنازل، وجاء في التخفيف أعجب من هذا. حدثنا بعض أصحابنا عن الأصمعي وذكره سيبويه في كتابه ولم يذكر قائله، ولكن الأصمعي قال: كَانَ أَخْوَانُ مُتَجَاوِرَانِ لَا يَكَلِّمُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ سَائِرَ سَنَتِهِ حَتَّى يَأْتِيَ وَقْتُ الرَّعْيِ، فيقول أحدهما لصاحبه: أَلَا تَأْ؟ فيقول الآخر: بلى فإ، يريد: أَلَا تَنْهَضُ؟ فيقول الآخر، بلى فانهض. وحكى سيبويه في هذا الباب:

(١) زيادات ر: « منسوب إلى قمة وهي بلدة أو قرية من خراسان ».

(٢) المكل: جمع مكول، وهي البئر.

(٣) زيادات ر: « من كسر الميم من حث، ومن ضم الميم جعله من أحت؛ يقال: حث وأحت على فعل وأفعل، لغتان ».

بِالْخَيْرِ خَيْرَاتٍ وَإِنْ شَرًّا فَا وَلَا أُرِيدُ الشَّرَّ إِلَّا أَنْ تَأْ
يريد: وإن شرا فشر، ولا أريد الشر إلا أن تريد^(١).

وهذا خلاف ما تستعمله الحكماء، فإنه يقال: إن اللسان إذا كثرت حركته، رَقَّتْ عَذْبَتُهُ.

وحدثني أبو عثمان الجاحظ قال: قال لي محمد بن الجهم: لما كانت أيام الزُّطِّ أَدَمْتُ الْفِكْرَ، وَأَمْسَكْتُ عَنِ الْقَوْلِ، فَأَصَابَتْنِي حُبْسَةٌ فِي لِسَانِي.

وقال رجل من الأعراب يذكر آخرَ منهم:

كَأَنَّ فِيهِ لَفْفاً إِذَا نَطَقَ مِنْ طُولِ تَحْبِيسٍ وَهَمٍّ وَأَرْقٍ

وقال رجل لخالد بن صفوان: إنك لتكثُرُ، فقال أَكْثَرَ لَضَرِيَيْنِ: أحدهما فيما لَا تُغْنِي فِيهِ الْقَلَّةُ، والآخر لتمرين اللسان، فإن حبسه يورث العُقْلَةَ.

وكان خالد يقول: لا تكون بليعاً حتى تُكَلِّمَ أَمَتَكَ السَّودَاءَ فِي اللَّيْلَةِ الظُّلُمَاءِ، فِي الْحَاجَةِ الْمَهْمَةِ، بِمَا تَتَكَلَّمُ بِهِ فِي نَادَى قَوْمِكَ، فَإِنَّمَا اللَّسَانُ عُضْوٌ إِذَا مَرَّتَهُ مَرْنٌ، وَإِذَا أَهْمَلْتَهُ خَارَ، كَالْيَدِ الَّتِي تُخَشِّنُهَا بِالْمَارَسَةِ، وَالْبَدَنُ الَّذِي تُقْوِيهِ بِرَفْعِ الْحَجَرِ وَمَا أَشْبَهَهُ، وَالرَّجُلُ إِذَا عَوَّدَتْ الْمَشْيَ مَشَتْ.

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: لَا تَزَالُونَ أَصِحَّاءَ مَا نَزَعْتُمْ وَنَزَوْتُمْ. فنزعتم في القسي، ونزوتهم على ظهور الخيل.

وقال بعض الحكماء: لَا يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يُخْلِيَ نَفْسَهُ مِنْ ثَلَاثٍ فِي غَيْرِ إِفْرَاطٍ: الْأَكْلِ، وَالْمَشْيِ، وَالْجَمَاعِ، فَأَمَّا الْأَكْلُ فَإِنَّ الْأَمْعَاءَ تَضِيقُ لِتَرْكِهِ، وَكَانَ ابْنُ الزُّبَيْرِ رَحِمَهُ اللَّهُ يُوَاصِلُ - فِيمَا ذَكَرُوا - بَيْنَ خَمْسِ عَشْرَةِ مِنْ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، ثُمَّ يُفْطِرُ عَلَى سَمْنٍ وَصَبْرٍ لِيَفْتَقَ أَمْعَاءَهُ. قال أبو العباس: قال الأول: وَالْمَشْيَ إِنْ لَمْ تَتَعَهَّدْ أَوْشَكَتَ أَنْ تَطْلُبَهُ فَلَا تَجِدَهُ، وَالْجَمَاعُ كَالْبُئْرِ إِنْ نَزَحَتْ جَمَّتْ، وَإِنْ تَرَكْتَ تَحِيرَ مَاؤُهَا، وَحَقُّ هَذَا كُلُّهُ الْقَصْدُ.

وقوله:

* كَأَنَّ عَلَيْهِمْ شُرُوقَ الطِّفْلِ *

(١) زيادات ر: قال ش: قول أبي العباس: «إلا أن تريد» إنما هو إلا أن تشاء، ولو كان كما قال أبو العباس: كانت التاء مضمومة.

يريد: تألّق الحديد، كأنّه شمس طالعة عليهم، وإن لم تكن شمس،
وأحسنُ من هذا قول سلامة بن جندل:
كَأَنَّ النِّعَامَ بَاضَ فَوْقَ رُءُوسِهِمْ وَأَعْيُنُهُمْ تَحْتَ الْحَدِيدِ جَوَاحِمُ^(١)

فهذا التشبيه المصيب.

وأما قوله:

أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الْمَسْمَعَاتِ

فقد قال مثله القاسم بن عيسى بن إدريس أبو ذُلف العجلي:

يَوْمَآيَ يَوْمٌ فِي أَوَانِسَ كَالدَّمِي	لَهْوَى، وَيَوْمٌ فِي قِتَالِ الدَّيْلَمِ
هَذَا حَلِيفٌ غَلَاثِلُ مَكْسُوءَةٌ	مَسْكًا وَصَافِيَةٌ كَنَضَحَ الْعَنْدَمِ
وَلِذَاكَ خَالِصَةُ الدُّرُوعِ وَضُمَّرُ	يَكْسُونَنَا رَهَجَ الْغُبَارِ الْأَقْتَمِ
وَكَيْوَمِهِنَّ الْفَضْلُ لَوْلَا لَذَّةُ	سَبَقَتْ بِطَعْنِ الدَّيْلَمِيِّ الْمَعْلَمِ

وأول هذه القصيدة طريف مستملح، وهو:

طَوَاهُ الْهَوَى فَطَوَى مَنْ عَنَدَ وَحَالَفَ ذَا الصَّبْوَةِ الْمُخْتَبِلِ

وأما قوله:

* تَسَافَهُ أَشْدَاقُهَا فِي الْجُدُلِ *

فتسافه من السفه، وإنما يصفها بالمرح، وأنها تميل كذا مرة، وكذا مرة، كما
قال رؤبة:

* يَمْشِي الْعَرِضْنِي فِي الْحَدِيدِ الْمُتَقْنِ *

وكما قال الآخر:

إِذَا رَأَى السَّوْطَ مَشَى الْهَيْدَبَى وَيَتَّقِي الْأَرْضَ بِمُعْجِ رِقَاقِ^(٢)

وكما قال الحطيئة:

وإنَّ آنَسَتْ حِسًّا مِنَ السَّوْطِ عَارَضَتْ بِي الْجَوْرَ حَتَّى تَسْتَقِيمَ ضُحَى الْغَدِ

(١) زيادات ر: «جواحم، أى متقلدة».

(٢) زيادات ر: «الهيدي، بالبدال مهمة ومعجمة». وقوله: «بمعج رقاق، يريد قليلة اللحم».

والجدلُ: جمع جدلٍ وهو الزمامُ المجدول، كما تقول: قتيل ومقتول،
وأدنى العدد أجدلة، كقولك: قضيب وقُضْب وأقضية، وكذلك كُثيب ورَغِيفٌ
وجريبٌ، وفُعلانٌ كفعلٍ في الكثير، يقال قُضبانٌ ورُغفانٌ وجُربانٌ، ومثل قوله:
* تَسَافَهُ أَشْدَاقُهَا فِي الْجَدَلِ *

قول حبيب بن أوس الطائي:
سَفِيهِ الرُّمَحِ جَاهِلُهُ إِذَا مَا بَدَا فَضْلُ السَّفِيهِ عَلَى الْحَلِيمِ

[لإسحاق أيضًا يمدح الحسن بن سهل]

ومما يُستحسن من شعر إسحاق هذا قوله للحسن بن سهل:

بَابُ الْأَمِيرِ عَرَاءُ مَا بِهِ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرُؤُ وَاضِعٌ كَفًّا عَلَى ذَقَنِ
قَالَتْ وَقَدْ أَمَلْتُ مَا كُنْتُ أَمَلُهُ هَذَا الْأَمِيرُ ابْنُ سَهْلٍ حَاتِمُ الْيَمَنِ
كَفَيْتِكَ النَّاسَ لَا تَلْقَى أَحَا طَلَبَ بَقِيءَ دَارِكَ يَسْتَعْدِي عَلَى الزَّمَنِ
إِنَّ الرَّجَاءَ الَّذِي قَدْ كُنْتُ أَمَلُهُ وَضَعْتُهُ وَرَجَاءَ النَّاسِ فِي كَفَنِ
فِي اللَّهِ مِنْهُ وَجَدَوِي كَفَّهُ خَلْفٌ لَيْسَ السَّدَى وَالنَّدَى فِي رَاحَةِ الْحَسَنِ

وإسحاق هذا هو الذي يقول في صفة السيف:

أَلْقَى بِجَانِبِ خَصْرِهِ أَمْضَى مِنَ الْأَجَلِ الْمُتَّحِ
وَكَأَنَّمَا ذَرُ الْهَبَابِ عَ عَلَيْهِ أَنْفَاسُ الرِّيَّاحِ

وإسحاق هذا هو الذي يقول في مدح العربية:

النَّحْوُ يَبْسُطُ مِنْ لِسَانِ الْأَلَكَنِ وَالْمَرْءُ تُكْرِمُهُ إِذَا لَمْ يَلْحَنِ
وَإِذَا طَلَبْتَ مِنَ الْعُلُومِ أَجَلَهَا فَاجْلُهَا مِنْهَا مُقِيمُ الْأَلْسَنِ

قال أبو العباس: وأحسبه أخذ قوله:

* وَالْمَرْءُ تُكْرِمُهُ إِذَا لَمْ يَلْحَنِ *

من حديث حدثناه أبو عثمان الخُزاعيُّ عن الأصمعي قال: كان يقال: ثلاثة
يُحَكَّمُ لَهُمُ بِالنُّبْلِ حَتَّى يُدْرَى مَنْ هُمْ، وهم: رجلٌ رأيتُهُ رَاكِبًا، أو سمعته يُعَرِّبُ،

أَوْ شَمَمْتَ مِنْهُ طَبِيبًا. وَثَلَاثَةٌ يَحْكُمُ عَلَيْهِمْ بِالْإِسْتِصْغَارِ حَتَّى يَدْرِيَ مَنْ هُمْ، وَهُمْ:
رَجُلٌ شَمَمْتَ مِنْهُ رَائِحَةٌ نَبِيذٌ فِي مَحْفَلٍ، أَوْ سَمِعْتَهُ فِي مِصْرٍ عَرَبِيٍّ يَتَكَلَّمُ
بِالْفَارَسِيَّةِ، أَوْ رَجُلٌ رَأَيْتَهُ عَلَى ظَهَرِ طَرِيقٍ يَنَارُغُ فِي الْقَدْرِ.

[لشاعر في عجب الله بن طاهر]

قال أبو العباس: أنشدني أحد الأمراء لشاعر من أهل الرى يكنى أبا يزيد
شيئا يقوله لعبد الله بن طاهر أحسن فيه وأصاب الفص، وقصد بالمدح إلى معذنه،
واختاره لأهله:

اشْرَبْ هَنِئًا عَلَيْكَ التَّاجُ مُرْتَفَقًا فِي شَاذٍ مِنْهُزٍ وَدَعْ غُمْدَانِ لِلْيَمَنِ
فَأَنْتَ أَوْلَى بِتَاجِ الْمُلْكِ تَلْبَسُهُ مِنْ هَوْدَءَ بِنِ عَلِيٍّ وَأَبْنِ ذِي يَزَنِ

فأحسن الترتيب جدًّا، وإن كانت الملوك كلها تلبس التاج في ذلك الدهر.
وإنما ذكر ابن ذى يزن لقول أمية بن أبى الصلت الثقفى حيث يقول:

اشْرَبْ هَنِئًا عَلَيْكَ التَّاجُ مُرْتَفَقًا فِي رَأْسِ غُمْدَانِ دَارًا مِنْكَ مُحَلَّلًا

وقال الأعشى في هودء بن على، وإن لم يكن هودء ملكا:

مَنْ يَرِ هَوْدَءَ يَسْجُدُ غَيْرَ مُسْتَبِّ إِذَا تَعَمَّمَ فَوْقَ التَّاجِ أَوْ وَضَعَا
لَهُ أَكَالِيلُ بِالْيَاقُوتِ فَصَلَّهَا صَوَاغُهَا لَا تَرَى عَيْبًا وَلَا طَبْعَا

قال أبو العباس: وحدثني التوزى قال: سمعت أبا عبيدة يقول عن أبى
عمرو، قال: لَمْ يُتَوَجَّعْ مَعْدَى قَطْ، وَإِنَّمَا كَانَتِ التَّيْجَانِ لِلْيَمَنِ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ هَوْدَءَ
ابن على الحنفى، فقال: إِنَّمَا كَانَتِ خَرَزَاتٍ تُنْظَمُ لَهُ.

قال أبو العباس: وقد كتب رسول الله ﷺ إلى هودء بن على يدعوه كما
كتب إلى الملوك، وكان يُجِيزُ لَطِيمَةً كَسَرَى فِي الْبَرِّ بِجَنَّبَاتِ الْيَمَامَةِ. وَاللَّطِيمَةُ:
الْإِبِلُ تَحْمِلُ الطَّيْبَ وَالْبَزَّ. وَوَفَدَ هَوْدَءَ بِنِ عَلِيٍّ عَلَى كَسَرَى بِهَذَا السَّبَبِ فَسَأَلَهُ عَنْ
بَنِيهِ، فَذَكَرَ مِنْهُمْ عَدَدًا فَقَالَ: أَيُّهُمْ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ فَقَالَ: الصَّغِيرُ حَتَّى يَكْبُرَ،
وَالْغَائِبُ حَتَّى يَقْدَمَ، وَالْمَرِيضُ حَتَّى يَصَحَّ. فَقَالَ لَهُ كَسَرَى: مَا غِذَاؤُكَ فِي بِلَدِكَ؟
فَقَالَ: الْخُبْزُ، فَقَالَ كَسَرَى لَجُلَسَائِهِ: هَذَا عَقْلُ الْخُبْزِ، يُفْضَلُهُ عَلَى عَقُولِ أَهْلِ
الْبَوَادِي الَّذِينَ يَغْتَدُونَ اللَّبَنَ وَالتَّمْرَ.

وقد روى عن النبي ﷺ أنه قال: لَقَدْ هَمَمْتُ ألا أُقْبِلَ هَدِيَّةً - ويروى: أَن لا أَتَهَبَ هِبَةً - إلا من قُرَشِيٍّ أو أنصاريٍّ أو ثَقَفِيٍّ. وروى بعضهم: أو دَوْسِيٍّ؛ وذلك أن أعرابيا أهدى إليه هدية فمنَّ بها، فذكر رسول الله ﷺ أهل الأمصار تفضيلاً على أهل البوادي.

[لعبد الله بن محمد بن أبي عيينة]

وقال عبد الله بن محمد بن أبي عيينة يعاتب رجلاً من الأشراف:

أَتَيْتَكَ زَائِراً لِقَضَاءِ حَقٍّ
وَعِنْدَكَ مَعْشَرٌ فِيهِمْ أَخٌ لِي
وَكُنْتُ بِسَاقِطٍ فِي قَدْرِ قَوْمٍ
وَرَأَيْتُ مَذْهَبٌ عَنْ كُلِّ نَاءٍ
فَحَالَ السَّتْرُ دُونَكَ وَالْحِجَابُ
كَأَنَّ إِخَاءَهُ الْآلُ السَّرَابُ
وَأَنْ كَرِهُوا كَمَا يَقَعُ الذُّبَابُ
بِجَانِبِهِ إِذَا عَزَّ الذَّهَابُ

وقال أيضاً:

كُنَّا مُلُوكًا إِذْ كَانُوا أَوْلَنَا
كَانُوا جَبَالاً عِزًّا يُلَاحِظُهَا
كَانُوا بِهِمْ تُرْسُ السَّمَاءِ عَلَى الْ
لَا يَرْتُقُ الرَّاثِقُونَ إِنْ فَتَقُوا
لَيْسُوا كَمَعْزَى مَطِيرَةٍ بَقِيَتْ
وَالضَّعْفُ وَالْجُبْنُ عِنْدَ نَائِبَةٍ
هَذَا زَمَانٌ بِالنَّاسِ مُتَقَلِّبٌ
الْأَسَدُ فِيهِ عَلَى بَرَائِنِهَا
لِلْجُودِ وَالْبَاسُ وَالْعَلَا خُلِقُوا
وَرَائِحَاتٍ بِالْوَيْلِ تَنْبَعُ (١)
أَرْضٌ غِيَاثًا وَيُشْرِقُ الْأَفُقُ
فَتَقَا وَلَا يَفْتُقُونَ مَا رَتَقُوا
فَمَا بِهَا مِنْ سَحَابَةٍ لَّثَقُ (٢)
تَنْوِبُهُمُ وَالْحَذَارُ وَالْفُرْقُ
ظَهَرًا لِبَطْنٍ جَدِيدُهُ خَلَقُ
مُسْتَأَخِرَاتٍ تَكَادُ تَمَزِقُ

وكان سبب قوله هذا الشعر أن إسماعيل بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس كان له صديقاً، وكان عبد الله بن محمد بن أبي عيينة من رؤساء من أخذ البصرة للمأمون في أيام المخلوع، وكان معاضداً لطاهر بن الحسين في حروبه، وكان إسماعيل بن جعفر جليل القدر، مطاعاً في مواليه وأهله،

(١) الرائحات: السحب، وتنبع: تتخرق فينزل منها الماء.

(٢) اللثق: البلبل.

وكانت الحال بينهما ألطفَ حال، فوصله ابن أبي عيينة بذي اليمينين فولاه البصرة، وولّى ابن أبي عيينة اليمامة والبَحْرَيْنِ وَغَوْصَ البحر فلما رجعا إلى البصرة تَنَكَّرَ إسماعيلُ لابن أبي عيينة، فهاج بينهما من التباعد على مثال ما كان بينهما من المقاربة، ثم عَزَلَ ابن أبي عيينة، فلم يزل يهجو إسماعيل، وسأل ذا اليمينين عزله، فدافعه وضمن بالرجل، فكان يهجو من أهله مَنْ يُوَصِّلُ إسماعيلَ، وكان أكبر أهله قدراً في ذلك الوقت يزيدُ بن المُنْجَبِ، وكان أعور قائم العين لم يُطْلَعْ على علته إلا بشعر ابن أبي عيينة، وكان منهم. وكان سيّد أهل البصرة أجمعين محمدُ بن عَبَّاد بن حبيب بن المهلَّب، ومنهم سعيد بن المهلَّب بن المغيرة بن حرب ابن محمد بن المهلب بن أبي صُفْرَةَ، وكان قصيراً، وكان ابن عَبَّاد أَحْوَلَ، فذلك حيث يقول ابن أبي عيينة في هذا الشعر الذي أَمْلَيْنَاهُ:

تَسْتَقْدِمُ النَّعْجَتَانِ وَالْبَرْقُ^(١) فِي زَمَنِ سَرَوْ أَهْلَهُ الْمَلَقُ
عُورٌ وَحَوْلٌ وَثَالِثٌ لَهُمْ كَأَنَّهُ بَيْنَ أَسْطَرٍ لِحَقٍّ^(٢)

ولهم يقول ولاثنين ظن أنهما معهم، وقد مروا به يريدون إسماعيل بن

جعفر:

أَلَا قُلْ لِرَهْطِ خَمْسَةِ أَوْ ثَلَاثَةِ
عَلَى بَابِ إِسْمَاعِيلَ رُوحُوا وَبَكَّرُوا
وَأَثْنُوا عَلَيْهِ بِالْجَمِيلِ فَإِنَّهُ
يَلِينُ لَكُمْ عِنْدَ اللَّقَاءِ مُوَارِبًا
وَكَوْلَا الَّذِي تَوَلَّوْنَهُ لَتَكْشَفَتْ
أَبْعَدُ بَلَائِي عَنْهُ إِذْ وَجَدْتُهُ
بِهِ صَدًّا قَدْ عَابَهُ فَجَلَوْتُهُ
وَرَكِبْتُهُ فِي خُوطٍ نَبَعٍ وَرَشْتُهُ
فَمَا إِنْ أَتَانِي مِنْهُ إِلَّا مَبَوًّا
يَعْدُونَ مِنْ أَبْنَاءِ آلِ الْمَهْلَبِ
دَجَاجَ الْقُرَى مَبْثُوتَةٌ حَوْلَ ثَعْلَبِ
يُسِرُّ لَكُمْ حَبًّا هُوَ الْحَبُّ وَأَقْلَبِ
وَيَخْلِفُكُمْ مِنْهُ بَنَابٌ وَمَخْلَبِ
سَرِيرَتُهُ عَنِ بَغْضَةٍ وَتَعْصَبِ
طَرِيحًا كَنَصْلِ الْقَدَحِ لَمَّا يَرْكَبِ
بِكَفْيٍ حَتَّى ضَوْءُهُ ضَوْءُ كَوْكَبِ
بِقَادِمَتِي نَسْرٍ وَمَتْنٍ مُعَقَّبِ^(٣)
إِلَى بِنَصْلِ كَالْحَرِيقِ مُذْرَبِ

(١) البرق: الخروف والجمع أبراق.

(٢) اللحق: اسم لما يلحق بالكتاب بعد الفراغ منه.

(٣) الخوط: الغض الناعم. راشه: ألزق فيه الريش. والمتن: الوتر.

فَفَلَّلْتُ مِنْهُ حَدَّهُ وَتَرَكْتُهُ
رَضِيْتُمْ بِأَخْلَاقِ الدِّنِيِّ وَعِفْتُمْ

وفى هذا يقول لطاهر بن الحسين :

مَالِي رَأَيْتُكَ تُدْنِي كُلَّ مُنْتَكِثٍ
إِذَا تَنَسَّمَ رِيحَ الْغَدْرِ قَابِلَهَا
وَمَنْ يَجِيءُ عَلَى التَّقْرِيبِ مِنْكَ لَهُ
أَحْلَلَكَ اللَّهُ مِنْ قَحْطَانٍ مَنْزِلَةً
فَلَا تُضِيعْ حَقَّ قَحْطَانٍ فَتُغْضِبَهَا
أَعْطِ الرِّجَالَ عَلَى مَقْدَارِ أَنْفُسِهِمْ
وَلَا تَقُولَنَّ إِنِّي لَسْتُ مِنْ أَحَدٍ

ويقول له فى أخرى :

هُوَ الصَّبْرُ وَالتَّسْلِيمُ لِلَّهِ وَالرِّضَا
إِذَا نَحْنُ أَبْنَاءُ سَالِمِينَ بِأَنْفُسٍ
فَأَنْفُسُنَا خَيْرُ الْغَنِيمَةِ إِنَّهَا
هِيَ الْأَنْفُسُ الْكُبْرَى الَّتِي إِنْ تَقَدَّمَتْ
سَيَعْلَمُ إِسْمَاعِيلُ أَنَّ عَدَاوَتِي

كَهْدَبَةٍ ثَوْبِ الْخَزْرِ لَمَّا يَهْدَبُ (١)
خَلَائِقُ مَا ضَيَّكُمُ مِنَ الْعَمِّ وَالْأَبِ

إِذَا تَغَيَّبَ مُلْتَاثُ إِذَا حَضَرَ (٢)
حَتَّى إِذَا نَفَخَتْ فِي أَنْفِهِ غَدْرًا
وَأَنْتَ تَعْرِفُ فِيهِ الْمِيلَ وَالصَّعْرَا
فِي الرَّأْسِ حَيْثُ أَحَلَّ السَّمْعَ وَالْبَصْرَا
وَلَا رَيْبَةَ كَلَّا لَا وَلَا مُضْرَا
وَأَوَّلُ كَلَّا بِمَا أَوْلَى وَمَا صَبْرَا
لَا تَمَحِّقِ النَّيْرِينَ الشَّمْسَ وَالْقَمْرَا

إِذَا نَزَلَتْ بِي خُطَّةٌ لَا أَشَاؤُهَا
كَرَامَ رَجَتْ أَمْرًا فَخَابَ رَجَاؤُهَا
تَوُوبُ وَفِيهَا مَاؤُهَا وَحَيَاؤُهَا
أَوْ اسْتَخَرْتَ فَالْقَتْلُ بِالسَّيْفِ دَاؤُهَا
لَهُ رِيْقُ أَفْعَى لَا يُصَابُ دَوَاؤُهَا

ولما حَمَلَ إِسْمَاعِيلُ مُقِيدًا ومعه ابنه أحدهما فى سلسلة مقرونا معه، وكان
الذى تولي ذلك أحمد بن أبى خالد فى قصة كانت لإسماعيل أيام الخُضرة (٣) فقال
ابن أبى عيينة فى ذلك :

هُ مَعَا فِي الْأَسْرَاءِ
كَ عَلَى غَيْرِ وَطَاءٍ
لِيُفِيهِ أَلْوَانَ الْغِنَاءِ

مَرَّ إِسْمَاعِيلُ وَأَبْنَا
جَالِسًا فِي مَحْمَلِ ضَنْدٍ
يَتَغَنَّى الْقَيْدُ فِي رَجْدٍ

(١) يهدب: يقطع .

(٢) المنتكث: الهزيل، والملتاث: البطيء .

(٣) قال المِرْصَفِيُّ: «أيام الخُضرة هى الأيام التى أمر المأمون فى جنده وقواده وبنى هاشم أن تطرح شعار
السواد، وأن تلبس الخُضرة فى أقبيتهم وقلانسهم وأعلامهم يوم أن جعل على بن موسى بن جعفر ولى
عهد المسلمين من بعده وسماه الرضا». رغبة الأمل ٤ : ١٤١ .

بَاكِيًّا لَأَرْقَأْتُ عَلَيْهِ سَنَاهُ مِنْ طُولِ الْبُكَاءِ
يَا عَقَابَ الدَّجْنِ فِي الْأُمِّ بِنِ وَفِي الْخَوْفِ ابْنُ مَاءٍ^(١)

وقد كان تطير عليه بمثل ما نزل به، فمن ذلك قوله:

لَا تَعْدَمِ الْعَزْلَ يَا أَبَا الْحَسَنِ وَلَا أَنْتَقِلَا مِنْ دَارِ عَافِيَةٍ
وَلَا خُرُوجًا إِلَى الْقَفَارِ مِنَ الدُّ كَمْ رَوْحَةٌ فِيكَ لِي مُهَجَّرَةٌ
فِي الْحَرِّ وَالْقُرَى تُوَلَّى عَلَى الدُّ إِنِّي أُحَاجِيكَ يَا أَبَا حَسَنِ
وَمَا بِهِي فِي الْعَيْنِ مَنْظَرُهُ ظَاهِرُهُ رَائِعٌ وَبَاطِنُهُ

وهذا الشعر اعترض له فيه عمرو بن زعبل، مولى بنى مازن بن مالك بن عمرو بن تميم، وكان منقطعاً إلى إسماعيل وولده، وكان لا يبلغ ابن أبي عيينة في الشعر ولا يدانيه، ومن أمثل شعره وما اعترض له به قوله:

إِنِّي أُحَاجِيكَ مَا حَنِيفٌ عَلَى الدُّ وَمَا شُيْخٌ مِنْ تَحْتِ سِدْرَتِهِ
وَمَا سُيُوفٌ جَمْرٌ مُصْقَلَةٌ وَمَا سَهَامٌ صَفَرٌ مُجَوَّفَةٌ
وَمَا ابْنُ مَاءٍ إِنْ يُخْرِجُوهُ إِلَى الْأَرِّ وَمَا عَقَابٌ زَوْرَاءُ تُلْجَمُ مِنْ
لَهَا جَنَاحَانِ يَحْفَازَانِ بِهَا يَا ذَا الْيَمِينِينِ أَضْرِبْ عَلَاوَتَهُ^(٢)

فِطْرَةٌ بَاعَ الرِّبَاحَ بِالْغَنَبِ
مَعَلَّقٌ نَعْلُهُ عَلَى غُصْنٍ؟
قَدْ عَرِيتُ مِنْ مَقَابِضِ السَّفَنِ؟^(٤)
تُحْشَى خِيُوطُ الْكَتَّانِ وَالْقُطُنِ؟
ضِ تَسْلُ نَفْسُهُ مِنَ الْأُذُنِ؟
خَلْفَ فَتْهَوَى قَصْداً عَلَى سَنَنِ؟^(٥)
نَيْطاً إِلَيْهَا بِجَذَوْتِي وَسَنَنِ
يُدْفَعُ وَمَانِي فِي النَّارِ فِي قَرْنِ^(٧)

(٢) الزف: ريش النعام.

(١) طائر بألف الماء.

(٤) السفن بالتحريك: جلد خشن غليظ يكون على قوائم السيوف.

(٣) الدرن هنا: الدنس.

(٥) زيادات ر: «قيل السفينة، وقيل الراية، وهو أصح؛ لأن جده حبس راية طاهر بن الحسين ثلاثة أعوام».

(٦) العلواة: الرأس.

(٧) زيادات ر: قوله: «ومانى فى النار فى قرن» مانى: اسم علم، وكان رأساً من رعوس الزنادقة.

فأجابه إبراهيم السَّوَّاقُ مولى آلِ الْمُهَلَّبِ - وكان مُقَدِّمًا في الشعر - بأبيات لا
أحفظ أكثرها، منها:

قَدْ قِيلَ مَا قِيلَ فِي أَبِي حَسَنِ فَاَنْتَحِرُوا فِي تَطَاوُلِ الزَّمَنِ
وهذا السَّوَّاقُ هو الذى يقول لبُسرِ بن داود بن يزيد بن حاتم بن قبيصة بن
المُهَلَّبِ:

سَمَاؤُكَ تُمْطِرُ الذَّهَبَا وَحَرْبُكَ تَلْتَضِي لَهَبَا
وَأَيُّ كَتِيبَةٍ لَأَقْتِ كَلَمْ تَسْتَحْسِنِ الْهَرَبَا

ومن شعره السائر:

هَبْنِي يَا مُعَذِّبَتِي أَسَاتُ وَبِالْهَجْرَانِ قَبْلَكُمْ بَدَأْتُ
فَأَيْنَ الْفَضْلُ مِنْكَ فَدَتِكَ نَفْسِي عَلَى إِذَا أَسَاتِ كَمَا أَسَاتُ!

ولابن أبى عيينة في هذا المعنى أشعار كثيرة في معاتبات ذى اليمينين وهجاء
إسماعيل وغيره، سنذكرها بعد في هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

ومن شعره المستحسن قوله في عيسى بن سليمان بن على بن عبد الله بن
العباس، وكان تزوج امرأة منهم يقال لها فاطمة بنت عمر بن حفص هَزَارَ مَرْدًا^(١)،
وهو من ولد قبيصة بن أبى صفرة، ولم يلدْهُ المُهَلَّبُ، وكان يقال لأبى صفرة ظالم
ابن سراق:

أَفَاطَمَ قَدْ زُوِّجْتَ عَيْسَى فَأَيُّقْنِي بَذَلٌ لَدَيْهِ عَاجِلٍ غَيْرِ آجِلٍ
فَإِنَّكَ قَدْ زُوِّجْتَ عَنْ غَيْرِ خَبْرَةٍ فَتَى مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ لَيْسَ بِعَاقِلٍ
فَإِنْ قُلْتَ مِنْ رَهْطِ النَّبِيِّ فَإِنَّهُ وَإِنْ كَانَ حَرًّا الْأَصْلُ عَبْدُ الشَّمَائِلِ
فَقَدْ ظَفَرْتَ كَفَّاهُ مِنْكَ بِطَائِلٍ وَمَا ظَفَرْتُ كَفَّاكَ مِنْهُ بِطَائِلٍ
وَقَدْ قَالَ فِيهِ جَعْفَرٌ وَمُحَمَّدٌ أَقَاوِيلَ حَتَّى قَالَهَا كُلُّ قَائِلٍ
وَمَا قُلْتَ مَا قَالَا لِأَنَّكَ أُخْتُنَا وَفِي السَّرِّ مَنَا وَالذَّرَا وَالْكَوَاهِلِ
لَعَمْرِي لَقَدْ أَثْبَتَهُ فِي نَصَابِهِ بِأَنْ صِرْتُ مِنْهُ فِي مَحَلِّ الْحَلَائِلِ
إِذَا مَا بَنُو الْعَبَّاسِ يَوْمًا تَبَادَرُوا عَرَا الْمَجْدَ وَابْتَاعُوا كِرَامَ الْفَضَائِلِ

(١) زيادات ر: وقعت الرواية كما في الأصل، وصوابه: «هزاذ مرد» بالزاي والذال معجمة، ولا خلاف في
الزاي.

رَأَيْتَ أَبَا الْعَبَّاسِ يَسْمُو بِنَفْسِهِ
يُرْخَمُ بِيَضِّ الْعَامِ تَحْتَ دَجَاجِهِ

إِلَى بَيْعِ بَيَّاحَاتِهِ وَالْمَبَاقِلِ (١)
لِيُخْرِجَ بِيَضًا مِنْ فَرَارِيحِ قَابِلِ

قال أبو العباس: وولد عيسى من فاطمة هذه لهم شجاعة ونجدة وشدة أبدان، وفاطمة التي ذكرتها هي التي كان ينسب بها أبو عينة أخو عبد الله ويكنى عنها «بدنيا»، ومن ذلك قوله لها:

دَعَوْتُكَ بِالْقَرَابَةِ وَالْجَوَارِ
لَأَنْتَ عَنْكَ مَشْتَغَلٌ بِنَفْسِي
وَأَنْتَ تَوْقَرِينَ وَلَيْسَ عِنْدِي
فَأَنْتَ لِأَنَّ مَا بِكَ دُونَ مَا بِي
وَلَوْ وَاللَّهِ تَشْتَاقِينَ شَوْقِي

دُعَاءَ مُصَرِّحٍ بَادِيَ السَّرَارِ
وَمُخْتَرِقٍ عَلَيْكَ بَغِيرِ نَارِ
عَلَى نَارِ الصَّبَابَةِ مِنْ وَقَارِ
تُدَارِينَ الْعُيُونِ وَلَا أَدَارِي
جَمَحْتَ إِلَى خَالِعَةِ الْعِذَارِ

وقال عبد الله يعاتب ذا اليمينين:
مَنْ مُبْلَغٌ عَنِّي الْأَمِيرَ رِسَالَةَ
كُلِّ الْمَصَائِبِ قَدْ تَمَرُّ عَلَى الْفَتَى
وَأُظُنُّ لِي مِنْهَا لَدَيْكَ خَبِيئَةً
مَالِي أَرَى أَمْرِي لَدَيْكَ كَأَنَّهُ
وَأَرَاكَ تُرْجِيهِ وَتَمْضِي غَيْرَهُ
اللَّهُ يَعْلَمُ مَا أَتَيْتُكَ زَائِرًا
لَكِنْ أَتَيْتُكَ زَائِرًا لَكَ رَاجِيًا
قَدْ كَانَ لِي بِالْمَصْرِ يَوْمٌ جَامِعٌ
وَدَعَوْتُ مَنْصُورًا فَأَعْلَنَ بَيْعَةً
بَارَتْ مُسَارِعَتِي إِلَيْكَ بِطَاعَتِي
فِي الْأَرْضِ مِنْفَسَحٍ وَرِزْقٍ وَاسِعٍ
وقال أيضًا يعاتبه:

مَحْصُورَةٌ عِنْدِي عَنِ الْإِنْشَادِ
فَتُهُونُ غَيْرَ شِمَاتَةِ الْحُسَّادِ
سَتَكُونُ عِنْدَ الزَّادِ آخِرَ زَادٍ
مَنْ ثَقُلَهُ طُودٌ مِنَ الْأَطْوَادِ!
فِي سَاعَةِ الْإِصْدَارِ وَالْإِيرَادِ
مَنْ ضَيَّقَ ذَاتَ يَدٍ وَضَيَّقَ بِلَادِ
بِكَ رُتَبَةَ الْأَبَاءِ وَالْأَجْدَادِ
لَكَ مُصْلِحٌ فِيهِ لِكُلِّ فَسَادِ
فِي جَمْعِ أَهْلِ الْمَصْرِ وَالْأَجْنَادِ
كُلُّ الْبَوَارِ وَأَذَنْتُ بِكَسَادِ
لِي عَنْكَ فِي غَوْرِي وَفِي إِنْجَادِي

بَ يَغْرِي صُدُورًا وَيَشْفِي صُدُورًا
بَ خَيْرٌ وَأَجْدَرُ أَلَا يَضِيرَا

أَيَاذَا الْيَمْنَيْنِ إِنَّ الْعِتَا
وَكُنْتُ أَرَى أَنْ تَرَكَ الْعِتَا

(١) البياحة: شبكة تخمس البياح، وهو نوع من السمك، والمباقل: مواضع بيع البقل.

إِلَى أَنْ ظَنَنْتُ بِأَنْ قَدْ ظَنَنْتُ
فَأَضْمَرْتُ النَّفْسُ فِي وَهْمَهَا
وَلَا بُدَّ لِلْمَاءِ فِي مَرْجَلٍ
وَمَنْ أَشْرَبَ الْيَأْسَ كَانَ الْغِنَى
عَلَامَ وَفِيمَ أَرَى طَاعَتِي
أَلَمْ أَكُ بِالْمَصْرِ أَدْعُو الْبَعِيدَ
أَلَمْ أَكُ أَوَّلَ آتٍ أَتَاكَ
وَأَلْزَمَ غَرْزَكَ فِي مَأْقُطِ الْ
فَفِيمَ تُقَدِّمُ جَفَّالَةَ
كَأَنَّكَ لَمْ تَرَ أَنَّ الْفَتَى الْ
فَقَدِمَ مِنْ دُونِهِ قَبْلَهُ
أَلَسْتَ تَرَى أَنَّ سَفَّ التُّرَابِ
وَكَسْتُ ضَعِيفَ الْهَوَى وَالْمَدَى
وَلَكِنْ شَهَابٌ فَإِنْ تَرَمَّ بِي
فَهَلْ لَكَ فِي الْإِذْنِ لِي رَاضِيًا
وَكَانَ لَكَ اللَّهُ فِيمَا ابْتُعِثْتَ
وَلَا جَعَلَ اللَّهُ فِي دَوْلَةٍ
فَإِنْ وَرَأَيْ لِي مَذْهَبًا
بِهِ الضَّبُّ تَحْسِبُهُ بِالْفَلَاةِ
وَمَالًا وَمَصْرًا عَلَى أَهْلِهِ
وَإِنِّي لَمِنْ خَيْرِ سُكَّانِهِ

بَأْنِي لِنَفْسِي أَرْضِي الْحَقِيرَا
مَنْ أَلْهَمَ هَمًّا يَكْدُ الضَّمِيرَا
عَلَى النَّارِ مُوقَدَةً أَنْ يَفُورَا
وَمَنْ أَشْرَبَ الْحَرَصَ كَانَ الْفَقِيرَا
لَدَيْكَ وَنَضْرَى لَكَ الدَّهْرُ بَوْرَا
إِلَيْكَ وَأَدْعُو الْقَرِيبَ الْعَشِيرَا
بَطَاعَةٍ مَنْ كَانَ خَلْفِي بِشِيرَا
حُرُوبٍ عَلَيْهَا مُقِيمًا صَبُورَا (١)
إِلَيْكَ أَمَامِي وَأَدْعَى أَخِيرَا (٢)
حَمِي إِذَا زَارَ يَوْمًا أَمِيرَا
أَلَسْتَ تَرَاهُ بِسُخْطٍ جَدِيرَا
بِهِ كَانَ أَكْرَمَ مَنْ أَنْ يَزُورَا
أَكُونُ الصَّبَا وَأَكُونُ الدَّبُورَا
مُهْمًا تَجِدُ كَوَكْبِي مُسْتَتِيرَا
فَإِنِّي أَرَى الْإِذْنَ غَنَمًا كَبِيرَا
لَهُ مِنْ جِهَادٍ وَنَضْرَ نَصِيرَا
سَبَقْتَ إِلَيْهَا وَرِيحَ فُتُورَا
بَعِيدًا مِنَ الْأَرْضِ قَاعًا وَقُورَا (٣)
إِذَا خَفَقَ الْأَلُ فِيهَا بَعِيرَا
يَدُ اللَّهِ مِنْ جَائِرٍ أَنْ يَجُورَا
وَأَكْثَرِهِمْ بِنَفِيرٍ نَفِيرَا

وقال عبد الله لعل بن محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن
علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكان دعاه إلى نُصْرَتِهِ حين ظهرت المَبِیْضَةُ (٤)
فلم يُجِبْهُ، فتوعده علي، فقال عبد الله:

(١) الغرز: مساك رجل الراكب. والمأقط: المضيق في الحرب. (٢) الجفالة: كثير الجفول.

(٣) القاع: الأرض المستوية لا نبات فيها. والقور: جمع قارة، وهي قمة الجبل.

(٤) قال المِرْصَفِيُّ: «المَبِیْضَةُ قوم من أعداء الدولة العباسية، جعلوا شعارهم بيض الثياب يخالفون به شعار بني العباس من لبس السواد».

أَعْلَىٰ إِنَّكَ جَاهِلٌ مَّغْرُورٌ .
 أَكْتَبْتَ تَوَعْدُنِي إِذْ اسْتَبْطَأْتَنِي
 فَدَعَ الْوَعِيدَ فَمَا وَعِيدُكَ ضَاثِرِي
 وَإِذَا ارْتَحَلْتُ فَإِنَّ نَصْرِي لِلْأَلَى
 نَبَتَ عَلَيْهِ لُحُومُنَا وَدِمَاؤُنَا

لَا ظُلْمَةٌ لَكَ، لَا وَلَا لَكَ نُورٌ
 إِنِّي بِحَرْبِكَ مَا حَيِّتُ جَدِيرٌ
 أَطْنِي أَجْنَحَةَ الْبُعُوضِ يَضِيرُ
 أَبَوَاهُمُ الْمَهْدَى وَالْمَنْصُورُ
 وَعَلَيْهِ قُدْرٌ سَعِينَا الْمَشْكُورُ

وقال عبد الله في قتل داود بن يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب من قتل
 بأرض السند بدم أخيه المغيرة بن يزيد:

أَفْتَى تَمِيمًا سَعْدَهَا وَرَبَابَهَا
 صَعَقَتْ عَلَيْهِمْ صَعَقَةٌ عَتَكِيَّةٌ (١)
 ذَاقَتْ تَمِيمٌ عَرَكَتَيْنِ عَذَابَنَا
 قَدْنَا الْجِيَادَ مِنَ الْعِرَاقِ إِلَيْهِمْ
 يَحْمِلْنَ مِنْ وَلَدِ الْمُهَلَّبِ عَصَبَةٌ

بِالسُّنْدِ قَتْلُ مُغِيرَةَ بْنِ يَزِيدٍ
 جَعَلَتْ لَهُمْ يَوْمًا كَيَوْمِ ثَمُودٍ
 بِالسُّنْدِ مِنْ عَمَرَ وَمِنْ دَاوُدَ
 مِثْلَ الْقَطَا مُسْتَنَّةً لُورُودَ (٢)
 خَلَقَتْ قُلُوبُهُمْ قُلُوبَ أُسُودَ

وفي المغيرة يقول في قصيدة مطوّلة:

إِذَا كَرَّ فِيهِمْ كَرَّةً أَفْرَجُوا لَهُ
 وَمَا نِيلَ إِلَّا مِنْ بَعِيدٍ بِحَاصِبٍ
 وَإِنِّي لَمُشْنٌ بِالَّذِي كَانَ أَهْلُهُ
 فَتَى كَانَ يَسْتَحْيِي مِنَ الدِّمِّ أَنْ يَرَى
 وَكَانَ يَظُنُّ الْمَوْتَ عَارًا عَلَى الْفَتَى
 مَنِيَّةُ أَبْنَاءِ الْمُهَلَّبِ إِنَّهُمْ
 وَقَدْ أَطْلَقَ اللَّهُ اللِّسَانَ بِقَتْلِ مَنْ
 أَنَاخَ بِهِمْ دَاوُدُ يَصُفُّ نَابُهُ
 يُقَتِّلُهُمْ جُوعًا إِذَا مَا تَحَصَّنُوا

فَرَارَ بُغَاثُ الطَّيْرِ صَادَفْنَ أَجْدَلًا
 مِنَ النَّبْلِ وَالنُّشَابِ حَتَّى تَجْدَلَا
 أَبُو حَاتِمٍ إِنْ نَابَ دَهْرٌ فَأَعْضَلَا
 لَهُ مَخْرَجًا يَوْمًا عَلَيْهِ وَمَدْخَلَا
 يَدُ الدَّهْرِ إِلَّا أَنْ يُصَابَ فَيُقْتَلَا
 يَرُونَ بِهَا حَتْمًا كِتَابًا مُعْجَلَا
 قَتَلْنَا بِهِ مِنْهُمْ وَمَنْ وَأَفْضَلَا
 وَيُلْقَى عَلَيْهِمْ كُلُّكَلَا ثُمَّ كُلُّكَلَا
 وَتَقْرِيرُهُمْ هُوجُ الْمَجَانِقِ جَنْدَلَا

وهذا شعر عجيب من شعره .

(١) عتكية: منسوبة إلى جده الأكبر عتيك بن الأسد بن عمران بن عمرو مزيقياء بن ماء السماء . رغبة الأمل

١٥١ : ٤ .

(٢) مستنة: مسرعة في طيرانها .

وفى هذه القصة يقول :

أَبَتْ إِلَّا بُكَاءً وَانْتِحَابًا
أَلَمْ تَعْلَمْ بِأَنَّ الْقَتْلَ وَرْدُ
وَقُلْتُ لَهَا: قَرَى وَثَقَى بِقَوْلِي
فَقَدْ جَاءَ الْكِتَابُ بِهِ فَقَوْلِي
جَلَبْنَا الْخَيْلَ مِنْ بَغْدَادَ شُعْنًا
بِكُلِّ فَتَى أَغَرَّ مُهْلَبِي
وَمَنْ قَحْطَانُ كُلِّ أَخِي حِفَازُ
فَمَا بَلَّغْتَ قُرَى كَرَمَانَ حَتَّى
وَكَانَ لَهُنَّ فِي كَرَمَانَ يَوْمٌ
وَأَنَا تَارِكُونَ غَدًا حَدِيثًا
تُفَاخِرُ بَابِنِ أَحْوَزَهَا تَمِيمٌ

وفى مثل هذا البيت الأخير يقول أبو عبيدة :

وَأِنْ كُنْتُ لِي نَاصِحًا مُشْفِقًا
وَمَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَفْرَقَا (٢)
وَكَانَ السَّمَاءُ إِذَا حَلَقَا
وَعَزُّهُمْ الْمُتَنَجِّى الْمُتَنَقَّى
تَ أَنْطَقُ فِي الْمَجْدِ أَنْ يَنْطَقَا
لَعَالِ إِلَى شَرَفٍ مُرْتَقَى
بَجِدَّتْهَا قَبْلَ أَنْ تَخْلُقَا

أَعَاذُ صَهَ لَسْتُ مِنْ شَيْمَتِي
أَرَاكَ تُفَرِّقُنِي دَائِبًا
أَنَا ابْنُ الَّذِي شَادَ لِي مُنْصَبًا
قَرِيعُ الْعِرَاقِ وَبَطْرِيقُهُمْ
فَمَنْ يَسْتَطِيعُ إِذَا مَا ذَهَبَ
أَنَا ابْنُ الْمُهْلَبِ مَا فَوْقَ ذَا
فَدَعْنِي أَعْلَى ثِيَابِ الْجُصْبَا

قال أبو الحسن : وهذا شعر حسنٌ ، أوله :

وَمَا أَنْتَ وَالْعَشْنَقُ لَوْلَا الشَّقَا
وَشَمِّكَ رِيحَانُ أَهْلِ النَّقَا
نَ أَشْهَرُ مِنْ فَرَسٍ أَبْلَقَا

أَلَمْ تَنْهَ نَفْسَكَ أَنْ تَعَشَّقَا
أَمِنْ بَعْدِ شُرْبِكَ كَأْسِ النُّهَى
عَشِيقَتَ فَأَصْبَحْتَ فِي الْعَاشِقِ

(١) الشراة : جماعة من الخوارج .

(٢) تفرقنى : تخوفنى .

ثم قال :

* أَعَاذِلُ صَهَ لَسْتُ مِنْ شِيَمَتِي *

ثم قال بعد قوله :

* فَدَعْنِي أَغْلِي ثِيَابَ الصَّبَا *

أَدْنِيَايَ مِنْ عَمْرِ بَحْرِ الْهَوَى خُذِي بِيَدِي قَبْلَ أَنْ أَغْرَقَا
أَنَا لَكَ عَبْدٌ فَكُونِي كَمَنْ إِذَا سَرَهُ عَبْدُهُ أَعْتَقَا

قال أبو الحسن : قوله «أنا لك عبد» فوصل بالألف، فهذا إنما يجوز في الضرورة، والألف تثبت في الوقف لبيان الحركة، فلم يُحتج إلى الألف، ومن أثبتها في الوصل قاسه على الوقف للضرورة، كقوله :

فَإِنْ يَكُ غَثًّا أَوْ سَمِينًا فَلِإِنِّي سَأَجْعَلُ عَيْنِيهِ لِنَفْسِهِ مَقْنَعَا
لأنه إذا وَقَفَ وَقَفَ عَلَى الْهَاءِ وَحَدَّهَا، فَأَجْرَى الْوَصْلَ عَلَى الْوَقْفِ،
وَأَشْدُوا قَوْلَ الْأَعَشَى :

فَكَيْفَ أَنَا وَانْتَحَالَ الْقَوَا فَبَعْدَ الْمَشِيبِ كَفَى ذَاكَ عَارًا

والرواية الجيدة : «فَكَيْفَ يَكُونُ انْتِحَالُ الْقَوَا بَعْدَ الْمَشِيبِ»

سَقَى اللَّهُ دُنْيَا عَلَى نَأْيِهَا مِنْ الْقَطْرِ مُنْبَعًا رِيْقَا
أَلَمْ أَخْذَعْ النَّاسَ عَنْ حُبِّهَا وَقَدْ يَخْذَعُ الْكَيْسُ الْأَحْمَقَا
بَلَى وَسَبَقَتْهُمْ إِنِّي أُحِبُّ إِلَى الْمَجْدِ أَنْ أُسْبِقَا
وَيَوْمَ الْجَنَازَةِ إِذْ أُرْسِلَتْ عَلَى رَقَبَةٍ أَنْ جِئَ الْخُنْدَقَا
إِلَى السَّالِ فَاخْتَرْنَا مَجْلِسًا قَرِيبًا وَإِيَّاكَ أَنْ تَخْرُقَا

- هذا مما يغلط فيه عامة أهل البصرة، يقولون : «السال» بالتخفيف، وإنما هو السالُّ يا هذا، وجمعه سُلَّانٌ، وهو الغالُّ وجمعه غُلَّانٌ، وهو الشَّقُّ الخفيُّ في الوادي -

فَكُنَّا كَغُصْنَيْنِ مِنْ بَانَةٍ رَطِيبَيْنِ حَدَثَانِ مَا أَوْرَقَا
فَقَالَتْ لِتَرْبٍ لَهَا اسْتَشْدِيدِ مِنْ شَعْرِهِ الْحَسَنِ الْمُنْتَقَى

فَقُلْتُ أُمِرْتُ بِكُتْمَانِهِ وَحُذِرْتُ إِنْ شَاعَ أَنْ يُسْرِقَا
فَقَالَتْ بَعِيشِكَ! قُولِي لَهُ تَمَتَّعْ لَعَلَّكَ أَنْ تَنْفَقَا

قوله: «لعلك أن تنفقا» اضطرار. وحقه «لعلك تنفق»؛ لأن «لعل» من أخوات إن فأجريت مجراها، ومن أتى بأن فلمضارعها عسى، كما قال متمم بن نويرة:

لَعَلَّكَ يَوْمًا أَنْ تِلِمَّ مِلْمَةً عَلَيْكَ مِنَ اللَّائِي يَدْعُنَكَ أَجْدَعَا
وهو كثير.

قال أبو العباس: وزعم أبو مُعَاذِ النُّمَيْرِيِّ أَنَّهُ كَانَ يَعْتَادُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي عِيْنَةَ، وَيَكْثُرُ الْمَقَامُ عِنْدَهُ، وَكَانَ رَاوِيَةً لَشَعْرِهِ، وَأُمُّ ابْنِ أَبِي عِيْنَةَ بْنِ الْمُهَلَّبِ يُقَالُ لَهَا: خَيْرَةٌ، وَهِيَ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ الْخَيْرِ بْنِ قُشَيْرٍ بْنِ كَعْبٍ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَامِرٍ بْنِ صَعْصَعَةَ، فَأَبْطَأَتْ عَلَيْهِ أَيَّامًا فَكُتِبَ إِلَيْ:

تَمَادَى فِي الْجَفَاءِ أَبُو مُعَاذٍ وَرَأَوْغَنِي وَلَاذَ بِلَا مَلَاذٍ
وَكُلُّوْا حَقَّ أَخِي وَآلِي قُشَيْرٍ أَتَتْهُ قَصَائِدُ غَيْرِ اللَّذَاذِ
كَمَا رَاحَ الْهَلَاكِيُّ بَنَ حَرْبٍ بِهِ سِمَةٌ عَلَى عُنُقٍ وَحَاذٍ (١)

- يعني محمد بن حرب بن قبيصة بن مخارق الهلالي، وكان من أقعد الناس.

ولقبيصة بن المخارق صحبة لرسول الله ﷺ، وكان قد سار إليه فأكرمه وبسط له رداءه وقال: «مرحباً بخالي»! فقال: يا رسول الله، رِقٌّ جُلْدِي، وَدَقٌّ عَظْمِي، وَقَلٌّ مَالِي، وَهَنْتُ عَلَى أَهْلِي! فقال له رسول الله ﷺ: «لقد أبكيت بما ذكرت ملائكة السماء».

ومحمد بن حرب هذا ولي شرطة البصرة سبع مرات، وكان على شرطة جعفر بن سليمان على المدينة، وكان كثير الأدب غزيره، فأغضب ابن أبي عينة

(١) الحاذ: الظهر.

فِي حُكْمٍ جَرَى عَلَيْهِ بِحَضْرَةِ إِسْحَاقَ بْنِ عِيسَى - وَكَانَ عَلَى شَرْطَتِهِ إِذْ ذَاكَ - فَقَالَ
ذَلِكَ يَقُولُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي عِيْنَةَ:

بِأَخْوَالِي وَأَعْمَامِي أَقَامَتْ
مَتَى مَا أَدْعُ أَخْوَالِي لِحَرْبٍ
أَنَا ابْنُ أَبِي عِيْنَةَ فَرَعَ قَوْمِي
خَلَا ابْنُ عِكَابَةَ الظَّرْبَانَ سَهْلٍ
وَأَخْرَجَ مِنْ هِلَالٍ قَدْ تَدَاعَى
قُرَيْشٌ مُلْكُهَا وَبِهَا تَهَابُ
وَأَعْمَامِي لِنَائِبَةٍ أَجَابُوا
وَكَعْبٌ وَالِدِي وَأَبِي كِلَابُ
لَهُ فَسَوْ تُصَادُ بِهِ الضَّبَابُ
فَصَارَ كَأَنَّهُ الشَّيْءُ الْخَرَابُ

باب

[نبذة من أقوال الحكماء]

قال أبو العباس: كان ابن شبرمة إذا نزلت به نازلة قال: سحابة ثم تنقشع.
وكان يقال: أربع من كنوز الجنة: كتمان المصيبة، وكتمان الصدقة، وكتمان الفاقة، وكتمان الوجد.
قال عمر بن الخطاب رحمه الله: لو كان الصبر والشكر بعيرين ما باليت أيهما ركبت.

[للعتبي يذكر ابنًا له مات]

وقال العتبي محمد بن عبيد الله، يذكر ابنًا له مات:
أَضْحَتْ بِخَدِّي لِلدُّمُوعِ رُسُومٌ أَسَفًا عَلَيْكَ وَفِي الْفُؤَادِ كُلُّومٌ
وَالصَّبْرُ يَحْمَدُ فِي الْمَصَائِبِ كُلِّهَا إِلَّا عَلَيْكَ فَإِنَّهُ مَذْمُومٌ
قال أبو العباس: وأحسب أن حبيبا الطائي سمع هذا فاسترقه في بيتين:
أَحَدُهُمَا قَوْلُهُ فِي إِدْرِيسَ بْنِ بَدْرِ الشَّامِيِّ:
دُمُوعٌ أَجَابَتْ دَاعِيَ الْحُزْنِ هُمٌّ تَوَصَّلْ مِنَّا عَنْ قُلُوبٍ تَقْطَعُ
وَقَدْ كَانَ يَدْعَى لِابْنِ الصَّبْرِ حَازِمًا فَأَصْبَحَ يَدْعَى حَازِمًا حِينَ يَجْزَعُ
وَالْآخَرُ قَوْلُهُ:
قَالُوا الرَّحِيلُ! فَمَا شَكَّتُ بِأَنَّهَا نَفْسِي عَنِ الدُّنْيَا تُرِيدُ رَحِيلًا
الصَّبْرُ أَجْمَلُ غَيْرَ أَنَّ تَلَدُّدًا فِي الْحُبِّ أُخْرَى أَنْ يَكُونَ جَمِيلًا
وقال سابق البربري:
وَإِنْ جَاءَ مَا لَا تَسْتَطِيعَانِ دَفْعَهُ فَلَا تَجْزَعَا مِمَّا قَضَى اللَّهُ وَاصْبِرَا
وقال آخر أيضًا:

وَإِنْ أَتَاكَ بِمَا لَا تَشْتَهِي الْقَدْرُ اصْبِرْ عَلَى الْقَدَرِ الْمَجْلُوبِ وَارْضَ بِهِ
فَمَا صَفَا لِامْرِئٍ عَيْشٌ يُسَرُّ بِهِ إِلَّا سَيَتَبِعُ يَوْمًا صَفْوَهُ كَدْرُ

[خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ مَعَ بِلَالِ بْنِ أَبِي بَرْدَةَ]

وكان خالد بن صفوان يدخل على بلال بن أبي بردة يحدثه فيلحن، فلما كثر ذلك على بلال قال له: أتحدثني أحاديث الخلفاء، وتلحن لحن السقاة! قال التوزي: فكان خالد بن صفوان بعد ذلك يأتي المسجد ويتعلم الإعراب، وكف بصره فكان إذا مرَّ به موكب بلال يقول: ما هذا؟ فيقال له: الأمير، فيقول خالد:

* سَحَابَةٌ صَيْفٍ عَنْ قَلِيلٍ تَقْشَعُ *

ف قيل ذلك لبلال، فأجلس معه من يأتيه بخبره، ثم مرَّ به بلال، فقال خالد كما كان يقول، فقيل ذلك لبلال، فأقبل على خالد فقال: لا تقشع والله حتى تصيبك منها بشؤبوب برد! فضربه مائتي سوط. وقال بعضهم: بل أمر به فديس بطنه.

قوله: «بشؤبوب»، مهموز، وهو الدفعة من المطر بشدة، وجمعه شاييب. قال النابغة يخاطب القبيلة:

وَلَا تُلَاقِي كَمَا لَاقَتْ بَنُو أَسَدٍ فَقَدْ أَصَابَتْهُمْ مِنْهَا بِشُؤْبُوبٍ

يريد ما نال بني أسد من غارة النعمان عليهم، وضرب الشؤبوب مثلاً للغارة، والغارة تُضربُ لذلك مثلاً، كما يقال شن عليهم الغارة، أي صَبَّها عليهم، قال ابن هرمة:

كَمْ بَازِلٍ قَدْ وَجَأَتْ لَبَّتَهَا بِمُسْتَهْلٍ الشُّؤْبُوبِ أَوْ جَمَلٍ

يريد ما وجأها به من حديدة، يقول: لما وجأتها دفعت بشؤبوب من الدم، فكأنه قال: «بسنانٍ مُسْتَهْلٍ الشُّؤْبُوبِ»، أو ما أشبه بذلك.

[خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ وَسَلِيمَانُ بْنُ عَلِيٍّ]

وكان خالد بن صفوان أحد من إذا عرَضَ له القول قال، فيقال: إن سليمان ابن علي سألَه عن ابنيه جعفر ومحمد، فقال: كيف إحمادك جوارهما يا أبا صفوان؟ فقال:

أَبُو مَالِكٍ جَارٌ لَهَا وَابْنُ بُرْتِنٍ فَيَالِكَ جَارِي ذَلَّةٍ وَصَغَارٍ!

* * *

ش: قوله: أبو مالك، صوابه «أبو نافع» وهو مولى لعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضى الله عنه.

فَأَعْرَضَ عَنْهُ سُلَيْمَانُ، وَكَانَ سُلَيْمَانُ مِنْ أَحْلَمِ النَّاسِ وَأَكْرَمِهِمْ، وَهُوَ فِي الْوَقْتِ الَّذِي أَعْرَضَ فِيهِ عَنْهُ وَالِىَ الْبَصْرَةَ وَعَمَّ الْخَلِيفَةُ الْمَنْصُورُ، وَالشَّعْرُ الَّذِي تَمَثَّلَ بِهِ خَالِدٌ لِيَزِيدَ بْنِ مَقْرُغٍ الْحِمِيرِيِّ، قَالَ:

سَقَى اللَّهُ دَارًا لِي وَأَرْضًا تَرَكْتُهَا
إِلَى جَنْبِ دَارِي مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ
أَبُو مَالِكٍ جَارٌ لَهَا وَأَبْنُ بُرْثُنْ
فَيَا لَكَ جَارِي ذِلَّةٍ وَصَغَارٍ!

وَكَانَ الْحَسَنُ يَقُولُ: لِسَانُ الْعَاقِلِ مِنْ وَرَاءِ قَلْبِهِ، فَإِنْ عَرَضَ لَهُ الْقَوْلُ نَظَرَ، فَإِنْ كَانَ لَهُ أَنْ يَقُولَ قَالَ، وَإِنْ كَانَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ أَمْسَكَ، وَلِسَانُ الْأَحْمَقِ أَمَامَ قَلْبِهِ، فَإِذَا عَرَضَ لَهُ الْقَوْلُ قَالَ، كَانَ عَلَيْهِ، أَوْ لَهُ.

وَخَالِدٌ لَمْ يَكُنْ يَقُولُ الشَّعْرَ، وَيُرْوَى أَنَّهُ وَعَدَ الْفَرَزْدَقَ شَيْئًا فَأَخْرَجَهُ عَنْهُ، وَكَانَ خَالِدٌ أَحَدَ الْبُخْلَاءِ، فَمَرَّ بِهِ الْفَرَزْدَقُ فَهَدَّاهُ، فَأَمْسَكَ عَنْهُ حَتَّى جَازَ الْفَرَزْدَقُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ: إِنَّ هَذَا قَدْ جَعَلَ إِحْدَى يَدَيْهِ سَطْحًا، وَمَلَأَ الْأُخْرَى سَلْحًا، وَقَالَ: إِنْ عَمَرْتُمْ سَطْحِي، وَإِلَّا نَضَحْتُكُمْ بِسَلْحِي!

[من أخبار إياس بن معاوية]

وَقَالَ إِيَّاسُ بْنُ مَعَاوِيَةَ الْمُرْنِيُّ أَبُو وَائِلَةَ - وَكَانَ أَحَدَ الْعُقَلَاءِ الدُّهَاءِ الْفَضْلَاءِ - لَخَالِدٍ: لَا يَنْبَغِي أَنْ نَجْتَمِعَ فِي مَجْلَسٍ، فَقَالَ لَهُ خَالِدٌ: وَكَيْفَ يَا أَبَا وَائِلَةَ؟ فَقَالَ: لِأَنَّكَ لَا تَحِبُّ أَنْ تَسْكُتَ، وَأَنَا لَا أَحِبُّ أَنْ أَسْمَعَ!

وَخَاصِمٌ إِلَى إِيَّاسٍ رَجُلٌ رَجُلًا فِي دِينٍ وَهُوَ قَاضِي الْبَصْرَةِ، فَطَلَّبَ مِنْهُ الْبَيِّنَةَ، فَلَمْ يَأْتِهِ بِمَقْنَعٍ، فَقِيلَ لِلطَّالِبِ: اسْتَجِرْ وَكَيْعَ بْنَ أَبِي سُودٍ حَتَّى يَشْهَدَ لَكَ، فَإِنْ إِيَّاسًا لَا يَجْتَرِئُ عَلَى رَدِّ شَهَادَتِهِ، فَفَعَلَ، فَقَالَ وَكَيْعٌ: وَاللَّهِ لَا أَشْهَدَنَّ لَكَ، فَإِنْ رَدَّ شَهَادَتِي لِأَعْمَمَتِهِ السَّيْفَ! فَلَمَّا طَلَعَ وَكَيْعٌ فَهَمَّ إِيَّاسٌ عَنْهُ فَأَقْعَدَهُ إِلَى جَانِبِهِ، ثُمَّ سَأَلَهُ عَنْ حَاجَتِهِ، فَقَالَ: جِئْتُ شَاهِدًا، فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا الْمُطَرِّفِ، أَتَشْهَدُ

كما تفعل الموالى والعجم؟ أنت تجلُّ عن هذا ! فقال: : إذن والله لا أشهد، فقيل لوكيع بعدُ: إنما خدعك، فقال: أولى لابن اللّخناء !

وشهد رجلٌ من جلساء الحسن بشهادة عند إياس فردّه، فشكا الرجل ذلك إلى الحسن، فأتاه الحسن فقال: يا أبا واثلة، لم رددتَ شهادةَ فلان؟ فقال: يا أبا سعيد، إن الله تعالى يقول: ﴿مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾^(١) وليس فلان ممن أَرْضَى.

[من أخبار أبي دلامة]

واختلف نصرانيٌّ إلى أبي دلامة مولى بنى أسد يتطبَّب لابن له، فوعده إن برأ على يديه أن يُعطيه ألفَ درهم، فبرأ ابنه، فقال للمتطبَّب: إن الدراهم ليست عندي، ولكن والله لأوصلنَّها إليك، ادع على جاري فلان هذه الدراهم فإنه مؤسر، وأنا وابني نشهد لك، فليس دون أخذها شيء، فصار النصرانيُّ بالجار إلى ابنِ شبرمة، فسأله البيعة، فطلع عليه أبو دلامة وابنه، ففهم القاضي، فلما جلس بين يديه قال أبو دلامة:

إِن النَّاسُ غَطَوْنِي تَغَطَّيْتُ عَنْهُمْ وَإِنْ بَحْثُونِي كَانَ فِيهِمْ مَبَاحٌ
وَأِنْ حَفَرُوا بَنِي حَفَرْتُ بِئَارَهُمْ لِيَعْلَمَ قَوْمٌ كَيْفَ تِلْكَ النَّبَائِثُ

فقال ابن شبرمة: من ذا الذي يبحُّك يا أبا دلامة؟ ثم قال للمدعي: قد عرفتُ شاهديكَ ! فخلَّ عن خصمك، ورحَّ العشيَّةَ إلى، فراح إليه فغَرَمَهَا من ماله.

[من أخبار عبيد الله بن الحسن العنبري]

وشهد أبو عبيدة عند عبيد الله بن الحسن العنبري على شهادة ورجل عدل، فقال عبيد الله للمدعي: أما أبو عبيدة فقد عرفته، فزدني شاهداً. وكان عبيد الله أحد الأدباء الفقهاء الصُّلحاء، وزعم ابن عائشة قال: عتبتُ عليه مرة في شيء، قال: فلقيني يدخل من باب المسجد يريد مجلس الحكم، وأنا أخرج فقلت مُعرِّضاً به:

(١) سورة البقرة ٢٨٢.

طَمِعْتُ بِلَيْلَى أَنْ تَرِيعَ وَإِنَّمَا تَقَطَّعُ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ الْمَطَامِعُ^(١)
فَأَنْشَدَنِي مُعَرِّضًا تَارِكًا لِمَا قَصَدْتُ لَهُ:

وَبَايَعْتُ لَيْلَى فِي خَلَاءٍ وَكَمْ يَكُنْ شُهُودٌ عَلَى لَيْلَى عُدُولٌ مَقَانِعُ
وكان ابن عائشة يَتَحَدَّثُ عَنْهُ حَدِيثًا عَجِيبًا، ثُمَّ عُرِفَ مَخْرَجُ ذَلِكَ الْحَدِيثِ.

ذكر ابن عائشة، وحدثني عنه جماعة لا أحصيهم كثرة: أن عبيد الله بن الحسن شهد عنده رجل من بني نهشل على أمر أحسبه دينًا فقال له: أَتُرَوِي قَوْلَ الْأَسْوَدِ بْنِ يَعْفُرَ:

* نَامَ الْخَلَى فَمَا أَحْسُ رُقَادَى *

فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: لَا! فَرَدَّ شَهَادَتَهُ وَقَالَ: لَوْ كَانَ فِي هَذَا خَيْرٌ لَوَرَوَى شَرَفَ أَهْلِهِ.

[من أخبار سوار بن عبيد الله]

فحدثني شيخ من الأزد حديثًا ظننت أن عبيد الله إياه قَصَدَ، قَالَ: تَقْدُمُ رَجُلًا إِلَى سَوَّارِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - وَسَوَّارُ بْنُ عَمِّ عَبِيدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ - يَدْعَى دَارًا، وَامْرَأَةً تَدْفَعُهُ وَتَقُولُ لِسَوَّارٍ: إِنَّهَا وَاللَّهِ خَطَّةٌ مَا وَقَعَ فِيهَا كِتَابٌ قَطُّ. فَأَتَى الْمُدْعَى بِشَاهِدَيْنِ يَعْرِفُهُمَا سَوَّارٌ، فَشَهِدَا لَهُ بِالْدارِ، وَجَعَلَتِ الْمَرْأَةُ تَنْكَرُ إِنْكَارًا يَعْضُدُهُ التَّصَدِيقَ، ثُمَّ قَالَتْ: سَلْ عَنِ الشُّهُودِ، فَإِنَّ النَّاسَ يَتَغَيَّرُونَ، فَرَدَّ الْمَسْأَلَةَ، فَحَمَدَ الشَّاهِدَانِ. فَلَمْ يَزَلْ يُرِيثُ أُمُورَهُمْ، وَيَسْأَلُ الْجِيرَانَ، فَكُلُّ يَصَدِّقُ الْمَرْأَةَ، وَالشَّاهِدَانِ قَدْ ثَبَتَا، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى عَبِيدِ اللَّهِ. فَقَالَ لَهُ عَبِيدُ اللَّهِ: أَنَا أَحْضَرُ مَجْلِسِ الْحُكْمِ مَعَكَ فَأَتَيْكَ بِالْجَلِيَّةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، فَقَالَ لِلشَّاهِدَيْنِ: لَيْسَ لِلْقَاضِي أَنْ يَسْأَلَ كَمَا كَيْفَ شَهِدْتُمَا، وَلَكِنْ أَنَا أَسْأَلُكُمْ. قَالَ: فَقَالَا: أَرَادَ هَذَا أَنْ يَحْجُجَ فَأَدَارِنَا عَلَى حَدُودِ الدَّارِ مِنْ خَارِجٍ، وَقَالَ: هَذِهِ دَارِي، فَإِنْ حَدَثَ بِي حَدَثٌ فَلْتُبْعْ وَلْتَقَسِمْ عَلَى سَبِيلِ كَذَا، قَالَ: أَفَعِنْدَكُمَا غَيْرُ هَذِهِ الشَّهَادَةِ؟ قَالَا: لَا، فَقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ! وَكَذَا لَوْ أَدْرْتُكُمَا عَلَى دَارِ سَوَّارٍ، وَقُلْتُ لَكُمْ مِثْلَ هَذِهِ الْمَقَالَةِ، أَكُنْتُمَا تَشْهَدَانِ بِهَا لِي؟ فَفَهَمَا أَنَّهُمَا قَدْ اغْتَرَا، فَكَانَ سَوَّارٌ إِذَا سَأَلَهُ عَنْ عَدَالَةِ الشَّاهِدِ يُتْبِعُ الْمَسْأَلَةَ أَنْ يَقُولَ: أَفَجَائِزُ الْعَدَالَةِ هُوَ؟ فَظَنَنْتُ أَنَّ عَبِيدَ اللَّهِ رَأَى فِي الشَّاهِدِ غَفْلَةً فَاخْتَبَرَهُ بِهَذَا وَمَا أَشْبَهَهُ.

(١) زيادات ر «ألت».

وحدثني أحد أصحابنا أن رجلاً من الأعراب تقدم إلى سَوَّار في أمر فلم يصادف عنده ما يُحِبُّ، فاجتهد فلم يَظْفَرْ بِحاجته، قال: فقال الأعرابي، وكانت في يده عَصَا:

رَأَيْتُ رُؤْيَا ثُمَّ عَبَّرْتُهُمَا وَكُنْتُ لِلْأَحْلَامِ عَبَّارًا
بِأَنْنِي أَخْبَطُ فِي لَيْلَتِي كَلْبًا فَكَانَ الْكَلْبُ سَوَّارًا

ثم انحنى على سَوَّار بالعصا فضربه حتى مَنَعَ منه، قال: فما عاقبه سَوَّارُ بشيءٍ. ٤٠

قال: وَحُدِّثْتُ أَنَّ أَعْرَابِيًّا مِنْ بَنِي الْعَبْرِ سَارَ إِلَى سَوَّارٍ فَقَالَ: إِنْ أَبِي مَاتَ وَتَرَكَنِي وَأَخًا لِي - وَخَطَّ خَطَيْنِ فِي الْأَرْضِ - ثُمَّ قَالَ: وَهَجِينَا - وَخَطَّ خَطًّا نَاحِيَةً - فَكَيْفَ نَقْسِمُ الْمَالَ؟ فَقَالَ: أَهَاهُنَا وَرَاثٌ غَيْرُكُمْ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: الْمَالَ بَيْنَكُمْ أَثْلَاثًا. فَقَالَ: لَا أَحْسِبُكَ فَهَمْتَ عَنِّي! إِنَّهُ تَرَكَنِي وَأَخِي وَهَجِينَا لَنَا، فَقَالَ سَوَّارُ: الْمَالَ بَيْنَكُمْ أَثْلَاثًا، قَالَ: فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ: أَيَأْخُذُ الْهَجِينُ كَمَا آخُذُ، وَكَمَا يَأْخُذُ أَخِي! قَالَ: أَفْعَلْ! فَغَضِبَ الْأَعْرَابِيُّ، قَالَ: ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى سَوَّارٍ فَقَالَ: تَعَلَّمْ وَاللَّهِ إِنَّكَ قَلِيلُ الْخَالَاتِ بِالْذَهْنَاءِ، فَقَالَ سَوَّارُ: إِذَا لَا يَضِيرُنِي ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ شَيْئًا^(١).

[أُنْفَةُ عَقِيلِ بْنِ عُلْفَةَ]

وَكَانَ عَقِيلُ بْنُ عُلْفَةَ مِنَ الْغَيْرَةِ وَالْأُنْفَةُ عَلَى مَا لَيْسَ عَلَيْهِ أَحَدٌ عَلِمْنَاهُ، فَخَطَبَ إِلَيْهِ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ ابْنَتَهُ عَلَى أَحَدِ بَنِيهِ، وَكَانَتْ لِعَقِيلٍ إِلَيْهِ حَاجَاتٌ فَقَالَ: أَمَّا إِذْ كُنْتُ فَاعِلًا فَجَنِّبْنِي هُجْنَاءَكَ.

وَخَطَبَ إِلَيْهِ ابْنَتَهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ هِشَامٍ بْنُ إِسْمَاعِيلِ بْنِ هِشَامِ بْنِ الْوَكِيدِ بْنِ الْمَغِيرَةِ - وَهُوَ خَالَ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَوَالِي الْمَدِينَةِ، وَكَانَ أَبْيَضَ شَدِيدَ الْبَيَاضِ - فَردَّه عَقِيلٌ وَقَالَ:

رَدَدْتُ صَحِيفَةَ الْقُرَشِيِّ لَمَّا أَبْتُ أَعْرَاقَهُ إِلَّا أَحْمِرَارًا

وَكَانَتْ حَفْصَةُ بِنْتُ عِمْرَانَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ قَدْ مِيتَ عَنْهَا، فَخَطَبَهَا جَمَاعَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ، أَحَدُهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَسَنِ بْنِ حَسَنِ بْنِ

(١) زيادات ر: «قيل إنه ليس بالذهناء أمة، وإنما كان فيها الحرائر».

على بن أبى طالب، وأحدهم إبراهيم بن هشام، فكان أخوها محمد بن عمران،
إذا دخل إلى إبراهيم بن هشام أوسع له وأنشده:

وَقَالُوا يَا جَمِيلُ أَتَى أَخُوها فَقُلْتُ أَتَى الْحَبِيبُ أَخُو الْحَبِيبِ
أُحِبُّكَ أَذِنْتُ لَكَ جِبَالَ حِسْمَى وَأَنْ نَأْسَبْتَ بَشْنَةَ مِنْ قَرِيبِ

وهذا الشعر لجميل بن عبد الله بن معمر العُدْرِيّ، فأما جميل بن معمر
الجُفَاحِيّ فلا نَسَبَ بينه وبين معمر، أى ليس بينه وبينه أبٌ آخر، وكانت له
صُحْبَةٌ، وكان خاصاً بمعمر بن الخطاب رضى الله عنه.

[عبد الرحمن بن عوف وعمر بن الخطاب]

ويروى عن عبد الرحمن بن عوف أنه قال: أتيت بابَ عمر بن الخطاب
رحمه الله، فسمعتُه يُنشدُ بالركبانية^(١):

وَكَيْفَ تَوَائِي بِالْمَدِينَةِ بَعْدَمَا قَضَى وَطَرًا مِنْهَا جَمِيلُ بْنُ مَعْمَرٍ
فلما استأذنتُ عليه قال لى: أَسَمِعْتَ مَا قُلْتُ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ! فَقَالَ: إِنَّا إِذَا
خَلَوْنَا قُلْنَا مَا يَقُولُ النَّاسُ فِي بَيْوتِهِمْ.

قال ش: وَهَمَّ أَبُو الْعَبَّاسِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي هَذَا، وَإِنَّمَا الْقِصَّةُ أَنَّ عُمَرَ بْنَ
الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هُوَ الَّذِي سَمِعَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ يُنشدُ.

[لأبى خراش - وكان قد قتل أخاه جميل بن معمر]

وكان جميلُ بن معمر الجُمَحِيّ قُتِلَ أَخَا لَأَبَى خِرَاشِ الْهُذَلِيِّ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ
وَأَتَاهُ مِنْ وَرَائِهِ وَهُوَ مُوتِقٌ فَضْرِبُهُ، فَفِي ذَلِكَ يَقُولُ أَبُو خِرَاشٍ:

لَأَبْكَ بِالْعَرْجِ الضَّبَاعُ النَّوَاهِلُ فَأُقْسِمُ لَوْ لَا قَيْتَهُ غَيْرَ مُوتِقٍ
وَلَكِنَّ أَقْرَانَ الظُّهُورِ مَقَاتِلُ لَكَانَ جَمِيلٌ أَسْوَأَ النَّاسِ صَرْعَةً
وَلَكِنْ أَحَاطَتْ بِالرَّقَابِ السَّلَاسِلُ فَلَيْسَ كَعَهْدِ الدَّارِ يَا أُمَّ مَالِكٍ
سِوَى الْحَقِّ شَيْئًا فَاسْتَرَحَ الْعَوَاذِلُ وَعَادَ الْفَتَى كَالْكَهْلِ لَيْسَ بِقَائِلٍ

(١) الركبانية: غناء للعرب فيه مد ومطيط. (رغبة الأمل).

قوله: «أسوأ الناس صرعة»، أى الهيئة التى يُصرَعُ عليها كما تقول: جلست جلسة وركبت ركبة، وهو حَسَنُ الْجَلْسَةِ وَالرُّكْبَةِ، أى الهيئة التى يجلس عليها وَيَرْكَبُ عليها، وكذلك القعدة والنيمة. وقوله: «لأبك»، أى لعادك، وأصل هذا من الإياب والرجوع، قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾^(١). وقال عبيد بن الأبرص^(٢):

* وَكُلُّ ذِي غِيَّةٍ يَتُوبُ *

وقوله: «بالعرج»، فهو ناحية من مكة، به ولد عبد الله بن عمرو بن عثمان ابن عفان، فسمى العرجي، ويقال: بل كان له مال بذلك الموضع، فكان يقيم فيه.

قال ش: هذا وهم من أبى العباس رحمه الله، وأما صوابه فعبد الله بن عمرو ابن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان رضى الله عنه.

والنواهل فيه قولان: أحدهما العطاش - وليس بشيء - والآخر الذى قد شرب شربة فلم يرو، فاحتاج إلى أن يعلّ، كما قال امرؤ القيس:

إِذْ هُنَّ أَفْسَاطُ كَرَجِلِ الدَّبَى أَوْ كَقَطَا كَاطِمَةِ النَّاهِلِ^(٣)

وقوله: «أحاطت بالرقاب السلاسل»، يقول: جاء الإسلام فمنع من الطلب بالأوتار إلا على وجهها، وكان يقال: إن أول من أظهر الجور من القضاة فى الحكم بلال بن أبى بردة، وكان أمير البصرة وقاضياها، وفى ذلك يقول رؤبة^(٤):

وَأَنْتَ يَا بَنِ الْقَاضِيَيْنِ قَاضٍ

وكان بلال يقول: إن الرجلين ليتقدّمان إلى فأجد أحدهما على قلبى أخفّ فأقضى له.

(١) سورة الغاشية ٢٥.

(٢) بقيته كما فى زيادات ر:

* وَغَائِبُ الْمَوْتِ لَا يَتُوبُ *

(٣) أفساط: قطع. الدبى: جماعة الجراد.

(٤) بعده كما فى زيادات ر:

* مُعْتَزَمٌ عَلَى الطَّرِيقِ مَاضٍ *

[بلال بن أبي بردة وعمر بن عبد العزيز]

ويروى أن بلالا وَقَدَ على عمر بن عبد العزيز بِخُناصِرَةٍ، فَسَدِكَ [ش: معناه لَصِقَ] بسارية من المسجد، فجعل يصلى إليها ويديم الصلاة، فقال عمر بن عبد العزيز للعلاء بن المغيرة بن البندار: إِنْ يَكُنْ سِرُّ هَذَا كَعَلَانِيَتِهِ فهو رجلٌ أهلِ العراق غيرَ مُدافِعٍ، فقال العلاء: أنا أتيتُ بخبره، فأتاه وهو يصلى بين المغرب والعشاء، فقال: اشْفَعْ صَلَاتَكَ فَإِنْ لى إِلَيْكَ حَاجَةٌ، ففعل، فقال العلاء: قد عرفتَ حالى من أمير المؤمنين، فإن أنا أَشَرْتُ بِكَ على ولاية العراق فما تَجَعَلُ لى؟ قال: لك عَمَلَتى^(١) سنة، وكان مَبْلُغُها عَشْرِينَ أَلْفَ أَلْفِ درهم، قال: فاكتب لى بذلك، قال: فارْقَدَ^(٢) بلالٌ إلى منزله، فَأَتى بِدَوَاةٍ وصَحيفة فَكَتَبَ له بذلك.

فأتى العلاء عمر بالكتاب، فلما رآه كتب إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن ابن زيد بن الخطاب - وكان والى الكوفة - أما بعد: فإن بلالا غَرَّنَا بالله فكدنا نَعْتَرُّ، فَسَبَكْنَاهُ فوجدناه خَبَثًا كُلَّهُ، والسلام.

ويروى أنه كتب إلى عبد الحميد: إِذَا وَرَدَ عَلَيْكَ كِتَابى هذا فلا تَسْتَعِنْ على عملك بأحد من آل أبى موسى.

[شعر رضى الرمة فى بلال]

قال أبو العباس: وكان بلالٌ دَاهِيَةً لَقَنَّا أَدِيًّا، ويقال: إِنْ ذَا الرُّمَّةَ لَمَّا أَنشَدَهُ:

سَمِعْتُ النَّاسَ يَنْتَجِعُونَ غِيًّا فَقُلْتُ لَصِيدَحَ انْتَجِعِى بِلَالًا
تُنَاحِى عِنْدَ خَيْرِ فَتَى يَمَانٍ إِذَا النُّكْبَاءِ نَاوَحَتِ الشَّمَالَآ
فلما سمع قوله:

* فَقُلْتُ لَصِيدَحَ انْتَجِعِى بِلَالًا *

قال: يا غلام، مُرْ لها بِقَتٍّ وَنَوَى، أَرَادَ أَنْ ذَا الرُّمَّةَ لَا يُحْسِنُ المدح.

(١) زيادات ر: «العمالة؛ بضم العين: أجرة العامل».

(٢) زيادات ر: «معناه: أسرع».

قوله: «سمعت الناس ينتجعون» حكاية، والمعنى إذا حُقِّقَ إنما هو سمعت هذه اللفظة، أى قائلا يقول: «الناسُ ينتجعون غيثًا»، ومثل هذا قوله:

وَجَدْنَا فِي كِتَابِ بَنِي تَمِيمٍ أَحَقُّ الْخَيْلِ بِالرَّكْضِ الْمَعَارُ

فمعناه: وجدنا هذه اللفظة مكتوبة، فقوله: «أَحَقُّ الْخَيْلِ» ابتداء، «والمعارُ» خبره، وكذلك «الناسُ» ابتداء، و«ينتجعون» خبره. ومثل هذا فى الكلام: قرأتُ «الحمدُ لله ربَّ العالمين»، إنما حكيتُ ما قرأتُ، وكذلك قرأتُ على خاتمه «اللهُ أَكْبَرُ» يا فتى، فهذا لا يجوز سواه.

وقوله: «إِذَا النَّكَبَاءُ نَاوَحَتِ الشَّمَالَ» فإن الرياح أربع، ونكباواتها أربع، وهى الريح التى تأتى من بين ريحين فتكون بين الشمال والصبأ، أو الشمال والدبور، أو الجنوب والدبور، أو الجنوب والصبأ، فإذا كانت النكباء تُناوحُ الشمالُ فهى آية الشتاء. ومعنى «تُناوحُ» تُقابلُ، يقال: تُناوحُ الشجرُ، إذا قابل بعضه بعضًا، وزعم الأصمعى أن النائحة بهذا سُميت؛ لأنها تقابل صاحبها.

وقال يحيى بن نوفل الحميرى - ويقال إنه لم يمدح أحدًا قط:

فَلَوْ كُنْتُ مُمْتَدِّحًا لِلنَّوَالِ
وَلَكِنِّى لَسْتُ مِمَّنْ يَرِيدُ
سَيَكْفِي الْكَرِيمَ إِخَاءُ الْكَرِيمِ
فَتَى لَأُمْتَدِّحْتُ عَلَيْهِ بِلَا لَا
بِمَدْحِ الرِّجَالِ الْكَرَامِ السُّؤَالَا
وَيَقْنَعُ بِالْوُدِّ مِنْهُ نَوَالَا

ومن أحسن ما امتدح به ذو الرمة بلا لا قوله:

تَقُولُ عَجُوزٌ مَدْرَجِي مَتْرُوحًا
أَدُو زَوْجَةٍ بِالْمَصْرِ أَمْ ذُو خُصُومَةٍ
فَقُلْتُ لَهَا: لَا إِنْ أَهْلِي لَجِيرَةٌ
وَمَا كُنْتُ مَذْ أَبْصَرْتَنِي فِي خُصُومَةٍ
وَلَكِنِّى أَقْبَلْتُ مِنْ جَانِبِي قَسَا
مِنْ آلِ أَبِي مُوسَى تَرَى الْقَوْمَ حَوْلَهُ
مَرْمِينَ مِنْ لَيْثٍ عَلَيْهِ مَهَابَةٌ
عَلَى بَيْتِهَا مِنْ عِنْدِ أَهْلِي وَغَادِيَا
أَرَاكَ لَهَا بِالْبَصْرَةِ الْعَامِ ثَاوِيَا
لَأَكْثِبَةَ الدَّهْنِ جَمِيعًا وَمَالِيَا^(١)
أُرَاجِعُ فِيهَا يَا ابْنَةَ الْخَيْرِ قَاضِيَا
أَزُورُ فَتَى نَجْدًا كَرِيمًا يَمَانِيَا
كَأَنَّهُمْ الْكَرْوَانُ أَبْصَرْنَ بَازِيَا
تَفَادَى أَسْوَدُ الْغَابِ مِنْهُ تَقَادِيَا

(١) زيادات ر: قوله «لا» لحن، وهذا اللحن راجع على المرأة؛ لأن «لا» لا تقع إلا فى جواب «أو»، وإنما سأله بأم، وهى لم يستقر عندها علم.

وَمَا الْخُرْقَ مِنْهُ يَرْهَبُونَ وَلَا الْخَنَى عَلَيْهِمْ وَلَكِنْ هَيْبَةٌ هِيَ مَا هِيَ
 قوله «مدرجى» يقول: مُرورى، فأما قولهم فى المثل: خَيْرٌ مَنْ دَبَّ وَمَنْ
 دَرَجَ، فمعناه: مَنْ حَيَّ وَمَنْ مَاتَ، يريدون: مَنْ دَبَّ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ وَمَنْ دَرَجَ
 مِنْهَا فَذَهَبَ.

وقوله:

* أَرَاكَ لَهَا بِالْبَصَرَةِ الْعَامَ ثَاوِيَا *

فإنه يقال فى هذا المعنى: ثَوَى الرَّجُلُ فَهُوَ ثَاوٍ، يَا فَتَى، إِذَا أَقَامَ، وَهِيَ
 أَكْثَرُ، وَيُقَالُ: أَثَوَى فَهُوَ مَثْوٍ يَا فَتَى، وَهِيَ أَقَلُّ مِنْ تَلَكَّ، قَالَ الْأَعَشَى:
 أَثَوَى وَقَصَّرَ لَيْلَةً لِيُبْزَوْدَا فَمَضَى وَأَخْلَفَ مِنْ قُتَيْلَةٍ مَوْعِدَا

وقوله: «قَسَا»، فهو موضع من بلاد بنى تميم. وقوله: «لَاكُثْبَةُ الدَّهْنَا»
 فَأَكُثْبَةٌ جَمْعُ كَثِيبٍ، وَهُوَ أَقَلُّ الْعِدَدِ، وَالْكَثِيرُ كُثْبٌ وَكُثْبَانٌ: وَالِدَّهْنَا مِنْ بِلَادِ بَنِي
 تَمِيمٍ، وَلَمْ أَسْمَعْ إِلَّا الْقَصْرَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْعَرَبِ، وَاسْمَعْتُ بَعْدُ مِنْ يَرْوَى مَدَّهَا
 وَلَا أَعْرِفُهُ، قَالَ ذُو الرِّمَّةِ:

حَتَّ إِلَى نَعَمِ الدَّهْنَا فَقَلْتُ لَهَا أُمِّى هَلَالًا عَلَى التَّوْفِيقِ وَالرَّشْدِ

يعنى هِلَالُ بْنُ أَحْوَزَ الْمَازَنِى، وَقَالَ جَرِيرُ:

* بَارٍ يُصَعِّعُ بِالِدَّهْنَا قَطًّا جُونَا *

وقوله:

* كَانَهُمُ الْكَرَوَانُ أَبْصَرَنَ بَارِيَا *

فَالْكَرَوَانُ جَمَاعَةُ كَرَوَانَ، وَهُوَ طَائِفٌ مَعْرُوفٌ، وَلَيْسَ هَذَا الْجَمْعُ لِهَذَا الْاسْمِ
 بِكَمَالِهِ، وَلَكِنَّهُ عَلَى حَذْفِ الزِّيَادَةِ، فَالتَّقْدِيرُ: كَرَاً وَكَرَوَانٌ، كَمَا تَقُولُ: أَخْ
 وَإِخْوَانٌ، وَوَرَلٌ وَوَرَلَانٌ، وَبَرْقٌ وَبَرْقَانٌ، وَالْبَرْقُ أَعْجَمِيٌّ وَلَكِنَّهُ قَدْ أُعْرِبَ وَجُمِعَ
 كَمَا تَجْمَعُ الْعَرَبِيَّةُ، وَاسْتَعْمَلَ الْكَرَوَانُ جَمْعًا عَلَى حَذْفِ الزِّيَادَةِ، وَاسْتَعْمَلَ فِي
 الْوَاحِدِ كَذَلِكَ، تَقُولُ الْعَرَبُ فِي مَثَلٍ مِنْ أَمْثَالِهَا:

أَطْرَقَ كَرَارًا أَطْرَقَ كَرَارًا إِنَّ النَّعَاسَامَ فِي الْقُورَى

يريدون الكَرَوَانَ.

وقوله:

* من آل أبى موسى ترى القوم حوله *

فقال: «تَرَى»، ولم يقل: تَرَيْنَ، وكانت المخاطبةُ أولاً لامرأة، ألا تراه يقول:
وَمَا كُنْتُ مُدَّ أَبْصَرْتَنِي فِي خُصُومَةٍ أُرَاجِعُ فِيهَا يَا ابْنَةَ الْخَيْرِ قَاضِيَا
ثم حَوَّلَ المخاطبةَ إلى رجل، والعرب تفعل ذلك، قال الله عز وجل: ﴿حَتَّى
إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾^(١)، فكأنَّ التقدير - والله أعلم -: كان
النَّاسُ، ثُمَّ حُوِّلتِ المخاطبةُ إلى النَّبِيِّ ﷺ. وقال عَتْرَةُ بن شَدَّاد:
شَطَّتْ مَزَارَ الْعَاشِقِينَ فَأَصْبَحَتْ عَسِيراً عَلَى طِلَابِكَ ابْنَةَ مَخْرَمٍ
وقال جرير:

مَا لِلْمَنَازِلِ لَا تَحْيِبُ حَزِينَا أَصَمَّمَنْ أَمْ قَدَمَ الْمَدَى فَبَلِينَا
وَتَرَى الْعَوَازِلَ يَسْتَدِرْنَ مَلَامَتِي وَإِذَا أَرَدَنْ سِوَى هَوَاكِ عُصِينَا

قال أولاً لرجل، ثم قال: «سوى هواك». وقال آخر:
فَدَى لَكَ وَالِدِي وَسِرَاةُ قَوْمِي وَمَا إِلَى إِنْهُ مِنْهُ أَتَانِي
على تحويل المخاطبة.

وقوله: «مُرْمِينَ»، يريد سكونًا مُطْرِقِينَ، يقال: أَرَمَّ إِذَا أَطْرَقَ سَاكِنًا.
وقوله: «تَفَادَى أَسْوَدُ الْغَابِ» معناه تفتدى منه بعضها ببعض. وفي الخبر أن
سليمان بن عبد الملك أمر بدفع عيال الْحَجَّاجِ وَلُحْمَتِهِ إِلَى يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ فَتَفَادَى
منهم، تأويله: فَدَى نَفْسَهُ مِنْ ذَلِكَ الْمَقَامِ بغيره. وقوله:

وَمَا الْخُرْقَ مِنْهُ يَرْهَبُونَ وَلَا الْخَنَى عَلَيْهِمْ وَلَكِنْ هَيْبَةُ هِيَ مَا هِيَ
إذا رفعت «هَيْبَةُ» فالمعنى: ولكن أمره هَيْبَةٌ، كما قال الله عز وجل:
﴿لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بِلَاغٍ﴾^(٢)، أى ذلك بلاغ، ومثله قوله عز وجل:

(١) سورة يونس ٢٢.

(٢) سورة الأحقاف ٣٥.

﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾^(١) يكون رفعه على ضربين أحدهما أمرنا طاعةً وقولٌ معروف، والوجه الآخر طاعةً وقولٌ معروف أمثل. ومن نصب «هيبة» أراد المصدر، أى ولكن يُهابُ هيبةً.

وأحسن ما قيل فى هذا المعنى:

يُغْضَى حَيَاءٌ وَيُغْضَى مِنْ مَهَابَتِهِ فَمَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَيْتَسِمُ

وقال الفرزدق، يعنى يزيد بن المهلب:

وَإِذَا الرَّجَالُ رَأَوْا يَزِيدَ رَأَيْتَهُمْ خُضِعَ الرَّقَابُ نَوَاسِ الْأَبْصَارِ

وفى هذا البيت شىء يستطرفه النحويون، وهو أنهم لا يجمعون ما كان من فاعل نعتاً على فَوَاعِلٍ، لثلا يلتبس بالموث، لا يقولون: ضارب وضوَّارب، وقاتل وقواتل؛ لأنهم يقولون فى جمع ضارية: ضوَّارب، وقاتلة: قَوَاتِل، ولم يأت ذلك إلا فى حرفين: أحدهما فى جمع فَارَسٍ: فَوَارسٍ؛ لأن هذا مما لا يستعمل فى النساء فَأَمْنُوا اللَّتْبَاسَ، ويقولون فى المثل: هو هَالِكٌ فى الهَوَالِكِ، فَأَجْرُوهُ عَلَى أَصْلِهِ لكَثْرَةِ الِاسْتِعْمَالِ لأنه مَثَلٌ، فلما احتاج الفرزدق لضرورة الشعر أجراه على أَصْلِهِ فقال: «نَوَاسِ الْأَبْصَارِ»، ولا يكون مثل هذا أبداً إلا فى ضرورة.

(١) سورة محمد ٢١.

باب

[لجريت وقت نزل بقوم من بنى العنبر فلم يقرؤه]

قال جرير: ونزل بقوم من بنى العنبر بن تميم فلم يقرؤه حتى اشتري منهم القرى، فانصرف وهو يقول:

يَا مَالِكَ بْنَ طَرِيفٍ إِنَّ بَيْعَتَكُمْ رَفَدَ الْقَرَى مُفْسِدٌ لِلدِّينِ وَالْحَسَبِ
قَالُوا نَبِيعُكَ بَيْعًا فَقُلْتُ لَهُمْ يَبْعُوا الْمَوَالِيَّ وَاسْتَحْيُوا مِنَ الْعَرَبِ
لَوْلَا كِرَامُ طَرِيفٍ مَا غَفَرْتُ لَكُمْ بَيْعِي قَرَايَ وَلَا أَنْسَأْتُكُمْ غَضَبِي
هَلْ أَنْتُمْ غَيْرُ أَوْشَابٍ زَعَانِفَةٍ رِيشُ الذَّنَابِي وَلَيْسَ الرَّأْسُ كَالذَّنَبِ

قوله: «يَا مَالِكَ بْنَ طَرِيفٍ» فمن نصب، فإنما هو على أنه جعل «بنا» تابعا لما قبل، كالشيء الواحد، وهو أكثر في الكلام إذا كان اسما علما منسوبا إلى اسم علم، جعل «ابن» مع ما قبله بمنزلة الشيء الواحد، ومثل ذلك:

* يَا حَكَمَ بْنَ الْمُنْذِرِ بْنِ الْجَارُودِ *^(١)

ومن وقف على الاسم الأول، ثم جعل الثاني نعتا لم يكن [في الأول]^(٢) إلا الرفع، لأنه مفرد نعت بمضاف، فصار كقولك: يا زيد ذا الجمّة.

وقوله: «وَلَا أَنْسَأْتُكُمْ غَضَبِي»، يقول: لم أؤخره عنكم، يقال: نَسَأَ اللَّهُ فِي أَجَلِكَ، وَأَنْسَأَ اللَّهُ أَجَلَكَ، وَالنَّسَاءُ مِنْ هَذَا، وَمَعْنَاهُ تَأْخِيرُ شَيْءٍ عَنْ شَيْءٍ، وَكَانَتِ النَّسَاءُ مِنْ بَنِي مُدَلِّجِ بْنِ كِنَانَةَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «إِنَّمَا النَّسَاءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ»^(٣)؛ لَأَنَّهُمْ كَانُوا يُؤَخِّرُونَ الشُّهُورَ، فَيُحَرِّمُونَ غَيْرَ الْحَرَامِ، وَيَحِلُّونَ غَيْرَ الْحَلَالِ، لَمَّا يُقَدِّرُونَهُ مِنْ حُرُوبِهِمْ وَتَصَرُّفِهِمْ، فَاسْتَوَتْ الشُّهُورُ لَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامَ، وَأَيَّانَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي قَوْلِهِ: «إِنَّ الزَّمَانَ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَةِ يَوْمٍ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ».

وقوله:

* هَلْ أَنْتُمْ غَيْرُ أَوْشَابٍ زَعَانِفَةٍ *

(١) الرجز لأعشى بن الحرماز، وبعده:

* سَرَادِقُ الْمَجْدِ عَلَيْكَ مَمْدُودٌ *

(٢) تكملة من س.

(٣) سورة التوبة ٣٧.

فالأشابة جماعة تَدْخُلُ في قوم وليست منهم، وإنما هو مأخوذ من الأمر
الأشب، أى المختلط، ويزعم بعض الرواة أن أصله فارسي أُعْرِبَ، يقال
بالفارسية: وَقَعَ الْقَوْمُ فِي أَشُوبٍ [أى] (١) فى اختلاط، ثم تَصَرَّفَ قَلِيلٌ: تَأَشَّبَ
النبتُ، فَصْنَعَ مِنْهُ فَعْلٌ (٢).

وأما الزَّعَانِفُ فأصلها أجنحة السمك، سُمي بذلك الأُدْعِيَاءُ؛ لأنهم التصقوا
بالصِّمِيمِ كما التصقت تلك الأجنحة بعظام السمك، قال أَوْسُ بْنُ حَجَرَ:
وَمَا زَالَ يَفْرَى الشَّدَّ حَتَّى كَانَمَا قَوَائِمُهُ فِي جَانِبَيْهِ زَعَانِفٌ (٣)

وترجم الرواة أن مَا أَنْفَتَ مِنْهُ جَلَّةُ الْمَوَالِي هذا البيت، يعنى قول جرير:

* يَبْعُوا الْمَوَالِيَّ وَاسْتَحْيُوا مِنَ الْعَرَبِ *

لأنه حَطَّهْمُ وَوَضَعَهُمْ، ورأى أن الإساءة إليهم غير محسوبة عيباً. ومثل
ذلك قول الْمُتَّجِعِ لرجل من الأشراف: مَا عَلَّمْتَ وَلَدَكَ؟ قال: الفرائض، قال:
ذلك عَلَّمَ الْمَوَالِيَّ لَا أَبَا لَكَ ! عَلَّمَهُمُ الرَّجَزَ، فَإِنَّهُ يَهْرَثُ أَشْدَأَقَهُمْ (٤). ومن ذلك
قول الشعبي - ومر بقوم من الموالى يتذكرون النحو، فقال: لئن أَصْلَحْتُمُوهُ إِنَّكُمْ
لَأَوَّلُ مَنْ أَفْسَدَهُ ! ومن ذلك قول عترة:

فَمَا وَجَدُونَا بِالْفُرُوقِ أَشَابَةً وَلَا كُشْفًا وَلَا دُعِينَا مَوَالِيًا (٥)

ومن ذلك قول الآخر:

يُسَمُّونَنَا الْأَعْرَابَ وَالْعَرَبَ اسْمَنَا وَأَسْمَاؤُهُمْ فِينَا رِقَابُ الْمَزَاوِدِ
يريد أَسْمَاؤُهُمْ عِنْدَنَا الْحَمَرَاءُ، وقول العرب: مَا يَخْفَى ذَلِكَ عَلَى الْأَسْوَدِ
وَالْأَحْمَرِ، يريد الْعَرَبِيَّ وَالْعَجَمِيَّ. وقال المختار لإبراهيم بن الأشتر يوم خازر (٦) وهو
اليوم الذى قُتِلَ فِيهِ عبيد الله بن زياد: إِنَّ عَامَّةَ جُنْدِكَ هَؤُلَاءِ الْحَمَرَاءُ، وَإِنَّ الْحَرْبَ
إِنْ ضَرَسَتْهُمْ هَرَبُوا، فَاحْمِلِ الْعَرَبَ عَلَى مَتُونِ الْخَيْلِ، وَأَرْجِلِ الْحَمَرَاءَ أَمَامَهُمْ.

(١) من ر.

(٢) زيادات ر: «هذا وهم من أبى العباس، ليس الأشابة ولا الأشب من الأوشاب؛ لأن فاء الفعل من
الأشابة همزة، ومن أوشاب واو، ولكنه مثله فى المعنى يحتمل أن يكون أصله وشابة، وأبدلت الواو
المضمومة همزة».

(٣) يفرى الشد: يأتى بالعجب فى عدوه. (٤) يهرث أشداقهم: يوسعها.

(٥) الفروق: اسم موضع. والكشف: الذين لا يصدقون فى القتال.

(٦) زيادات ر: «وقعت الرواية كما فى الأصل، ووجد بخط يد أبى على البغدادى رحمه الله: «جازر، بالجيم».

ومن ذلك قول الأشعث بن قيس لعلی بن أبی طالب رحمه الله، وأتاه يتخطى رقاب الناس، وعلى علي المنبر فقال: يا أمير المؤمنين، غلبتنا هذه الحمراء على قريك، قال: فركض علي المنبر برجله، فقال صعصعة بن صرحان العبدى: مالنا ولهذا؟ يعني الأشعث، ليقولن أمير المؤمنين اليوم في العرب قولاً لا يزال يذكر، فقال علي: من يعذرني من هذه الضيافة، يتمرغ أحدهم على فراشه تمرغ الحمار، ويهجر قوم للذكر، فيأمرني أن أطردهم، ما كنت لأطردهم فأكون من الجاهلين، والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، ليضربنكم على الدين عوداً كما ضربتموهم عليه بدءاً.

قوله: «الضيافة» واحدهم ضيطر وضيطار، وهو الأحمر العضل الفاحش، قال خدش بن زهير:

وتركب خيل لا هودة بينها وتشقى الرماح بالضيافة الحمر

وإنما قال جرير لبني العنبر:

* هل أنتم غير أوشاب زعافه *

لأن النساء يزعمون أن العنبر بن عمرو بن تميم، إنما هو ابن عمرو بن بهراء، وأمهم أم خارجة البجيلة التي يقال لها في المثل: «أسرع من نكاح أم خارجة»، فكانت قد ولدت في العرب في نيف وعشرين حياً من آباء متفرقين، وكان يقول لها الرجل: خطب؟ فتقول: نكح! كذلك قال يونس بن حبيب، فنظر بنوها إلى عمرو بن تميم قد ورد بلادهم، فأحسوا بأنه أراد أمهم، فبادروا إليه ليمنعوه تزوجها، وسبقهم لأنه كان راكباً، فقال لها: إن فيك لبقية؟ فقالت: إن شئت... فجاءوا وقد بنى عليها، ثم نقلها بعد إلى بلده، فتزعم الرواة أنها جاءت بالعنبر معها صغيراً، وأولدها عمرو بن تميم أسيداً والهجين والقلب، فخرجوا ذات يوم يستقون فقل عليهم الماء، فأنزلوا مائحاً من تميم، فجعل المائح يملأ الدلو إذا كانت للهجين وأسيد والقلب، فإذا وردت دلو العنبر تركها تضطرب، فقال العنبر:

قد رابني من دلو اضطرابها والنأي عن بهراء واغترابها

* إلا تحي ملأى يحيى قرأها^(١) *

فهذا قول النساء.

(١) أى ما يقارب ملأها.

ويروى أن رسول الله ﷺ قال يوماً لعائشة رحمها الله، وقد كانت نذرت أن تعتق قوماً من ولد إسماعيل، فسبى قوم من بني العنبر، فقال لها رسول الله ﷺ: «إن سرك أن تعتقي الصميم من ولد إسماعيل فأعتقي من هؤلاء». فقال النسّابون: فبهرأ من قضاعة، وقد قيل قضاعة من بني معد، فقد رجعوا إلى إسماعيل.

ومن زعم أن قضاعة من بني مالك بن حمير - وهو الحق - قال: فالنسب الصحيح في قحطان الرجوع إلى إسماعيل وهو الحق. وقول المبرزين من العلماء: إنما العرب المتقدمة من أولاد عابر، ورهطه عاد وطسم وجديس وجرهم والعماليق، فأما قحطان عند أهل العلم، فهو ابن الهميسع بن تيمن بن نبت بن قيذار بن إسماعيل صلوات الله عليه، فقد رجعوا إلى إسماعيل، وقد قال رسول الله ﷺ لقوم من خزاعة - وقيل من الأنصار: «ارموا يا بني إسماعيل، فإن أباكم كان رامياً».

[ليحيى بن نوفل يهجو العريان بن الهيثم]

قال يحيى بن نوفل: «يهجو العريان بن الهيثم بن الأسود النخعي - وكان العريان تزوج زياد» من ولد هاني بن قبيصة الشيباني، وكانت عند الوليد بن عبد الملك فطلقها، فتزوجها العريان، وكان ابن نوفل له هجاء، فقال:

أَعْرِيَانُ مَا يَدْرِي أَمْرُ سَيْلٍ عَنْكُمْ
فَإِنْ قُلْتُمْ مِنْ مَذْحِجٍ إِنَّ مَذْحِجًا
وَأَنْتُمْ صَغَارُ الْهَامِ حَذَلُ كَأَنَّمَا
فَإِنْ قُلْتُمْ الْحَيُّ الْيَمَانُونَ أَصْلُنَا
فَأَطُولُ بِأَيْرٍ مِنْ مَعْدٍ وَنَزْوَةٍ
لَعَمْرُ بَنِي شَيْبَانَ إِذْ يَنْكَحُونَهُ
أَبْعَدَ الْوَلِيدِ أَنْكَحُوا عَبْدَ مَذْحِجٍ
وَأَنْكَحَهَا لَا فِي كِفَاءٍ وَلَا غِنَى

قوله:

* أَمِنْ مَذْحِجٍ تُدْعَوْنَ أَمْ مِنْ إِيَادٍ *

فبنو مَذْحِجَ بنو مالك بن زيد بن عَرِيب بن زيد بن كَهْلان بن سَبَأ بن يَشْجَبَ بن يَعْرُبَ بن قَحْطَانَ. وإياد بن نَزَارَ بن مَعْدَ بن عَدْنان، ويقال: إن النَّخَعِ وثَقِيفًا أَخَوَانِ من إياد، فأما ثَقِيفٌ فهو قَسِيٌّ بن مُنَبِّه بن بكر بن هَوَازَن بن منصور ابن عَكْرَمَةَ بن خَصَفَةَ بن قيس بن عَيْلان بن النَّضَرَ، فهذا قول قوم، فأما آخرون فيزعمون أَنَّ ثَقِيفًا من بقايا ثمود، ونسبهم غامض على شرفهم في أخلاقهم، وكثرة مَنَاحِهِمْ قُرَيْشًا.

وقد قال الحجاج على المنبر: تزعمون أننا من بقايا ثمود، والله عز وجل يقول: ﴿وَتُمُودَ فَمَا أَبْقَى﴾^(١). وقال الحجاج يوما لأبى العسوس الطائي: أي أقدم؟ أنزول ثقيف الطائف أم نزول طيِّ الجبلين؟ فقال أبو العسوس: إن كانت ثقيف من بكر بن هوازَن فنزول طيِّ الجبلين قبلها. وإن كانت ثقيف من ثمود فهي أقدم، فقال الحجاج: يا أبا العسوس، اتقني فإنني سريع الخطفة للأحمق المتهوِّك^(٢)! فقال أبو العسوس^(٣):

يُودِبُنِي الْحَجَّاجُ تَأْدِيبَ أَهْلِهِ	فَلَوْ كُنْتُ مِنْ أَوْلَادِ يُوسُفَ مَاعَدَا
وَإِنِّي لِأَخْشَى ضَرْبَةَ ثَقَفِيَّةٍ	يَقْدُ بِهَا مِمَّنْ عَصَاهُ الْمُقْلَدَا
عَلَى أَنْنِي مِمَّا أَحَاذِرُ أَمِنْ	إِذَا قِيلَ يَوْمًا قَدْ عَتَا الْمَرْءُ وَاعْتَدَى

[المغيرة بن شعبة وهند بنت النعمان بن المنذر]

وقد كان المغيرة بن شعبة، وهو والي الكوفة، سار إلى دير هند بنت النعمان ابن المنذر، وهي فيه عَمِيَاءُ مُتْرَهَبَةٌ، فاستأذن عليها، فقبل لها: أَمِيرُ هذه المَدْرَةِ بالباب، فقالت: قولوا له: أَمِنْ وَلَدِ جَبَلَةَ بن الأَيْهَمِ أَنْتَ؟ قال: لا، قالت: أَفَمِنْ وَلَدِ الْمُنْذَرِ بن ماء السماء؟ قال: لا، قالت: فَمِنْ أَنْتَ؟ قال: المغيرة بن شعبة الثَّقَفِيُّ، قالت: فما حاجتك؟ قال: جئتُك خاطبًا، قالت: لو كنت جئتني لجمال أو لمال لأُطْلِبْتُكَ، ولكنك أردت أن تَشْرَفَ بِي فِي مَحَافِلِ الْعَرَبِ، فتقول: نَكَحْتُ ابنة النعمان بن المنذر، وإِلَّا فَأَيُّ خَيْرٍ فِي اجْتِمَاعِ أَعْوَرٍ وَعَمِيَاءٍ! فَبَعَثَ إِلَيْهَا: كيف

(١) سورة النجم ٤٣.

(٢) المتهوِّك: المتهور.

(٣) زيادات ر: «رواية عاصم رحمه الله العسوس [بالواو المشددة] والعسوس [بسكون السين وفتح الواو]، وفي رواية ش كما في داخل الكتاب».

كان أمركم؟ فقالت: سأختصرُ لك الجواب... أمسينا مَسَاءً، وليس في الأرض عَرَبِيٌّ إلا هو يَرَعْبُ إلينا ويَرَهَبُنَا، ثم أصبحنا وليس في الأرض عَرَبِيٌّ إلا ونحن نرغب إليه ونرهبه، قال: فما كان أبوك يقول في ثقيف؟ قالت: اختصم إليه رجلان منهم، أحدهما ينميها إلى إِيَاد، والآخر إلى بَكْرِ بن هَوَازن فَقَضَى بها للإِيَادِي، وقال:

إِنْ ثَقِيفًا لَمْ تَكُنْ هَوَازِنًا وَلَمْ تُنَاسِبْ عَامِرًا وَمَازِنًا
يريد عامر بن صَعَصَعَة وَمَازِن بن منصور، فقال المغيرة: أما نحن فمن بكر ابن هَوَازن، فَلْيَقُلْ أبوك ما شاء!

[في رثاء الأُشتر]

وقالت أخت الأُشتر، وهو مالك بن الحارث النخعي تُبَكِّيهِ، وهذا الشعر رواه أبو اليقظان، وكان متعصبا:

أَبْعَدَ الْأَشْتَرِ النَّخْعِيَّ نَرْجُو مَكَاثِرَةً وَتَقْطَعُ بَطْنَ وَادٍ!
وَنُصْحَبُ مَذْحَجًا بِإِخَاءِ صَدْق وَإِنْ نُنْسَبُ فَنَحْنُ ذُرَا إِيَادٍ
ثَقِيفٌ عَمْنَا وَأَبُو آيِنَا وَإِخْوَتُنَا نِزَارُ أُولَوِ السَّدَادِ

قوله: «وَأَنْتُمْ صَغَارُ الْهَامِ حُدُلٌ»، فالأحْدَلُ المائلُ العُنُقِ، يقال: قَوْسٌ حَدَلَاءُ إذا اعْوَجَّتْ سَيْتُهَا، قال الراجز:

لَهَا^(١) مَتَاعٌ وَلَهَاةٌ فَارِضُ حَدَلَاءُ كَالزَّقِ نَحَاهُ الْمَاخِضُ

وأما قوله: «زِيَاد» يا فتى، فله باب نذكره على وجهه باستقصائه بعد فراغنا من تفسير هذا الشعر.

وقوله: «لَقَدْ مَا قَصَرُوا». فما زائدة. مثل قوله تعالى: ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا﴾^(٢) ولو قال: لَقَدْ مَا قَصَرُوا لم يكن جيدا، ودخل الوكيد في الِذَمِّ.

(١) زيادات ر: «كذا وقعت الرواية «لَهَا» والصواب «له» لأنه يعنى الفحل من الإبل؛ لأن الشقشقة لا تكون للأنثى، قاله ش.»

(٢) سورة نوح ٢٥.

وقوله: «كَمُنْزِيَّةٌ عَيْرًا خَلَّافَ جَوَادٍ» يقول: بعد جواد، قال الله عز وجل: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خَلَّافَ رَسُولِ اللَّهِ﴾^(١).

وقوله: «لَا فِي كِفَاءٍ» يقال: هو كَفُوكَ وَكَفُوكَ وَكَفِيكَ وَكِفَاؤُكَ، إذا كان عَدِيْلَكَ فِي شَرَفٍ أَوْ مَا أَشْبَهَهُ، كَمَا قَالَ الْفَرَزْدَقُ:

* وَتَنَكَّحُ فِي أَكْفَانِهَا الْحَبِطَاتُ *

أول هذا البيت:

* بَنُو دَارِمٍ أَكْفَاؤُهُمْ آلٌ مِسْمَعٍ *

وآل مسمع: بيت بكر بن وائل، والحَبِطَاتُ هم بنو الحارث بن عمرو بن تميم، وإنما قال هذا الْفَرَزْدَقُ حين بلغه أن رجلاً من الحَبِطَاتِ خَطَبَ امرأة من بني دارم ابن مالك، فأجابه رجل من الحَبِطَاتِ:

أَمَّا كَانَ عَبَادٌ كَفِيًّا لِدَارِمٍ بَلَى وَلَايَاتٍ بِهَا الْحُجَرَاتُ

عَبَادٌ، يعنى بنى هاشم، وقد تقدم هذا البيت للفرزدق في مواضع، وقال الله عز وجل: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾^(٢) وقال عمر بن الخطاب رحمه الله: لَا مُنْعَنَ النِّسَاءِ إِلَّا مِنَ الْاَكْفَاءِ، وَتَحَدَّثَ أَصْحَابُنَا عَنْ الْأَصْمَعِيِّ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عِيسَى، قَالَ: قُلْتُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الرَّشِيدِ أَوْ الْمَهْدِيِّ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَنْ أَكْفَاؤُنَا؟ قَالَ: أَعْدَاؤُنَا، يَعْنِي بَنِي أُمَيَّةَ، وَزِيَادُ الَّذِي ذَكَرَ كَانَ أَخَاهَا.

هذا تفسير ما كان من المؤنث على «فعال» مكسور الآخر.

وهو على أربعة أضرب، والأصل واحد.

قال أبو العباس: اعلم أنه لا يُبْنَى شَيْءٌ مِنْ هَذَا الْبَابِ عَلَى الْكَسْرِ إِلَّا وَهُوَ مُؤنث معرفة معدول عن جهته، وهو في المؤنث بمنزلة فَعَلٌ، نحو عُمَرُ وَقُثْمٌ فِي الْمَذْكَرِ، وَفُعْلٌ مَعْدُولٌ فِي حَالِ الْمَعْرِفَةِ عَنْ فَاعِلٍ، وَكَانَ فَاعِلٌ يَنْصَرِفُ، فَلَمَّا عُدِلَ عَنْهُ فُعْلٌ لَمْ يَنْصَرَفْ، وَفَعَالٌ مَعْدُولَةٌ عَنْ فَاعِلَةٍ، وَفَاعِلَةٌ لَا يَنْصَرِفُ فِي الْمَعْرِفَةِ فَعْدَلٌ إِلَى الْبِنَاءِ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ بَعْدَ مَا لَا يَنْصَرِفُ إِلَّا الْمَبْنِيُّ، وَبُنِيَ عَلَى الْكَسْرِ لِأَنَّ فِي فَاعِلَةٍ

(١) سورة التوبة ٨١.

(٢) سورة الإخلاص ٤.

علامة التأنيث، وكان أصلُ هذا أن يكون إذا أردت به الأمر ساكنًا كالمجزوم من الفعل الذي هو في معناه، فكسرتُهُ لالتقاء الساكنين، مع ما ذكرنا من علامة التأنيث والكسر مما يؤنث به فلم يخلُ من العلامة، تقول للمرأة: أنت فعلت، فالكسر علامة التأنيث، وكذلك إنك ذاهية، وضربتُك يا امرأة، فمما لا يكون إلا معرفة مكسوراً ما كان اسماً للفعل نحو نزال يا فتى، ومعناه انزل، وكذلك تراك زيداً أى اتركه، فهما معدولان عن المتاركة والمنازلة، وهما مؤنثان معرفتان، يدلّك على التأنيث القياسُ الذي ذكرناه، قال الشاعر تصديقاً لذلك:

وَلِنَعْمَ حَشَوُ الدَّرْعِ أَنْتَ إِذَا دُعِيتَ نَزَالَ وَلَجَّ فِي الدُّعْرِ

فقال: «دعيت» لما ذكرته لك من التأنيث، وقال الآخر، وهو زيدُ الخيل:
وَقَدْ عَلِمْتَ سَلَامَةً أَنْ سَيْفِي كَرِيهُ كَلَّمَا دُعِيتَ نَزَالَ

وقال الشاعر:

تَرَكَهَا مِنْ إِبِلٍ تَرَكَهَا أَمَّا تَرَى الْمَوْتَ لَدَى أَوْرَاكِهَا
أَيُّ أَتْرَكَهَا. وقال آخر^(١):

* حَذَارٍ مِنْ أَرْمَاحِنَا حَذَارٍ *

وقال آخر^(٢):

* نَظَارٍ كَيُّ أَرْكَبَهُ نَظَارٍ *

فهذا باب من الأربعة.

ومنها أن يكون صفة غالبية تحلُّ محلَّ الاسم، نحو قولهم للضبع: جعار يا فتى، وللمنية حلاق يافتى؛ لأنها حالقة، والدليل على التأنيث بعد ما ذكرناه قوله:

لَحِقَتْ حَلَّاقٍ بِهِمْ عَلَى أَكْسَائِهِمْ ضَرَبَ الرِّقَابِ وَلَا يَهُمُّ الْمَغْنَمُ^(٣)

وتقول في النداء يا فساق ويا خبّاث ويا لكاع، تريد يا فاسقة ويا خبيثة ويا لكعاء؛ لأنه في النداء في موضع معرفة كما تقول للرجل: يا فسق ويا خبث، ويا لكع^(٤)، فهذا باب ثان.

(١) زيادات ر: «هو رؤية». (٢) زيادات ر: «هو أبو النجم».

(٣) الأكساء: المتأخرون.

(٤) زيادات ر: «حكى ابن السراج عن أبي عبيدة: فرس لكع للمذكر، ولكعة للمؤنث».

ومن ذلك مَا عُدِلَ عن المصدر نحو قوله ^(١) يَذُمُ الْخَمْرُ:
 جَمَادٍ لَهَا جَمَادٍ وَلَا تَقُولِي
 وقال النابغة الذبيانيُّ:

إِنَّا اقْتَسَمْنَا خُطَّتَيْنَا بَيْنَنَا فَحَمَلْتُ بَرَّةً وَاحْتَمَلْتُ فَجَارِ ^(٢)
 يريد قُولِي لَهَا جُمُودًا، وَلَا تَقُولِي لَهَا حَمْدًا هذا المعنى، ولكنه عُدِلَ مؤنثًا.
 وهذا باب ثالث.

والباب الرابع أَنْ تُسَمَّى امرأةً، أو شَيْئًا مؤنثًا باسم تَصَوُّغُهُ على هذا المثال،
 نحو رَقَاشٍ وَحَذَامٍ وَقَطَامٍ وَمَا أَشْبَهَهُ، فهذا مؤنث معدول عن راقشة وحاذمة
 وقاطمة، إذا سميت به. وأهلُ الحجاز يجرونه على قياس ما ذكرت؛ لأنه معدول
 في الأصل وَسُمِّيَ به، فَنَقِلَ إلى مؤنث كالباب الذي كان قبله، فلم يغيروه، فعلى
 ذلك قالوا:

* اسْقِي رَقَاشٍ إِنهَا سَقَايَةٌ *

وقال آخر:

إِذَا قَالَتْ حَذَامٌ فَصَدَّقُوهَا فَإِنَّ الْقَوْلَ مَا قَالَتْ حَذَامٌ
 وينشدون:

* وَأَقْفَرُ مِنْ سَلَمَى شَرَاءٌ فَيَذْبُلُ *

كذا وقع، والصحيح «فقد أَقْفَرَتْ سَلَمَى شَرَاءً»، لأن قبله:

* تَأْبَدُ مِنْ أَطْلَالٍ حَمْرَةٌ مَأْسَلُ *

والشعر لَنَمْرِ بْنِ تَوَلِبٍ.

وأما بنو تميم فإذا أزالوه عن النعت فَسَمَّوْا به صرفوه في النكرة، ولم
 يصرفوه في المعرفة، وسيبويه يختار هذا القول، ولا يَرُدُّ القول الآخر، فيقول:
 هذه رَقَاشٌ قد جاءت، وهذه غلابٌ قد جاءت، وهذه غلابٌ أخرى، ولا اختلاف

(١) زيادات ر: «هو المتلمس بذي الخمر».

(٢) زيادات ر: «برة: اسم علم لجميع البر، وفجار لجميع الفجور، لابن جني، تخصيصه برة بفعلت، وفجار
 بافعلت، مثل قوله تعالى: «لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ»، فكسب للخير واكتسب للشر.

بين العرب في صرفه إذا كان نكرة، وفي إعرابه في المعرفة، وصرفه في النكرة إذا كان اسماً للمذكر، نحو رجل تسميه نزال أو رقاش أو حلاق، فهو بمنزلة رجل سمّيته بعناق أو أتان؛ لأن التأنيث قد ذهب عنه، فاحتج سيبويه في تصحيح هذا القول بأنك لو سمّيت شيئاً بالفعل الذي هو مأخوذ منه لأعربت، نحو أنزل واضرب، لو سمّيت بهما رجلاً لجرى مجرى إصبع وأحمد وإثمد، ونحو ذلك، فهذا يحيط بجميع هذا الباب.

[لامرأة من بنى عامر بن صعصعة زوجت في طي]

قال أبو العباس، وقالت امرأة أحسبها من بنى عامر بن صعصعة زوجت في طي:

لَا تَحْمَدَنَّ الدَّهْرَ أَخْتُ أَخَا لَهَا وَلَا تَرْتَيْنَنَّ الدَّهْرَ بِنْتُ لَوَالِدِ
هُمْ جَعَلُوهَا حَيْثُ لَيْسَتْ بِحُورٍ وَهُمْ طَرَحُوهَا فِي الْأَقَاصِي الْأَبَاعِدِ

ويروى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت: إنما النكاح رقٌّ فَلْيَنْظُرْ امْرُؤٌ مِنْ يَرْقُ كَرِيمَتِهِ. وعلى هذا جاءت اللغة، فقالوا: كنا في إملاك^(١) فلان، وفي ملك فلان، وفي ملك فلان، وفي ملكة فلان، وفي ملكان فلان، ويقول الرجل: مَلَكَتُ الْمَرْأَةَ وَأَمْلَكْنِيهَا وَلِيَّهَا، ومن ذلك أَنَّ يمين الطلاق إذا وقع فيها حنثٌ إنما يكون محلُّها محلَّ الإقرار بترك ما كان يملكه كالعتاق.

وقال رسول الله ﷺ: «أَوْصِيكُمْ بِالنِّسَاءِ فَإِنَّهُنَّ عِنْدَكُمْ عَوَانٌ» أى أسيرات، ويقال: عَنَى فلانٌ فى بنى فلان إذا أقام فيهم أسيراً، ويقال: فلانٌ يَفُكُّ الْعِنَاءَ، وأصل التعنية التذليل، وأصل الإِسَارِ الوثاق، ويقال للقتب مأسور إذا شُدَّ بِالْقَدِّ، هذا أصل هذا، فأما المثلُّ في قولهم: إنما فلان غُلٌّ قَمَلٌ، فإنهم كانوا يتخذون الأغلال من القدِّ، فكانت تَقْمَلُ.

[لرجل يذكر امرأة زوجت من غير كفء]

وقال رجل يذكر امرأة زوجت من غير كفء:

لَقَدْ فَرَحَ الْوَأَشُونَ أَنَّ نَالَ ثَعْلَبٌ شَبِيهَةً ظَنِّي مُقْلَتَاهَا وَجِيدَهَا
أَضَرَّ بِهَا فَقَدْ الْوَلِيَّ فَأَصْبَحَتْ بِكَفٍّ لَيْمٍ الْوَالِدِينَ يَقُودُهَا

(١) الإملاك: مصدر أملك، وهو النرويج.

[الرجل يعير إبراهيم بن النعمان بن بشير ورد إبراهيم عليه]

ولما زوّج إبراهيم بن النعمان بن بشير الأنصاري يحيى بن أبي حفصة مولى عثمان بن عفان ابنته على عشرين ألف درهم قال قائل يعيره:

لَعَمْرِي لَقَدْ جَلَلَتْ نَفْسَكَ خَزِيَّةً وَخَالَفَتْ فَعْلَ الْأَكْثَرِينَ الْأَكَارِمِ
وَلَوْ كَانَ جَدَاكَ اللَّذَانِ تَتَابَعَا يَبْدُرُ لَمَّا رَامَا صَنِيعَ الْأَلَائِمِ

فقال إبراهيم بن النعمان يرد عليه:

مَا تَرَكْتُ عَشْرُونَ أَلْفًا لِقَائِلٍ مَقَالًا فَلَا تَحْفَلُ مَلَامَةً لَائِمَ
وَإِنْ أَكْ قَدْ زَوَّجْتُ مَوْلَى فَقَدْ مَضَتْ بِهِ سُنَّةٌ قَبْلَى وَحُبُّ الدَّرَاهِمِ

[للقلّاح بن حزن يخاطب يحيى بن أبي حفصة ورد يحيى عليه]

وتزوَّج يحيى بن أبي حفصة وهو جدُّ مروان الشاعر، ويزعم النسّابون أن أباه كان يهوديا أسلم على يد عثمان بن عفان، وكان يحيى من أجود الناس، وكان ذا يسار، فتزوج خولة بنت مقاتل بن طلّبة^(١) بن قيس بن عاصم سيد الوبر ابن سنان بن خالد بن منقر، ومهرها خرقًا. ففى ذلك يقول القلاخ بن حزن:

لَمْ أَرِ أَثْوَابًا أَجَرَ لَخَزِيَّةً وَالْأَمَّ كَسُوءًا وَالْأَمَّ كَاسِيَا
مِنَ الْخِرْقِ اللَّاتِي صَبَبَنَ عَلَيْكُمْ بِحَجَرٍ فَكُنَّ الْمُبْقِيَاتِ الْبُؤَالِيَا

فقال يحيى بن أبي حفصة يجيبه:

تَجَاوَزْتُ حَزْنَ رَغْبَةٍ عَنْ بَنَاتِهِ وَأَدْرَكْتُ قَيْسًا ثَانِيًا مِنْ عَنَانِيَا
يقال ذلك للسابق إذا تقدّم تقدّمًا بينا فبلغ الغاية، فمن شأنه أن يثنى عنانه

فينظر إلى الخيل، وقال الشاعر:

فَمَنْ يَفْخَرُ بِمِثْلِ أَبِي وَجَدَى يَجِئُ قَبْلَ السَّوَابِقِ وَهُوَ ثَانِي

يريد ثاني عنانه، وقال القلاخ فى هذه القصة:

نُبِئْتُ خَوْلَةَ قَالَتْ حِينَ أَنْكَحَهَا لَطَالَمَا كُنْتُ مِنْكَ الْعَارَ أَنْظَرُ
أَنْكَحْتَ عَبْدَيْنِ تَرْجُو فَضْلَ مَالِهِمَا فِى فَيْكِ مِمَّا رَجَوْتَ التُّرْبَ وَالْحَجَرُ

(١) زيادات ر: «الرواية المشهورة بإسكان اللام، وتسامح ابن سراج فى فتح اللام».

لِلَّهِ دَرْجِيَادٍ أَنْتَ سَائِسُهَا بَرَذْنَتَهَا وَبَهَا التَّحْجِيلُ وَالْعُرُّ^(١)

وقال جرير يُعِيرُهُمْ:

رَأَيْتُ مُقَاتِلَ الطَّلِبَاتِ حَلَّى فُجُوجَ بَنَاتِهِ كَمَرَ الْمَوَالِي
لَقَدْ أَنْكَحْتُمْ عَبْدًا لَعَبْدَ^(٢) مِنَ الصُّهْبِ الْمُشَوَّهَةِ السَّبَالِ
فَلَا تَفْخَرْ بِقَيْسٍ إِنْ قَيْسًا خَرِثْتُمْ فَوْقَ أَعْظَمِهِ الْبَوَالِي

وقال آخر فى مثل هذه القصة:

أَلَا يَا عِبَادَ اللَّهِ قَلْبِي مُتَمِّمٌ بِأَحْسَنَ مَنْ صَلَّى وَأَقْبَحَهُمْ بَعْلًا
يَدْبُ عَلَى أَحْشَائِهَا كُلِّ لَيْلَةٍ دَبِيبَ الْقَرْنَبِيِّ بَاتَ يَقْرُو^(٣) نَقًّا سَهْلًا
الْقَرْنَبِيُّ: دُوبِيَّةٌ عَلَى هَيْئَةِ الْخَنْفَسِ مُنْقَطَعَةُ الظَّهْرِ، وربما كان فى ظهرها نقطة حمراء، وفى قوائِمها طول على الخنفس، وهى ضعيفة المشى.

[للفرزدق فى عطية أبى جرير]

قال الفرزدق يعنى عطية أبا جرير:

قَرْنَبِيَّ يَحْكُ قَفَا مُقْرِفٍ لَتِيمٍ مَآثِرُهُ قَعْدُدِ^(٤)
وفى هذا الشعر يقول:

أَلَمْ تَرَ أَنَا بَنَى دَارِمٍ زُرَّارَةً مِّنَّا أَبُو مَعْبُدٍ
وَمِنَّا الَّذِى مَنَعَ الْوَأْدَاتِ وَأَحْيَا الْوَيْدَ فَلَمْ تُؤَادِ
أَلَسْنَا بِأَصْحَابِ يَوْمِ النَّسَارِ^(٥) وَأَصْحَابِ الْوَيْةِ الْمِرْبَدِ

(١) برذنتها: جملتها من البراذين.

(٢) يريد أنه عريق فى العبودية.

(٣) يقرو: يتبع.

(٤) زيادات ر: «ألف قرنبى ألف إلحاق وليست للتأنيث. والقعدد: اللثيم، وجمعه قعادد».

(٥) زيادات ر: «النسار: جعل تألفه النسور كثيرا فلذلك سمي بهذا الاسم».

أَلَسْنَا الَّذِينَ تَمَيِّمُ بِهِمْ . تَسَامِي وَتَفْخَرُ فِي الْمَشْهَدِ (١)
 وَنَاجِيَةَ الْخَيْرِ وَالْأَقْرَعَانَ وَقَبْرُ بكَاطِمَةَ الْمُرْدِ (٢)
 إِذَا مَا أَتَى قَبْرَهُ عَائِدٌ أَنَاخَ عَلَى الْقَبْرِ بِالْأَسْعَدِ (٣)
 أَيَطْلُبُ مَجْدَ بَنِي دَارِمٍ عَطِيَّةُ كَالْجُعَلِ الْأَسْوَدِ (٤)
 وَمَجْدُ بَنِي دَارِمٍ دُونَهُ مَكَانُ السَّمَاكِينِ وَالْفَرْقَدِ (٥)
 قوله:

* أَلَمْ تَرَ أَنَا بَنِي دَارِمٍ *

منصوب على الاختصاص، وقد مضى تفسيره.

وزرارة الذي ذكر، هو زرارة بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم، وكان زرارة يُكنى أبا معبد، وكان له بنون: معبد، ولقيط، وحاجب، وعلقمة، والمأموم.

ويزعم قوم أن المأموم هو علقمة، ومنهم شيبان بن زرارة وابنه يزيد بن شيبان النسابة، وكان حاجباً أذكر القوم (٦).

ورَوَوْا أن عبد الملك ذكر يوماً بني دارم فقال أحد جلسائه: يا أمير المؤمنين! هؤلاء قوم محظوظون: فقال عبد الملك: أتقولون ذلك وقد مضى منهم لقيط بن زرارة ولم يُخلف عقباً، ومضى الفقعاع بن معبد بن زرارة ولم يُخلف عقباً، ومضى محمد بن عمير بن عطار بن حاجب بن زرارة ولم يُخلف عقباً! والله لا تنسى العرب هؤلاء الثلاثة أبداً.

(١) رغبة الأمل: بعده

وقد مد حولي من المالكين إلى هادرات صعاب الرءوس

أواذي ذو حذب مزبد قساور للقسور الأصيد

(٢) كاظمة: موضع على سيف البحرين.

(٣) الأسعد: جمع سعد، وبعده:

فـذاك أبى وأبوه الذى لمقعه حرم المسجد

(٤) الجعل: دويبة سوداء تكون على المواضع الندية.

(٥) زيادات ر: «الرفع في مكان أقوى، وهو الوجه الجيد في العربية».

(٦) أذكر القوم: أشهرهم.

وكان لقيط بن زرارة قُتلَ يومَ جَبَلَة، وأُسرَ حَاجِبُ فُفُودَى، فزعم أبو عبيدة أنه لم يكن عكاظيُّ أغلَى فِدَاءً من حَاجِب، وكان أسره زَهْدَمُ^(١) العَبْسِيُّ، فَلَحَقَهُ ذُو الرُّقِيَّةِ القُشَيْرِيُّ، وبنو عَبْسٍ يومئذٍ نازلةٌ في بني عامر بن صَعَصَعَةَ، فأخذه ذُو الرُّقِيَّةِ بَعِزَةً، وأنه في مَحَلٍّ قومه فقال حَاجِب: لَمَّا تنازعني الرجلان خَفْتُ أن أُقْتَلَ بينهما، فقلت: حَكَمَانِي في نفسي، ففعلا، فحكمتُ بِسِلَاحِي وركابِي لزهدم، وبنفسي لذي الرُّقِيَّةِ، وكان حَاجِب يُكْنَى أبا عَكْرِشَةَ، وكان أَحْلَمَ قومه، وفي ذِي الرُّقِيَّةِ يقول الشاعر^(٢):

وَلَقَدْ رَأَيْتَ الْقَائِلِينَ وَفَعَلَهُمْ فَلَذِي الرُّقِيَّةِ مَالِكَ فَضْلُ
كَفَاهُ مُتْلَفَةٌ وَمُخْلَفَةٌ وَعَطَاؤُهُ مُتَدَفَّقٌ جَزْلُ

فَفَدَى حَاجِبٌ، وقُتِلَ في ذلك اليوم لقيطٌ، وأُسرَ عمرو بن عمرو بن عدس، فلذلك يقول جرير يعيرُ الفرزدق؛ لأن الفرزدق من بني مُجَاشَع بن دارِم، وقد مضى ذكر هذا في الكتاب، ولجرير في قَيْسٍ خُؤُولَةٌ.

[الفرزدق يهجو جريرا وجواب جرير عليه]

فلما هجا الفرزدق قَيْسًا في أمر قُتَيْبَةَ بن مُسلم الباهلي، قال:
أَتَانِي وَأَهْلِي بِالْمَدِينَةِ وَقَعَةً لَأَلْ تَمِيمٍ أَقْعَدَتْ كُلَّ قَائِمٍ
كَأَنَّ رُءُوسَ النَّاسِ إِذْ سَمِعُوا بِهَا مُشَدَّخَةً هَامَاتَهَا بِالْأَمَائِمِ^(٣)
فَمَا بَيْنَ مَنْ لَمْ يُعْطَ سَمْعًا وَطَاعَةً وَبَيْنَ تَمِيمٍ غَيْرُ حَزِّ الْحَلَاقِمِ
أَتَغْضِبُ إِنْ أَذْنَا قُتَيْبَةَ حَزَنًا جَهَارًا وَلَمْ تَغْضَبْ لِقَتْلِ ابْنِ خَازِمٍ
وَمَا مِنْهُمَا إِلَّا نَقَلْنَا دِمَاغَهُ إِلَى الشَّامِ فَوْقَ الشَّاحِجَاتِ الرُّوَاسِمِ
تَذْبُذِبُ فِي الْمَخْلَةِ تَحْتَ بَطُونِهَا مُحَذَفَةً الْأَذْنَابِ جُلُحُ الْمَقَادِمِ^(٤)
وَمَا أَنْتَ مِنْ قَيْسٍ فَتَنْبَحِ دُونَهَا وَلَا مِنْ تَمِيمٍ فِي الرُّءُوسِ الْأَعَاظِمِ
تَخَوْفُنَا أَيَّامَ قَيْسٍ وَلَكِنْ تَدَعُ لَعِيلَانَ أَنْفًا مُسْتَقِيمَ الْخِيَاشِمِ
لَقَدْ شَهِدْتُ قَيْسٌ فَمَا كَانَ نَصْرُهَا قُتَيْبَةَ إِلَّا أَعْضَاهَا بِالْأَبَاهِمِ^(٥)

(١) زيادات ر: «أخو كردم». (٢) زيادات ر: «هو المسيب بن علس»، واسمه «زهير»، ويكنى أبا الفضة.

(٣) الأمائم كما في زيادات ر: «حجارة تشدخ بها الرؤوس، الواحدة أميمة».

(٤) المخلاة في الأصل: ما يوضع فيها الخلى، وهو الحشيش الرطب، أراد بهن الخرج.

(٥) الأباهم: جمع الإبهام.

وقال جرير يجيبه :

أَبَاهِلَ مَا أَحْبَبْتُ قَتْلَ ابْنِ مُسْلِمٍ

ثم قال يخوِّف الفرزدق :

تَحْضَضُ يَا بَنَ الْقَيْنِ قَيْسًا لِيَجْعَلُوا
كَأَنَّكَ لَمْ تَشْهَدْ لَقِيْطًا وَحَاجِبًا
وَلَمْ تَشْهَدْ الْجَوْنَيْنِ وَالشَّعْبَ ذَا الصَّفَا
فِيَوْمِ الصَّفَا كُتِّمَ عَبْدًا لِعَامِرٍ
إِذَا عُدَّتِ الْأَيَّامُ أَخْزَيْنَ دَارِمًا

وَلَا أَنْ تَرَوْعُوا قَوْمَكُمْ بِالْمَظَالِمِ

لِقَوْمِكَ يَوْمًا مِثْلَ يَوْمِ الْأَرَاقِمِ^(١)
وَعَمَرَوُ بْنُ عَمْرٍو إِذْ دَعَا يَالَ دَارِمِ
وَشَدَّاتِ قَيْسٍ يَوْمَ دَيْرِ الْجَمَاجِمِ
وَبِالْحَنُو أَصْبَحْتُمْ عَبْدَ اللَّهِهَازِمِ
وَتَخَزَيْكَ يَا بَنَ الْقَيْنِ أَيَّامُ دَارِمِ

أما قول الفرزدق :

كَأَنَّ رَعُوسَ النَّاسِ إِذْ سَمِعُوا بِهَا

مُشَدَّخَةً هَامَاتُهَا بِالْأَمَائِمِ

فإن الشَّجَاجَ مختلفة الأحكام، فإذا كانت الشَّجَّة شَقِيْقًا يَدْمَى فِيهَا الدَّامِيَّةُ،
وإذا أخذت من اللحم شيئاً فِيهَا البَاضِعَةُ، وإذا أَمَعْنَتْ فِي اللحم فِيهَا المِتْلَاحِمَةُ،
وإذا هَشَمَتِ العِظَمَ فِيهَا الهَاشِمَةُ، وإذا كَانَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ العِظَمِ جُلِيْدَةً رَقِيْقَةً فِيهَا
السَّمْحَاقُ، من أَجْلِ تِلْكَ الجُلِيْدَةِ يَقَالُ مَا عَلَى ثَرَبِ الشَّاةِ مِنَ الشَّحْمِ إِلَّا
سَمَاحِيْقٌ، أَى طَرَائِقُ، فإذا خَرَجْتَ مِنْهَا عِظَامٌ صَغَارُ فِيهَا المُنْقَلَّةُ - وَإِنَّمَا أَخَذَ ذَلِكَ
مِنَ النُّقْلِ وَهِيَ الْحَجَارَةُ الصَّغَارُ - فإذا أَوْضَحَتْ عَنِ العِظَمِ فِيهَا المَوْضِحَةُ، فإذا
خَرَقَتِ العِظَمَ وَبَلَغَتْ أُمَّ الدَّمَاعِ وَهِيَ جُلِيْدَةٌ قَدْ أَلْبَسَتْ الدَّمَاعَ فِيهَا الأَمَّةُ، وَبَعْضُ
العَرَبِ يَسْمِيْهَا المَأمُومَةُ، وَاشْتِقَاقُ ذَلِكَ إِفْضَاؤُهَا إِلَى أُمَّ الدَّمَاعِ وَلَا غَايَةَ بَعْدَهَا،
قَالَ الشَّاعِرُ:

يَحْجُ مَأمُومَةً فِي قَعْرِهَا لَجَفٌ فَاسْتُ الطَّبِيبِ قَذَاهَا كَالْمَغَارِيْدِ^(٢)

وقال ابن غَلَفَاءَ الهُجَيْمِيُّ يُرِدُّ عَلَى يَزِيدَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الصَّعْقِ فِي هِجَاثِهِ بَنِي

تَمِيمَ:

فَإِنَّكَ مِنْ هِجَاءِ بَنِي تَمِيمٍ كَمَزْدَادِ الْغَرَامِ إِلَى الْغَرَامِ

(١) الأَرَاقِمُ : يريد يوماً كان لقيس على تغلب ابنة وائل، والأَرَاقِمُ هم بطون تغلب.

(٢) مَأمُومَةٌ : مشجوعة.

رَأَتْ صَقْرًا وَأَشْرَدَ مِنْ نَعَامٍ
بَدَتْ أُمُّ الشُّثُونِ مِنَ الْعِظَامِ^(٢)
شَرَّ نَبْثَةِ الْقَوَائِمِ أُمُّ هَامٍ^(٤)

هُمْ تَرَكَوكَ أَسْلَحَ مِنْ حُبَارَى^(١)
وَهُمْ ضَرَبُوكَ أُمَّ الرَّأْسِ حَتَّى
إِذَا يَأْسُونَهَا جَشَّاتِ إِلَيْهِمْ^(٣)

وابن خازم هو عبد الله بن خازم السلمى، وهو أحد غربان العرب فى الإسلام، وكان من أشجع الناس، وقتله بنو تميم بخراسان، وكان الذى وكى قتله منهم وكيع بن الدورقية القريعى، وقوله: فوق الشاحجات «يعنى البغال، والرسيم: ضرب من السير، وإنما عنى هاهنا بغال البريد لقوله:

* مُحَدِّفَةُ الْأَذْنَابِ جُلْحُ الْمَقَادِمِ *

كما قال امرؤ القيس:
على كل مقصووص الذنابى معاود
بريد السرى بالليل من خيل بربرا^(٥)
وكانت برد ملوك العرب فى الجاهلية الخيل.

وأما قول جرير: «الجونين» فقد مضى ذكرهما، ويوم «دير الجماجم» يريد الحجاج فى وقعته بدير الجماجم بعد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندى، وقوله:

* وبالحنو أصبحتم عبيد اللهازم *

فاللهازم بنو قيس بن ثعلبة، وبنو ذهل بن ثعلبة، وبنو تيم اللات بن ثعلبة، وبنو عجل بن لجيم بن صعب بن على بن بكر بن وائل، وبنو مازن بن صعب بن على، ثم تلهممت حنيفة لجيم فصارت معهم، وأما علقمة بن زرارة فإنه قتلته بنو ضبيعة بن قيس بن ثعلبة فقتل به حاجب أخوه أشيم بن شراحيل القيسى، فقال حاجب فى ذلك:

فإن تقتلوا منا كريماً فإننا
قتلنا به خير الضبيعات كلها
أبأنا به مأوى الصعاليك أشيماً
ضبيعة قيس لا ضبيعة أضجماً

(١) الحبارى: اسم طائر.
(٢) أم الشئون: يريد بها الرأس.
(٣) جشأت: نهضت.
(٤) زيادات ر: «يريد غليظ القوائم».
(٥) الذنابى: الذنب، وبربر: قبيلة وكان من علامة خيلها حذف أذناها.

وَكَانَ يَقَالُ لِأَشْيَمَ: مَاوَى الصَّعَالِيكَ، وَضَبِيعَةُ أَضْجَمَ الَّذِي ذَكَرَ هُوَ ضَبِيعَةُ
ابن ربيعة بن نزار رهط المتلمس. هذا لقبهم.

وَأَمَّا مَعْبَدُ بْنُ زُرَّارَةَ فَإِنْ قَيْسًا أَسْرَتْهُ يَوْمَ رَحْرَحَانَ، فَسَارُوا بِهِ إِلَى الْحِجَازِ
فَأَتَى لَقِيطٌ فِي بَعْضِ الْأَشْهُرِ الْحَرُمِ لِيَقْدِيَهُ، فَطَلَبُوا مِنْهُ أَلْفَ بَعِيرٍ فَقَالَ لَقِيطٌ: إِنْ
أَبَانَا أَمَرْنَا أَلَّا نَزِيدَ عَلَى الْمَائَتَيْنِ، فَتَطْمَعُ فِينَا ذُؤْبَانُ الْعَرَبِ، فَقَالَ مَعْبَدُ: يَا أَخِي،
أَفَدْنِي بِمَا لِي فَإِنِّي مَيِّتٌ، فَأَبَى لَقِيطٌ، وَأَبَى مَعْبَدُ أَنْ يَأْكُلَ أَوْ يَشْرِبَ، فَكَانُوا يَشْحُونُ
فَاهَ، وَيَصْبُونُ فِيهِ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ لئَلَّا يَهْلِكَ فَيَذْهَبَ فِدَاؤُهُ، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى
مَاتَ، فَقَالَ جَرِيرٌ يَعِيرُ الْفَرَزْدَقَ وَقَوْمَهُ بِذَلِكَ:

تَرَكْتُمْ بَوَادِي رَحْرَحَانَ نِسَاءَكُمْ وَيَوْمَ الصَّفَا لَأَقِيْتُمُ الشَّعْبَ أَوْعَرَا
سَمِعْتُمْ بَنِي مَجْدٍ دَعَوْا يَالَ عَامِر فَكُنْتُمْ نَعَامًا عِنْدَ ذَاكَ مُنْقَرَا
وَأَسَلَمْتَ الْقَلْحَاءُ فِي الْغُلِّ مَعْبَدًا وَلَا قَى لَقِيطٌ حَتْفَهُ فَتَقَطَّرَا

قوله:

* سَمِعْتُمْ بَنِي مَجْدٍ دَعَوْا يَالَ عَامِر *

يعنى مَجْدُ بِنْتُ النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ وَلَدَتْ رَبِيعَةَ بْنَ عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ، وَوَلَدَهُ
بَنُو كِلَابٍ وَبَنُو كَعْبٍ وَبَنُو عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ. وَالْقَلْحَاءُ لِقَبٍّ، وَالْقَلْحُ أَنْ تَرَكَبَ
الْأَسْنَانَ صُفْرَةً. تَضَرَّبُ إِلَى السَّوَادِ، وَيُقَالُ لَهَا الْحَبْرَةُ لِشِدَّةِ تَأْثِيرِهَا. أَنَشَدَنِي
الْمَازِنِيُّ:

لَسْتُ بِسَعْدِي عَلَى فِيهِ حَبْرَةٌ وَلَسْتُ بِعَبْدِي حَقِيقَتُهُ التَّمَرُ

وَزَعِمَ أَبُو الْحَسَنِ الْأَخْفَشُ^(١)، أَنَّ الْعَرَبَ تَقُولُ فِي هَذَا الْمَعْنَى: «فِي أَسْنَانِهِ
حَبْرَةٌ»، وَلَيْسَ ذَلِكَ بِمَعْرُوفٍ، وَلَمْ يَأْتِ اسْمُ عَلِيٍّ «فِعْلٌ» إِلَّا إِبِلٌ وَإِطْلٌ^(٢).

(١) زيادات ر: «سعيد بن مسعدة».

(٢) زيادات ر: «وامرأة بلز، أى ضخمة، قاله ابن قتيبة، أما إبل فكما ذكر، وأما «إطل» فليس كما ذكر،
وإطل [بالكسر] أصله إطل [بالسكون]، ثم حركت الطاء اتباعاً لحركة لهزمة، كما قالوا فى الجلد
[بالسكون]: الجلد [بالكسر]، قال سيويه: ليس فى الأسماء والصفات فعل [بالكسر] إلا إبل».

وقوله :

* وَلَا قَى لَقِيطٌ حَتْفُهُ فَتَقَطَّرَا *

يقال : قَطَرَهُ لَجْنِيهِه وَقَتَرَهُ ، لغتان ؛ لأن التاء من مخرج الطاء ، فإن رَمَى به على قفاه قيل : سَلَقَهُ وَسَلَقَاهُ وَبَطَحَهُ لوجهه . فإن رَمَى به على رأسه قيل نَكَتَهُ .

رجع التفسيرُ إلى شعر الفرزدق الأول :

أما قوله :

* ومنا الذى منع الوائدات *

فإنه يعنى جدَّه صَعَصَعَةٌ بن ناجية بن عقال ، وكانت العرب فى الجاهلية تَدَّ البنات ، ولم يكن هذا فى جميعها إنما كان فى تميم بن مُرة ، ثم استفاض فى جيرانهم ، فهذا قول واحد . وقال قوم آخرون : بل كان فى تميم وقيس وأسد وهذيل وبكر بن وائل ، لقول رسول الله ﷺ : «اللهم اشدّد وطأتك على مُصرّ ، وأجعلها عليهم سنين كسنى يوسف» . وقال بعض الرواة : اشدّد وطأتك ، والمعنى قريب يرجع إلى الثقل ، فأجذبوا سبع سنين حتى أكلوا الوبر بالدم ، فكانوا يسمونه العلهز ، ولهذا أبان الله عز وجل تحريم الدم ، ودلّ على ما من أجله قتلوا البنات فقال : ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾ (١) وقال : ﴿وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾ (٢) ، فهذا خبرٌ بينٌ أنّ ذلك للحاجة ، وقد روى بعضهم أنهم إنما فعلوا ذلك أنفة .

[إغارة النعمان بن المنذر على تميم]

وذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى أن تيمما منعت النعمان الإتاوة ، وهى الأديان ، فوجه إليهم أخاه الريان بن المنذر ، وكانت للنعمان خمس كتائب ، إحداها الوضائع - وهم قوم من الفرس كان كسرى يضعهم عنده عدة ومدة ، فيقيمون سنة عند الملك من ملوك لحيم ، فإذا كان فى رأس الحول ردّهم إلى أهليهم وبعث بمثلهم . وكتيبة يقال لها الشهباء - وهى أهل بيت الملك ، وكانوا بيض الوجوه ، يسمون الأشاهب . وكتيبة ثالثة يقال لها الصنائع - وهم صنائع الملك أكثرهم من بكر بن

(١) سورة الإسراء ٣١ .

(٢) سورة الممتحنة ١٢ .

وائل. وكتيبة رابعة يقال لها الرهائن، وهم قوم كان يأخذهم من كل قبيلة فيكونون رهنا عنده ثم يوضع مكانهم مثلهم. والخامسة دوسر - وهي كتيبة ثقيلة تجمع فرسانا وشجعانا من كل قبيلة، فأغزاهم أخاه^(١)، وجل من معه بكر بن وائل، فاستاق النعم وسبي الذراري، وفي ذلك يقول أبو المشرج الشكري:

لَمَّا رَأَوْا رَايَةَ النُّعْمَانِ مُقْبِلَةً قَالُوا أَلَا لَيْتَ أَدْنَى دَارِنَا عَدَنُ
يَا لَيْتَ أُمَّ تَمِيمٍ لَمْ تَكُنْ عَرَفَتْ مُرًّا وَكَانَتْ كَمَنْ أَوْدَى بِهِ الزَّمَنُ
إِنْ تَقْتُلُونَا فَأَعْيَارٌ مُجْدَعَةٌ أَوْ تَنْعَمُوا فَقَدِيمًا مِنْكُمْ الْمَنُ^(٢)
مِنْهُمْ زُهَيْرٌ وَعَتَابٌ وَمُحْتَضَرٌ وَابْنَا لَقِيْطٌ وَأَوْدَى فِي الْوَعَى قَطَنُ

ويقول النعمان في جواب هذا:

لِلَّهِ بَكْرٌ غَدَاةَ الرَّوْعِ لَوْ بِهِمْ أَرْمَى ذُرًّا حَضَنَ زَالَتْ بِهِمْ حَضَنُ^(٣)
إِذَا لَا أَرَى أَحَدًا فِي النَّاسِ أَشْبَهُهُمْ إِلَّا فَوَارِسَ خَامَتٍ عَنْهُمْ الْيَمَنُ^(٤)

وهذا خبر طويل، فوَقَدْتُ إليه بنو تميم فلما رآها أحب البقياء، فقال:

مَا كَانَ ضَرًّا تَمِيمًا لَوْ تَغَمَّدَهَا مِنْ فَضْلِنَا مَا عَلَيْهِ قَيْسُ عَيْلَانِ

فأناب القوم وسألوه النساء، فقال النعمان: كل امرأة اختارت أباه ردت إليه، وإن اختارت صاحبها تركت عليه. فكلهن اختارت أباهن، إلا ابنة لقيس بن عاصم فإنها اختارت صاحبها عمرو بن المشرج، فنذر قيس ألا تولد له ابنة إلا قتلها، فهذا شيء يعتل به من وأد، ويقول: فعلناه أنفة، وقد أكذب ذلك بما أنزل الله تعالى في القرآن.

وقال ابن عباس رحمه الله في تأويل هذه الآية: وكانوا لا يورثون، ولا يتخذون إلا من طاعن بالرمح ومنع الحريم - يريد الذكران.

[وفود صغصة بن ناجية على رسول الله]

وروت الرواة: أن صغصة بن ناجية لما أتى رسول الله ﷺ فأسلم، قال:

(١) أي أعطاهم إياه يغزو بهم.

(٢) أعيار: جمع غير، وهو الحمار. ومجدعة: مقطعة الأذان.

(٣) حضن: جبل في أعالي نجد.

(٤) خامت: جنت.

يا رسول الله، إني كنتُ أَعْمَلُ عَمَلًا فِي الْجَاهِلِيَةِ أَفِينَعْنِي ذَلِكَ الْيَوْمَ؟ قَالَ: وَمَا عَمَلُكَ؟ قَالَ: أَضَلَلْتُ نَاقَتَيْنِ عَشْرًاوَيْنِ. فَرَكِبْتُ جَمَلًا، وَمَضَيْتُ فِي بُغَاثِهِمَا^(١)، فَرَفَعَ لِي بَيْتٌ حَرِيدٌ، فَقَصَدْتُهُ، فَإِذَا شَيْخٌ جَالِسٌ بِفَنَاءِ الدَّارِ، فَسَأَلْتُهُ عَنِ النَّاقَتَيْنِ، فَقَالَ: مَا نَارُهُمَا؟ قُلْتُ: مَيْسَمُ بَنِي دَارِمٍ. فَقَالَ: هُمَا عِنْدِي وَقَدْ أَحْيَا اللَّهُ بِهِمَا قَوْمًا مِنْ أَهْلِكَ، مِنْ مُضَرٍّ. فَجَلَسْتُ مَعَهُ لِيُخْرِجَا إِلَيَّ، فَإِذَا عَجُوزٌ قَدْ خَرَجَتْ مِنْ كِسْرِ الْبَيْتِ، فَقَالَ لَهَا: مَا وَضَعْتَ؟ فَإِنْ كَانَ سَقْبًا^(٢) شَارَكْنَا فِي أَمْوَالِنَا وَإِنْ كَانَتْ حَائِلًا وَأَدْنَاهَا. فَقَالَتْ الْعَجُوزُ: وَضَعْتُ أَثْنَى! فَقُلْتُ: أَتَبِيعُهَا؟ قَالَ: وَهَلْ تَبِيعُ الْعَرَبُ أَوْلَادَهَا؟ قَالَ: قُلْتُ: إِنَّمَا أَشْتَرِي مِنْكَ حَيَاتَهَا، وَلَا أَشْتَرِي رَقَّهَا، قَالَ: فَبِكَمِّ؟ قُلْتُ: احْكُمْ، قَالَ: بِالنَّاقَتَيْنِ وَالْجَمَلِ، قَالَ: قُلْتُ: ذَاكَ لَكَ، عَلَى أَنْ يُبَلِّغَنِي الْجَمْلُ وَإِيَّاهَا. قَالَ: فَفَعَلَ، فَأَمَنْتُ بِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَقَدْ صَارَتْ لِي سُنَّةٌ فِي الْعَرَبِ، عَلَى أَنْ أَشْتَرِيَ كُلَّ مَوْوَدَةٍ بِنَاقَتَيْنِ عَشْرًاوَيْنِ وَجَمْلٍ، فَعِنْدِي إِلَى هَذِهِ الْغَايَةِ ثَمَانُونَ وَمِائَتًا مَوْوَدَةٍ فَقَدْ أَنْقَذْتُهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَنْفَعُكَ ذَلِكَ، لِأَنَّكَ لَمْ تَبْتَغْ بِهِ وَجْهَ اللَّهِ وَإِنْ تَعَمَلْ فِي إِسْلَامِكَ عَمَلًا ضَالِحًا تُثَبُّ عَلَيْهِ».

وكان ابن عباس يقرأ: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سَأَلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾^(٣). وقال أهل المعرفة في قول الله عز وجل: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ إنما تُسألُ تَبَكُّيًّا لِمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ بِهَا، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ إِنَّكَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾^(٤).

وقوله: «وُثِدَتْ». إنما هو أَثْقَلْتُ بِالْثَّرَابِ، يُقَالُ لِلرَّجُلِ: اتَّيَدُ أَيَّ تَثَبَّتْ وَتَثَقَّلَ، كَمَا يُقَالُ: تَوَقَّرَ، قَالَ قَصِيرٌ صَاحِبُ جَذِيمَةٍ^(٥):

مَا لِلْجِمَالِ مَشْيُهَا وَئِيدًا أَجْنَدَلًا يَحْمِلْنَ أُمَّ حَدِيدًا

[* أُمٌ صَرَفَانًا بَارِدًا شَدِيدًا^(٦) *]

(١) البغاء: الطلب.

(٢) السقب: الذكر من ولد الناقة.

(٣) سورة التكوين ٨، ٩.

(٤) سورة المائدة ١١٦.

(٥) زيادات ر: «هذا وهم من أبي العباس، وإنما هو للزباء».

(٦) الصرقان: ضرب من التمر.

وقوله: «أَضَلَّتْ نَاقَتَيْنِ عُسْرَاوَيْنِ» أَضَلَّتْ، ضَلَّتَا مِنِّي، وتحقيقه: صادفتهما ضالَّتين، كما قال (١):

أَوْ وَجَدُ شَيْخٍ أَضَلَّ نَاقَتَهُ حِينَ تَوَلَّى الْحَجِيجُ فَاَنْدَفَعُوا
والعُسرَاءُ: الناقةُ التي قد أتى عليها منذ حَمَلَتْ عشرةَ أشهر. وإنما حَمَلُ
الناقة سنةً.

وقوله: «ما نارهما؟» يريد ما وَسَمُهُما؟ كما قال:

قَدْ سُنِقِيَتْ أَبَالَهُمْ بِالنَّارِ وَالنَّارُ قَدْ تَشْفِي مِنَ الْأَوَارِ
أى عُرِفَ وَسَمُهُمْ فلم يُمنعوا الماء.

وقوله: «فإذا بيت حَرِيدٌ» يقول: مُتَّحٍ عن الناس، وهذا من قولهم: انْحَرَدَ
الجمال، إذا تَنَحَّى عن الإناث فلم يَبْرُكْ معها، ويقال فى غير هذا الموضع: «حَرَدَ
حَرْدُهُ» أى قَصَدَ قَصْدَهُ، قال الراجز:

قَدْ جَاءَ سَيْلٌ جَاءَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ يَحْرِدُ حَرْدُ الْجَنَّةِ الْمُغِلَّةِ

وقالوا فى قوله عز وجل: ﴿وَعَدُوا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ﴾ (٢): أى على قَصَص. كما ذكرنا.

وقالوا: هو أيضًا «على منع»، من قولهم: حَارَدَتِ الناقةُ إذا مَنَعَتْ لبنها،
وحَارَدَتِ السَّنةُ إذا مَنَعَتْ مطرها، والبيعير الأُحرد: هو الذى يضرب بيده، وأصله
الامتناع من المشى. وأما قوله:

وَقَبْرِ بِكَاطِمَةَ الْمَوْرِدِ
أَنَاخَ عَلَى الْقَبْرِ بِالْأَسْعَدِ إِذَا مَا أَتَى قَبْرَهُ خَائِفٌ

فإنه يعنى قبر أبيه غالب بن صَعْصَعَةَ بن ناجية. وكان الفرزدق يُجِيرُ مَنْ
استجار بقبر أبيه، وكان أبوه جَوَادًا شريفًا. ودخل الفرزدق البصرة فى إمرة زياد،
فباع إبلا كثيرة وجعل يَصُرُّ أثمانها، فقال له رجل: إنك لتَصُرُّ أثمانها، ولو كان

(١) زيادات ر: «لرجل من قضاة، يقال له مالك بن عمرو، وقبلة:
لَا وَجَدْتُ كَلِيَّ كَمَا وَجَدْتُ وَلَا وَجَدْتُ عَجُولٍ أَضَلُّهَا رُبَّ
(٢) سورة القلم ٢٥.

غالب بن صَعَصَعَةَ ما صَرَّهَا. ففتح الفرزدق تلك الصَّرَّ ونَثَرَ المال، وبلغ الخبرُ زيادًا فطلبه، فهرب الفرزدق، وله في هربه حديثٌ طويل، واستجارته بسعيد بن العاص بالمدينة، نذكره بعد هذا إن شاء الله.

[جماعة استجاروا بقبر غالب]

فَمَنْ استجار بقبر غالب فأجاره الفرزدق امرأة من بنى جَعْفَرِ بن كلاب، خافت لما هجا الفرزدق بنى جعفر بن كلاب أن يُسَمِّيَهَا وَيُسَبِّهَا، فعادَتْ بقبر أبيه، فلم يَذْكُرْ لها اسمًا ولا نسبًا، ولكن قال في كلمته التي يهجو فيها بنى جعفر بن كلاب:

عَجُوزٌ تُصَلِّيُ الْخُمْسَ عَادَتْ بِغَالِبٍ فَلَا وَالَّذِي عَادَتْ بِهِ لَا أَضِيرُهَا

ومن ذلك أن الحجاج لما وَلَّى تَمِيمَ بن زيد القَيْنِيَّ السَّنَدَ، دخل البصرة فجعل يُخْرِجُ من أهلها مَنْ شاء، فجاءت عجوز إلى الفرزدق فقالت: إني استجرتُ بقبر أبيك، وأتت منه بحَصِيَّات. فقال لها: وما شأنك! فقالت: إن تميم بن زيد خَرَجَ بآبِنِ لِي معه ولا قُرَّةَ لِعَيْنِي ولا كاسبَ لِي غيره، فقال لها: وما اسمُ ابنك؟ فقالت: خُنَيْسٌ، فكتب إلى تميم بن زيد مع بعض مَنْ شَخَّصَ:

تَمِيمُ بْنُ زَيْدٍ لَا تَكُونَنَّ حَاجَتِي	بِظَهْرٍ فَلَا يَعْيًا عَلَيَّ جَوَابُهَا
وَهَبْ لِي خُنَيْسًا وَاحْتَسِبْ فِيهِ مِنْهُ	لَعَبْرَةَ أُمِّ مَا يَسُوعُ شَرَابُهَا
أَتَنِّي فَعَادَتْ يَا تَمِيمُ بِغَالِبٍ	وَبِالْحُفْرَةِ السَّافِي عَلَيْهَا تُرَابُهَا
وَقَدْ عَلِمَ الْأَقْوَامُ أَنَّكَ مَاجِدٌ	وَلَيْتُ إِذَا مَا الْحَرْبُ شُبَّ شِهَابُهَا

فلما ورد الكتابُ على تميم، تَشَكَّكَ في الاسم فقال: أَحْبِيشُ؟ أم خُنَيْسُ؟ ثم قال: انظروا مَنْ له مثلُ هذا الاسم في عسكرنا؟ فأصيب ستَّةُ ما بين حُبَيْشٍ وَخُنَيْسٍ فَوَجَّهَ بهم إليه.

ومنهم مَكَاتِبُ لَبْنِي مُنْقَرٍ ظَلَعَ بِمَكَاتِبَتِهِ^(١)، فَأَتَى قَبْرَ غَالِبٍ فَاسْتَجَارَ بِهِ، وأخذ منه حَصِيَّات فَشَدَّهِنَّ فِي عِمَامَتِهِ، ثم أتى الفرزدق فأخبره خبره، وقال: إني قد قلت شعراً، فقال: هاته، فقال:

(١) أى ضعف عن حمل ما كوتب به.

بَقِيرِ ابْنِ لَيْلَى غَالِبٌ عُدْتُ بَعْدَمَا
بَقِيرِ امْرِئٍ تَقْرَى^(١) الْمَثِينَ عِظَامُهُ
خَشِيتُ الرَّدَى أَوْ أَنْ أُرَدَّ عَلَى قَسْرِ
وَلَمْ يَكْ إِلَّا غَالِبًا مَيِّتٌ يَقْرَى
فَكَأَنَّكَ أَنْ تَلْقَى الْفَرَزْدَقَ بِالمَصْرِ
فَقَالَ لِي اسْتَقْدِمْ أَمَامَكَ إِنَّمَا

فقال له الفرزدق: ما اسمك؟ قال: لهذم، قال: يا لهذم، حُكْمُكَ مُسَمَّطًا، قال: ناقةٌ كَوْمَاءُ سوداءُ الحدقة، قال: يا جارية، اطرحي إلينا حبلا، ثم قال: يا لهذم اخرج بنا إلى المريد، فألقه في عنق ما شئت. فتخير العبدُ على عينه، ثم رمى بالحبل في عنق ناقة، وجاء صاحبها، فقال له الفرزدق: اغدُ على في ثمنها، فجعل لهذم يقودها والفرزدق يسوقها حتى إذا نفَذَ بها من البيوت إلى الصحراء، صاح به الفرزدق: يالَهْذَمُ، قَبِّحَ اللهُ أَخْسَرَنَا !

[قوله: «تَقْرَى الْمَثِينَ عِظَامُهُ» يريد أنهم كانوا ينحرون الإبل عند قبور عظمائهم، فيطعمون الناس في الحياة وبعد الممات، وهذا معروف في أشعارهم].
وقوله:

* وَلَمْ يَكْ إِلَّا غَالِبًا مَيِّتٌ يَقْرَى *

فإنه نصب غالباً لأنه استثناء مقدم، وإنما انتصب الاستثناء المقدم لما أذكره لك، وذلك أن حق الاستثناء إذا كان الفعل مشغولاً به أن يكون جارياً عليه، لا يكون فيه إلا هذا، تقول: ما جاءني إلا عبدُ الله، وما رأيت إلا عبدَ الله، وما مررت إلا بعبدِ الله. فإن كان الفعل مشغولاً بغيره فكان موجباً، لم يكن في المستثنى إلا النصب، نحو جاءني إخوتُك إلا زيداً، كما قال تعالى: ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾^(٢)، ونصبُ هذا على معنى الفعل، و«إلا» دليلٌ على ذلك.

فإذا قلت: جاءني القوم، لم يؤمن أن يقع عند السامع أن زيداً أحدهم، فإذا قال: إلا زيداً، فالمعنى لا أعني فيهم زيداً، أو أسستني ممن ذكرتُ زيداً. ولسبويه فيه تمثيل، والذي ذكرتُ أبين منه. وهو مُترجمٌ عما قال، غيرُ مناقض له. وإن كان الأول منفيًا جاز البدل والنصب، والبدل أحسن؛ لأن الفعل الظاهر أولى بأن يعمل من المختزل الموجود بدليل، وذلك قولك: ما أتاني أحد إلا زيداً، وما مررتُ

(١) من القرى بالكسر: وهو إكرام الضيف.

(٢) سورة البقرة ٢٤٩.

بأحد إلا زيد، والفصل بين المنفى والموجب، أن المبدل من الشيء يُفَرِّغُ له الفعل، فأنت في المنفى إذا قلت: ما جاءني أحدٌ إلا زيدٌ، إذا حذفت على جهة البدل صار التقدير: ما جاءني إلا زيدٌ، لأنه بدل من أحد، والموجب لا يكون فيه البدل، لأنك إذا قلت: جاءني إخوتك إلا زيداً، لم يجز حذف الأول، لا تقول: جاءني إلا زيد، وإن شئت أن تقول في النفي: ما جاءني أحد إلا زيداً جاز، ونصبه بالاستثناء الذي شرحت لك في الواجب. والقراءة الجيدة ﴿مَفْعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ﴾^(١)، وقد قرئ ﴿إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ﴾، على ما شرحت لك في الواجب، والقراءة الأولى.

فإذا قدّمت المستثنى بطل البدل، لأنه ليس قبله شيء يُبدل منه، فلم يكن فيه إلا وجه الاستثناء، فتقول: ما جاءني إلا أباك أحدٌ، وما مررت إلا أباك بأحد، وكذلك تُشَدُّ هذه الأشعار، قال كعب بن مالك الأنصاري لرسول الله ﷺ: الناسُ ألبٌ علينا فيك ليس لنا إلا السيوف وأطراف القنا وزر^(٢) وقال الكميّ بن زيد:

فماليَ إلا آلَ أحمدَ شِيعَةً وماليَ إلا مشعبَ الحقِّ مشعبٌ

لا يكون إلا هذا، وليونس قول مرغوبٌ عنه، فلذلك لم نذكره.

وقوله: «فقال لي استقدم أمأمك» مُخْبِرٌ عن الميت بالقول، فإن العرب وأهل الحِكْمَةِ من العجم تجعل كل دليل قولاً، فمن ذلك قول زهير:

* أَمِنْ أُمَّ أَوْفَى دِمْنَةٌ لَمْ تَكَلِّمْ *

وإنما كلامها عنده أن تبين بما يرى من الآثار فيها، من قدم أهلها وحديثان عهدهم.

ويروى عن بعض الحكماء أنه قال: هلاً وقفت على المعاهد والجنان، فقلت: أيتها الجنان، من شقّ أنهارك، وغرس أشجارك، وجنى ثمارك؟ فإنها إن لم تُجِبْكَ حواراً^(٣) أجابتك اعتباراً!

(١) سورة النساء ٦٦.

(٢) ألب: متجمعون، وزر: ملجأ.

(٣) الحوار: الجواب.

وأهل النظر يقولون في قول الله عز وجل: ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾^(١): لم يكن كلامٌ، إنما فعلٌ عزَّ وجل ما أراد فوجد، قال الراجز:
 قد خَنَقَ الحَوْضُ وقال قَطْنِي سلا رُوَيْدًا قد مَلَأَتْ بَطْنِي

ولم يكن كلامٌ، إنما وُجِدَ ذلك فيه . وكذلك قوله:

فقال لي استَقْدِمِ أَمَامَكَ إنما فكأكُك أن تلقى الفرزدقَ بالمِصرِ
 أي: قد جُرِّبَ مثل هذا منك في المستجيرِ بقبره .

[لهو النعمان بن المنذر]

وحدثني العباس بن الفرَج الرِّياشِيُّ في إسناده قد ذهبَ عني أكثرُهُ، قال:
 نزل النُّعْمَانُ بنُ المُنْذِرِ ومعه عَدِي بن زَيْدٍ في ظِلِّ شَجَرَةٍ مُونِقَةٍ، لِيَلْهُوَ النُّعْمَانُ
 هناك، فقال له عَدِي بن زَيْدٍ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، أَيَّتَ اللَّعْنِ! أَتَدْرِي ما تقولُ هذه
 الشجرة؟ قال: وما الذي تقول؟ قال: تقول^(٢):

[مَنْ رَأَا فَلْيُحَدِّثْ نَفْسَهُ	أَنَّهُ مُوَفَّ عَلَى قَرْنِ زَوَالٍ
وَصُرُوفُ الدَّهْرِ لَا يَبْقَى لَهَا	وَلَمَّا تَأْتَى بِهِ صُمُّ الْجِبَالِ]
رُبَّ رَكْبٍ قَدْ أَنَاخُوا حَوْلَنَا	يَمَزْجُونَ الْخَمْرَ بِالْمَاءِ الزُّلَالِ
[وَالْأَبَارِيقُ عَلَيْهَا قُذْمٌ ^(٣)	وَجِيَادُ الْخَيْلِ تَرْدَى فِي الْجَلَالِ
عَمَرُوا الدَّهْرَ بِعَيْشٍ حَسَنٍ	قَطَعُوا دَهْرَهُمْ غَيْرَ عَجَالٍ]
ثُمَّ أَضْحَوْا عَصَفَ الدَّهْرِ بِهِمْ	وَكَذَاكَ الدَّهْرُ حَالًا بَعْدَ حَالٍ

قال: فَتَنَعَّصَ النُّعْمَانُ .

وهذا في الأمثال كثيرٌ، وفي الأشعار السائرة .

وأما قوله «حَكْمُكَ مُسَمَّطًا» فإعرابه أَنَّهُ أَرَادَ: لَكَ حُكْمُكَ مُسَمَّطًا،
 واستعملَ هذا فكثيرٌ، حتى حُذِفَ استخفافًا، لعلم السامع بما يُريدُ القائلُ، كقولك:
 «الهِلَالُ والله»، أي هذا الهلالُ، وأغنى عن قوله: «هذا» - القصدُ والإشارةُ .

وكان يقالُ لِرُؤْبَةٍ: كَيْفَ أَصْبَحْتُ؟ فيقول: خَيْرٌ عَافَاكَ اللهُ، فلم يُضْمَرْ
 حرفُ الخفضِ، ولكنه حُذِفَ لكثرة الاستعمال . والمُسَمَّطُ: المرسلُ غيرُ المردودِ^(٤) .
 والكُومَاءُ: العظيمةُ السَّنامِ .

(١) سورة فصلت ١١ .

(٢) كل ما كان بين المربعين من زيادات ر .

(٣) القدم: جمع فدام، وهو ما يوضع على فم الإبريق لتصفيته عند الشرب . (٤) المردود: النافذ حكمه .

باب

[أبو رافع مولى الرسول عليه السلام]

قال أبو العباس: قال الليثي^(١): أعتق سعيد بن العاصي أبا رافع إلا سهمًا واحدًا فيه، من أسهم لم يُسمَّ عددها لنا، فاشتري رسول الله ﷺ ذلك السهم فأعتقه. وكان لأبي رافع بنون أشراف، منهم عبيد الله بن رافع، وحديثه أثبت الحديث عن علي بن أبي طالب، وكان كالكاتب له، وكان عبيد الله بن أبي رافع شريفًا، وكان عبيد الله يُنسب إلى ولأء رسول الله ﷺ، فلما ولي عمرو بن سعيد الأشدق المدينة لم يعمل شيئًا قبل إرساله إلى عبيد الله بن أبي رافع، فقال له: مولى من أنت؟ فقال له: مولى رسول الله ﷺ، فأبرزه فضربه مائة سوط، ثم قال له: مولى من أنت؟ فقال: مولى رسول الله ﷺ، فضربه مائة أخرى. فلما رأى عبد الله أخاه غير راجع، وأن عمرًا قد ألحَّ عليه فى ضربه، قام إلى عمرو فقال له: اذكر الملح، فأمسك عنه.

والمَلْحُ ههنا اللَّيْنُ، يريد الرِّضَاعَ، كما قال أبو الطَّمَحَانِ الْقَيْنِيُّ:

وَإِنِّي لَأَرْجُو مِلْحَهَا فِي بَطُونِكُمْ وَمَا بَسَطْتُ مِنْ جِلْدٍ أَشْعَثَ أَغْبَرًا^(٢)

[كذا وقعت الرواية، والصواب «أغبر» لأنَّ قبله:

وَلَوْ عَلِمْتَ صَرْفَ الْيُوعِ لَسَرَّهَا بِمَكَّةَ أَنْ تَبْتَاعَ حَمْضًا بِإِذْخِرٍ^(٣)

قاله ش.]

وكما قال الآخر^(٤):

لَا يُبْعَدُ اللَّهُ رَبُّ الْعَبَا دِ الْمِلْحُ مَا وَلَدَتْ خَالِدَهُ

(١) زيادات ر: «هو الجاحظ».

(٢) الخبر فى الإصابة ٦٤:٧ «كان أبو رافع عبدا لسعيد بن العاصي، فأعتق كل من بنيه نصيبه منه إلا خالد ابن سعيد، فإنه وهب نصيبه للنبي ﷺ فأعتقه، فكان يقول: أنا مولى رسول الله».

(٣) الإذخر: حشيش طيب الريح، واحدته إذخرة.

(٤) نقل المصنفى عن ابن الأعرابى أنه الحارث بن عمرو الفزارى، وعن المفضل، هو شتيم بن خويلد الفزارى.

ويروى أن عُبَيْدَ اللَّهِ بنَ أَبِي رَافِعٍ أَتَى الحَسَنَ بنَ عَلِيٍّ بنَ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ:
أَنَا مَوْلَاكَ، فَقَالَ فِي ذَلِكَ مَوْلَى لَتَمَّامَ بنِ عَبْدِ المَطَّلِبِ، يَعْذُلُهُ وَيُعَيِّرُهُ:

جَحَدْتَ بنِي العَبَّاسَ حَقَّ أَبِيهِمْ فَمَا كُنْتُ فِي الدَّعْوَى كَرِيمَ العَوَاقِبِ
مَتَى كَانَ أَوْلَادُ البَنَاتِ كَوَارِثُ يَحُوزُ وَيُدْعَى والدًا فِي المَنَاسِبِ !
يُرِيدُ أَنَّ العَبَّاسَ أَوْلَى بِوَلَاءِ مَوْلَى رَسولِ اللَّهِ ﷺ ؛ لِأَنَّ العَمَّ مَدْعُوٌّ والدًا فِي
كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَهُوَ يَحُوزُ المِيرَاثَ .

وَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الثَّقَفِيِّينَ : أَنُشِدْتُ مَرْوَانَ بنَ أَبِي حَفْصَةَ هَذِينَ البَيْتَيْنِ ، فَوَقَعَ
عِنْدِي أَنَّهُ مِنْ هَذَا أَخَذَ قَوْلَهُ :

أَتَى يَكُونُ وَلَيْسَ ذَاكَ بِكَائِنٍ لَبَنَى البَنَاتِ وَرِاثَةُ الأَعْمَامِ
أَلْغَى سِهَامُهُمُ الكِتَابُ فَمَا لَهُمْ أَنْ يَشْرَعُوا فِيهِ بِغَيْرِ سِهَامِ
وَقَالَ طَاهِرُ بنِ عَلِيٍّ بنِ سَلِيمَانَ بنِ عَلِيٍّ بنِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ العَبَّاسِ لِلطَّالِبِينَ :

لَوْ كَانَ جَدُّكُمْ هُنَاكَ وَجَدْنَا فَتَنَازَعَا فِيهَا لَوَقَّتْ خَصَامِ
كَانَ التُّرَاثُ لَجَدْنَا مِنْ دُونِهِ فَحَوَاهُ بِالقُرْبَى وبالإِسْلَامِ
حَقُّ البَنَاتِ فَرِيضَةٌ مَعْرُوفَةٌ وَالْعَمُّ أَوْلَى مِنْ بَنَى الأَعْمَامِ

وَذَكَرَ الزُّبَيْرِيُّونَ عَنْ ابْنِ المَاجِشُونِ قَالَ : جَاءَنِي رَجُلٌ مِنْ وَلَدِ أَبِي رَافِعٍ ،
فَقَالَ : إِنِّي قَدْ قَاوَلْتُ رَجُلًا مِنْ مَوَالِي بَعْضِ العَرَبِ ، فَقُلْتُ : أَنَا خَيْرٌ مِنْكَ ، فَقَالَ :
بَلْ أَنَا خَيْرٌ مِنْكَ ، فَمَا الَّذِي يَجِبُ لِي عَلَيْهِ ؟ فَقُلْتُ : لَيْسَ فِي هَذَا شَيْءٌ ، فَقَالَ : أَنَا
مَوْلَى رَسولِ اللَّهِ ﷺ وَيَزْعُمُ أَنَّهُ خَيْرٌ مِنِّي ، قَالَ : قُلْتُ : قَدْ يَتَصَرَّفُ هَذَا عَلَى غَيْرِ
الحَسَبِ ، قَالَ : فَلَمَّا رَأَيْتُ لَا أَقْضِي لَهُ شَيْءًا قَالَ لِي : أَنْتَ دَافِعٌ مَغْرَمًا ^(١) ؛ لِأَنَّ
وَلَائِي عِنْدَهُ لَيْسَ فِي مَوْضِعِ مَرْضِيٍّ ؟ قَالَ - وَصَدَقَ - : فِي بَنِي تَيْمٍ لَتَيْمٌ مَنْ هُوَ
أَشْرَفُ وَلَاءَ مِنِّي .

[أَسَامَةُ بنُ زَيْدٍ يَقَاوِلُ عَمْرَوَ بنَ عِثْمَانَ]

وَحَدَّثْتُ أَنَّ أَسَامَةَ بنَ زَيْدٍ قَاوَلَ عَمْرَوَ بنَ عِثْمَانَ فِي أَمْرِ ضَيْعَةٍ يَدْعِيهَا كُلُّ
وَاحِدٍ مِنْهُمَا ، فَلَجَّتْ بِهِمَا الخِصُومَةُ ، فَقَالَ عَمْرُو : يَا أَسَامَةُ ، أَتَأْتِفُ أَنْ تَكُونَ

(١) مغرماً: حقاً تنقاضه.

مولاي! فقال أسامة: والله ما يسرني بولائي من رسول الله ﷺ نسبك! ثم ارتفعا إلى معاوية، فلجأ بين يديه في الخصومة، فتقدم سعيد بن العاصي إلى جانب عمرو، فجعل يلقنه الحجة، فتقدم الحسن إلى جانب أسامة يلقنه، فوثب عتبة بن أبي سفيان، فصار مع عمرو، ووثب الحسين فصار مع أسامة، فقام عبد الرحمن ابن أم الحكم، فجلس مع عمرو، فقام عبد الله بن العباس فجلس مع أسامة، فقام الوليد بن عتبة فجلس مع عمرو، فقام عبد الله بن جعفر فجلس مع أسامة، فقال معاوية: الجلية عندي، حضرت رسول الله ﷺ وقد أقطع هذه الضيعة أسامة، فانصرف الهاشميون، وقد قضى لهم، فقال الأمويون لمعاوية: هلا إذ كانت هذه القضية عندك بدأت بها قبل التحزب، أو أخرتها عن هذا المجلس! فتكلم بكلام يدفعه بعض الناس.

[الحجاج بن يوسف وسعيد بن جبير]

وكان الذي اعتد به الحجاج بن يوسف على سعيد بن جبير لما أتى به إليه بعد انقضاء أمر ابن الأشعث، وكان سعيداً عبداً لرجل من بني أسد بن خزيمه، فاشتره سعيد بن العاصي في مائة عبد فأعتقهم جميعاً، فقال له الحجاج: يا شقي ابن كسير، أما قدمت الكوفة، وليس يؤم بها إلا عربى فجعلتك إماماً! قال: بلى، قال: أفما وليت القضاء فضج أهل الكوفة وقالوا: لا يصلح القضاء إلا لعربى، فاستقضيت أبا بردة بن أبي موسى الأشعرى وأمرته ألا يقطع أمراً دونك! قال: بلى، قال: أو ما جعلتك في سمارى وكلهم من رؤوس العرب! قال: بلى، قال: أو ما أعطيتك مائة ألف درهم لتفرقها في أهل الحاجة، ثم لم أسألك عن شيء منها! قال: بلى، قال: فما أخرجك على؟ قال: بيعة كانت لابن الأشعث في عنقي، فغضب الحجاج، ثم قال: أفما كانت بيعة أمير المؤمنين عبد الملك في عنقك قبل؟ والله لأقتلنك، يا حرسى، اضرب عنقه. ونظر الحجاج فإذا جل من خرج مع عبد الرحمن، من الفقهاء وغيرهم، من الموالي، فأحب أن يزيلهم عن موضع الفصاحة والآداب، ويخلطهم بأهل القرى والأنباط، فقال: إنما الموالي علوج، وإنما أتى بهم من القرى، فقراهم أولى بهم. فأمر بتسييرهم من الأمصار وإقرار العرب بها، وأمر أن ينقش على يد كل إنسان منهم اسم قريته. وطالت ولايته، فتوالد القوم هناك، فحبت لغات أولادهم، وفسدت طبائعهم. فلما قام

سليمان بن عبد الملك أخرج مَنْ كان في سجن الحَجَّاج من المظلومين، فيقال إنه أخرج في يَوْمٍ واحد ثمانين ألفاً، وردَّ المنقوشين، فرَجَعُوا في صورة الأنباط، ففي ذلك يقول الراجز:

جَارِيَةٌ لَمْ تَدْرِ مَا سَوَّقُ الْإِبِلِ أَخْرَجَهَا الْحَجَّاجُ مِنْ كِنٍ وَظِلٍ
لَوْ كَانَ بَدْرٌ حَاضِرًا وَابْنُ حَمَلٍ مَا نُقِشَتْ كَفَّاكَ فِي جِلْدٍ جَلَلٍ

وقال شاعرٌ لأهل الكوفة لما استُقْضِيَ عليها نوح بن دَرَّاج^(١):

يَأْيُهَا النَّاسُ قَدْ قَامَتْ قِيَامَتُكُمْ إِذْ صَارَ قَاضِيَكُمْ نُوْحُ بْنُ دَرَّاجٍ
لَوْ كَانَ حَيًّا لَهُ الْحَجَّاجُ مَا سَلِمَتْ كَفَّاهُ نَاجِيَةً مِنْ نَقْشِ حَجَّاجٍ
وَيُرَوَّى عَنْ حَسَّانَ، الْمَعْرُوفِ بِالنَّبْطِيِّ - صَاحِبِ مَنَارَةِ حَسَّانَ فِي الْبَطِيحَةِ^(٢) -
قَالَ: أُرِيتُ الْحَجَّاجَ فِيمَا يَرَى النَّائِمَ، فَقُلْتُ: أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ! مَا صَنَعَ اللَّهُ بِكَ؟
فَقَالَ: يَا نَبْطِي، أَهَذَا عَلَيْكَ! قَالَ: فَرَأَيْتُنَا لَا نُفْلِتُ مِنْ نَقْشِهِ فِي الْحَيَاةِ، وَمِنْ
شَتْمِهِ بَعْدَ الْوَفَاةِ!

وَيُرَوَّى عَنْ حَسَّانَ أَنَّهُ قَصَّ هَذِهِ الرُّوْيَا عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ
سِيرِينَ: لَقَدْ رَأَيْتَ الْحَجَّاجَ بِالصَّحَّةِ.

[حَدِيثُ الْجَحَافِ وَالْإِخْطَلِ]

قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ: وَحُدِّثْتُ مِنْ نَاحِيَةِ الزُّبَيْرِيِّينَ أَنَّ الْجَحَافَ بْنَ حَكِيمٍ دَخَلَ
عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ، وَالْإِخْطَلُ عِنْدَهُ، فَلَمَّا بَصُرَ بِهِ الْإِخْطَلُ قَالَ:

أَلَا أَبْلُغُ الْجَحَافَ هَلْ هُوَ ثَائِرٌ بَقَتْلَى أُصِيبَتْ مِنْ سُلَيْمٍ وَعَامِرٍ!
فَقَالَ الْجَحَافُ:

بَلَى سَوْفَ تَبْكِيهِمْ بِكُلِّ مُهَنَّدٍ وَتَبْكِي عُمَيْرًا بِالرَّمَاكِ الْخَوَاطِرِ

(١) زيادات ر: «ينسب للفرزدق»، وقال المصنف: هذا خطأ فإن الفرزدق مات سنة عشرة ومائة، ومات نوح ابن دراج وهو قاض بالجانب الشرقي ببغداد سنة اثنتين وثمانين ومائة.

(٢) البطيحة: أرض واسعة بين واسط والبصرة.

ثم قال: يا بْنَ النَّصْرَانِيَّةِ، ما ظَنَنْتُكَ تَجْتَرِي عَلَى بَمَثَلِ هَذَا وَلَوْ كُنْتُ مَأْسُورًا
لَكَ ! فَحُمُّ الْأَخْطَلُ خَوْفًا، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ: أَنَا جَارُكَ مِنْهُ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ، هَبْكَ أَجَرْتَنِي مِنْهُ فِي الْيَقِظَةِ، فَمَنْ يُجِيرُنِي مِنْهُ فِي النَّوْمِ !
وَمِنْ هَذَا أَوْ نَحْوِهِ أَخَذَ السُّلَمِيُّ قَوْلَهُ:

[قال أبو الحسن: هو أَشْجَعُ السُّلَمِيِّ يَقُولُهُ لِلرَّشِيدِ]:

وَعَلَى عَدُوِّكَ يَا بْنَ عَمِّ مُحَمَّدٍ رَصَدَانِ ضَوْءُ الصُّبْحِ وَالْإِظْلَامِ
فَإِذَا تَنَبَّهَ رُعْتَهُ وَإِذَا هَدَأَ سَلَّتْ عَلَيْهِ سَيُوفُكَ الْأَحْلَامِ

[هَرَبَ الْعَدِيلِ مِنَ الْحَجَّاجِ]

وَكَانَ الْعَدِيلُ بْنُ الْفَرُخِ الْعَجَلِيُّ هَارِبًا مِنَ الْحَجَّاجِ، فَجَعَلَ لَا يَحُلُّ بِبِلْدَةٍ إِلَّا
رَبِيعٌ لَأَثَرٍ يَرَاهُ مِنْ آثَارِ الْحَجَّاجِ فِيهِرَبُ، حَتَّى أَبْعَدَ، فَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الْعَدِيلُ:

يُخْشَوْنَنِي الْحَجَّاجَ حَتَّى كَأَنَّمَا يُحَرِّكُ عَظْمٌ فِي الْفَوَادِ مَهِيضُ^(١)
وَدُونَ يَدِ الْحَجَّاجِ مِنْ أَنْ تَنَالَنِي بَسَاطٌ لِأَيْدِي الْيَعْمَلَاتِ عَرِيضُ^(٢)

فَلَمْ يَنْشَبْ أَنْ أَتَى بِهِ الْحَجَّاجُ، فَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الْعَدِيلُ:

فَلَوْ كُنْتُ فِي سَلَمَى أَجَا وَشَعَابِهَا لَكَانَ لِحَجَّاجٍ عَلَى دَلِيلُ
بَنَى قُبَّةَ الْإِسْلَامِ حَتَّى كَأَنَّمَا أَتَى النَّاسَ مِنْ بَعْدِ الضَّلَالِ رَسُولُ

أَجَا وَسَلَمَى: جَبَلَا طَبِيٍّ، وَ«أَجَا» مَهْمُوزٌ، وَإِنَّمَا هُوَ «أَجَا» مَقْصُورٌ، فَاعْلَمْ،
قَالَ زَيْدُ الْخَيْلِ:

جَلَبْنَا الْخَيْلَ مِنْ أَجَا وَسَلَمَى تَخَبُّ نَزَائِعًا خَبَبَ الذُّنَابِ^(٣)

وَالشَّاعِرُ إِذَا احتَاجَ إِلَى قَلْبِ الهمزة قَلَبَهَا، إِنْ كَانَتِ الهمزة مَكْسُورَةً جَعَلَهَا
يَاءً، أَوْ سَاكِنَةً جَعَلَهَا عَلَى حَرَكَةٍ مَا قَبْلَهَا، وَإِنْ كَانَتِ مَفْتُوحَةً وَقَبْلَهَا فَتْحَةٌ جَعَلَهَا
أَلْفًا، وَإِنْ كَانَتِ مَفْتُوحَةً وَقَبْلَهَا كَسْرَةٌ جَعَلَهَا يَاءً، وَإِنْ كَانَتِ قَبْلَهَا ضَمَّةٌ جَعَلَهَا
وَاوًا، قَالَ الْفَرَزْدَقُ:

رَاحَتْ بِمَسْلَمَةِ الْبِغَالِ عَشِيَّةً فَارْعَى فِزَارَةً لَا هَنَّاكَ الْمَرْعُ

(١) يَخْشَوْنَنِي: يَخْوَفُونَنِي. (٢) الْبَسَاطُ: الْأَرْضُ الْعَرِيضَةُ.

(٣) نَزَائِعُ: وَاحِدَتُهَا نَزِيعَةٌ، وَهِيَ الَّتِي تَشْتَقُّ إِلَى أَوْطَانِهَا.

وقال حَسَّانُ بنُ ثابت:

سَأَلْتُ هُذَيْلُ رَسُولَ اللَّهِ فَاحِشَةً

وقال عبد الرحمن بنُ حَسَّان:

وَكُنْتُ أَذَلَّ مِنْ وَتَدٍ بِقَاعٍ يُشَجِّجُ رَأْسَهُ بِالْفِهْرِ وَاجِي

[قول الفرزدق في عزل مسلمة بن عبد الملك عن العراق]

وأما قول الفرزدق، فإنه يقول لما عَزَلَ مُسْلِمَةُ بنُ عبد الملك عن العراق بعد قتله يزيد بن المهلب لحاجة الخليفة إلى قُرْبِهِ وَوَلِيَّ عُمَرُ بن هُبَيْرَة:

رَاحَتْ بِمُسْلِمَةَ الْبَغَالُ عَشِيَّةً
وَلَقَدْ عَلِمْتُ إِذَا فَرَازَةً أُمِّرْتُ
فَأَرَى الْأُمُورَ تَنْكَرَتْ أَعْلَامُهَا
عُزِلَ ابْنُ عَمْرٍو وَابْنُ بَشِيرٍ قَبْلَهُ
فَارَعَى فَرَازَةً لَا هَنَّاكَ الْمَرْتَعُ
أَنْ سَوْفَ تَطْمَعُ فِي الْإِمَارَةِ أَشْجَعُ
حَتَّى أُمِّيَّةً عَنِ فَرَازَةٍ تَنْزَعُ^(١)
وَأَخُو هَرَاةٍ لِمَثَلِهَا يَتَوَقَّعُ

ففي جواب هذا يقول الأَسَدِي^(٢) لما وَلِيَ خَالِدُ بنُ عبد الله الْقَسْرِي:

بَكَتِ الْمَنَابِرُ مِنْ فَرَازَةٍ شَجَّوْهَا
وَمَلُوكُ خَنْدَفٍ أَسْلَمُونَا لِلْعَدَا
[كَانُوا كَتَارَكَةً بَيْنَهَا جَانِبَا
فَالآنَ مِنْ قَسْرٍ تَضِجُ وَتَخْشَعُ
لِلَّهِ دَرُّ مُلُوكِنَا مَا تَصْنَعُ!
سَفْهًا وَغَيْرَهُمْ تَصُونُ وَتُرْضِعُ]^(٣)

وأما قول حَسَّان:

* سَأَلْتُ هُذَيْلُ رَسُولَ اللَّهِ فَاحِشَةً *

فليس من لغته «سَلْتُ أَسَالَ» مثل: «خَفْتُ أَخَافُ»، و«هُمَا يَتَسَاوَلَانِ»، هذا من لغةٍ غيرِهِ، وكانت هُذَيْلُ سَأَلَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُحِلَّ لَهَا الزَّنا.

[مفاخرة بين أسدي وهذلي]

وَيُرَوَّى أَنَّ أَسَدِيًّا وَهُذَلِيًّا تَفَاخَرَا، فَرَضِيَا بَرَجِلَ، فَقَالَ: إِنِّي مَا أَقْضَى بَيْنَكُمَا إِلَّا أَنْ تَجْعَلَا لِي عَقْدًا وَثِيقًا أَلَّا تَضْرِبَا وَلَا تَشْتِمَا، فَإِنِّي لَسْتُ فِي بِلَادِ قَوْمِي،

(١) زيادات ر: «تنزع»، رواية عاصم، فمن روى «تنزع» بضم التاء يعنى «تعزل»، ومن روى بفتح التاء وكسر الزاى فهو من النزاع فى القوس، وهو الرمى، يشير إلى أنها محتاجة إلى رأيها، وأنها ترمى عن قوسها.

(٢) نسبه المرفعى إلى إسماعيل بن عمار. (٣) ما بين العلامتين من زيادات ر.

ففعلاً. فقال: يا أخا بني أسد، كيف تُفَاخِرُ العربَ وأنتَ تعلمُ أنه ليسَ حَيٌّ أَحَبُّ إلى الجيشِ ولا أَبْغَضُ إلى الضَّيْفِ، ولا أَقَلُّ تحتَ الراياتِ منكم! وأماً أنتَ يا أخا هُذَيْلٍ، فكيفَ تُكَلِّمُ النَّاسَ وفيكم خِلَالُ ثَلَاثٍ: كانَ منكم دَكِيلُ الحَبْشَةِ على الكَعْبَةِ، ومنكم خَوْلَةُ ذَاتِ النَّحْيَيْنِ، وسألتُم رسولَ اللَّهِ ﷺ أن يُحِلَّ لَكُمْ الزَّنا! ولكن إذا أَرَدْتُمَا بَيْتِي مُضْرَبَ، فعليكمَا بهذين الحَيِّينِ من تَمِيمٍ وقَيْسٍ، قومَا في غير حَفَظِ اللَّهِ!

وأماً بَيْتُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَسَّانَ فَإِنَّهُ يَقُولُهُ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَكَمِ بْنِ أَبِي الْعَاصِي - وَكَانَ يُهَاجِرُهُ، فَقَالَ لَهُ فِي كَلِمَتِهِ:

وَأَمَّا قَوْلُكَ الْخُلْفَاءُ مِنَّا فَهُمْ مَنَعُوا وَرِيدَكَ مِنْ وَدَاجٍ^(١)
وَكَوْلَاهُمْ لَكُنْتَ كَحَوْتِ بَحْرِ
وَكُنْتَ أَذَلَّ مِنْ وَتِدِ بَقَاعٍ
هُوَى فِي مُظْلِمِ الْغَمَرَاتِ دَاجِي
يُشَجِّجُ رَأْسَهُ بِالْفَهْرِ وَاجِي^(٢)

وَكَانَ أَحَدَ مَنْ هَرَبَ مِنَ الْحِجَابِ سَوَّارُ بْنُ الْمُضَرَّبِ^(٣) فَقِي ذَلِكَ يَقُولُ:
أَقَاتِلِي الْحَجَّاجُ إِنْ لَمْ أَزُرْ لَهُ
فَإِنْ كَانَ لَا يُرْضِيكَ^(٥) حَتَّى تَرُدَّنِي
إِذَا جَاوَزْتَ دَرْبَ الْمُجِيزِينَ نَاقَتِي
أَبْرَجُوا بَنُو مَرْوَانَ سَمْعِي وَطَاعَتِي
دَرَّابٌ وَأَتْرَكَ عِنْدَ هَنْدٍ فُؤَادِيَا^(٤)
إِلَى قَطْرِي مَآ إِخَالَكَ رَاضِيَا
فَبَاسَتْ أَبِي الْحَجَّاجَ لَمَّا ثَنَانِيَا^(٦)
وَقَوْمِي تَمِيمٌ وَالْفَلَاةُ وَرَأْيَا

«وورائي» هاهنا بمعنى: أمامي، قال الله عز وجل: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي﴾^(٧)، وقال جل ثناؤه: ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾^(٨).

(١) وداج: مصدر ودجه، أى قطع ودجه، والودج: أحد الودجين، وهما عرقان غليظان عن يمين ثغرة النحر ويسارها.

(٢) الفهر: الحجر ملء الكف، واجى: أصله واجىء، من الوجء، وهو الضرب والدق.

(٣) زيادات ر: «يفتح الرءاء».

(٤) دراب، قال المرصفي: «يريد دارا بجرد، فاقتصر على أحد الجزأين، وهى كورة بفارس».

(٥) زيادات ر: فاعل «يرضيك» مضمر أو منوى، تقديره: فإن كان لا يرضيك الإرضاء، ولا يجوز أن يكون ما بعد «يرضيك» الفاعل؛ لأن سيبويه رحمه الله قال: الفاعل لا يكون جملة، و«حتى تردني» جملة، قاله ابن الأبرش.

(٦) درب المجيزين هو باب السكة، والمجيزون: هم المقيمون بأبواب الشغور يمنعون الخارج إلا من كان بيده جواز.

(٧) سورة مريم ٥. (٨) سورة الكهف ٧٩.

[محمد بن عبد الله النميري والحجاج]

ومن هرب من الحجاج محمد بن عبد الله بن نمير الثقفي، وكان يشب بزینب بنت يوسف، أخت الحجاج، وهو القائل فيها:

تَصَوَّعَ مَسْكَا بطنُ نَعْمَانَ أَنْ مَشَتْ به زینبُ في نسوة عَطَرَاتِ
يُخَبِّنُ أَطْرَافَ الْبَنَانِ مِنَ الثَّقْيِ وَيُخْرِجُنَ شَطْرَ اللَّيْلِ مُعْتَجِرَاتِ
في كلمة له، فلما أتى به الحجاج قال:

هَآكِ يَدِي ضَاقَتْ بِبِى الْأَرْضِ رُحْبَهَا وَإِنْ كُنْتُ قَدْ طَوَّقْتُ كُلَّ مَكَانٍ
فَلَوْ كُنْتُ بِالْعَنْقَاءِ أَوْ بِأَسُومِهَا^(١) لَخِلْتُكَ إِلَّا أَنْ تَصُدَّ تَرَانِي

[مَنْ رَفَعَ «رُحْبَهَا» فعلى البدل، ومن نَصَبَ فعلى الظرف، قاله ش. و«أسومها» بفتح الهمزة وبالضم، والفتح أحسن، ش.]

ثم قال: واللّه أيها الأمير، إن قلتُ إلّا خيراً، إنما قلتُ:
يُخَبِّنُ أَطْرَافَ الْبَنَانِ مِنَ الثَّقْيِ وَيُخْرِجُنَ شَطْرَ اللَّيْلِ مُعْتَجِرَاتِ
فَعَفَا عَنْهُ، ثم قال له: أخبرني عن قولك:
وَلَمَّا رَأَتْ رَكْبَ الثَّمِيرِ أَعْرَضَتْ وَكُنَّ مِنْ أَنْ يَلْقَيْنَهُ حَذِرَاتِ
ما كنتم؟ قال: كنتُ على حمار هزيل، ومعى صاحب لى على أتان مثله.

[مالك بن الريب والحجاج]

ومن هرب منه مالك بن الريب المازني، أحد بني مازن بن مالك بن عمرو ابن تميم، وفى ذلك يقول:

إِنْ تَنْصَفُونَا يَا لَ مَرُوانَ نَقْتَرِبُ إِلَيْكُمْ وَإِلَّا فَأَذْنُوا بِيَعَاذِ
فَإِنَّ لَنَا عَنْكُمْ مَزَاحًا وَمَزْحَلًا بَعِيسَ إِلَى رِيحِ الْفَلَاةِ صَوَادِ^(٢)
فَفِي الْأَرْضِ عَنْ دَارِ الْمَذَلَّةِ مَذْهَبٌ وَكُلُّ بِلَادٍ أَوْطِنْتَ كِبِلَادِي

(١) أسوم: اسم جبل.

(٢) مزاحا، مصدر ميمي من زاح إذا بعد. ومزحلا، مصدر ميمي من زحل، إذا تنحى وتباعد. العيس: الإبل البيض، والصوادي: العطاش.

كذا وقعت الرواية بضم الهمزة وكسر الطاء، والأصحُّ «أَوَطَنْتُ» بفتح الهمزة وفتح الطاء، قاله ش.

فماذا تُرى الحجاج يبلِّغُ جهدهُ
فلولا بنو مروانَ كان ابنُ يوسفَ
زَمانَ هو العبدُ المُقرُّ بذلَّةِ
إذا نحنُ جاوزنا حفيرَ زيادِ^(١)
كما كانَ عبداً من عبيدِ إيادِ
يرأوحُ صبيانُ القرى ويغادى

قال ذلك لأن الحجاج كان هو وأخوه مُعلِّمين بالطائف، وكان لقبه «كَلْبِيًّا»، وفي ذلك يقول القائل:

أَيَنْسَى كَلْبُ زَمانِ الهُزالِ
رَغِيفٌ لَهُ فَلَكَةٌ مَا تُرى
وتعلِّمُهُ سورةَ الكَوثرِ
وآخرُ كَالْقَمَرِ الأَزْهَرِ^(٢)

يقول: خَبُرُ المُعلِّمين يأتِي مختلفاً، لأنه من بيوتِ صبيانٍ مختلفي الأحوال.
وأنشد أبو عثمان عمرو بنُ بحرٍ الجاحظ:

أَمَا رَأَيْتَ بَنِي بَحْرٍ وَقَدْ حَفَلُوا
هَذَا طَوِيلٌ وَهَذَا حَنْبَلٌ جَحِدٌ
كَأَنَّهُمْ خُبِرُ بَقَالٍ وَكُتَّابٍ
يَمْشُونَ خَلْفَ عُمَيْرٍ صَاحِبِ البَابِ^(٣)

وفي لقبه يقول آخرٌ من أهل الطائف:

كَلْبٌ تَمَكَّنَ فِي أَرْضِكُمْ
وقد كان فينا صَغِيرَ الحَظَرِ

ولما دخل الحجاجُ مكةَ اعتذرَ إلى أهلها لقلَّةِ ما وصلهم به، فقال قائلٌ منهم: إِذْنُ وَاللَّهِ لَا نَعُذْرُكَ وَأَنْتَ أَمِيرُ الْعِرَاقَيْنِ وَابْنُ عَظِيمِ الْقَرِيتَيْنِ ! وذلك أنَّ عُرْوَةَ بْنَ مَسْعُودٍ وَلَدَهُ مِنْ قَبْلِ أُمِّهِ. وتَأْوِيلُ قولِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرِيتَيْنِ عَظِيمٍ﴾^(٤) مجازُهُ في العريية: «على رجلٍ من

(١-) حفير زياد: نهر احتفره زياد على خمس ليالٍ من البصرة.

(٢) الفلكة: مستدار كل شيء.

(٣) الحنبل: القصير الضخم. والجاحد: ضائق العيش.

(٤) سورة الزخرف ٣١.

رجلين من القريتين عظيم»، والقريتان: مكة والطائف، والرجلان: عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ، والآخرُ الْوَكِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ مَخْزُومٍ. وَيُرْوَى أَنَّ أَبَا بَكْرَ الصِّدِّيقَ رَحِمَهُ اللَّهُ مَرَّ بِقَبْرِهِ وَمَعَهُ خَالِدٌ، فَقَالَ: أَصْبَحَ جَمْرَةً فِي النَّارِ، فَأَجَابَهُ خَالِدٌ فِي ذَلِكَ بِجَوَابٍ غَيْرٍ مَرْضِيٍّ.

[مقتل عروة بن مسعود]

وَأَمَّا عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بعثه إلى الطائف يدعوهم إلى الإسلام، فَرَقِيَ سَطْحَهُ، فَرَمَاهُ رَجُلٌ بِسَهْمٍ فَقَتَلَهُ، فَلَمَّا وَجَّهَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْعَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَحِمَهُ اللَّهُ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ أَبْطَأَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «رُدُّوْا عَلَيَّ أَبِي، أَمَّا لَيْتَنِي فَعَلْتُ بِهِ قَرِيشٌ مَا فَعَلْتُ ثَقِيفٌ بِعُرْوَةَ بْنِ مَسْعُودٍ لِأَضْرِمَنَهَا عَلَيْهِمْ نَارًا». يُقَالُ: رَقَيْتُ السَّطْحَ وَمَا كَانَ مِثْلَهُ أَرْقَاهُ، مِثْلُ خَشْيَتِهِ أَخْشَاهُ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿أَوْ تَرَفَّى فِي السَّمَاءِ﴾^(١)، وَيُقَالُ: رَقَيْتُ اللَّذِيعَ أَرْقِيهِ، مِثْلُ رَمَيْتِهِ أَرْمِيهِ. وَيُقَالُ: مَا رَقَأْتُ عَيْنَهُ مِنَ الدَّمْعِ، مَهْمُوزٌ «تَرْقَأُ» يَا فَتَى، مِثْلُ «قَرَأْتَ تَقْرَأُ» يَا فَتَى.

[في موت ابن الحجاج وأخيه]

وَكَانَ الْحَجَّاجُ رَأَى فِي مَنَامِهِ أَنَّ عَيْنَيْهِ قُلْعَتَا، فَطَلَّقَ الْهِنْدَيْنِ: هِنْدًا بِنْتُ الْمُهَلَّبِ، وَهِنْدًا بِنْتُ أَسْمَاءَ بِنِ خَارِجَةَ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ جَاءَهُ نَعْيُ أَخِيهِ مِنَ الْيَمَنِ فِي الْيَوْمِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ ابْنُهُ مُحَمَّدٌ، فَقَالَ: هَذَا وَاللَّهِ تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ! مُحَمَّدٌ وَمُحَمَّدٌ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ!

حَسْبِي بَقَاءُ اللَّهِ مِنْ كُلِّ مَيِّتٍ وَحَسْبِي رَجَاءُ اللَّهِ مِنْ كُلِّ هَالِكٍ
إِذَا كَانَ رَبُّ الْعَرْشِ عَنِّي رَاضِيًّا فَإِنَّ شِفَاءَ النَّفْسِ فِيمَا هُنَالِكَ^(٢)

وَقَالَ: مَنْ يَقُولُ شِعْرًا يُسَلِّينِي بِهِ؟ فَقَالَ الْفَرَزْدَقُ:

إِنَّ الرِّزْيَةَ لَا رَزِيَّةَ مِثْلُهَا فُقْدَانُ مِثْلِ مُحَمَّدٍ وَمُحَمَّدٍ
مَلِكَانِ قَدْ خَلَّتِ الْمَنَابِرُ مِنْهُمَا أَخَذَ الْحِمَامُ عَلَيْهِمَا بِالْمَرْصَدِ

(١) سورة الإسراء ٩٣.

(٢) زيادات ر: «ويروى: فإن سرور النفس».

فقال: لو زِدْتَنِي ! فقال الفرزدق:

إِنِّي لَبَاكَ عَلَى ابْنِي يُوسُفَ جَزَعًا
مَا سَدَّ حَيًّا وَلَا مَيَّتٌ مَسَدَهُمَا
ومثلُ فَقْدَهُمَا لِلدَّيْنِ يُبْكِينِي
إِلَّا الْخَلَائِفَ مِنْ بَعْدِ النَّبِيِّينِ

فقال له: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا، إِنَّمَا زِدْتَ فِي حُزْنِي، فقال الفرزدق:

لَئِنْ جَزَعَ الْحَجَّاجُ مَا مِنْ مُصِيبَةٍ
مِنَ الْمُصْطَفَى وَالْمُصْطَفَى مِنْ خِيَارِهِمْ
أَخٌ كَانَ أَغْنَى أَيْمَنَ الْأَرْضِ كُلَّهُ
جَنَاحًا عَقَابٍ فَارْقَاهُ كِلَاهُمَا
تَكُونُ لِمَحْزُونٍ أَجَلٌ وَأَوْجَعَا
جَنَاحَيْهِ لَمَّا فَارَقَاهُ فَوَدَّعَا
وَأَغْنَى ابْنَهُ أَهْلَ الْعِرَاقَيْنِ أَجْمَعَا
وَلَوْ نَزَعَا مِنْ غَيْرِهِ لَتَضَعُضَعَا

فقال: الْآنَ.

أَمَّا قَوْلُهُ: «إِلَّا الْخَلَائِفَ مِنْ بَعْدِ النَّبِيِّينَ» فَخَفَضَ هَذِهِ النُّونَ، وَهِيَ نُونُ الْجَمْعِ، وَإِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ جَعَلَ الْإِعْرَابَ فِيهَا لَا فِيمَا قَبْلَهَا، وَجَعَلَ هَذَا الْجَمْعَ كَسَائِرِ الْجَمْعِ، نَحْوِ أَفْلَسٍ، وَمَسَاجِدَ، وَكِلَابٍ، فَإِنْ إِعْرَابَ هَذَا كإِعْرَابِ الْوَاحِدِ، وَإِنَّمَا جَازَ ذَلِكَ؛ لِأَنَ الْجَمْعَ يَكُونُ عَلَى أَبْنِيَّةٍ شَتَّى، وَإِنَّمَا يُلْحَقُ مِنْهُ بِمَنْهَاجِ الثَّنِيَّةِ مَا كَانَ عَلَى حَدِّ الثَّنِيَّةِ لَا يَكْسُرُ الْوَاحِدُ عَنْ بِنَائِهِ، وَإِلَّا فَلَا، فَإِنَّ الْجَمْعَ كَالْوَاحِدِ، لِاخْتِلَافِ مَعَانِيهِ، كَمَا تَخْتَلِفُ مَعَانِي الْوَاحِدِ، وَالثَّنِيَّةُ لَيْسَتْ كَذَلِكَ؛ لِأَنَّهُا ضَرَبٌ وَاحِدٌ، وَلَا يَكُونُ اثْنَانُ أَكْثَرَ مِنْ اثْنَيْنِ عَدَدًا، كَمَا يَكُونُ الْجَمْعُ أَكْثَرَ مِنَ الْجَمْعِ، فَمِمَّا جَاءَ عَلَى هَذَا الْمَذْهَبِ قَوْلُهُمْ: هَذِهِ سِنِينَ، فَاعْلَمْ، وَهَذِهِ عَشْرِينَ، فَاعْلَمْ، قَالَ الْعَدَوَانِي:

إِنِّي أَبِيُّ أَبِيُّ ذُو مُحَافَظَةٍ
وَأَنْتُمْ مَعْشَرُ زَيْدٍ عَلَى مَائَةٍ
وَابْنُ أَبِيُّ أَبِيُّ مِنْ أَبِيِّينِ
فَأَجْمَعُوا كَيْدَكُمْ طَرًّا فَكَيْدُونِي

وَقَالَ سُحَيْمُ بْنُ وَثِيلٍ:

وَمَاذَا يَدْرِي الشُّعْرَاءُ مِنِّي
أَخُو خَمْسِينَ مُجْتَمِعٍ أَشَدَّيْ
وَقَدْ جَاوَزْتُ حَدَّ الْأَرْبَعِينَ !
وَنَجَّذْنِي مُدَاوِرَةَ الشُّؤْنُونِ

وَفِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾ (١).

(١) سورة الحاقة ٣٩.

فإن قال قائل: فإن «غسليناً» واحدٌ، فإنه كلُّ ما كان على بناء الجمع من الواحد فإعرابه كإعراب الجمع، ألا ترى أن «عشرين» ليس لها واحدٌ من لفظها، وإعرابها كإعراب «مُسْلِمِينَ» واحدهم «مُسْلِمٌ»! وكذلك جميع الأعراب. وتقول: «هذه فلسطون» يا فتى، و«رأيتُ فلسطين» يا فتى، هذا القولُ الأجودُ وكذلك «يبرين»، وفي الرفع «يبرون» يا فتى، وكلُّ ما أشبهَ هذا فهو بمنزلته، تقول: «قنسرُون»، و«رأيتُ قنسرِينَ»، والأجودُ في هذا البيت (١):

وَشَاهِدُنَا الْجَلُّ وَالْيَاسِمُو نَ وَالْمُسْمِعَاتُ بِقُصَابِهَا (٢)

وفى القرآن ما يُصَدِّقُ ذلك قولُ الله عزَّ وجلَّ: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْإِبْرَارِ لَفِي عِلِّيْنَ﴾ وما أدراك ما عليون (٣)، فمن قال: «هذه قنسرُونٌ وَيبرُون»، فنسب إلى واحدٍ منهما رجلاً أو شيئاً قال: «هذا رجل قنسرِي وَيبرِي»، بحذف النون والواو لمجئ حرفي النسب، ولو أثبتتهما لكان في الاسم رفَعَان ونَصْبَان وجَرَان؛ لأنَّ الياء مرفوعةٌ، والواو علامةُ الرفع. ومن قال: «قنسرِينَ» كما ترى قال في النسب: «قنسرِينِي» لأنَّ الإعراب في حرف النسب، وانكسرتِ النونُ كما ينكسر كلُّ ما لحقه النسب.

وأما قوله: «ونَجْدَنِي مُدَاوِرَةَ الشُّثُونِ»، فمعناه: فَهَمَنِي وَعَرَفَنِي، كما يقال: حَنَكْتُهُ التَّجَارِبَ، والناجذُ: آخر الأضراس، من ذلك قولهم: ضحك حتى بدت نَوَاجِذُهُ. والشُّثُونُ: جمعُ «شُثَانٍ» مهموزٌ، وهو الأمر.

وقال المفسرون من أهل الفقه وأهل اللغة في قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾: هو غَسَالَةُ أَهْلِ النَّارِ، وقال النحويون: هو «فَعْلِين» من الغُسَالَةِ.

[بكلمة عمر بن عبد العزيز في الولاية الظالمين]

وَيُرَوَّى أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ خَرَجَ يَوْمًا فَقَالَ: الْوَكِيدُ بِالْشَّامِ، وَالْحَجَّاجُ بِالْعِرَاقِ، وَقُرَّةُ بْنُ شَرِيكٍ بِمِصْرَ، وَعُثْمَانُ بْنُ حَيَّانَ بِالْحِجَازِ، وَمُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ بِالْيَمَنِ! اِمْتَلَأَتِ الْأَرْضُ وَاللَّهُ جَوْرًا!.

(١) زيادات ر: «هو الأعشى».

(٢) زيادات ر: «الجل: الورد». «والقصاب: الأوتار، وقيل الزمار»، والمسمعات: الجوارى المغنيات.

(٣) سورة المطففين ١٨، ١٩.

[كتاب الحجاج إلى الوليد بن عبد الملك]

وكتب الحجاجُ إلى الوليد بن عبد الملك بعد وفاة محمد بن يوسف: «أخبر أمير المؤمنين - أكرمه الله - أنه أصيبَ لمحمد بن يوسف خمسون ومائة ألف دينار، فإن يكنْ أصابها من حلّها فرحمه الله، وإن تكن من خيانة فلا رحمه الله!» فكتب إليه الوليد: «أما بعد، فقد قرأَ أمير المؤمنين كتابك فيما خلفَ محمد بن يوسف، وإنما أصاب ذلك المال من تجارةٍ له أحلّلناها، فترحم عليه، رحمه الله!»

[من كلام معاوية لابنه يزيد]

ويروى أن يزيد بن معاوية قال لمعاوية في يوم بُويِعَ له على عهده، فجعل الناس يمدحونه ويُقرّطونه: «يا أمير المؤمنين، والله ما ندرى، أنخدع الناس أم يخدعوننا!» فقال له معاوية: «كلُّ من أردتَ خديعته فتخادع لك حتى تبلغ منه حاجتك فقد خدعته».

[كتاب الحجاج إلى عبد الملك]

ويروى أن الحجاجَ كتبَ إلى عبد الملك بن مروان: «وبلغني أن أمير المؤمنين عطسَ عطسةً فشتمته قوم فقال: يغفر الله لنا ولكم، فيا ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً!»

[تفجع الوليد لموت الحجاج]

وزعم الأَصمعيُّ قال: خرجَ الوليدُ يوماً على الناس وهو مُشعّانُ الرأسِ، فقال: مات الحجاجُ بنُ يوسف، وقرةُ بن شريك، وجعلَ يتفجعُ عليهما. قوله: «مُشعّانُ الرأسِ» يعني مُنتفخَ الشعرِ^(١) متفرقه.

ومثلُ هذا لا يكونُ في شعرٍ، لأن في هذا التقاء ساكنين، ولا يقعُ مثلُ هذا في وزن الشعر، إلّا فيما تقدم ذكره في المُتقارب، وليس ذا على ذلك الوزن.

[رسول عمر بن عبد العزيز إلى إليون ملك الروم]

وحدّث أنَّ عمرَ بن عبد العزيز رحمه الله وجّهَ عبد الله بن عبد الأعلى ومعه رجل من عنسٍ إلى إليون، فقال العنسيُّ: فخلاً بي عمرُ دونه، وقال لي:

(١) زيادات ر: «والرواية منتفخ» والصحيح «منتفش» قاله ابن سراج.

احفظ كل ما يكون منه، فلما صرنا إليه صرنا إلى رجل عربى اللسان، إنما نشأ بمرعش^(١)، فذهب عبد الله ليتكلم، فقلت: على رسلك، فحمدت الله وصليت على نبيه ﷺ، ثم قلت: إني وجهت بالذى وجه به هذا، وإن أمير المؤمنين يدعوكم إلى الإسلام، فإن تقبله تصب رشدك، وإنى لأحسب أن الكتاب قد سبق عليك بالشقاء، إلا أن يشاء الله غير ذلك، فإن قبلت وإلا فاكتب جواب كتابنا. قال: ثم تكلم عبد الله، فحمد الله وصلى على نبيه ﷺ، وذهب فى القول - وكان مفوهاً - فقال له إليون: يا عبد الله! ما تقول فى المسيح؟ فقال: روح الله وكلمته، فقال: أ يكون ولد من غير فحل! فقال عبد الله: فى هذا نظر! فقال: أى نظر فى هذا؟ إماً نعم وإماً لا! فقال عبد الله: آدم خلقه الله من تراب، فقال: إن هذا أخرج من رحم، قال: فى هذا نظر! قال له إليون بالرومية: إني أعلم أنك لست على دينى ولا على دين الذى أرسلك - قال: وأنا أفهم بالرومية - ثم قال: أتعظمون يوماً غير يوم الجمعة؟ فقال: نعم، فقال: وما ذلك اليوم، أمن أعيادكم هو؟ فقال: لا، قال: فلم تعظمونه؟ قال: عيد لقوم كانوا صالحين قبل أن يصير إليكم، قال: فقال له إليون بالرومية: قد علمت أنك لست على دينى ولا على دين الذى أرسلك، فقال له عبد الله: أتدرى ما يقول أهل السفة؟ قال: وما يقولون؟ قال: يقولون: قال إبليس: أمرت ألا أسجد إلا لله، ثم قيل لى: اسجد لأدم، قال: فقال له بالرومية: الأمر فيك أبين من ذلك، قال: ثم كتب جواب كتيبا، قال: فرجعنا إلى عمر بها، قال: فخبّرناه بما أردنا ثم نهضنا، فردّنى إليه من باب الدار فخلا بى، فأخبرته، فقال: لعنه الله! لقد كانت نفسى تأباه، ولم أحسبه يجترئ على مثل هذا، قال: فلما خرجت قال لى عبد الله: ما الذى قال لك؟ قال: قلت قال لى: أطمع فيه؟ قلت: لا.

[الشعبى عند صاحب الروم]

ولما وجه عبد الملك الشعبى إلى صاحب الروم فكلّمه، قال له صاحب الروم بعد انقضاء ما بينهما: أمن أهل بيت المملكة أنت؟ قال: قلت: لا، ولكنى رجل

(١) مرعش: مدينة بين الشام وبلاد الروم.

من العرب، قال: فكتب معى رُقعةً، وقال لى: إذا أَدَيْتَ جوابَ ما جئتَ له فأَدِ هذه الرُقعةَ إلى صاحبك، قال: فلَمَّا رَجَعْتُ إلى عبد الملك فأعطيتهُ جوابَ كتابه وخبرتهُ بما دارَ بيننا نَهَضْتُ، ثم ذَكَرْتُ الرُقعةَ، فرجعتُ فدفعْتُها إليه، فلَمَّا وَلَّيْتُ دعانى، فقال لى: أَتَدْرِى ما فى هذه الرُقعة؟ قلتُ: لا، قال: فيها «العَجَبُ لِقوم فيهم مثلُ هذا كيفَ وَلَّوْا أُمُورَهُم غَيْرَهُ»، قال: فلَمَّا وَلَّيْتُ دعانى، فقال لى: أَتَدْرِى ما أَرَادَ بهذا، قلتُ: لا، قال: حَسَدَنى عليك، فأَرَادَ أَنْ أَقْتُلَكَ، قال: فقلتُ: إِنَّمَا كَثُرْتُ عِنْدَهُ - يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - لَأَنَّهُ لَمْ يَرَكَ، قال: فرجَعَ الكلامَ إلى مَلِكِ الرُومِ، فقال: اللَّهُ أَبُوه ! ما عَدَا ما فى نَفْسِي !

[معاوية وأحد بطارقة الروم]

وَحَدَّثْتُ أَنَّ مَعَاوِيَةَ، كان إذا أَتاه عن بِطَرِيقٍ من بَطَارِقَةِ الرُومِ كَيْدٌ للإسلام احتالَ له، فَأَهْدَى إِلَيْهِ وَكَاتِبَهُ، حتى يُغْرِى بِهِ مَلِكَ الرُومِ، فكانت رُسُلُهُ تَأْتِيهِ فتُخْبِرُهُ بأن هناك بِطَرِيقًا يُؤْذِي الرُّسُلَ، وَيَطْعُنُ عَلَيْهِمُ، ويسئُ عَشْرَتَهُمْ، فقال معاويةُ: أَى ما فى عَمَلِ الإسلامِ أَحَبُّ إِلَيْهِ؟ فقليلُ له: الخِفافُ الحُمْرُ، وَدُهْنُ البَنانِ، فَأَلْطَفَهُ بِهِمَا، حتى عَرَفَتْ رُسُلُهُ باعْتِيادَهُ، ثم كَتَبَ كِتَابًا إِلَيْهِ، كأنه جوابُ كتابه منه، يُعَلِّمُهُ فِيهِ أَنَّهُ وَثِقَ بِمَا وَعَدَهُ بِهِ مِنْ نَصْرِهِ وَخِذْلَانِ مَلِكِ الرُومِ. وَأَمَرَ الرُّسُولَ بِأَنْ يَتَعَرَّضَ لِأَنْ يُظْهَرَ عَلَى الكِتَابِ، فلَمَّا ذَهَبَتْ رُسُلُهُ فى أَوْقاتِها ثم رَجَعَتْ إِلَيْهِ، قال: ما حَدَثَ هناك؟ قالوا: فلانُ البَطَرِيقِ رأيناهُ مَقْتُولًا مَصْلُوبًا، فقال: وَأَنَا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ! (١).

[رسولاً ملك الروم عند معاوية]

وَحَدَّثْتُ أَنَّ مَلِكَ الرُّومِ فى ذَلِكَ الْأَوَّانِ وَجَّهَ إِلَى مَعَاوِيَةَ: «إِنَّ الْمُلُوكَ قَبْلَكَ كانت تُرَأْسِلُ الْمُلُوكَ مِنَّا، وَيَجْهَدُ بَعْضُهُمْ فى أَنْ يُغْرِبَ عَلَى بَعْضٍ، أَفَتَأْذَنُ فى ذَلِكَ؟». فَأَذِنَ لَهُ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ بِرَجُلَيْنِ: أَحَدُهُما طَوِيلٌ جَسِيمٌ، وَالْآخَرُ أَيْدٌ، فقال معاويةُ لِعَمْرٍو (٢): أَمَّا الطَوِيلُ فَقَدْ أَصَبْنَا كُفَّاهُ - وَهُوَ قَيْسُ بْنُ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ - وَأَمَّا

(١) قال المصنفى: «يريد أغريت بما صنعت له ملك الروم حتى قتله وصلبه وأنا المعروف بالكيد والدهاء، وعبد الرحمن ولده من فاختة بنت قرظة».

(٢) يريد عمرو بن العاص.

الآخر الأيْدُ فقد احتَجْنَا إلى رأيِكَ فيه، فقال: هاهنا رجلان، كلاهُما إليك بَغِيضٌ: مُحَمَّدُ بْنُ الْحَنْفِيَّةِ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ، فقال معاويةُ: مَنْ هُوَ أَقْرَبُ إِلَيْنَا على حالٍ. فلما دخلَ الرجلانِ وَجَّهَ إلى قيسِ بنِ سعدِ بنِ عُبَادَةَ يُعَلِّمُهُ، فدخلَ قيسٌ، فلما مَثَلَ بين يَدَيِ معاويةَ نَزَعَ سَرَاويلَهُ فرمى بها إلى العَلَجِ، فلبسها فَنالت تُنْدُوتُهُ^(١)، فَأَطْرَقَ مَغْلُوبًا، فَحَدَّثْتُ أَنَّ قَيْسًا لَيْمَ في ذلك، فَقِيلَ لَهُ: لِمَ تَبَدَّلْتَ هذا التَّبَدُّلَ بِحَضْرَةِ معاويةَ، هَلَّا وَجَّهْتَ إلى غيرها! فقال:

أَرَدْتُ لِكَيْمًا يَعْلَمَ النَّاسُ أَنَّهَا	سَرَاوِيلُ قَيْسٍ وَالْوُفُودُ شُهُودُ
وَأَلَّا يَقُولُوا: غَابَ قَيْسٌ وَهَذِهِ	سَرَاوِيلُ عَادَى نَمَتُهُ ثُمَّودُ
وَإِنِّي مِنَ الْقَوْمِ الْيَمَانِينَ سَيِّدُ	وَمَا النَّاسُ إِلَّا سَيِّدٌ وَمَسُودُ
وَبَدَّ جَمِيعَ الْخَلْقِ أَصْلَى وَمَنْصَبِي	وَجَسْمٌ بِهِ أَعْلُو الرِّجَالِ مَدِيدُ

وكان قيسٌ سَنَاطًا^(٢)، فكانت الأَنْصَارُ تقول: لوددنا أنا اشترينا له لحية بأنصاف أموالنا، وسنذكر خبره بعد انقضاء الخبر إن شاء الله.

ثم وَجَّهَ إلى مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنْفِيَّةِ، فدخلَ، فَخَبَّرَ بما دُعِيَ لَهُ، فقال: فقولوا لَهُ: إِنْ شَاءَ فَلْيَجْلِسْ وَلْيُعْطِنِي يَدُهُ حَتَّى أُقِيمَهُ أَوْ يَقْعِدَنِي، وَإِنْ شَاءَ فَلْيَكُنِ الْقَائِمَ وَأَنَا الْقَاعِدَ، فاختارَ الرومِيُّ الجُلُوسَ، فأقامه مُحَمَّدٌ، وَعَجَزَ هُوَ عَنِ إِقْعَادِهِ، ثُمَّ اخْتَارَ أَنْ يَكُونَ مُحَمَّدٌ هُوَ الْقَاعِدَ، فَجَذَبَهُ فَأَقْعَدَهُ، وَعَجَزَ الرومِيُّ عَنِ إِقَامَتِهِ، فأنصَرَفاً مَغْلُوبَيْنِ.

[معاوية يهْدِي ملك الروم قارورة مملوءة ماء]

وحدثني أحدُ الهاشميين: أَنَّ مَلِكَ الرُّومِ وَجَّهَ إلى معاويةَ بقارورة، فقال: ابْعَثْ إلىَّ فيها من كلِّ شَيْءٍ، فَبَعَثَ إلىَّ ابْنُ عَبَّاسٍ، قال: لَتُمْلَأَ لَهُ مَاءً، فلما وَرَدَ بها على ملك الروم قال: لِلَّهِ أبوه ما أدهأه! فَقِيلَ لِأَبْنِ عَبَّاسٍ: كَيْفَ اخْتَرْتَ ذَلِكَ؟ فقال: لِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾^(٣).

(١) زيادات ر: «التنذوة: ما أسود حول الحلمة».

(٢) زيادات ر: «السناط والسنوط: أن يكون في الذقن شيء من الشعر، ولا يكون في العارضين شيء، فإن

لم يكن فيهما جميعاً فهو الثبط».

(٣) سورة الأنبياء ٣٠.

[طعم الماء]

وقيل لرجل من بنى هاشم - وهو جعفر بن محمد بن علي بن الحسين، وكان يُقدَّم في معرفته -: ما طعم الماء؟ فقال: طعم الحياة.

[محبة الله بن الزبير وعلاج لجيته]

وأما عبد الله بن الزبير فيذكر أهله أنه قال: عاجلتُ لجيتي لتتصل لي إلى أن بلغت ستين سنة، فلما أكملتُها يئستُ منها.

[من أخبار قيس بن سعد]

وكان قيس بن سعد شجاعاً جواداً سيِّداً، وجاءته عجوز قد كانت تألفه، فقال لها: كيف حالك؟ فقالت: ما في بيتي جردٌ، فقال: ما أحسن ما سألت! أما والله لأكثرنَّ جردان بيتك.

وكان سعد بن عبادة حيث توجه إلى حوران قسماً ماله بين ولده، وكان له حملٌ لم يشعُر به، فلما وُلد له، قال له عمر بن الخطاب - يعنى قيساً -: لأنقضنَّ ما فعل سعدٌ، فجاءه قيسٌ، فقال: يا أمير المؤمنين، نصيبى لهذا المولود، ولا تنقض ما فعل سعدٌ.

قال أبو العباس: حدثت بهذا الحديث من حيث أثق به: أن أبا بكر وعمر رحمهما الله مشياً إلى قيس بن سعد يسألانه في أمر هذا المولود، فقال: نصيبى له، لا أُغير ما فعل سعد.

وكان معاوية كتب إلى قيس بن سعد - وهو وإلى مصر لعلي بن أبي طالب رحمه الله -: «أما بعد، فإنك يهودى ابن يهودى، إن غلبَ أحبُّ الفريقين إليك عزلك واستبدل بك، وإن غلبَ أبغضُهما إليك قتلك، ومثل بك، وقد كان أبوك فوق سهمه، ورمى غرضه، فأكثر الحزَّ، وأخطأ المفضل، حتى خذله قومه، وأدركه يومه، فمات غريباً بحوران، والسلام».

فكتب إليه قيسٌ: «أما بعد، فإنك وثن ابن وثن، لم يقدم إيمانك، ولم يحدث نفاقك، دخلت في الدين كرهاً، وخرجت منه طوعاً، وقد كان أبى فوق

سَهْمَهُ، وَرَمَى غَرَضَهُ، فَسَعَيْتَ عَلَيْهِ أَنْتَ وَأَبُوكَ وَنَظَرَاؤُكَ، فَلَمْ تَشُقُّوا غُبَارَهُ، وَلَمْ تُدْرِكُوا شَأْوَهُ، وَنَحْنُ أَنْصَارُ الدِّينِ الَّذِي خَرَجْتَ مِنْهُ، وَأَعْدَاءُ الدِّينِ الَّذِي خَرَجْتَ إِلَيْهِ، وَالسَّلَامُ».

وكان قيسٌ موصوفًا مع جماعة قد بذُّوا الناسَ طولاً وجمالاً، منهم: العباسُ ابنُ عبدِ المطلبِ رحمه الله، وولدهُ، وجَرِيرُ بنُ عبدِ اللهِ البَجَلِيُّ، والأَشْعَثُ بنُ قيسِ الكِنْدِيِّ، وعَدِيُّ بنُ حاتمِ الطائِيِّ، وابنُ جَذَلِ الطَّعَّانِ الكِنَانِيِّ، وأبو زَيْدِ الطائِيِّ، وزَيْدُ الْخَيْلِ بنُ مُهَلِّهِ الطائِيِّ، وكانَ أَحَدُ هَؤُلَاءِ يُقَبِّلُ الْمَرْأَةَ عَلَى الْهُودَجِ، وكانَ يُقَالُ لِلرَّجُلِ مِنْهُمْ مُقَبِّلُ الظَّعْنِ، وكانَ طَلْحَةُ بنُ عُبَيْدِ اللَّهِ موصوفًا بِالتَّمَامِ.

باب

[لسليك بن السلكة]

قال أبو العباس: قال السُّلَيْكُ بْنُ السُّلْكََة - وهي أمّه، وكانت سوداء حبشية - وكان من غربان العرب، وهو السُّلَيْكُ بْنُ عُمَيْرِ السَّعْدِيِّ:

أَلَا عَتَبْتُ عَلَى فَصَارَمَتْنِي وَأَعْجَبَهَا ذُوو اللَّمَمِ الطَّوَالِ
فإِنِّي يَا بَنَةَ الْأَقْصَاومِ أُرْبِي عَلَى فِعْلِ الْوَضِيِّ مِنَ الرِّجَالِ
فَلَا تَصِلِي بِصُعْلُوكِ نَتُومِ إِذَا أَمْسَى يُعَدُّ مِنَ الْعِيَالِ
وَلَكِنْ كُلِّ صُعْلُوكِ ضُرُوبِ بَنَصِلِ السَّيْفِ هَامَاتِ الرِّجَالِ^(١)
أَشَابَ الرَّأْسَ أَنَّى كُلِّ يَوْمِ أَرَى لِي خَالَةً وَسَطَ الرِّحَالِ
يَشُقُّ عَلَى أَنْ يَلْقَيْنَ ضَيْمًا وَيَعْجِزُ عَنْ تَخْلُصِهِنَّ مَالِي

قوله:

* وَأَعْجَبَهَا ذُوو اللَّمَمِ الطَّوَالِ *

يعنى: الجُمَم، وإن شئتَ قلت: الجَمَام، يقال «جُمَّةٌ وَجُمَمٌ»، كقولك «ظُلْمَةٌ وَظُلَمٌ»، ويقال «جِمَامٌ» كقولك: «جَفْرَةٌ وَجِفَارٌ»^(٢) و«بُرْمَةٌ وَبِرَامٌ».

قال الشاعر:

إِذَا تَرَى لِمَتِي أَوْدَى الزَّمَانُ بِهَا وَشَيَّبَ الدَّهْرُ أَصْدَاغِي وَأَفْوَادِي

وقوله:

* عَلَى فِعْلِ الْوَضِيِّ مِنَ الرِّجَالِ *

يريد: الجميل، وهو «فَعِيلٌ» مِنْ «وَضُوٌّ يَوْضُوٌّ» يَا فَتَى، تَقْدِيرُهُ «كَرَّمَ يَكْرُمُ»، وهو كريمٌ، وَمَصْدَرُهُ «الْوَضَاءُ» وَكَذَلِكَ «قَبَحٌ يَقْبَحُ قَبَاحَةً»، وَ«سَمَحٌ يَسْمَحُ سَمَاحَةً»، وَيَقَالُ: «مَا كُنْتُ وَضِيئًا»، وَ«لَقَدْ وَضُوْتُ بَعْدَنَا».

وقوله: «فَلَا تَصِلِي بِصُعْلُوكِ»، يَقُولُ لَا تَتَّصِلِي بِهِ، كَمَا قَالَ ابْنُ أَحْمَرَ:
وَلَا تَصِلِي بِمَطْرُوقٍ إِذَا مَا سَرَى فِي الْقَوْمِ أَصْبَحَ مُسْتَكِينًا

(١) زيادات ر: «كل خبر ابتداء والتقدير: همك».

(٢) زيادات ر: «الجفرة: هي الحفرة العظيمة».

إِذَا شَرِبَ الْمُرِضَةَ قَالَ أَوْحَى - عَلَى مَا فِي سِقَائِكَ قَدْ رَوَيْنَا^(١)
فَالصُّعْلُوكُ: الَّذِي لَا مَالَ لَهُ، قَالَ الشَّاعِرُ^(٢):

كَأَنَّ الْفَتَى لَمْ يَعْرِ يَوْمًا إِذَا اكْتَسَى وَلَمْ يَكُ صُعْلُوكًا إِذَا مَا تُمُولَا
وقوله: «نُومٌ» يَصِفُهُ بِالْبَلَادَةِ وَالْكَسَلِ، وَكَانَتِ الْعَرَبُ تَمْدَحُ بِخَفَّةِ الرِّعَاسِ
عَنِ النَّوْمِ، وَتَذَمُّ النَّوْفَةَ، كَمَا قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ لِمُؤَدِّبٍ وَلَدِهِ: عَلَّمَهُمُ الْعَوْمَ، وَخَذَهُمُ
بِقَلَّةِ النَّوْمِ. وَإِنَّمَا تَوَجَّعَ لِحَالَاتِهِ لِأَنَّهُنَّ كُنَّ إِمَاءً.

[النجباء من أولاد السراى]

وَيُرَوَّى عَنْ رَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ - لَمْ يُسَمَّ لَنَا - قَالَ: كُنْتُ أَجَالِسُ سَعِيدَ بْنِ
الْمُسَيَّبِ، فَقَالَ لِي يَوْمًا: مَنْ أَخْوَالُكَ؟ فَقُلْتُ: أُمِّي فَتَاةٌ، فَكَأَنِّي نَقَصْتُ فِي عَيْنِهِ،
فَأَمْهَلْتُ حَتَّى دَخَلَ عَلَيْهِ سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْخَطَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ، فَلَمَّا
خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ قُلْتُ: يَا عَمُّ! مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: يَا سُبْحَانَ اللَّهِ! أَتَجْهَلُ مِثْلَ هَذَا مِنْ
قَوْمِكَ! هَذَا سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عُمَرَ، قُلْتُ: فَمَنْ أُمُّهُ؟ قَالَ: فَتَاةٌ، قَالَ: ثُمَّ أَتَاهُ
الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ رَحِمَهُ اللَّهُ، فَجَلَسَ عِنْدَهُ ثُمَّ نَهَضَ، فَقُلْتُ:
يَا عَمُّ! مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: أَتَجْهَلُ مَنْ أَهْلَكَ مِثْلَهُ! مَا أَعْجَبَ هَذَا! هَذَا الْقَاسِمُ بْنُ
مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ، قُلْتُ: فَمَنْ أُمُّهُ؟ قَالَ: فَتَاةٌ، فَأَمْهَلْتُ شَيْئًا حَتَّى جَاءَهُ
عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ ثُمَّ نَهَضَ،
فَقُلْتُ: يَا عَمُّ، مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا الَّذِي لَا يَسَعُ مُسْلِمًا أَنْ يَجْهَلَ! هَذَا عَلِيُّ بْنُ
الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، قُلْتُ: فَمَنْ أُمُّهُ؟ قَالَ: فَتَاةٌ، قَالَ: قُلْتُ: يَا عَمُّ!
رَأَيْتُنِي نَقَصْتُ فِي عَيْنِكَ لَمَّا عَلِمْتَ أَنِّي لَأُمُّ وَلَدٍ، أَفَمَا لِي فِي هَؤُلَاءِ أَسْوَةٌ! قَالَ:
فَجَلَلْتُ فِي عَيْنِهِ جِدًّا.

وَكَانَتْ أُمُّ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ «سُلَافَةً» مِنْ وَلَدِ يَزْدَجَرْدَ، مَعْرُوفَةَ النَّسَبِ،
وَكَانَتْ مِنْ خَيْرَاتِ النِّسَاءِ.

وَيُرَوَّى أَنَّهُ قِيلَ لِعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ: إِنَّكَ مِنْ أَبَرِّ النَّاسِ، وَلَسْتَ
تَأْكُلُ مَعَ أُمِّكَ فِي صَحْفَةٍ؟ فَقَالَ: أَكْرَهُ أَنْ تَسْبِقَ يَدِي إِلَى مَا قَدْ سَبَقَتْ إِلَيْهِ عَيْنُهَا
فَأَكُونُ قَدْ عَقَّقْتُهَا.

(١) زيادات ر: «إِذَا صَبَّ لَبَنٌ حَلِيبٌ عَلَى حَامِضٍ، فَهِيَ الْمُرِضَةُ وَأَوْكَى: شَدَّ بِهِ بِالْوَكَاءِ، وَهُوَ كُلُّ شَيْءٍ يَسُدُّ
بِهِ فَمِ السَّقَاءِ. (٢) زيادات ر: «جَابِرُ بْنُ ثَعْلَبَةَ الطَّائِي».

وكان يقال له: ابنُ الْخَيْرَتَيْنِ^(١) لقول رسول الله ﷺ: «لله من عباده خَيْرَتَانِ، فَخَيْرُهُ مِنَ الْعَرَبِ قُرَيْشٌ، وَمِنَ الْعَجَمِ فَارِسٌ». وكانت سُلَافَةُ عَمَّةٍ أُمُّ يَزِيدِ النَّاقِصِ أَوْ أُخْتِهَا.

وقال رجلٌ من وَلَدِ الْحَكَمِ بْنِ أَبِي الْعَاصِي، يقال له عُيَيْدُ اللَّهِ بْنِ الْحُرِّ - وكان شاعراً متقدِّماً، وَكَانَ لَأُمِّ وَلَدٍ، وهو من وَلَدِ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ -:

فَإِنْ تَكُ أُمِّي مِنْ نِسَاءِ أَفْأَاهَا جِيَادُ الْقَنَا وَالْمَرْهَفَاتِ الصَّفَائِحِ
فَتَبًّا لِفَضْلِ الْحُرِّ إِنْ لَمْ أَتْلُ بِهِ كَرَائِمَ أَوْلَادِ النِّسَاءِ الصَّرَائِحِ
وَلَمَّا أَخَذَ هَذَا مِنْ قَوْلِ عَنَّتَرَةَ:

وَأَنَا أَمْرٌ مِنْ خَيْرِ عَبَسٍ مَنْصِبًا شَطْرِي^(٢) وَأَحْمِي سَائِرِي بِالْمُنْصَلِ
وَأُنْشِدُ لِبِلَالِ بْنِ جَرِيرٍ - وبلغه أن موسى بن جرير كان إذا ذكره نسبته إلى أمه، لأنه ابنُ أُمِّ وَلَدٍ، فيقول: قال ابنُ أُمِّ حَكِيمٍ، فقال بلال:

يَا رَبَّ خَالٍ لِي أَغَرَّ أَبْلَجَا مِنْ آلِ كِسْرَى يَغْتَذِي مُتَوَجًّا
لَيْسَ كَخَالٍ لَكَ يُدْعَى عَشْنَجَا
وَالْعَشْنَجُ: الْمُتَقَبِّضُ الْوَجْهِ السَّيِّئُ الْمُنْظَرُ.

وَكَانَ سَبَبُ أُمِّ بِلَالٍ عِنْدَ جَرِيرٍ أَنْ جَرِيرًا فِي أَوَّلِ دُخُولِهِ الْعِرَاقَ دَخَلَ عَلَى الْحَكَمِ بْنِ أَيُّوبَ بْنِ أَبِي عَقِيلٍ الثَّقَفِيِّ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّ الْحَجَّاجِ، وَعَامِلُهُ عَلَى الْبَصْرَةِ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ جَرِيرٌ:

أَقْبَلَنْ مِنْ تَهْلَانٍ أَوْ وَادِي خَيْمٍ عَلَى قَلَاصٍ مِثْلَ خَيْطَانِ السَّلَمِ^(٣)
إِذَا قَطَعْنَ عِلْمًا بَدَأَ عِلْمٌ حَتَّى أَنْخَنَاهَا إِلَى بَابِ الْحَكَمِ
خَلِيفَةُ الْحَجَّاجِ غَيْرِ الْمُتَّهَمِ فِي ضِيْضِي الْمَجْدِ وَبَحْبُوحِ الْكَرَمِ

فَكُتِبَ الْحَكَمُ بَعْدَ أَنْ قَاطَنَهُ^(٤) إِلَى الْحَجَّاجِ، وَذَلِكَ فِي أَوَّلِ سَبَبِهِ: إِنَّهُ قَدِمَ

(١) زيادات ر: «بتحريك الياء أفصح». (٢) زيادات ر: «شطري، مبتدأ، والخبر في المجرور قبله». (٣) القلاص: جمع قلوص، وهي الناقة الفتية، وخييطان: جمع خطوط وهي الغضة الناعم، والسلم: ضرب من الشجر.

(٤) قاطنه: راجعه في الكلام.

على أعرابي ياقعة^(١) لم أر مثله. فكتب إليه الحجاج أن يحمله معه، فلما دخل عليه قال له: بلغني أنك ذو بديهة، فقل في هذه الجارية - لجارية قائمة على رأسه - فقال جرير: مالي أن أقول فيها حتى أتأملها، ومالي أن أتأمل جارية الأمير! فقال: بلى، فتأملها واسألها، فقال لها: ما اسمك يا جارية؟ فأمسكت، فقال لها الحجاج: خبريه يا لخناء، فقالت: أُمّامة، فقال جرير:

ودّع أُمّامة حان منك رحيلٌ إنَّ الوداع لمن تحبُّ قليلٌ
مثل الكثيب تمألت أعطافه فالريحُ تجبرُ متنه وتهيلُ
هذي القلوب صَوَادِيًا تيمتها وأرى الشفاء وما إليه سِيلُ

فقال له الحجاج: قد جعل الله لك السَّيْلَ إليها، خذها هي لك. فضرب بيده إلى يدها، فتمنعت عليه، فقال:

إِنْ كَانَ طَبِّكُمْ الدَّلَالُ فَإِنَّهُ حَسَنُ دَلَالِكَ يَا أُمَامَ جَمِيلُ

[ش: بنصب «الطَّبِّ» ورفع «الدَّلَالِ»، وبالعكس، برفع «الطب» ونصب الدلال]. والطَّبُّ هنا: المذهبُ، والدَّلَالُ: الدَّالَّةُ.]

فاستضحك الحجاجُ، وأمرَ بتجهيزها معه إلى اليمامة. وخبرت أنها كانت من أهل الرِّىِّ، وكان إخوتها أحرارًا، فاتبعوه، فأعطوه بها حتى بلغوا عشرين ألفًا، فلم يفعل، ففى ذلك يقول:

إذا عَرَضُوا عَشْرِينَ أَلْفًا تَعَرَّضْتُ لأُمِّ حَكِيمٍ حَاجَةٌ هِيَ مَا هِيََا
لَقَدْ زِدْتَ أَهْلَ الرِّىِّ عِنْدِي مَوَدَّةً وَحَبَبْتُ أَضْعَافًا إِلَى الْمَوَالِيَا

فأولدها حكيماً وبلالا وحزرة، بنى جرير، هؤلاء من أذكر من ولدها.

ويقال: إنَّ الحِمَانِيَّ^(٢) قاولَ بلالا ذات يوم فيما كان بينهما من الشرِّ، فقال: يا بن أُمِّ حَكِيمٍ، فقال له بلال: مَا تَذْكُرُ من ابنة دهقان، وأخيدة رماح، وعطية ملك؟ ليست كأمك التي بالمرُوت^(٣)، تغدو على أثر ضأنها، كأنما عقباها حافراً

(١) زيادات ر: «يريد داهية، والباقة: طائر حدر».

(٢) قال المرفصى: «الحمانى اسمه أبو نخيلة، نسب إلى جده حمان». (٣) المروت: اسم واد بعينه.

حمَار، فقال له الحماني: أنا أعلمُ بأَمِّكَ، إنما عَتَبَ عليها الحَجَّاجُ في أمر، الله أعلمُ به، فحَلَفَ أَنْ يَدْفَعَهَا إِلَى أُمِّ الْعَرَبِ، فلما رَأَى أَبَاكَ لَمْ يَشْكُكَ فِيهِ.

قال: وَأُنْشِدْتُ لِرَجُلٍ مِنْ رُجَّازِ بَنِي سَعْدِ:

أَنَا ابْنُ سَعْدٍ وَتَوَسَّطْتُ الْعَجَمَ فَأَنَا فِيمَا شِئْتَ مِنْ خَالٍ وَعَمٍّ

وقال عمرُ بْنُ الخطابِ رحمه الله: ليس قومٌ أَكْبَسُ مِنْ أَوْلَادِ السَّرَّارِيِّ، لأنَّهُمْ يَجْمَعُونَ عِزَّ الْعَرَبِ وَدِهَاءَ الْعَجَمِ.

[كِتَابُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ إِلَى الْمَنْصُورِ وَرَدَّهُ عَلَيْهِ]

وَكَتَبَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْمَنْصُورُ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ بْنِ حَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ - لَمَّا كَتَبَ إِلَيْهِ مُحَمَّدٌ:

«وَأَعْلَمُ أَنِّي لَسْتُ مِنْ أَوْلَادِ الطُّلُقَاءِ، وَلَا أَوْلَادِ اللَّعْنَاءِ، وَلَا أَعْرِقْتُ فِي الْإِمَاءِ، وَلَا حَضَنْتَنِي أُمّهَاتُ الْأَوْلَادِ. وَلَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ هَاشِمًا وَكَدَّ عَلِيًّا مَرَّتَيْنِ، وَأَنَّ عَبْدَ الْمُطَّلَبِ وَكَدَّ الْحَسَنَ مَرَّتَيْنِ، وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَلَدَنِي مَرَّتَيْنِ مِنْ قَبْلِ جَدِّي الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ».

يَعْنِي أَنَّ أُمَّ عَلِيٍّ فَاطِمَةُ بِنْتُ أَسَدِ بْنِ هَاشِمٍ، وَأُمُّ الْحَسَنِ فَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلَبِ بْنِ هَاشِمٍ، وَأَنَّ أُمَّهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلَبِ بْنِ هَاشِمٍ.

فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْمَنْصُورُ:

«أَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ وِلَادَةِ هَاشِمٍ عَلِيًّا مَرَّتَيْنِ، وَوِلَادَةِ عَبْدِ الْمُطَّلَبِ الْحَسَنَ مَرَّتَيْنِ، فَخَيْرُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، لَمْ يَلِدْهُ هَاشِمٌ إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً، وَلَا عَبْدُ الْمُطَّلَبِ إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً، وَلَهُ السَّبْقُ إِلَى كُلِّ الْخَيْرِ. وَلَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَعَمُومَتُهُ أَرْبَعَةً، فَأَمَّنَ بِهِ اثْنَانِ، أَحَدُهُمَا أَبِي، وَكَفَرَ بِهِ اثْنَانِ أَحَدُهُمَا أَبُوكَ، وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ أَنَّهُ لَمْ تُعْرِقْ فِيكَ الْإِمَاءُ، فَقَدْ فَخَرْتُ عَلَى بَنِي هَاشِمٍ طَرًّا، أَوْلَهُمْ إِبْرَاهِيمُ بْنُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ عَلِيٌّ بْنُ الْحُسَيْنِ، الَّذِي لَمْ يُؤَلَدْ فِيكُمْ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَوْلُودَ مِثْلِهِ».

وهذه رسالة للمَنْصُورِ طَرِيفَةٌ مُسْتَحْسَنَةٌ جِدًّا، سَنُمْلِيهَا فِي مَوْضِعِهَا مِنْ هَذَا الْكِتَابِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

وَأَشْدَنِي الرِّيشَى^١ إِنَّ أَوْلَادَ السِّنِّ رَارَى
كَتُّرُوا يَا رَبَّ فِينَا لَا أَرَى فِيهَا هَجِينَا

والهَجِينُ عند العرب: الذي أبوه شريفٌ وأُمُّه وضيعة، والأصل في ذلك أن تكون أُمّةً، وإنما قيل: «هَجِين» من أجل البَيَاض، وكأنَّهم قَصَدُوا قَصْدَ الرُّومِ والصَّقَالِبَةِ وَمَنْ أَشْبَهُهُمْ، والدليلُ على أن الهَجِينَ الأَبْيَضُ أن العرب تقول: مَا يَخْفَى ذَلِكَ عَلَى الْأَسْوَدِ وَالْأَحْمَرِ، أَيْ الْعَرَبِيِّ وَالْعَجَمِيِّ، وَيُسَمُّونَ الْمَوَالِيَّ وَسَائِرَ الْعَجَمِ الْحَمَرَاءَ، وقد ذكرنا ذلك، ولذلك قال زيد الخيل:

* وَأَيُّقِنَ أَنَّنَا صُهَبُ السَّبَالِ^(١) *

أى كهؤلاء العدو من العجم.

وقال ابن الرُّقِيَّات:

إِنْ تَرَيْنِي تَغْيِرَ اللَّوْنُ مِنِّي وَعَلَا الشَّيْبُ مَفْرَقِي وَقَدَّالِي
فَظَلَالُ السُّيُوفِ شَيَّبَنَ رَأْسِي وَطَعَانِي فِي الْحَرْبِ صُهَبُ السَّبَالِ

ف قيل «هَجِين» من هاهنا.

وإذا كانت الأمُّ كَرِيمَةً وَالْأَبُ خَسِيسًا قِيلَ لَهُ: الْمَذْرَعُ، قال الفرزدق:

إِذَا بَاهِلِي تَحْتَهُ حَنْظَلِيَّةٌ لَهُ وَلَكَدْ مِنْهَا فَذَاكَ الْمَذْرَعُ

وقال الآخر:

إِنَّ الْمَذْرَعَ لَا تُغْنِي خُئُولَتَهُ كَالْبَغْلِ يَعْجِزُ عَنْ شَوْطِ الْمَحَاضِيرِ^(٢)

وإنما سُمِّيَ مَذْرَعًا، لِلرَّقْمَتَيْنِ^(٣) فِي ذِرَاعِ الْبَغْلِ، وإنما صارتا فيه من ناحية الحمار، قال هُدْبَةُ:

وَرِثْتُ رَقَاشَ اللَّوْمِ عَنْ آبَائِهَا كَتَوَارِثِ الْحُمَرَاتِ رَقَمَ الْأَذْرُعِ
وقال عبدُ الله بنُ العباسِ في كلامٍ يجيبُ به ابنُ الزُّبَيْرِ: وَاللَّهِ إِنَّهُ لَمَصْلُوبٌ قُرَيْشٍ، وَمَتَى كَانَ عَوَامٌ بَنُ عَوَامٍ يَطْمَعُ فِي صَفِيَّةِ بِنْتِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ! مَنْ أَبُوكَ يَا بَغْلُ؟ فقال: خَالِي الْفَرَسُ!

(١) صدره كما في حواشي ر:

* وَأَسْلَمَ عَرْسَهُ لَمَّا رَأَانَا *

(٢) زيادات ر: «جمع محضير، وهو الفرس السريع». (٣) الرقمتان: أثر بباطن الذراعين لا يبتنان الشعر.

باب

[لأعرابي فيمن أطلال لحيته]

قال أبو العباس: قال أعرابي:

كُلُّ أَمْرِي ذِي لَحْيَةٍ عَثْوَكِيَّةٍ يَقُومُ عَلَيْهَا ظَنٌّ أَنَّهُ لَهُ فَضْلٌ
وَمَا الْفَضْلُ فِي طُولِ السَّبَالِ وَعَرَضُهَا إِذَا اللَّهُ لَمْ يَجْعَلْ لِصَاحِبِهَا عَقْلًا
وَيُرَوَّى: «لحاملها».

عَثْوَكِيَّةٌ، يقول: كثيرة، والمستعملُ رجلٌ «عَثْوَالٌ» إِذَا كَانَ كَثِيرَ الشَّعَرِ، وأصلُ ذلك في الرأسِ واللَّحْيَةِ، وبناءُ الأعرابيُّ بناءً «جَدَوَلٌ» كأنه «عَثْوَلٌ» ثم نَسَبَ إليه. والسَّبَلَةُ: مُقَدَّمُ اللَّحْيَةِ، يقالُ لَمَّا أُسْبِلَ مِنَ الشَّارِبِينَ: سَبَلْتَانِ، وتقولُ العربُ: أَخَذَ فُلَانٌ شَفْرَةَ فَلَتَمَ بِهَا سَبْلَةً بَعِيرِهِ، أَيْ نَحَرَهُ، واللتَمَ: الشَّقُّ، فهذا ما أُسْبِلَ مِنْ جِرَانِهِ.

[لبعض المحدثين في ذم ذوى العي]

وقال بعض المحدثين:

وَمَا حُسْنُ الرِّجَالِ لَهُمْ بِحُسْنِ إِذَا مَا أَخْطَأَ الْحُسْنَ الْبَيَانَ
كَفَى بِالْمَرْءِ عَيْبًا أَنْ تَرَاهُ لَهُ وَجْهٌ وَلَيْسَ لَهُ لِسَانٌ

وقال آخر:

إِنِّي عَلَى مَا تَزْدَرِي مِنْ دِمَامَتِي إِذَا قَيْسَ ذَرَعَى بِالرِّجَالِ طَوِيلُ

[لرجل يصفه لحيته]

ونظر يزيدُ بنُ مَزِيدِ الشَّيْبَانِيٍّ إِلَى رَجُلٍ ذِي لَحْيَةٍ عَظِيمَةٍ، وَقَدْ تَلَفَّتْ عَلَى صَدْرِهِ، فَإِذَا هُوَ خَاضِبٌ، فَقَالَ: إِنَّكَ مِنْ لِحْيَتِكَ فِي مِثْلَةِ! فَقَالَ: أَجَلْ، وَلِذَلِكَ أَقُولُ:

لَهَا دَرَهَمٌ لِلدُّهْنِ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ وَآخِرُ لِلْحَنَاءِ يَبْتَـدِرَانِ
وَلَوْلَا نَوَالُ مَنْ يَزِيدُ بَنَ مَزِيدٍ لَصَوَّتَ فِي حَافَاتِهَا الْجَلَمَانِ^(١)

(١) الجلمان: مثنى جلم، وهو المقراض، ويطلق المثنى على الواحد.

[لإسحاق بن خلف يصف رجلاً بالقصر وطول اللحية]

وقال إسحاق بن خلف يصف رجلاً بالقصر وطول اللحية:

ما سرّني أننى فى طول داود ما شئت داود فاستضحكت من عجب ما طول داود إلا طول لحيته
وأنى علم فى البأس والجود كأننى والد يمشى بمولود يظل داود فيها غير موجود
ريح الشتاء وجف الماء فى العود سوداء فى لين خد الغادة الرود^(٢) بيض القطائف^(٣) يوم القر والسود^(٤)
إن كان ما لف منها غير معقود إن هبت الريح أدته إلى عدن

وفى الحديث: «من سعادة المرء حقة عارضيه»، وليس هذا بناقض لما جاء فى إعفاء اللحي وإحفاء الشوارب، فقد روى أنهم قالوا: لا بأس بأخذ العارضين والتبطين^(٥)، وأما الإعفاء فهو التكثير، وهو من الأضداد، قال الله عز وجل: ﴿حَتَّىٰ عَفَوا﴾^(٦)، أى حتى كثروا، ويقال: عفا وبر الناقة إذ كثرت، قال الشاعر:

ولكننا نعض السيف منها بأسوق عافيات اللحم كوم
والكوم: العظام الأسنمة، واحدها كوماء، ويقال: عفا الربع، إذا درس، ومن ذلك:

* على آثار من ذهب العفاء *

أى الدروس.

وقال مسلمة بن عبد الملك: إنى لأعجب من ثلاثة: من رجل قصر شعره ثم عاد فأطاله، أو شمر ثوبه ثم عاد فأسبله، أو تمتع بالسراير ثم عاد إلى المهيرات.

(١) الأنبجاني: كساء من الصوف، منسوب إلى منبج على غير قياس.

(٢) الرود: الحسنة الشابة.

(٣) القطائف: جمع قطيفة، وهى كساء مربع غليظ له خمل ووبر.

(٤) زيادات ر: «القر» بالقاف، يريد البرد، ويروى بالغين، يريد السحاب البيض.

(٥) التبطين: أخذ الشعر من تحت الذقن والحنك.

(٦) سورة الأعراف ٩٥.

واحدة المِهْرَاتِ مِهْرَةٌ، وهى الحرةُ الممهورَةُ، و«مَفْعُولٌ» يَخْرُجُ إِلَى «فَعِيلٍ»،
كمقتول وقتيل، ومجروح وجريح، قال الأعشى:

وَمَنْكُوحَةٌ غَيْرِ مَمْهُورَةٍ وَأُخْرَى يُقَالُ لَهَا فَادِهَا^(١)
فهذا المعروفُ فى كلام العرب، مَهَرْتُ الْمَرْأَةَ فَهِيَ مَمْهُورَةٌ، ويقالُ وليس
بالكثير -: أَمَهَرْتُهَا فَهِيَ مُمَهَّرَةٌ، أَنشدنى المازنى:
أُخِذْنَ اغْتِصَابًا خِطْبَةً عَجْرَفِيَّةً وَأُمَهَرْنَ أَرْمَاحًا مِنَ الْخَطِّ ذُبْلًا^(٢)

[من ألفاظ الكنايات]

وأهل الحجاز يَرَوْنَ النِّكَاحَ الْعَقْدَ دُونَ الْفِعْلِ، وَلَا يُنْكِرُونَهُ فِي الْفِعْلِ،
ويحتجّون بقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمَنَاتِ ثُمَّ
طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا﴾^(٣)، فهذا
الاشْتِيعُ فى كلام العرب، قال الأعشى:

وَأَمْتَعْتُ نَفْسِي مِنَ الْغَانِيَا تِ إِمَّا نِكَاحًا وَإِمَّا أَزْنَ^(٤)
وَمِنْ كُلِّ بَيْضَاءٍ رُغْبُوبَةٌ لَهَا بَشَرٌ نَبِصَعٌ كَاللَّبَنِ^(٥)

ويكون النِّكَاحُ الْجَمَاعُ، وهو فى الأصل كناية، قال الراجز:

إِذَا زَنَيْتُ فَأَجِدُ نِكَاحًا وَأَعْمِلُ الْغُدُوَّ وَالرَّوَّاحَا

والكناية تنقَعُ عن هذا الباب كثيرًا، والأصل ما ذكرنا لك، وقال رسولُ الله
ﷺ: «أَنَا مِنْ نِكَاحٍ لَا مِنْ سِفَاحٍ». وَمِنْ خُطْبِ الْمُسْلِمِينَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَحَلَّ
النِّكَاحَ وَحَرَّمَ السِّفَاحَ».

والكناية تنقَعُ عن الجماع، قال الله عز وجل: ﴿أَحَلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثِ
إِلَى نِسَائِكُمْ﴾^(٦)، فهذه كناية عن الجماع، قال أكثرُ الفقهاء فى قوله تبارك

(١) زيادات ر: «فادها، من فديت الأسير، وهو يصف سبيا أخذ فيه إمام وحرائر».

(٢) زيادات ر: «عجرفية: جافية، خطبة، مصدر مضى».

(٣) سورة الأحزاب ٤٩.

(٤) زيادات ر: «قوله «أزن» أراد أزننى ثم حذف الياء وخفف الثون فقال: أزن».

(٥) الرعبوبة: الحسنة الخلق.

(٦) سورة البقرة ١٨٧.

وتعالى: ﴿أَوْ لَمْ يَسْتَمِمْ النِّسَاءُ﴾^(١) قالوا: كناية عن الجماع، وليس الأمر عندنا كذلك، وما أصفُ مذهب أهل المدينة، قد فُرِغَ من النكاحِ تصرُّيحاً، وإنما الملامسةُ أن يلمسها الرجلُ بيدٍ أو بإذنائه جَسَدَ من جسد، فذلك ينقضُ الوضوءَ في قول أهل المدينة، لأنه قال تبارك وتعالى بعد ذكرِ الجنب: ﴿أَوْ لَمْ يَسْتَمِمْ النِّسَاءُ﴾.

وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾^(٢) كنايةٌ بإجماعٍ عن قضاء الحاجة، لأنَّ كلَّ مَنْ أَكَلَ الطَّعَامَ فِي الدُّنْيَا أَنْجَى، يقال: نَجَّى وَأَنْجَى، إِذَا قَامَ لِحَاجَةِ الْإِنْسَانِ. وكذلك: ﴿وَقَالُوا لَجُلُودُهُمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا﴾^(٣) كناية عن الفروج، ومثله: ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ﴾^(٤) فإنما الغائطُ كالوادي، وقال عمرو بن معدِي كَرَبَ:

وَكَمْ مِنْ غَائِطٍ مِنْ دُونِ سَلْمَى قَلِيلِ الْإِنْسِ لَيْسَ بِهِ كَتِيعٌ^(٥)

يقال: وَهَمَ الرَّجُلُ يَوْهَمُ، إِذَا شَكَّ، وَهُوَ الْأَجُودُ وَيَجُوزُ: يَنْهَمُ، وَيِيهِمْ، وَيَاهَمُ؛ لِعَلٍّ، وَكَذَلِكَ مَا كَانَ مِثْلَهُ، نَحْوُ: وَجَلَّ يَوْجَلُّ وَوَحَلَّ يَوْحَلُّ، وَوَجِعَ يَوْجَعُ، وَيَجُوزُ فِي «وَهَم» أَنْ تَقُولَ: «يِيهِمْ» فَإِنَّ الْمُعْتَلَّ مِنْ هَذَا يَجِيءُ عَلَى مِثَالِ حَسَبٍ يَحْسَبُ، مِثْلُ: وَلِيَ الْأَمِيرُ يَلِي، وَوَرِمَ الْجُرْحُ يَرِمُ، فَهَذَا جَمِيعٌ مَا فِي هَذَا الْبَابِ.

[لِلرَّجُلِ مِنْ تَمِيمٍ]

وقال رجلٌ أَحْسَبُهُ مِنْ بَنَى تَمِيمٍ:
لَا تَسْأَلَنَّ الْخَيْلَ يَا سَعْدُ مَالَهَا
لَعَلَّكَ تَحْمِي عَنْ صَحَابِ بَطْعَتِهِ
وَأَكْرَمُ كَرِيماً إِنَّ أَتَاكَ لِحَاجَةً
[بِذَا فَا مَدَحِيْنِي وَانْدِيْنِي فَاِئْنَنِي

وَكُنْ أُخْرِيَاتِ الْخَيْلِ عَلَّكَ تَجْرَحُ
لَهَا عَائِدٌ يَنْفِي الْحَصَا حِينَ يَنْفَحُ
لِعَاقِبَةٍ إِنَّ الْعِضَاةَ تَرَوِّحُ^(٦)
فَتَى تَعْتَرِيهِ هَزَّةٌ حِينَ يُمْدَحُ^(٧)

(١) سورة النساء ٤٣.

(٢) سورة المائدة ٧٥.

(٣) سورة فصلت ٢١.

(٤) سورة النساء ٤٢.

(٥) يقال: ما بالدار كتيع، أي ما بها أحد.

(٦) زيادات ر: «إِذَا أَدْبَرَ الْقَيْظَ وَبَرَدَ اللَّيْلُ تَحْرَكَ لِلشَّجَرِ وَرَقٌ رَطْبٌ، فَيَقَالُ: أَخْلَفَ الشَّجَرُ وَتَرَوَّحَ».

(٧) هذا البيت من زيادات ر.

قوله:

* لَا تَسْأَلَنَّ الْخَيْلَ يَا سَعْدُ مَالَهَا *

يقول: لَا تَتَخَلَّفْ عَنِ الْقِتَالِ وَتَسْأَلْ عَنْ أَخْبَارِ الْقَوْمِ، وَلَكِنْ كُنْ فِيهِمْ كَمَا قَالَ مُهْلَهْل:

لَيْسَ مِثْلِي يُخْبِرُ الْقَوْمَ عَنْ آ
بَاءَهُمْ قُتِلُوا وَيَنْسَى الْقِتَالَ
لَمْ أَرِمْ حَوْمَةَ الْكَتِيبَةِ حَتَّى
حَذَى الْوَرْدُ مِنْ دِمَاءٍ نَعَالًا

يقول: كُنْتُ فِي حَوْمَةِ الْقِتَالِ، صَلَّيْتُ الْحَرْبَ أَكْثَرَ مِمَّا صَلَّيْتُهَا غَيْرِي.

[طَلِّقْ ابْنَةَ عَبْدِ اللَّهِ مِنَ السَّائِبِ، ثُمَّ زَوَّجْهَا مِنَ الْمُصْعَبِ]

وَيُرَوَّى عَنْ رَجُلٍ مِنْ بَنِي أَسَدٍ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى، يُقَالُ لَهُ: فُلَانٌ [ش: هُوَ عَبْدُ اللَّهِ] بَنُ السَّائِبِ أَنَّهُ زَوَّجَ ابْنَتَهُ عَمْرُو بْنُ عَثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، فَلَمَّا نُصِّتَ عَلَيْهِ طَلَّقَهَا عَلَى الْمَنْصَةِ، فَجَاءَ أَبُوهَا إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، فَقَالَ: إِنَّ عَمْرُو بْنَ عَثْمَانَ طَلَّقَ ابْنَتِي عَلَى الْمَنْصَةِ، وَقَدْ ظَنَّ النَّاسُ أَنَّ ذَلِكَ لِعَاهَةِ، وَأَنْتَ عَمُّهَا، فَقُمْ فَادْخُلْ إِلَيْهَا، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: أَوْ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ! جِئْتُونِي بِالْمُصْعَبِ، فَخَطَبَ عَبْدُ اللَّهِ فَرَوَّجَهَا مِنَ الْمُصْعَبِ، وَأَقْسَمَ عَلَيْهِ لِيَدْخُلَنَّ بِهَا فِي لَيْلَتِهِ، فَلَا تُعْرِفُ امْرَأَةً نُصِّتَ عَلَى رَجُلَيْنِ فِي لَيْلَتَيْنِ وَلَا غَيْرُهَا فَأَوْلَدَهَا الْمُصْعَبُ عَيْسَى وَعُكَّاشَةَ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ مَسْكِن^(١)، وَهَرَبَ أَكْثَرُ النَّاسِ عَنِ الْمُصْعَبِ، دَخَلَ إِلَى سَكِينَةَ ابْنَةِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَكَانَتْ لَهُ شَدِيدَةُ الْمَحَبَّةِ، وَكَانَتْ تُخْفِي ذَلِكَ، فَلَبَسَ غِلَافَةً وَتَوَشَّحَ عَلَيْهَا، وَانْتَضَى السَّيْفَ، فَلَمَّا رَأَتْ ذَلِكَ عَلِمَتْ أَنَّهُ عَزَمَ أَلَّا يَرْجِعَ، فَصَاحَتْ مِنْ وَرَائِهِ: وَاحْرَبَاهُ! فَالْتَفَتَ إِلَيْهَا، فَقَالَ: أَوْ هَذَا لِي فِي قَلْبِكَ! فَقَالَتْ: إِي وَاللَّهِ وَأَكْثَرُ مِنْ هَذَا! فَقَالَ: أَمَا لَوْ عَلِمْتُ لَكَانَ لِي وَلَكَ شَأْنٌ. ثُمَّ خَرَجَ، فَقَالَ لِابْنِهِ عَيْسَى: يَا بُنَيَّ، انْجِ إِلَى نَجَائِكَ، فَإِنَّ الْقَوْمَ لَا حَاجَةَ بِهِمْ إِلَى غَيْرِي، وَسَتَفْلُتُ بِحِيلَةٍ أَوْ بَقِيَا، فَقَالَ: يَا أَبَتَاهُ! لَا أُحَدِّثُ وَاللَّهِ عَنْكَ أَبَدًا، فَقَالَ: أَمَا وَاللَّهِ لَكُنْ قُلْتَ ذَلِكَ لَمَّا زِلْتُ أَتَعَرَّفُ الْكَرَّمَ فِي أَسْرَارِكَ، وَأَنْتَ تُقَلِّبُ فِي مَهْدِكَ.

(١) مسكن: موضع على نهر دجيل، به كانت الواقعة بين عبد الملك بن مروان ومصعب بن الزبير، وقتل به مصعب، وقبره هناك. (مراصد الاطلاع ١٢٧١).

[ش: الأسرار: جمع سرٍّ وهى الطرائقُ فى الجبهة].
فَقُتِلَ بَيْنَ يَدَيْ أَبِيهِ، ففى ذلك يقولُ شاعرُ أَهْلِ الشَّامِ مِنَ الْيَمَانِيَةِ:
نَحْنُ قَتَلْنَا مُصْعَبًا وَعِيسَى وَابْنَ الزُّبَيْرِ الْبَطْلَ الرَّئِيسَا
* عَمَدًا أَذَقْنَا مُضَرَ التَّبَّيسَا *

وقال رجلٌ يُعَاتِبُ رَجُلًا:
فَلَوْ كَانَ شَهْمُ النَّفْسِ أَوْ ذَا حَفِظَةٍ رَأَى مَا رَأَى فِى الْمَوْتِ عِيسَى بْنُ مُصْعَبٍ

[لبلال بن جرير يمدح عبد الله بن الزبير]

وقال بلالُ بْنُ جَرِيرٍ يَمْدَحُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ (١):
مَدَّ الزُّبَيْرُ عَلَيْكَ إِذْ بَيْنَى الْعُلَا كَفَّفِيهِ حَتَّى نَالَتَا الْعَيُوقَا (٢)
وَلَوْ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ فَأَخَّرَ مَنْ تَرَى فَاتَ الْبَرِيَّةَ عِزَّةً وَسُمُوقَا
قَرْمٌ إِذَا مَا كَانَ يَوْمُ نَفُورَةٍ جَمَعَ الزُّبَيْرُ عَلَيْكَ وَالصَّدِيقَا
لَوْ شِئْتَ مَا فَاتُوكَ إِذْ جَارَيْتَهُمْ وَلَكُنْتَ بِالسَّبْقِ الْمُبْرِّ حَقِيقَا
لَكِنْ أَتَيْتَ مَصْلِيًّا بَرًّا بِهِمْ وَلَقَدْ تَرَى وَنَرَى لَدَيْكَ طَرِيقَا

عاد الحديثُ إلى تفسيرِ الأبياتِ المتقدمة (٣):

قوله:

* لَعَلَّكَ تَحْمِي عَنْ صِحَابٍ بَطْعَنَةٍ *

يقال: حَمَيْتُ النَّاحِيَةَ أَحْمِيهَا حَمِيًّا وَحِمَايَةً، كما قال الْفَرَزْدَقُ:
وَإِذَا النَّفُوسُ جَشَّانَ طَأْمَنَ جَأَشُهَا ثِقَةً لَهَا بِحِمَايَةِ الْأُدْبَارِ (٤)
ومعنى ذلك: مَنْعْتُ وَدَفَعْتُ، ويقال: أَحْمَيْتُ الْأَرْضَ أَيْ جَعَلْتُهَا حِمًى

(١) زيادات ر: «يقال إن بلالا لم يلحق ابن الزبير، إلا أن يكون مدحه ميتا».

(٢) العيوق: نجم أحمر مضى فى السماء فى طرف المجرة الأيمن، وفى زيادات ر: ويروى: «كففيه»، وهو أظهر لقوله: «حتى نالتا».

(٣) ص ١٣٢.

(٤) جشان: تظلمن وجزعن فزعاً، وطأمن: سكن.

لَا تُقَرَّبُ، وَأَحْمَيْتُ الْحَدِيدَ أَحْمِيهِ إِحْمَاءً، وَحَمَيْتُ أَنْفِي مَحْمِيَةً يَا فَتَى، إِذَا أَنْتَ
أَبَيْتَ الضَّيْمَ. وَصَحَابُ: جَمْعُ صَاحِبٍ، وَقَدْ يُقَالُ: هُوَ جَمْعُ صَحْبٍ كَمَا تَقُولُ:
تَاجِرٌ وَتَجَرٌ، وَرَاكِبٌ وَرَكْبٌ، وَنَحْوَ ذَلِكَ، ثُمَّ تَجْمَعُ صَحْبًا عَلَى صَحَابٍ،
كَقَوْلِكَ: كَلْبٌ وَكِلَابٌ وَفَرَخٌ وَفَرَاخٌ، فَهَذَا مَذْهَبُ حَسَنٍ، وَمَنْ قَالَ: هُوَ جَمْعُ
صَاحِبٍ، فَنَظِيرُهُ قَائِمٌ وَقِيَامٌ، وَتَاجِرٌ وَتِجَارٌ.

وقوله: «لَهَا عَانِدٌ يَنْفَى الْحَصَا» يَعْنِي الدَّمَ، وَيُقَالُ: عِنْدَ الْعِرْقِ، إِذَا خَرَجَ
الدَّمُ مِنْهُ بِحِدَّةٍ. وَيَنْفَى الْحَصَا، يَعْنِي الدَّمَ بِشِدَّةِ جَرِيهِ، كَمَا قَالَ:

مُسْحِسِحَةٌ تَنْفَى الْحَصَا عَنْ طَرِيقِهَا [يُقَطَّعُ أَحْشَاءَ الرَّعِيبِ انْتِثَارُهَا] (١)

يعنى طعنة.

وقال آخر في صفة طعنة:

وَمُسْتَنَّةٌ كَاسْتِنَانِ الْخَرُوفِ ف قَدْ قَطَعَ الْحَبْلَ بِالْمُرُودِ
وَالْخُرُوفُ هَاهُنَا إِنَّمَا هُوَ الْفُلُوفُ الصَّغِيرُ.

وقوله:

وَأَكْرَمُ كَرِيمًا إِنْ أَتَاكَ لِحَاجَةٌ لِعَاقِبَةٍ إِنْ الْعِضَاءَ تَرَوَّحُ
يَقُولُ: الشَّجَرُ يُصِيبُهُ النَّدَى فِي آخِرِ الصَّيْفِ فَيَنْشَأُ لَهُ وَرَقٌ، فَيَقُولُ: لَعَلَّكَ
تَحْتَاجُ إِلَى هَذَا الْكَرِيمِ وَقَدْ قَدَّرَ.

ومثله:

وَلَا تَهَيِّنِ الْكَرِيمَ عَلَّكَ أَنْ تَرَكَعَ يَوْمًا وَالْدَّهْرُ قَدْ رَفَعَهُ

أَرَادَ «وَلَا تَهَيِّنْ» بِالنُّونِ الْخَفِيفَةِ، فَحَذَفَهَا لِالْتِقَاءِ السَّاكِنِينَ، وَهَذَا الْحُكْمُ
فِيهَا.

ومثله في المعنى قولُ عَبَادِ بْنِ عَبَّادٍ بْنِ حَبِيبِ بْنِ الْمُهَلَّبِ:

إِذَا خَلَّةٌ نَابَتْ صَدِيقَكَ فَاغْتَنَّمْ مَرَمَّتَهَا فَالْدَّهْرُ بِالنَّاسِ قُلْبُ
وَبَادِرٌ بِمَعْرُوفٍ إِذَا كُنْتَ قَادِرًا زَوَالَ أَقْتِدَارٍ أَوْ غِنَى عَنْكَ يُعْقِبُ

[زَوَالَ، مَفْعُولٌ لـ «بَادِرٍ». قَالَهُ ش.] وَمِثْلُ هَذَا كَثِيرٌ.

(١) ما بين العلامتين س، زيادات ر.

وقال جعفر بن محمد بن علي بن الحسين - رحمهم الله - إنني لأسارع إلى حاجة عدوئ خوفاً من أن أردّه فيستغني عني .

وقال رجلٌ من العرب: ما رددتُ رجلاً عن حاجة فوَلّيتُ عني إلا رأيتُ الغنى في قفاهُ .

وقال عبدُ الله بن العباس بن عبد المطلب: ما رأيتُ أحداً أَسَعَفْتُه في حاجةٍ إلا أضاء ما بيني وبينه، ولا رأيتُ رجلاً رددته عن حاجةٍ إلا أظلم ما بيني وبينه .

وقال عمرُ بن الخطاب رحمه الله؟: مَنْ يَتَسَّ من شَيْءٍ اسْتَغْنَى عنه . وقال عبدُ الله بن همام السكّولِيُّ:

فأخلف وأتلف إنما المالُ عارةٌ	فكُلُّهُ مع الدَّهرِ الذي هو آكلُهُ
فأهونُ مَفْقُودٍ وأيسرُ هالِكٍ	على الحَيِّ من لا يَبْلُغُ الحَيَّ نائِلُهُ
عارةٌ أي مُعارٌ، ووزنه «فَعَلَةٌ» .	

وقال أحدُ المحدثين^(١)، وليس من هذا الباب ولكننا ذكرناه في الإعارة:

أَعَارَكَ مَالَهُ لَتَقُومَ فِيهِ	بطاعته وتَعَرَّفَ فَضْلَ حَقِّهِ
فلم تَشْكُرْهُ نَعَمَتَهُ ولكنْ	قَويتَ على مَعَاصِيهِ بِرِزْقِهِ
تُجَاهِرُهُ بِهَا عَوْدًا وَبَدَاءً	وَتَسْتَخْفِي بِهَا مِنْ شَرِّ خَلْقِهِ
وقال جريرٌ:	

وإنني لأستحيي أخِي أَنْ أَرَى لَهُ عَلَى مِنَ الْحَقِّ الَّذِي لَا يَرَى لِيَا

هذا بيتٌ يحمله قومٌ على خلاف معناه، وإنما تأويلُهُ: إنني لأستحيي أخِي أَنْ يكونَ له علىَّ فضلٌ ولا يكونَ لي عليه فضلٌ ومنِّي إليه مكافأةٌ، فأستحيي أَنْ أَرَى له علىَّ حقاً لما فَعَلَ إليَّ، ولا أفعلُ إليه ما يكونُ لي به عليه حقٌّ . وهذا من مذاهب الكِرَامِ، ومما تأخذُ به أنفُسُهَا .

(١) زيادات ر: «هو محمود الوراق» .

[أبيات عائذ الكلب الزبيري لعبد الله بن حسن]

فأما قول عائذ الكلب الزبيري لعبد الله بن حسن بن حسن^(١) :
 له حقٌ وليس عليه حقٌ ومهما قال فالحسن الجميل
 وقد كان الرسول يرى حقوقاً عليه لغيره وهو الرسول
 فإنه ذكره بقلة الإنصاف، فقال: يرى له حقاً على الناس، ولا يرى لهم
 عليه حقاً من أجل نسيه برسول الله ﷺ، وبين ذلك بقوله:
 وقد كان الرسول يرى حقوقاً عليه لغيره وهو الرسول
 فالذي يفتخر به عبد الله يرى للناس عليه حقاً، فالفتخر به أجدر.

وقد قيل لعلي بن الحسين - وكان بين الفضل رحمه الله: ما بالك إذا
 سافرت كتمت نسبك أهل الرفقة؟ فقال: أكره أن أخذ برسول الله ﷺ مالا أعطى
 مثله.

وإنما يعتري هذا الباب - من الظلم وقلة الإنصاف والبعد من الرقة عليهم -
 الجهلة من أهل هذا النسب، والله جل ذكره يقول لنبيه ﷺ: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ
 رَحِيمٌ﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾^(٣) فإذا
 كان هو ﷺ يخاف من المعصية فكيف يأمنها غيره به!

[لجرير يمدح هشام بن عبد الملك]

وأما قول جرير لهشام بن عبد الملك فهو المدح الصحيح على خلاف هذا
 المعنى، قال:

وأنت إذا نظرت إلى هشام عرفت نجاراً منتحب كريم
 وكى الحق حين يؤم حجاجاً صفواً بين زمزم والخطيم

(١) زيادات ر: اسمه عبد الله بن مصعب الزبيري، وسمى عائذ الكلب بقوله:

مالي مرضت فلم يعنني عائذ منكم ويمرض كلبكم فاعود
 وأشد من مرضي على صدودكم وصدود كلبكم على شديد

(٢) سورة التوبة ١٢٨ .

(٣) سورة الأنعام ١٥ .

يَرَى لِلْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِ حَقًّا
إِذَا بَعْضُ السَّيِّئِ تَعَرَّقْنَا

وفى هذا الشعر:

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى صِرَاطٍ
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ جَمَعْتَ دِينًا
لَكَ الْمَتَّخِرَانِ أَبَا وَخَالًا
فَيَا بْنَ الْمُطْعَمِينَ إِذَا شَتَوْنَا
سَمَا بِكَ خَالِدٌ وَبَنُو هِشَامٍ
وَتَنَزَّلُ مِنْ أُمِّيَّةٍ حَيْثُ تَلْقَى
تَوَاصَتْ مِنْ تَكْرُمِهَا قُرَيْشٌ
فَمَا الْأُمُّ الَّتِي وَلَدَتْ قُرَيْشًا
وَمَا فَحَلٌ بِأَنْجَبَ مِنْ أَبِيكُمْ
سَمَا أَوْلَادُ بَرَّةٍ بِنْتِ مُرٍّ
لَكَ الْغُرُّ السَّوَابِقُ مِنْ قُرَيْشٍ

كَفَعَلَ الْوَالِدُ الرَّؤْفَ الرَّحِيمَ
كَفَى الْإِيْتَامَ فَقَدْ أَبَى الْيَتِيمَ

إِذَا اعْوَجَّ الْمَوَارِدُ مُسْتَقِيمٌ
وَحَلُمًا فَاضِلًا لَذَوَى الْحُلُومِ
فَأَكْرَمَ بِالْخَوْوَلَةِ وَالْعُمُومِ
وَيَا بْنَ الذَّائِدِينَ عَنِ الْحَرِيمِ
إِلَى الْعَلْيَاءِ فِي الْحَسَبِ الْجَسِيمِ^(١)
شُنُونُ الرَّأْسِ مُجْتَمَعَ الصَّمِيمِ
بَرْدُ الْخَيْلِ دَامِيَّةُ الْكُلُومِ
بِمَقْرِفَةِ النَّجَارِ وَلَا عَقِيمِ
وَلَا خَالٌ بِأَكْرَمَ مِنْ تَمِيمِ
إِلَى الْعَلْيَاءِ فِي الْحَسَبِ الْعَظِيمِ
فَقَدْ عُرِقَ الْأَعْرُ مِنْ الْبَهِيمِ

قوله: «حِينَ يَوْمٌ حَجًّا» فيكون الحجُّ جمعَ حاجٍّ، كما يقال: تاجرٌ وتَجَرٌّ، وراكبٌ وركبٌ، قال العجاجُ:

بِوَاسِطِ أَكْرَمِ دَارِ دَارًا وَاللَّهُ سَمَى نَصْرَكَ الْأَنْصَارًا
فَأَخْرَجَهُ عَلَى «نَاصِرٍ وَنَصْرٍ»، قال: وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حَجٌّ أَصْحَابَ حَجٍّ،
كما قال الله عزَّ وجلَّ: «وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ»^(٢) يريد أهلها.
وقوله:

* كَفَعَلَ الْوَالِدُ الرَّؤْفَ الرَّحِيمَ *

يقال: «رؤفٌ» على «فعلٍ» مثل يَقْطُ وَحَذَرٍ، ورءوفٌ على وزن «ضُرُوبٍ». وقال الأنصاري^(٤):

(١) تعرقتنا: أهزلتنا، وأصله أخذ ما على العظم من اللحم.
(٢) زيادات ر: «وهم أبو العباس في قوله: وبنو هشام، وإنما وقع في شعره: وأبو هشام، وهو الصحيح، يريد إسماعيل بن هشام، وهو جده من قبل أمه».
(٣) سورة يوسف ٨٢. (٤) زيادات ر: «هو كعب بن مالك».

نُطِيعُ نَبِيَّنَا وَنُطِيعُ رَبَّنَا هو الرَّحْمَنُ كَانَ بِنَا رَعُوفًا
وقد قُرئ: ﴿إِنَّ اللَّهَ رَوْفٌ بِالْعِبَادِ﴾^(١)، و﴿رَعُوفٌ﴾ أَكْثَرُ، وإنما هو من
الرَّأْفَةِ، وهى أَشَدُّ الرَّحْمَةِ، ويقالُ: «رَأْفَةٌ» وقُرئ: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ
اللَّهِ﴾^(٢) على وزن الصَّرَامَةِ والسَّفَاهَةِ.
وقوله:

* إِذَا بَعْضُ السِّنِينَ تَعَرَّقَتْنا *

يُفسَّرُ على وجهين: أحدهما: أن يكون ذهبَ إلى أنَّ بعضَ السنين سِنُونٌ،
كما قال الأعشى:

وَتَشْرُقُ بِالْقَوْلِ الَّذِي قَدْ أَدْعَتْهُ كما شَرِقَتْ صَدْرُ الْقَنَاءِ مِنَ الدَّمِ
لأنَّ صَدْرَ الْقَنَاءِ قَنَاءٌ، ومن كلام العرب: ذَهَبَتْ بَعْضُ أَصَابِعِهِ، لأنَّ بعضَ
الأصابع إصْبَعٌ، فهذا قول.

والأجودُ أن يكونَ الخبرُ فى المعنى عن المضافِ إليه، فأقْحَمَ المضافَ إليه
توكيداً، لأنه غيرُ خَارِجٍ من المعنى، وفى كتاب الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ
لَهَا خَاضِعِينَ﴾^(٣) إنما المعنى: فَظَلُّوا لَهَا خَاضِعِينَ، والخضوعُ بَيْنٌ فى الأعناقِ،
فأخْبَرَ عَنْهُمْ، فأقْحَمَ الأعناقَ توكيداً، وكان أبو زيد الأنصارى يقول: أَعْنَاقُهُمْ
جماعاتهم، تقول: أَتَانِي عُنُقٌ مِنَ النَّاسِ، والأوَّلُ قولُ عامَّةِ النحويين.

وقال جرير:

لَمَّا أَتَى خَبَرَ الزُّبَيْرِ تَوَاضَعَتْ سُورُ الْمَدِينَةِ وَالْجِبَالُ الْخُشَعُ

وقال أيضاً

رَأَتْ مَرَّ السِّنِينَ أَخَذْنَ مِنِّي كما أَخَذَ السَّرَّارُ مِنَ الْهَلَالِ

وقال ذو الرِّمَّة:

مَشِينٌ كَمَا اهْتَزَّتْ رِمَاحٌ تَسْفَهَتْ أَعَالِيهَا مَرُّ الرِّيحِ النَّوَاسِمِ^(٤)

(١) سورة البقرة ٢٠٧. (٢) سورة النور ٢. (٣) سورة الشعراء ٤.

(٤) زيادات ر: «زعم بعضهم أن البيت مصنوع، والصحيح فيه: مرضى الرياح النواهم، المرضى: التى تهب
بلين».

ومثل هذا كثير، وعلى مثل هذا القول الثاني تقول: «يا تَيْمَ تَيْمَ عَدَى» لأنك أردت: «يا تَيْمَ عَدَى»، وأَقَحَمْتَ الْأَوَّلَ توكيداً^(١)، وكذلك: لا أَبَاكَ، لَأَنَّ الْأَلْفَ لا تَثْبُتُ فِي «الْأَب» فِي النَصْبِ إِلَّا فِي الْإِضَافَةِ، أَوْ بَدَلًا مِنَ التَّنْوِينِ، فَإِنَّمَا أَرَادَ «لا أَبَاكَ» ثُمَّ أَقَحَمَ اللَّامَ توكيداً لِلْإِضَافَةِ، وَأَنشَدَ الْمَازِنِي:

وَقَدْ مَاتَ شَمَّاخٌ وَمَاتَ مُزَرَّدٌ وَأَيُّ كَرِيمٍ لَا أَبَاكَ يُخَلِّدُ!
وَقَالَ آخَرُ:

أَبِالمَوْتِ الَّذِي لَا بُدَّ أَنْ يَ مُلَاقٍ لَا أَبَاكَ تُخَوِّفِينِي!
وَقَوْلُهُ: «عَلَى صِرَاطٍ» فَالْصِّرَاطُ: الْمُنْهَاجُ الْوَاضِحُ، وَكَذَلِكَ قَالَتِ الْعُلَمَاءُ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.

وَقَوْلُهُ: «سَمَا بَكَ خَالِدٌ» يَرِيدُ خَالِدَ بْنَ الْوَكِيدِ بْنِ الْمَغِيرَةِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ابْنَ مَخْزُومٍ بْنِ يَقْظَةَ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبٍ، لِأَنَّ أُمَّ هِشَامٍ بِنْتُ هِشَامِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ هِشَامِ بْنِ الْمَغِيرَةِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ مَخْزُومٍ. وَكَانَ هِشَامُ بْنُ الْمَغِيرَةِ أَجَلَّ قُرَشِيٍّ حِلْمًا وَجُودًا، وَكَانَتْ قُرَيْشٌ تُؤَرِّخُ بِمَوْتِهِ، كَمَا كَانَتْ تُؤَرِّخُ بِعَامِ الْفِيلِ وَبِمَلِكِ فَلَانٍ، قَالَ الشَّاعِرُ:

* زَمَانَ تَنَاعَى النَّاسَ مَوْتَ هِشَامِ *

وَمِنْ أَجْلِهِ يَقُولُ الْقَائِلُ:
فَأَصْبَحَ بَطْنُ مَكَّةَ مُقَشَّعِرًا كَأَنَّ الْأَرْضَ لَيْسَ بِهَا هِشَامُ
يَقُولُ: هُوَ وَإِنْ كَانَ مَاتَ فَهُوَ مَدْفُونٌ فِي الْأَرْضِ، فَقَدْ كَانَ يَحِبُّ مِنْ أَجْلِهِ أَلَّا يَنَالَهَا جَذْبٌ، وَقَالَ الْآخَرُ:

ذَرِينِي أَصْطَبِحْ يَا سَلَمَ إِنِّي رَأَيْتُ الْمَوْتَ نَقَبَ عَنْ هِشَامِ
وَقَوْلُهُ: «نَقَبَ» أَيِ طَوَّفَ حَتَّى أَصَابَ هِشَامًا، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَنَقَبُوا فِي الْبِلَادِ﴾^(٢) أَيِ طَوَّفُوا، وَمِثْلُهُ قَوْلُ امْرِئِ الْقَيْسِ:
وَقَدْ نَقَبْتُ فِي الْأَفَاقِ حَتَّى رَضِيتُ مِنَ الْغَنِيمَةِ بِالْإِيَابِ

(١) زيادات ر: كذا وقع «وأقحمت الأول توكيداً»، وإنما الصحيح: «وأقحمت الثاني توكيداً».

(٢) سورة ق ٣٦.

[عمر أول من أُرِخَ في الإسلام]

فأما التاريخُ الذي يُورِخُ به اليومَ فأوَّلَ مَنْ فعَلَهُ في الإسلامِ عمرُ بنُ الخطَّابِ رحمه الله، حيث دَوَّنَ الدَّوَاوِينَ، فَقِيلَ لَهُ: لو أَرَّخْتَ يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَكُنْتَ تَعْرِفُ الْأُمُورَ في أَوَقَاتِهَا؟ فَقَالَ: وما التَّأْرِيخُ؟ فَأُعْلِمَ ما كانتِ الْعِجْمُ تَفْعَلُهُ، فَقَالَ: أَرَّخُوا، فَقَالُوا: مَذَى سَنَةٍ؟ فَاجْتَمَعُوا على سَنَةِ الْهِجْرَةِ، لِأَنَّهُ الْوَقْتُ الَّذِي حَكَّمَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ على غَيْرِ تَقْيَةٍ، ثُمَّ قَالُوا: في أَيِّ شَهْرٍ؟ فَقَالُوا: نَسْتَقْبِلُ بِالنَّاسِ أُمُورَهُمْ في شَهْرِ الْمُحَرَّمِ إِذَا انْقَضَى حَجُّهُمْ، وَكَانَتْ هِجْرَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ في شَهْرِ ربيع الآخر (١) فَقُدِّمَ التَّأْرِيخُ على الْهِجْرَةِ هَذِهِ الْأَشْهُرُ.

وجاء في تصحيح هذا الوقت - أعني الْمُحَرَّمِ - ما رَوَى لَنَا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رحمه الله، فَإِنَّهُ قَالَ في قولِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ (٢): فَأَقْسَمَ بِفَجْرِ السَّنَةِ، وَهُوَ الْمُحَرَّمُ. وَقَوْلُهُ:

* فَمَا الْأُمُّ التِّي وَلَدَتْ قُرَيْشًا *

يعنى بَرَّةَ بِنْتِ مُرٍّ، كَانَتْ أُمُّ النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ، وَهُوَ أَبُو قُرَيْشٍ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ وَلَدِهِ فَلَيْسَ بِقُرَشِيٍّ، وَتَمِيمٌ بْنُ مُرٍّ خَالُهُ.

وَكَانَ يَقَالُ: مَنْ عَرَفَ حَقَّ أَخِيهِ دَامَ لَهُ إِخَاؤُهُ، وَمَنْ تَكَبَّرَ على النَّاسِ وَرَجَا أَنْ يَكُونَ لَهُ صَدِيقٌ فَقَدْ غَرَّ نَفْسَهُ.

وَقِيلَ: لَيْسَ لِلْجَوْجِ تَدْبِيرٌ، وَلَا لِسَيِّءِ الْخُلُقِ عَيْشٌ، وَلَا لِمُتَكَبِّرٍ صَدِيقٌ. وَقِيلَ: مَنْ بَسَطَ بِالْخَيْرِ لِسَانَهُ انْبَسَطَتْ فِي الْقُلُوبِ مَحَبَّتُهُ، وَالْمِنَّةُ تُفْسِدُ الصَّنِيعَةَ.

[في مدح أبي البختري]

وَيُرَوَّى أَنَّ شَاعِرًا أَتَى أَبَا الْبَخْتَرِيِّ (٣) وَهَبَ بْنَ وَهَبٍ، وَكَانَ مِنْ أَجْوَدِ النَّاسِ، وَكَانَ إِذَا سَمِعَ مَدْحَ الْمَادِحِ ضَحَكَ وَسَرَى السُّرُورُ فِي جَوَانِحِهِ، وَأَعْطَى

(١) زيادات ر: «الذي اتفق عليه أن هجرة رسول الله ﷺ كانت في ربيع الأول، وفيه مات ﷺ».

(٢) سورة الفجر ١، ٢.

(٣) زيادات ر: «البختري، بفتح الباء وبالحاء المعجمة».

وزَادَ، فَأَتَاهُ هَذَا الشَّاعِرُ فَأَنشَدَهُ:

لِكُلِّ أَخِي فَضْلٌ نَصِيبٌ مِنَ الْعُلَا ورَأْسُ الْعُلَا طُرٌّ عَقِيدُ النَّدَى وَهَبُ
وما ضَرَّ وَهَبًا قَوْلُ مَنْ غَمَطَ الْعُلَا كما لَا يَضُرُّ الْبَدْرُ يَنْبَحُ الْكَلْبُ^(١)

فَتَنَى لَهُ الْوَسَادَةَ، وَهَشَّ إِلَيْهِ وَرَفَدَهُ، وَحَمَلَهُ وَأَضَافَهُ، فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ الرَّجُلُ
الرَّحْلَةَ لَمْ يَخْدُمَهُ أَحَدٌ مِنْ غُلَامَانِ أَبِي الْبَخْتَرِيِّ، وَلَا عَقَدَ لَهُ وَلَا حَلََّ مَعَهُ. فَأُنْكَرَ
ذَلِكَ مَعَ جَمِيلٍ مَا فَعَلَ بِهِ، وَأَنَّهُ قَدْ تَجَاوَزَ بِهِ أَمَلَهُ، فَعَاتَبَ بَعْضُهُمْ، فَقَالَ لَهُ
الْغُلَامُ: إِنَّا إِنَّمَا نَعِينُ النَّازِلَ عَلَى الْإِقَامَةِ، وَلَا نَعِينُ الرَّاحِلَ عَلَى الْفِرَاقِ. فَبَلَغَ هَذَا
الْكَلَامُ جَلِيلًا مِنَ الْقُرَشِيِّينَ، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَفَعَلُ هَؤُلَاءِ الْعَبِيدِ عَلَى هَذَا الْقَصْدِ
أَحْسَنُ مِنْ رِفْدِ سَيِّدِهِمْ.

(١) زيادات ر: «غمط (بالكسر): كفر النعمة، وغمط (بالفتح)، ويقال أيضًا: تنقص».

باب

[سؤال عبد الملك لجسائ: أي المناديل أفضل؟]

قال عبد الملك بن مروان يوماً لجلسائه - وكان يجتنب غير الأدباء -: أيُّ المناديل أفضل؟ فقال قائلٌ منهم: مناديلُ مصرَ كأنها غرقىءُ البَيْضِ^(١). وقال آخرٌ: مناديلُ اليمنِ كأنها أنوارُ الربيعِ. فقال عبد الملك: ما صنعتُما شيئاً، أفضلُ المناديلِ ما قال أخو تميم - يعنى عبدة بن الطيب^(٢):

لَمَّا نَزَلْنَا نَصَبْنَا ظِلَّ أَخْبِيَةٍ وَفَارَ لِلْقَوْمِ بِاللَّحْمِ الْمَرَاجِيلُ
وَرَدَّ وَأَشْقَرُ مَا يُؤْنِيهِ طَابِخُهُ مَا غَيْرَ الْعُلَى مِنْهُ فَهُوَ مَأْكُولُ
ثُمَّتَ قُمْمَنَا إِلَى جُرْدٍ مُسَوِّمَةٍ أَعْرَافُهُنَّ لِأَيْدِينَا مَنَادِيلُ

قوله: «غرقىء البيض» يعنى القشرة الرقيقة التى تَرَكَبُ البَيْضَةُ دُونَ قَشْرِهَا الأَعْلَى، وقشرها الأعلى يقال له: القَيْضُ.
وقوله: «المَراجيلُ» إنما حَدُّهُ «المَراجِلُ»، ولكن لما كانت الكسرة لازمةً أَشْبَعَهَا للضرورة، كما قال:

* نَفَى الدَّرَاهِمَ تَنْقَادُ الصَّيَارِفِ^(٣) *

وقد مرَّ تفسير هذا.

وقوله:

* وَرَدَّ وَأَشْقَرُ مَا يُؤْنِيهِ طَابِخُهُ *

يقول: ما تَغَيَّرَ من اللحم قبل نُضِجِهِ.

وقوله: «ما يُؤْنِيهِ طَابِخُهُ» يقول: ما يُؤَخِّرُهُ، لأنه لو أَنَاهُ لَأَنْضَجَهُ، لأن معنى «أَنَاهُ» بَلَغَ بِهِ إِنَاهُ، أى إِدْرَاكُهُ، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَظِيرٍ إِنَاهُ﴾^(٤) وتقول: أَنَّى يَأْنِي إِنِى، إِذَا أَدْرَكَ، وَأَنْ يَتَيْنُ مِثْلُهُ. وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴾^(٥) أى قد بَلَغَ إِنَاهُ.

(١) زيادات ر: «الغرقىء يهمز، ولا يهمز، وكذلك فعله». (٢) زيادات ر: «عبدة، بإسكان الباء».

(٣) زيادات ر: «الحجة فى الصياريف». (٤) سورة الأحزاب ٥٣.

(٥) سورة الرحمن ٤٤.

وقوله :

* مَا غَيْرَ الْغَلَىٰ مِنْهُ فَهُوَ مَأْكُولٌ *

يقول : نحنُ أصحابُ صَيْدٍ ، وهذا مِنْ فعلهم^(١) .

وقوله : «مُسَوِّمَةٌ» تكونُ على ضَرَبَيْنِ : أحدهما أن تكونَ مُعْلَمَةً ، والثاني أن تكونَ قد أُسِيِمَتْ في المَرْعَى ، وهى هاهنا مُعْلَمَةٌ ، وقد مَضَى هذا التفسيرُ .

وإنما أَخَذَ ما فى هذه الأبيات مِنْ بيتِ امرئِ القيسِ ، فإنه جَمَعَ ما فى هذه الأبيات فى بيت واحد ، مع فضلِ التقدّم :

نَمْشُ بِأَعْرَافِ الْجِيَادِ أَكْفَنَّا إِذَا نَحْنُ قُمْنَا عَنْ شِوَاءِ مُضْهَبٍ
وهو الذى لم يُدْرِكْ ، ونَمْشُ : نَمْسَحُ ، ويقال للمَنْدِيلِ المَشْوِشُ . وكانت العربُ تَأَلَّفُ الطَّيْبَ ، وَتَطْرَحُ ذلك فى حالتين : فى الحربِ والصَّيْدِ ، قال النابغة :
سَهْكِينَ مِنْ صَدَاِ الْحَدِيدِ كَأَنَّهُمْ تَحْتَ السَّنَوْرِ جِنَّةَ الْبَقَّارِ

وقال آخر :

وَأَسْيَافُكُمْ مِسْكٌ مَحَلٌّ أَكْفُكُمْ على أَنَّها رِيحُ الدِّمَاءِ تَضُوعُ^(٢)
معنى «تَضُوعٌ» تَفُوحٌ .

[وفاء ابنة هانئ بن قبيصة]

وروى عن ابنة هانئ بن قبيصة . [ذَكَرَ يعقوب أنها ابنةُ قَيْسِ بنِ خَالِدِ الشَّيْبَانِي . ش] ، أنه لما قُتِلَ عنها لَقِيطُ بنُ زُرَّارةَ بنِ عُدَسِ بنِ زَيْدِ بنِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ دَارِمِ بنِ مالِكِ بنِ حَنْظَلَةَ ، فَتَزَوَّجَهَا رجلٌ مِنْ أَهْلِهَا ، فكان لا يَزَالُ يراها تَذْكُرُ لَقِيطًا ، فقال لها ذاتَ مرَّة : ما استحسنْتَ مِنْ لَقِيطٍ ؟ فقالت : كُلُّ أُمُورِهِ كانتْ حَسَنَةً ، ولكنى أُحَدِّثُكَ أَنَّهُ خَرَجَ مرَّةً إلى الصَّيْدِ وقد انْتَشَى ، فرَجَعَ وبِقَمِيصِهِ نَضْحٌ مِنْ دَمِ صَيْدِهِ ، والمِسْكُ يَضُوعٌ مِنْ أَعْطَافِهِ ، ورائحةُ الشَّرَابِ مِنْ فِيهِ ، فَضَمَنِي ضَمَّةً ، وشمْنِي شَمَّةً ، فليتنى كنتِ مِتْ ثَمَّةً ، قال : ففعل زوجها مثْلَ ذلك ، ثم

(١) زيادات ر : «العرب لا تنضح اللحم ، إما لاستعجالها للضيف ، وإما لأن ذلك مستحب عندها ، ولذلك قال : لا يؤنيه . وقيل لتعجيل القرى» .

(٢) زيادات ر : «تضوع روايته» .

ضمها إليه، وقال: أين أنا من لقيط؟ فقالت: ماءٌ ولا كصداء - مثلُ حمراء، ووزنها «فَعْلَاءُ»، وموضع اللام همزة، وهى بئر مُقدّمة، واسمها ما ذكرنا عن الأصمعيّ وأبى عبيدة، وكذلك سمعنا العرب تقولهُ، ومَنْ ثَقُلَ فقد أخطأ ومثلُ ذلك: رجلٌ ولا كمالك^(١) - يَعْنُونَ مالكَ بنَ نُويرة، ومرعى ولا كالسعدان.

[حديث بنات ذى الإصبع العدواني]

وحدثني على بن عبد الله عن ابن عائشة قال: كان ذو الإصبع العدواني رجلاً غيوراً، وكانت له بنات أربع، وكان لا يزوجهنَّ غيرَهُ، فاستمعَ عليهنَّ يوماً، وقد خلونَ يتحدثنَ، فقالت قائلةٌ منهنَّ: لَتَقُلْ كلُّ واحدةٍ منكنَّ ما فى نفسها، ولنصدقَ جميعاً. قال: فقالت كبراهنُّ:

ألا لَيْتَ زوجى من أناسِ ذوى غنىٍّ حديثُ الشَّبابِ طيبُ النَّشرِ والذكرِ
لصُوقٍ بأكبادِ النِّساءِ كأنَّهُ خليفةُ جانٍ لا يُقيمُ على هجرِ

قال: وقالت الثانية:

ألا لَيْتَهُ يُعطى الجمالَ بديهةً له جفنةٌ يشقى بها النِّيبُ والجُزرُ
له حكمتُ الدهرِ من غيرِ كِبَرَةٍ تشينُ فلا فأنٍ ولا ضرعُ غمرِ

[أخذُ التجاربِ، وهو مأخوذٌ من حكمة اللّجام ش] فقلنَ لها: أنتِ تريدينَ

سيداً، فقالت الثالثة:

ألا هلَ تَراها مَرَّةً وحليلاًها أشمُ كَنَصْلِ السِّيفِ عَيْنِ^(٢) المَهْنَدِ
عليماً بأدواءِ النِّساءِ ورهطُهُ إذا ما انتمى من أهلِ بيتى ومَحْتَدِ

فقلنَ لها: أنتِ تريدينَ ابنَ عمِّ لك، فقد عرفتَهُ، وقلنَ للصغرى: ما تقولين؟ فقالت: لا أقولُ شيئاً، فقلنَ: لا ندعُكَ وذاك، إنَّكِ اطلَّعتِ على أسرارنا وتكتمينَ سرِّك، فقالت: زوجٌ من عودٍ، خيرٌ من قُعودٍ.

قال: فحُطِبنَ، فزوجهنَّ جُمع، ثم أمهلهنَّ حوْلاً، ثم زارَ الكُبْرَى، فقال لها: كيفَ رأيتِ زوجك؟ قالت: خيرَ زوجٍ، يُكرِّمُ أهله، وينسى فضله، قال لها:

(١) زيادات ر: «فما يقال: فتى ولا مالك، وقد تقدم لأبى العباس: «فتى»، وهو الصواب».

(٢) زيادات ر: «حليلاًها، بفتح اللام وبالضم، وأشم مثله».

فَمَا مَالُكُمْ؟ قَالَتْ: الْإِبِلُ، قَالَ: وَمَا هِيَ؟ قَالَتْ: نَأْكُلُ لُحْمَانَهَا مُزَعًا^(١)، وَنَشْرَبُ أَلْبَانَهَا جُرْعًا، وَتَحْمِلُنَا وَضَعَفَتَنَا مَعًا، فَقَالَ لَهَا: زَوْجٌ كَرِيمٌ، وَمَالٌ عَمِيمٌ.

ثم زار الثانية فقال لها: كَيْفَ رَأَيْتَ زَوْجَكَ؟ قَالَتْ: يُكْرِمُ الْحَلِيلَةَ، وَيُقَرِّبُ الْوَسِيلَةَ. قَالَ: فَمَا مَالُكُمْ؟ قَالَتْ: الْبَقَرُ، قَالَ: وَمَا هِيَ؟ قَالَتْ: تَأْلَفُ الْفَنَاءَ، وَتَمْلَأُ الْإِنَاءَ، وَتُودِكُ السَّقَاءَ، وَنِسَاءٌ مَعَ نِسَاءٍ. قَالَ لَهَا: رَضِيتِ وَحَظِيتِ.

ثم زار الثالثة، فقال لها: كَيْفَ رَأَيْتَ زَوْجَكَ؟ فَقَالَتْ: لَا سَمَحٌ بِذُرٍّ، وَلَا بَخِيلٌ حَكْرٌ^(٢)، قَالَ: فَمَا مَالُكُمْ؟ قَالَتْ: الْمَعَزَى، قَالَ: وَمَا هِيَ؟ قَالَتْ: لَوْ كُنَّا نُولَدُهَا فَطَمًا، وَنَسْلُخُهَا أَدَمًا، لَمْ نَبْغِ بِهَا نَعْمًا، فَقَالَ لَهَا: جِدْوَ مَغْنِيَةً.

ثم زار الرابعة، فقال لها: كَيْفَ رَأَيْتَ زَوْجَكَ؟ فَقَالَتْ: شَرُّ زَوْجٍ، يُكْرِمُ نَفْسَهُ، وَيُهِنُ عَرْسَهُ، قَالَ لَهَا: فَمَا مَالُكُمْ؟ قَالَتْ: شَرُّ مَالٍ، الضَّمَانُ، قَالَ لَهَا: وَمَا هُنَّ؟ قَالَتْ: جُوفٌ لَا يَشْبَعْنَ، وَهَيْمٌ لَا يَنْقَعْنَ، وَصُمٌّ لَا يَسْمَعْنَ، وَأَمْرٌ مُغْوِيَتِهِنَّ يَتَبَعْنَ، فَقَالَ: «أَشْبَهَ أَمْرُؤُ بَعْضَ بَزَةٍ»^(٣) فَأَرْسَلَهَا مِثْلًا.

قال عليُّ بن عبد الله: قُلْتُ لِابْنِ عَائِشَةَ: مَا قَوْلُهَا: «وَأَمْرٌ مُغْوِيَتِهِنَّ يَتَبَعْنَ»؟ فَقَالَتْ: أَمَّا تَرَاهُنَّ يَمُرُّنَ فَتُسْقَطُ الْوَاحِدَةُ مِنْهُنَّ فِي مَاءٍ أَوْ وَحَلٍ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ فَيَتَبَعْنَهَا إِلَيْهِ.

قَوْلُ الثَّانِيَةِ:

* لَهُ جَفْنَةٌ يَشْقَى بِهَا النَّيْبُ وَالْجُزُرُ *

فالنَّيْبُ: جَمْعُ نَابٍ، وَهِيَ الْمُسْنَةُ، وَإِنَّمَا قِيلَ لَهَا: نَابٌ، لَطُولِ نَابِهَا، قَالَ أَوْسُ بْنُ حَجَرٍ:

* تُشَبِّهُ نَابًا وَهِيَ فِي السِّنِّ بَكْرَةٌ *

وتقدير «نَيْبٍ» مِنَ الْفِعْلِ «فَعَلَ»، وَلَكِنْ مَا كَانَ مِنْ ذَوَاتِ الْيَاءِ كُسِرَ لَهُ مَوْضِعُ الْفَاءِ مِنَ الْفِعْلِ لِتَصِحِّحِ الْيَاءِ، لِأَنَّ الْيَاءَ إِذَا سَكَنَتْ وَانْضَمَّ مَا قَبْلَهَا كَانَتْ

(١) مزعا: قطعاً.

(٢) الحكر هنا: المقتر.

(٣) زيادات ر: «أشبه امرأ بعض بزه، رواية»، يضرب للمتشابهين أخلاقاً.

واوًا، نحو مُوقِنٌ ومُوسِرٌ، وإن فارقَتْهَا الضَّمَّةُ عادتْ إلى أصلِها، نحو قولك: مَيَّاسِيرٌ، ومثل ذلك أبيضٌ وبِيضٌ، وإنما «بيضٌ» «فَعْلٌ» كـ «أَحْمَرٌ وَحُمْرٌ» و«أَصْفَرٌ وَصُفْرٌ»، ولكن كُسِرَتِ النون لتصحَّ الياءُ، ولو كانت واوًا في الأصل لم تَغَيَّرْ، نحو: «أَسْوَدَ وَسُودٌ».

وقوله: «نَابٌ»، تقديرها «فَعْلٌ» متحركة العين، ولا تتقلبُ الياءُ ولا الواوُ أَلْفًا إِلَّا وهما في موضع حركة وما قبلهما مفتوحٌ، نحو: بَاعَ وَقَالَ وَرَمَى وَغَزَا؛ لأنَّ التَّقديرَ «فَعْلٌ»، ولو كان على «فَعْلٍ» لَصَحَّتِ الياءُ والواوُ، كما تقول: بَيْعٌ وَقَوْلٌ، و«فَعْلٌ» قد يجمعونه على «فُعْلٍ» كقولهم: أَسَدٌ وَأُسْدٌ، ووَثْنٌ ووُثْنٌ.

وقولها: «تَشَقَّى بها النَّيبُ والجُزُرُ» فَإِنَّمَا عَطَفَتْ أَحَدَهُمَا على الآخرِ؛ لأنَّ مِنَ الإِبِلِ ما يكونُ جُزُورًا لِلنَّحْرِ لا غير.

وأما قولها: «وَلَا ضَرَعُ غُمْرٌ» فالضَّرَعُ: الضَّعِيفُ، والغُمْرُ: الذي لم يُجَرَّبِ الأمور.

[الحجاج والمهلب بن أبي صفرة]

ويروى أَنَّ الحَجَّاجَ لَمَّا وَرَدَ عَلَيْهِ ظَفَرُ المَهْلَبِ بنِ أَبِي صُفْرَةَ وَقَتْلُهُ عَبْدَ رَبِّهِ الصَّغِيرِ، وَهَرَبَ قَطْرِيٌّ عَنْهُ تَمَثَّلَ فَقَالَ: اللَّهُ دَرُّ المَهْلَبِ! وَاللَّهِ لَكَأَنَّهُ مَا وَصَفَ لَقِيَطُ الإِيَادِي حَيْثُ يَقُولُ:

وَقَلَّدُوا أَمْرَكُمْ اللَّهُ دَرَكُمْ	رَحَبَ الدَّرَاعَ بِأَمْرِ الحَرْبِ مُضْطَلَعًا
لَا مُتَرَفًا إِنْ رَحَاءَ العَيْشِ سَاعَدَهُ	وَلَا إِذَا عَضَّ مَكْرُوهُ بِهِ خَشَعًا
مَازَالَ يَحْلُبُ هَذَا الدَّهْرَ أَشْطَرُهُ	يَكُونُ مُتَّبِعًا طَوْرًا وَمُتَّبِعًا
حَتَّى اسْتَمَرَّتْ عَلَى شَرْزٍ مَرِيرَتُهُ	مُرَّ العَزِيمَةِ لَا رَتْئًا وَلَا ضَرَعًا

فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ: أَيُّهَا الأَمِيرُ، وَاللَّهِ لَكَأَنِّي أَسْمَعُ هَذَا التَّمَثِيلَ مِنْ قَطْرِيٍّ فِي المَهْلَبِ. فَسَرَّ الحَجَّاجُ بِذَلِكَ سُرُورًا تَبَيَّنَ فِي وَجْهِهِ.

وقولها:

* كَنَصَلِ السَّيْفِ عَيْنَ المِهْنَدِ *

فالمِهْنَدُ، المنسوبُ إِلَى الهِنْدِ.

وقولها: «مِنْ أَهْلِ بَيْتِي وَمَحْتَدِي» فالمحتد: الأصل، قال الشاعر:
وَفِي السَّرِّ مِنْ قَحْطَانٍ أَوْلَادُ حُرَّةٍ عِظَامُ اللَّهْمَا بَيْضُ كِرَامِ الْمَحَاتِدِ
وقوله: «مالٌ عَمِيمٌ» يقول: جامع، أَخَذَهُ مِنْ عَمٍّ يَعْمُ.

وقوله: «جَذُو مُغْنِيَّةٌ» فالجذو: جمعُ جذوة، وهى القطعة، وأصلُ ذلك فى
الحشَبِ ما كانَ منه فيه نارٌ، قال الله عزَّ وجل: ﴿أَوْ جَذْوَةٌ مِنَ النَّارِ﴾^(١) وتجمعُ
أيضاً جذداً، قال ابن مُقْبِل:

بَاتَتْ حَوَاطِبُ سَلَمَى يَلْتَمِسْنَ لَهَا جَزَلَ الْجُذَا غَيْرَ خَوَّارٍ وَلَا دَعِرٍ
الخَوَّارُ: الضعيفُ، والدَّعِرُ: الكثيرُ الثَّقَبِ، يقال: عُوْدُ دَعِرٍ.

وقولها: «جُوفٌ لَا يَشْبَعْنَ» تقول: عِظَامُ الْأَجَوَافِ. و«هِيمٌ لَا يَنْقَعَنَّ»،
الهِيمُ: العطَّاشُ، يكونُ الواحدُ مِنْ هِيمٍ أَهِيْمٌ، ويقالُ فى هذا المعنى: هِيْمَانُ. وقال
بعضُ المفسِّرينَ فى قول الله عزَّ وجل: ﴿فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهَيْمِ﴾^(٢) قال: هى
الإِبِلُ العطَّاشُ، وقال ذو الرُّمَّةَ^(٣):

فَرَاخَتْ الْحَقْبُ لَمْ تَقْصَعْ صَرَائِرَهَا وَقَدْ نَشَحْنَ فَلَا رَى وَلَا هَيْمٌ^(٤)
ويقال: «قَصَعُ صَارَتْهُ» إِذَا رَوَى، وَالصَّارَةُ: شِدَّةُ الْعَطَشِ، وَالنَّشُوحُ: أَنْ
تَشْرَبَ دُونَ الرَّى، يقال: نَشَحَ يَنْشَحُ، ومثله: تَغْمَرُ، إِذَا لَمْ يَرَوْ. ويقالُ لِلْقَدَحِ
الصَّغِيرِ الْعُمَرُ مِنْ هَذَا. وقال بعضُ المفسِّرينَ: الْهَيْمُ: رِمَالُ بَعِينِهَا، وَاحِدُهَا
هَيْمَاءٌ، يَا فَتَى.

وقولها: «لَا يَنْقَعَنَّ» أَى لَا يَرَوَيْنِ، يقال: مَا نَقَعْتُ مَاشِيَةً بَنَى فَلَانٍ بَرِيٍّ،
إِذَا لَمْ تَبْلُغْ مِنَ الْمَاءِ حَقَّهَا، وَيَقَالُ لِلْمَاءِ: النَّقْعُ، وَيَقَالُ: النَّقْعُ فى غيرِ هَذَا مَوْضِعٍ
لِلْغِبَارِ، وَيَقَالُ: أَثَارُوا النَّقْعَ بَيْنَهُمْ. وَالنَّقْعُ أَيضاً: اسْمُ مَوْضِعٍ بَعِينِهِ، قَالَ الشَّاعِرُ:

لَقَدْ حَبَبَتْ نَعْمٌ إِلَيْنَا بَوَاجِهُهَا مَسَاكِنَ مَا بَيْنَ الْوَتَائِرِ وَالنَّقْعِ^(٥)

(١) سورة القصص ٢٩. (٢) سورة الواقعة ٥٥.

(٣) زيادات ر: «يصف حميرا».

(٤) زيادات ر: «الحقب البيض الأعجاز من الحمير».

(٥) زيادات ر: «الوتائر، بالتاء منقوطة باثنتين من فوق»، الوتائر والنقع: موضعان.

والنَّعْعُ: الصُّرَاخُ، قال لبيد:

فَمَتَى يَنْقَعُ صُرَاخُ صَادِقٍ يُخْلِوهُ^(١) ذَاتَ جَرَسٍ وَزَجَلٍ

وقولها: «وصم لا يسمعن»، طريف من كلام العرب، وذلك أنه يقال لكل صحيح البصر ولا يعمل بصره: أعمى، وإنما يراد به أنه قد حل محل من لا يبصر البتة، إذا لم يعمل بصره، وكذلك يقال للسمع الذي لا يقبل: أصم، قال الله جل ذكره: ﴿صَمُّكُمْ عَمِّي﴾^(٢) كما قال جل ثناؤه: ﴿أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾^(٣) وكذلك: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الدُّعَاءَ﴾^(٤) وقوله عز وجل: ﴿كَمِثْلَ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً﴾^(٥).

وتقول العرب: «أبلد ما يرعى الضأن»، ويقال: أحقق من راعى ضأن ثمانين^(٦).

وتحدث عمرو بن بحر، قال: كان يقال: لا ينبغي لعامل أن يشاور واحداً من خمسة: القطان، والغزال، والمعلم، وراعى ضأن، ولا الرجل الكثير المحادثة للنساء.

وقيل في مثل هذا: لا تدع أم صبيك تضربه فإنه أعقل منها وإن كان طفلاً. وقال الأحنف بن قيس: إنني لأجالس الأحقق الساعة فأتبين ذلك في عقلي.

وقال جل ثناؤه في صفة النساء: ﴿أَوْ مِنْ يَنْشَأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾^(٧).

(١) كذا في الأصل، وفي ر: «يجلبوه».

(٢) سورة البقرة ١٨.

(٣) سورة محمد ٢٤.

(٤) سورة النمل ٨٠.

(٥) سورة البقرة ١٧١.

(٦) زيادات ر: «قوله: أحقق من راعى ضأن ثمانين، المثل لكسرى في أعرابي خيره فاختر ذلك، ذكره أبو عبيد، وهذا غير ما أشار إليه أبو العباس».

(٧) سورة الزخرف ١٨.

[نقد كثير الشعراء]

وَحَدَّثْتُ أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ أَتَى الْمَدِينَةَ فَأَقَامَ بِهَا، فَفِي ذَلِكَ يَقُولُ:

يَا خَلِيلِيَّ قَدْ مَلَيْتُ ثَوَائِي بِالْمُصَلَّى وَقَدْ شَنِتُّ الْبَقِيَعَا
فَلَمَّا أَرَادَ الشُّخُوصَ شَخَّصَ مَعَهُ الْأَحْوَصُ بْنُ مُحَمَّدٍ، فَلَمَّا نَزَلَا وَدَّانَ صَارَ
إِلَيْهِمَا نُصَيْبٌ، فَمَضَى الْأَحْوَصُ لِبَعْضِ حَاجَتِهِ، فَجَرَعَ إِلَى صَاحِبِيهِ، فَقَالَ: إِنِّي
رَأَيْتُ كَثِيرًا بِمَوْضِعٍ كَذَا، فَقَالَ عُمَرُ: فَأَبْعَثُوا إِلَيْهِ لِيَصِيرَ إِلَيْنَا، فَقَالَ الْأَحْوَصُ: أَهْوَى
يَصِيرُ إِلَيْكُمْ؟ هُوَ وَاللَّهُ أَعْظَمُ كِبَرًا مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: فَإِذَا نَصِيرُ إِلَيْهِ، فَصَارُوا إِلَيْهِ،
وَهُوَ جَالِسٌ عَلَى جِلْدٍ كَبَشٍ، فَوَاللَّهِ مَا رَفَعَ مِنْهُمْ أَحَدًا وَلَا الْقُرَشِيَّ. ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى
الْقُرَشِيِّ، فَقَالَ: يَا أَخَا قُرَيْشٍ، وَاللَّهِ لَقَدْ قُلْتَ فَأَحْسَنْتَ فِي كَثِيرٍ مِنْ شَعْرِكَ،
وَلَكِنْ خَبَّرَنِي عَنْ قَوْلِكَ:

قَالَتْ لَهَا أَخْتُهَا تُعَاتِبُهَا لَا تُفْسِدَنَّ الطَّوَافَ فِي عُمَرَ (١)
قُومِي تَصَدِّيْ لَهُ لِيُبْصِرْنَا ثُمَّ اغْمِزِيهِ يَا أُخْتُ فِي خَفَرٍ
قَالَتْ لَهَا: قَدْ غَمَزْتُهُ فَأَبَى ثُمَّ اسْبَطَرْتُ تَشْتَدُّ فِي أَثَرِي

وَاللَّهُ لَوْ قُلْتَ هَذَا فِي هَرَّةٍ أَهْلَكَ مَا عَدَا، أُرِدْتُ أَنْ تَنْسَبَ بِهَا فَانْسَبْتَ
بِنَفْسِكَ، أَهْكَذَا يُقَالُ لِلْمَرَأَةِ! إِنَّمَا تُوصَفُ بِالْخَفَرِ، وَأَنَّهَا مَطْلُوبَةٌ مِمَّنَّةٌ، هَلَّا قُلْتَ
كَمَا قَالَ هَذَا؟ وَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى كَتِفِ الْأَحْوَصِ:

أَدُورُ وَلَوْلَا أَنْ أَرَى أُمَّ جَعْفَرٍ بِأَيَاتِكُمْ مَا دُرْتُ حَيْثُ أَدُورُ
وَمَا كُنْتُ زَوَّارًا وَلَكِنْ ذَا الْهَوَى إِذَا لَمْ يَزَرَ لَابُدَّ أَنْ سِيْزُورُ
لَقَدْ مَنَعْتُ مَعْرِوْفَهَا أُمَّ جَعْفَرٍ وَإِنِّي إِلَى مَعْرِوْفِهَا لَفَقِيرُ

قَالَ: فَامْتَلَأِ الْأَحْوَصُ سُرُورًا، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ فَقَالَ: يَا أَحْوَصُ، خَبَّرَنِي عَنْ
قَوْلِكَ:

فَإِنْ تَصَلَّى أَصْلِكَ وَإِنْ تَعُودِي لَهَجَرٍ بَعْدَ وَصْلِكَ لَا أَبَالِي

(١) زيادات ر: «كذا وقعت الرواية» «لا تفسدن» على النهي، والصحيح: «لتفسدن» على القسم، كأنها
قالت: «والله لتفسدن».

أما والله لو كنتَ من فُحول الشعراء لَبَالَيْتَ، هَلَّا قُلْتَ مِثْلَ مَا قَالَ هَذَا؟
وَضَرَبَ يَدَهُ عَلَى جَنْبِ نَصِيبٍ:

بَزَيْتَبِ أَلَمٍ قَبْلَ أَنْ يَطْعَنَ الرِّكْبُ وَقُلْ إِنْ تَمَلَّيْنَا فَمَا مَلَكِ الْقَلْبُ
قَالَ: فَانْتَفَخَ نَصِيبٌ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ: وَلَكِنْ أَخْبِرْنِي عَنْ قَوْلِكَ
يَا أَسْوَدُ:

أَهِيْمُ بَدْعِدِ مَا حَيِّتُ وَإِنْ أَمْتُ فَوَا حَزَنِي مَنْ ذَا يَهِيْمُ بِهَا بَعْدِي
كَأَنَّكَ اغْتَمَمْتَ أَلَّا يُفْعَلَ بِهَا بَعْدَكَ، وَلَا يَكْنَى، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: قَوْمُوا
فَقَدْ اسْتَوَتْ الْقِرْقَةُ. وَهِيَ لُعْبَةٌ عَلَى خُطُوطٍ، فَاسْتَوَّاهَا انْقِضَاؤُهَا.

قَالَ أَبُو الْحَسَنِ: الطَّبِيُّ هِيَ السُّدْرُ، فَإِذَا زِيدَ فِي خُطُوطِهِ سَمَّيْتَهُ الْعَرَبُ:
الْقِرْقَةُ، وَتُسَمَّى الْعَامَّةُ السُّدْرُ.

[كَثِيرُ وَالْأَخْطَلُ عِنْدَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ]

قَالَ: وَحَدَّثْتُ أَنْ كَثِيرًا دَخَلَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ وَعِنْدَهُ الْأَخْطَلُ،
فَأَنشَدَهُ، فَالْتَفَتَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى الْأَخْطَلِ، فَقَالَ: كَيْفَ تَرَى؟ فَقَالَ: حِجَازِي مُجَوِّعٌ
مَقْرُورٌ^(١)، دَعْنِي أَضْغَمَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ كَثِيرٌ: مَنْ هَذَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟
فَقَالَ لَهُ: هَذَا الْأَخْطَلُ، فَقَالَ لَهُ كَثِيرٌ: مَهْلًا، فَهَلَّا ضَغَمْتَ الَّذِي يَقُولُ^(٢):

لَا تَطْلُبَنَّ خِئْلَةً فِي تَغْلِبِ فَالزَّيْجُ أَكْرَمُ مِنْهُمْ أَخْوَالًا^(٣)
وَالْتَّغْلِي إِذَا تَنَحَّجَ لِلْقَرَى حَكَ اسْتَهُ وَمَثَلَ الْأُمَثَالَا

فَسَكَتِ الْأَخْطَلُ فَمَا أَجَابَهُ بِحَرْفٍ.

قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ: سَمِعْتُ مَنْ يُنْشِدُ هَذَا الشَّعْرَ:

* وَالْتَّغْلِي إِذَا تَنَحَّجَ لِلْقَرَى *

وَهُوَ أَبْلَغُ.

(١) مَقْرُورٌ: أَصَابَهُ الْقِر، وَهُوَ الْبَرْدُ.

(٢) حَاشِيَةُ الْأَصْلِ: «هُوَ جَرِيرٌ»، وَالبَيْتَانِ فِي دِيْوَانِهِ ٤٥٠، ٤٥٣.

(٣) زِيَادَاتُ ر: «أَخْوَالًا، مَنْصُوبٌ عَلَى الْحَالِ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ تَمَيِّزٌ فَقَدْ أَخْطَأَ».

[أبيات نصيب في امرأة نزل عندها فأكرمته]

قال: وخبرت أن نصيباً نزل بامرأة تكنى أم حبيب، من أهل ملل، وكانت تضيف بذلك الموضع وتقرى، ولا يزال الشريف قد نزل بها فأفضل عليها الفضل الكثير، ولا يزال الشريف ممن لم يحلل بها يتناولها بالبر، ليعينها على مروءتها، فتزل بها نصيب ومعه رجلان من قريش، فلما أرادوا الرحلة عنها وصلها القرشيان، وكان نصيب لا مال معه في ذلك الوقت، فقال لها: إن شئت فلنك أن أوجه إليك بمثل ما أعطاك أجدهما، وإن شئت قلت فيك شعراً، فغزلت أم حبيب^(١) فقالت: بل الشعر، فقال:

ألا حتى قبل البين أم حبيب وإن لم تكن مناً غداً بقريب
وإن لم يكن أنى أحبك صادقاً فما أحد عندي إذاً بحبيب
تهام أصابت قلبه ملية غريب الهوى، وأها لكل غريب!

[نصيب عند عبد الملك بن مروان]

وحدثت أن نصيباً أتى عبد الملك فأنشده، فاستحسن عبد الملك شعره وسره به، فوصله، ثم دعا بالغداء فطعم معه، فقال له عبد الملك: يا نصيب، هل لك فيما يتنادم عليه؟ فقال: يا أمير المؤمنين، تأملني، قال: قد أراك، فقال: يا أمير المؤمنين، جلدي أسود، وخلقي مشوه، ووجهي قبيح، ولست في منصب، وإنما بلغ بي مجالستك ومؤاكلتك عقلي، وأنا أكره يا أمير المؤمنين أن أدخل عليه ما ينقصه. فأعجبه كلامه فأعفاه.

[الوليد بن عبد الملك والحجاج]

وقال الوليد بن عبد الملك للحجاج في وفدة وفدها عليه - وقد أكلا: هل لك في الشراب؟ فقال: يا أمير المؤمنين، ليس بحرام ما أحلته، ولكني أمتنع أهل عملي منه، وأكره أن أخالف قول العبد الصالح: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكُكُمْ إِلَى مَا أَنهَاكُمْ عَنْهُ﴾^(٢)، فأعفاه.

(١) زيادات ر: «أى مالت إلى أن يتغزل بها».

(٢) سورة هود ٨٨.

[مسلمة بن عبد الملك ونصيب]

وقال مسلمة بن عبد الملك يوماً لنصيب: امتدحت فلاناً! لرجل من أهله، فقال: قد فعلت، قال: أو حرمك؟ قال: قد فعل، قال: فهلاً هجوته؟ قال: لم أفعل، قال: ولم؟ قال: لأنني كنت أحق بالهجاء منه! إذ رأيته موضعاً لمدحى! فأعجب به مسلمة، فقال: أسألني، قال: لا أفعل، قال: ولم؟ فقال: لأن كفاك بالعطية أجود من لساني بالمسألة، فوهب له ألف دينار.

[في نقد الشعر]

وحديث أن الكميت بن زيد أنشد نصيباً فاستمع له، فكان فيما أنشده:
وقد رأينا بها حوراً منعمةً بيضاً تكامل فيها الدل والشنب^(١)
فثنى نصيب خنصره، فقال له الكميت: ما تصنع؟ فقال: أحصى خطأك،
تباعدت في قولك: «تكامل فيها الدل والشنب»
هلاً قلت كما قال ذو الرمة:
لمياء في شفتيها حوة لعس وفي اللثات وفي أنيابها شنب
ثم أنشده في أخرى:
كان الغطاط من جريها أراجيز أسلم تهجو غفارا^(٢)
فقال له: نصيب: ما هجت أسلم غفارا قط، فاستحيا الكميت فسكت.
قال أبو العباس: والذي عابه نصيب من قوله: «تكامل فيها الدل والشنب». قبيح جداً، وذلك أن الكلام لم يجر على نظم، ولا وقع إلى جانب الكلمة ما يشاكلها، وأول ما يحتاج إليه القول أن ينظم على نسق، وأن يوضع على رسم المشاكلة.

وخبرت أن عمر بن لجج قال لابن عم له: أنا أشعر منك، قال له: وكيف؟ قال: لأنني أقول البيت وأخاه، وأنت تقول البيت وابن عمه.

(١) الشنب: عذوبة الأسنان ورفتها.

(٢) الغطاط: اضطراب موج البحر، وفي زيادات ر: «وقعت الرواية» «من جريها»، وصوابه: «من غلبها»؛ لأنه يصف قدراً فيه لحم، فشبه غليان القدر وارتفاع اللحم فيه بالموج الذي يرتفع.

وَأَنشُدْ عَمْرُو بْنُ بَحْرٍ:

وَشِعْرُ بَعْرِ الْكَبْشِ فَرَقَ بَيْنَهُ
لِسَانُ دَعَى فِي الْقَرِيضِ دَخِيلُ
وَبَعْرُ الْكَبْشِ يَقَعُ مُسْتَفْرِّقًا، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ ابْنَةِ الْحُطَيْئَةِ لَهُ، لَمَّا نَزَلَ فِي بَنِي
كَلِيبِ بْنِ يَرْبُوعٍ: تَرَكْتُ الثَّرْوَةَ وَالْعَدَدَ، وَنَزَلْتُ فِي بَنِي كَلِيبٍ - بَعْرُ الْكَبْشِ.
يَقَالُ: بَعْرٌ وَبَعَرٌ، وَشِعْرٌ وَشَعَرٌ، وَشَمْعٌ وَشَمَعٌ، وَيُقَالُ لِلصَّدْرِ: قَصٌّ
وَقَصَصٌ، وَكَذَلِكَ نَهْرٌ وَنَهَرٌ.

وَزَعِمَ الْأَصْمَعِيُّ أَنَّهُ سَأَلَ أَعْرَابِيًّا، وَهُوَ بِالْمَوْضِعِ الَّذِي ذَكَرَهُ زُهَيْرٌ:
ثُمَّ اسْتَمَرُّوا وَقَالُوا إِنَّ مَشْرَبَكُمْ مَاءٌ بِشَرْقَى سَلْمَى فَيَدُ أَوْرَكَكَ
قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: فَقُلْتُ لِأَعْرَابِيٍّ: أَتَعْرِفُ رَكَكًا؟ فَقَالَ: لَا، وَلَكِنْ قَدْ كَانَ
هَاهُنَا مَاءٌ يُسَمَّى رَكَكًا.

فَهَذَا لَيْسَتْ فِيهِ لُغَتَانِ، وَلَكِنْ الشَّاعِرُ إِذَا احتَاجَ إِلَى الْحَرَكَةِ اتَّبَعَ الْحَرْفَ
الْمُتَحَرِّكَ الَّذِي يَلِيهِ السَّاكِنُ مَا يَشَاكُلُهُ، فَحَرَّكَ السَّاكِنَ بِتِلْكَ الْحَرَكَةِ. قَالَ عَبْدُ مَنْفَرٍ
ابْنُ رِبْعٍ [ش: رَبْعِي] الْهَذَلِيُّ:

إِذَا تَجَاوَبَ نَوْحٌ قَامَتَا مَعَهُ ضَرْبًا أَلِيمًا بِسَبْتٍ يَلْعَجُ الْجِلْدُ (١)
يُرِيدُ الْجِلْدَ، فَهَذَا مُطَرَّدٌ.

وَمِنْ مَذَاهِبِهِمُ الْمُطَرِّدَةُ فِي الشَّعْرِ أَنْ يُلْقُوا عَلَى السَّاكِنِ الَّذِي يَسْكُنُ مَا بَعْدَهُ
لِلتَّقْيِيدِ حَرَكَةَ الْإِعْرَابِ، كَمَا قَالَ الرَّاجِزُ (٢):

* أَنَا ابْنُ مَأْوِيَّةَ إِذْ جَدَّ النَّقْرُ *

يُرِيدُ «النَّقْر» يَا فَتَى، وَهُوَ: النَّقْرُ بِالْخِيلِ، فَلَمَّا أَسْكَنَ الرَّأْيَ أَلْقَى حَرَكَتَهَا
عَلَى السَّاكِنِ الَّذِي قَبْلَهَا (٣).

(١) زيادات ر: قال ابن القوطية: لعج الحب قلبه، والصرد جسده: أحرقه». والصرد شدة البرد.

(٢) زيادات ر: «قال ابن السيد: أحسبه لعبيد بن مأوية».

(٣) زيادات ر: «النقير»: صوت باللسان، يسكن به الفرس إذا اضطرب بفارسه، قال امرؤ القيس:
أَحْقَضُهُ بِالنَّقْرِ لَمَّا عَلَوْتُهُ ويرفع طرفاً غير جاف غَضِيضٍ

وشبَّه بهذا قوله :

عَجِبْتُ وَالْدَّهْرُ كَثِيرٌ عَجَبُهُ مِنْ عَنَزِيٍّ سَبَنِي لَمْ أَضْرِبُهُ
أراد: «لم أضربه»، يا فتى، فلما أسكن الهاء ألقى حركتها على الباء، وكان ذلك فى الباء أحسن، لخفاء الهاء.
وقال أبو النجْم:

* أقولُ قَرَّبَ ذَا وَهَذَا أَرْحَلُهُ *

يريدُ «أَرْحَلُهُ» يا فتى .

[أقول: قَرَّبَ ذَا وَهَذَاكَ أَرْحَلُهُ. كذا عن ش.] .

وقال طرفة :

حَابِسِي رَبْعٌ وَقِفْتُ بِهِ لَوْ أَطِيعُ النَّفْسَ لَمْ أَرْمُهُ
ولم يَلْزِمَهُ رَدُّ الْإِياءِ لَمَّا تَحَرَّكَتِ الْمِمْ، لأنَّ تَحَرُّكَهَا لَيْسَ لَهَا عَلَى الْحَقِيقَةِ، وَإِنَّمَا هِيَ حَرَكَةُ الْهَاءِ .

وأما قول الشاعر :

حَدِيثُ بَنِي بَدْرِ إِذَا مَا لَقِيَتْهُمْ كَنَزُوا الدَّبِيَّ فِي الْعَرْفَجِ الْمُتَقَارِبِ
فليس كقوله: «وَشِعْرٌ كَبَّعِرِ الْكَبْشِ» وَلَكِنَّهُ وَصَفَهُمْ بِضُؤْلَةِ الْأَصْوَاتِ وَسُرْعَةِ الْكَلَامِ وَإِدْخَالِ بَعْضِهِ فِي بَعْضٍ .
والذى يُحَمِّدُ الْجَهَارَةَ وَالْفَخَامَةَ .

[لرجل يمدح الرشيد]

وَأُنْشِدْتُ لِرَجُلٍ قَالَ يَمْدَحُ الرَّشِيدَ :

جَهِيرُ الْكَلَامِ جَهِيرُ الْعُطَاسِ جَهِيرُ الرُّوَاءِ جَهِيرُ النَّغَمِ
وَيَخْطُو عَلَى الْأَيْنِ خَطْوَ الظِّلِيمِ وَيَعْلُو الرِّجَالَ بِخَلْقِ عَمَمٍ^(١)

(١) زيادات ر: «الرجل هو العمانى الشاعر، وقوله: «عمم» أى جسيم، والأين: الإعياء، ويكون الأين الحية، وهى الأيم» .

ويروى أن الرشيد كان يأتزُرُ في الطَّوافِ فيَذُنُبُ إزارَه ويباعد بين خطاه، فإذا رجَعَ بيده كادَ يَفْتَنُ مَنْ يراهُ، فعند ذلك مُدِحَ بهذا الشَّعرِ .

[لعائشة وقد نظرت إلى رجل متماوت]

ويروى أَنَّ عائشةَ رحمها الله نظرت إلى رجل متماوت، فقالت: ما هذا؟ فقالوا: أَحَدُ القُرَّاءِ، فقالت: قد كان عمرُ بن الخطابِ قارئاً، فكان إذا قال أَسْمَعُ، وإذا مَشَى أسرعَ، وإذا ضرب أَوْجَعَ.

[لعمر وقد نظر إلى رجل يظهر النسك]

ويروى أَنَّ عمرَ بن الخطابِ رحمه الله نظر إلى رجل مُظْهِرٍ للنَّسكِ مُتَمَاوِتٍ، فَخَفَّقَهُ بالدَّرَّةِ، وقال: لَا تُمِتْ عَلَيْنَا دِينَنَا، أَمَاتَكَ اللهُ.

[وفوق الروم عند عبد الملك بن صالح العباسي]

ويروى أَنَّ عبدَ الملك بن صالح بن علي بن عبد الله بن العباس أثنه وفودٌ من الرُّومِ، وقام السَّمَاطَانُ، فَأَتَى برجلٍ منهم، وَعَطَسَ أَحَدُ مَنْ فِي السَّمَاطَيْنِ فَأَخْفَى عَطَسَتُهُ، فقال له عبدُ الملكَ لَمَّا انقَضَى أَمْرُ الْوُفْدِ: هَلَّا إِذْ كُنْتَ لَتَيْمَ الْعُطَاسِ أَتَبَعْتَ عَطَسَتَكَ صِيحَةً حَتَّى تَخْلَعَ بِهَا قَلْبَ الْعِلَجِ.

[جهازة صوت العباس]

وكان العباسُ بن عبد المطلب رحمه الله: أَجْهَرَ الناسِ صوتاً، ولذلك قال رسولُ الله ﷺ لَمَّا انْهَزَمَ النَّاسُ يَوْمَ حُنَيْنٍ: «يا عباسُ، اصْرُخْ بِالنَّاسِ». ويروى أَنَّ غَارَةً أَتَتْهُمْ يَوْمًا، فصاح العباسُ: يَا صَبَاحَاهُ! فاستسْقَطَتِ الحواملُ لشدَّةِ صوته.

وقد طُعِنَ فِي قول النَّابِغَةِ الْجَعْدِيِّ:

[وَأَزْجُرُ الكَاشِحَ العَدُوَّ إِذَا اغْ
زَجَرَ أَبِي عُرْوَةَ السَّبَاعَ إِذَا
تَابَكَ عِنْدِي زَجْرًا عَلَى أَضْمٍ^(١)
أَشْفَقَ أَنْ يَخْسِلَ ظَنِّ بِالْغَنَمِ^(٢)

(١) هذا البيت من زيادات ر.

(٢) زيادات ر: «يروى «زجر أبى عروة السباع»، بخفض السباع، كما قيل: قيس الرقيات»، فصار على هذا الوجه يعرف بأبى عروة السباع، مثل ذلك».

وذلك أَنَّ الرواةَ احتملتُ هذا البيتَ على أَنه كان يَزْجُرُ الذَّئَابَ ونحوها مما يُغَيِّرُ على الغنمِ، فَيَفْتَقُ مَرَارَةَ السَّبْعِ في جَوْفه.

فقال: مَنْ يَطْعَنُ في هذا؟ السَّبْعُ أَشَدُّ أَيْدًا من الغنمِ، فإذا فَعَلَ ذلك بالسَّبْعِ هَلَكَتِ الغنمُ قَبْلَهُ. فقال مَنْ يَحْتَجُّ لَهُ: إِنَّ الغنمَ كانتِ قد أَنَسَتْ بهذا منه، والصَّوتُ الرَّائِعُ أَنَسٌ لِمَنْ أَنَسَ بِهِ، كالرَّعْدِ الْقَاصِفِ الَّذِي لَوْ لَا خَشْيَةُ صَاعِقَتِهِ لَمْ يُفْزِعْ كَبِيرَ فَرْعٍ، ولو جَاءَ أَقْلٌ مِنْهُ مِنْ جَوْفِ الْأَرْضِ لَذَعَرَ، ولم يَبْعُدْ أَنْ يَقْتُلَ إِذَا أَتَى مِنْ حَيْثُ لَمْ يُعْتَدِ.

وجملة هذا البيتِ أَنه وَصَفَ شِدَّةَ صَوْتِ الْمَذْكُورِ، وتَأْوِيلُهُ أَنه مِنْ تَكَاذِبِ الْأَعْرَابِ.

[الحسن وقد رأى رجلاً يجود بنفسه]

وَحَدَّثْتُ أَنَّ الْحَسْنَ نَظَرَ إِلَى رَجُلٍ يَجُودُ بِنَفْسِهِ فقال: إِنَّ أَمْرًا هَذَا آخِرُهُ لَجَدِيرٌ بَأَنْ يَزْهَدَ فِي أَوَّلِهِ، وَإِنَّ أَمْرًا هَذَا أَوَّلُهُ لَجَدِيرٌ أَنْ يُخَافَ آخِرُهُ.

وقيلَ لرجلٍ من أَشرافِ الْعَجَمِ في عِلَّتِهِ التي ماتَ فيها: ما بك؟ قال: فُكِرْتُ عَجِيبًا، وَحَسْرَةً طَوِيلَةً، فَقِيلَ: مِمَّ ذَاكَ؟ فقال: ما ظَنُّكُمْ بِمَنْ يَقْطَعُ سَفَرًا فَقَرًّا بِلَا زَادٍ، وَيَسْكُنُ قَبْرًا مُوحِشًا بِلَا مُؤَنَسٍ، وَيَقْدُمُ عَلَى حَكَمٍ عَادِلٍ بِلَا حُجَّةٍ!

وقال بعضُ الْمُحَدِّثِينَ، وهو محمودُ الْوَرَّاقِ:

بأى اعتذار أم بآية حُجَّةٍ يقولُ الَّذي يَدْرِي مِنَ الْأَمْرِ: لا أَدْرِي!
إذا كان وجهُ الْعُذْرِ ليسَ بَبَيِّنٍ فإنَّ أَطْرَاحَ الْعُذْرِ خَيْرٌ مِنَ الْعُذْرِ

واعْتَذَرَ رَجُلٌ إِلَى سَلَمِ بْنِ قُتَيْبَةَ مِنْ أَمْرِ بَلَغَهُ عَنْهُ، فَعَذَرَهُ، ثُمَّ قالَ لَهُ: يا هذا، لا يَحْمِلُكَ الْخُرُوجُ مِنْ أَمْرِ تَخَلَّصْتَ مِنْهُ عَلَى الدُّخُولِ فِي أَمْرِ لَعَلَّكَ لا تَخْلُصُ مِنْهُ.

وقيل لخالد بن صفوان: أَيُّ إِخْوَانِكَ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ فقال: الذى يَسُدُّ خَلْلِي، وَيَغْفِرُ زَلْلِي، وَيَقْبَلُ عَلَيَّ.

[من أخبار عبد الله بن جعفر]

وافْتَقَدَ عبدُ الله بن جعفر بن أبى طالب صَدِيقًا له من مجلسه، ثم جاءه، فقال: أين كانت غَيْبَتُكَ؟ فقال: خرجتُ إلى عُرْضٍ من أَعْرَاضِ الْمَدِينَةِ مَعَ صَدِيقٍ لِي، فقال له: إِنْ لَمْ تَجِدْ مِنْ صُحْبَةِ الرِّجَالِ بُدًّا فَعَلَيْكَ بِصُحْبَةِ مَنْ إِنْ صَحْبَتَهُ زَانِكٌ، وَإِنْ خَفَفَتْ لَهُ صَانِكٌ، وَإِنْ أَحْتَجْتَ إِلَيْهِ مَانِكٌ^(١)، وَإِنْ رَأَى مِنْكَ خَلَّةٌ سَدَّهَا، أَوْ حَسَنَةٌ عَدَّهَا، وَإِنْ وَعَدَكَ لَمْ يُجْرِضْكَ^(٢)، وَإِنْ كَثُرَتْ عَلَيْهِ لَمْ يَرْفُضْكَ، وَإِنْ سَأَلْتَهُ أَعْطَاكَ، وَإِنْ أَمْسَكَتَ عَنْهُ ابْتَدَأَكَ.

وامْتَدَحَ^(٣) نَصِيبُ عبدِ الله بن جعفر، فَأَمَرَ له بِخَيْلٍ وَإِبِلٍ وَأَثَاثٍ وَدَنَانِيرٍ وَدِرَاهِمٍ، فقال له رجل: أَمْثَلُ هَذَا الْأَسْوَدُ يُعْطَى مِثْلَ هَذَا الْمَالِ؟ فقال له عبدُ الله [ابن جعفر^(٤)]: إِنْ كَانَ أَسْوَدٌ فَإِنَّ شَعْرَهُ لَا يَبْيَضُ، وَإِنْ ثَنَاءَهُ لِعَرَبِيٍّ، وَلَقَدْ اسْتَحَقَّ بِمَا قَالَ أَكْثَرَ مِمَّا نَالَ، وَهَلْ أُعْطِيَنَاهُ إِلَّا ثِيَابًا تَبْلَى، وَمَالًا يَفْنَى، وَمَطَايَا تُنْضَى، وَأَعْطَانَا مَدْحًا يُرَوَى، وَثَنَاءً يَبْقَى!

وقيل لعبد الله بن جعفر: إِنَّكَ لَتَبْذُلُ الْكَثِيرَ إِذَا سُئِلْتَ، وَتُضَيِّقُ فِي الْقَلِيلِ إِذَا تُوجِرْتَ؟ فقال: إِنِّي أَبْذُلُ مَالِي، وَأُضْنُ بَعْقَلِي.

[نبذة من أقوال الحكماء]

وقيل ليزيد بن معاوية: مَا الْجُودُ؟ فقال: إِعْطَاءُ الْمَالِ مَنْ لَا تَعْرِفُ، فَإِنَّهُ لَا يَصِيرُ إِلَيْهِ حَتَّى يَتَخَطَّى مَنْ تَعْرِفُ.

وخبِرتُ عن رجلٍ من الأنصار قال لابن عبد الرحمن بن عوف: مَا تَرَكَ لَكَ أَبُوكَ؟ قال: تَرَكَ لِي مَالًا كَثِيرًا، فقال: أَلَا أَعْلَمُكَ شَيْئًا خَيْرٌ لَكَ مِمَّا تَرَكَ لَكَ^(٥) أَبُوكَ؟ إنه لَا مَالٌ لِعَاجِزٍ، وَلَا ضَيَاعٌ عَلَى حَازِمٍ، وَالرَّقِيقُ جَمَالٌ وَلَيْسَ بِمَالٍ، فَعَلَيْكَ مِنَ الْمَالِ بِمَا يَعْوَلُكَ وَلَا تَعُولُهُ.

(١) مانك: قام بما عليك من مثونة.

(٢) يريد لم يخلف وعدك.

(٣) س: «قال أبو العباس».

(٤) تكملة من س.

(٥) كلمة: «لك» ساقطة من ر، وهى فى الأصل.

وقال معاوية: الْخَفْضُ وَالِدَعَّةُ سَعَةُ الْمَنْزِلِ وَكَثْرَةُ الْخَدَمِ.

وقيل لِحُرَيْمِ الْمُرِّي - وهو الْمُنْبِزُ^(١) بِحُرَيْمِ النَّاعِمِ: مَا النُّعْمَةُ؟ فقال: الْأَمْنُ، فإنه ليس لخائف عيش، والغنى فإنه ليس لفقير عيش، والصحة فإنه ليس لسقيم عيش، قيل: ثُمَّ مَاذَا؟ قال: لَا مَزِيدَ بَعْدَ هَذَا.

وقال سلم بن قتيبة: الشَّبَابُ الصِّحَّةُ، والسُّلْطَانُ الْغِنَى، والمَرْوَةُ الصَّبْرُ عَلَى الرَّجَالِ.

وقال الْمُهَلَّبُ بْنُ أَبِي صُفْرَةَ: الْعَجَبُ لِمَنْ يَشْتَرِي الْمَالِيكَ بِمَالِهِ وَلَا يَشْتَرِي الْأَحْرَارَ بِمَعْرُوفِهِ. وَكَانَ يَقُولُ لِبَنِيهِ: إِذَا غَدَا عَلَيْكُمْ الرَّجُلُ وَرَاحَ مُسْلِمًا، فَكَفَى بِذَلِكَ تَقَاضِيًا.

وقال خالد بن عبد الله الْقَسْرِيُّ: مَحْضُ الْجُودِ مَا لَمْ تَسْبِقْهُ مَسْأَلَةٌ، وَمَالٌ يَتَّبَعُهُ مَنْ، وَلَمْ يُزِرْ بِهِ قِصْرٌ، وَوَافَقَ مَوْضِعَ الْحَاجَةِ.

وقال بعض الْمُحَدِّثِينَ - وهو حبيب الطائي:

أَسْأَلُ نَصْرًا لَا تَسْلُهُ فَإِنَّهُ أَحْنُ إِلَى الْإِرْفَادِ مِنْكَ إِلَى الرَّفْدِ
وقال آخر - وهو أبو العتاهية:

لَا تَسْأَلَنَّ الْمَرْءَ ذَاتَ يَدَيْهِ فَلْيَحْقِرَنَّكَ مَنْ رَغِبَتْ إِلَيْهِ
الْمَرْءُ مَالٌ تَرْزُهُ لَكَ مُكْرَمٌ فَإِذَا رَزَاكَ الْمَرْءَ هُنْتَ عَلَيْهِ
وَكَمَا يَكُونُ لَدَيْكَ مَنْ عَاشَرْتَهُ فَكَذَاكَ فَارْضَ بِأَنْ تَكُونَ لَدَيْهِ

[النَّخَارُ الْعُذْرِي وَمَعَاوِيَةُ]

وَدَخَلَ النَّخَارُ الْعُذْرِي عَلَى مَعَاوِيَةَ فِي عِبَاءَةٍ، فَاحْتَقَرَهُ مَعَاوِيَةُ، فَرَأَى ذَلِكَ النَّخَارُ فِي وَجْهِهِ، فَقَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَيْسَتْ الْعِبَاءَةُ تُكَلِّمُكَ، إِنَّمَا يَكَلِّمُكَ مَنْ فِيهَا، ثُمَّ تَكَلَّمَ فَمَلَأَ سَمْعَهُ، ثُمَّ نَهَضَ وَلَمْ يَسْأَلْهُ، فَقَالَ مَعَاوِيَةُ: مَا رَأَيْتُ رَجُلًا أَحَقَرَ أَوْلَا وَلَا أَجَلَ آخِرًا مِنْهُ^(٢).

(١) المنبِزُ: اللقب بلقب مكروه.

(٢) كلمة «معاوية» ساقطة من ر.

[محمد بن كعب القرظي وسليمان بن عبد الملك]

ودخل محمد بن كعب القرظي على سليمان بن عبد الملك في ثياب رثة، فقال له سليمان: ما يَحْمِلُكَ على لبس مثل هذه الثياب؟ فقال: أكره أن أقول: الزُّهْدُ، فأطرى نفسي، أو أقول: الفقر، فأشكو ربي.

[سالم بن عبد الله بن عمر وهشام بن عبد الملك]

وحدثني التَّوَزِيُّ قال: دخل سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب على هشام بن عبد الملك في ثياب رثة وعليه عمامة تخالفها، فقال له هشام: كَانَ الْعِمَامَةُ لَيْسَتْ مِنَ الثِّيَابِ! قَالَ: إِنَّهَا مُسْتَعَارَةٌ، فقال له: كم سنك؟ قال: ستون سنة، قال: ما رأيت ابنَ ستينَ أَبْقَى كِدْنَةً منك^(١)، مَا طَعَامُكَ؟ قال: الْخَبْزُ وَالزَّيْتُ، قال: أَمَا تَأْجِمُهُمَا^(٢)؟ فقال: إِذَا أَجَمْتُهُمَا تَرَكْتُهُمَا حَتَّى أَشْتَهِيَهُمَا، ثُمَّ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ وَقَدْ صُدِعَ، فقال: أَتُرَوْنَ الْأَحْوَالَ لَقَعْنِي بَعِينِهِ، فَمَاتَ مِنْ تِلْكَ الْعِلَّةِ^(٣).

وَنَظَرَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى رَجُلٍ جَيِّدِ الْكِدْنَةِ فَقَالَ: يَا هَذَا، إِنِّي لَأَرَى عَلَيْكَ قَطِيفَةً مُحْكَمَةً مِنْ نَسْجٍ أَضْرَاسِكَ.

[من أخبار أبي الأسود الدؤلي]

ودخل أبو الأسود الدؤلي^(٤) على عبيد الله بن زياد في ثياب رثة، فكساه ثياباً حسناً، فخرج وهو يقول:

كَسَاكَ وَمَا اسْتَكْسَيْتَهُ فَشَكَرْتَهُ
وَأَنَّ أَحَقَّ النَّاسِ أَنْ كُنْتَ مَادِحًا
أَخْ لَكَ يُعْطِيكَ الْجَزِيلَ وَنَاصِرُ
بِمَدْحِكَ مَنْ أَعْطَاكَ وَالْعَرِضُ وَأَفْرُ

(١) زيادات ر: «كدنة: قوة الجسم، قال ابن القوطية في الأفعال: كدنت الشفة كدونا اسودت: كدن البعير: كثر شحمه».

(٢) أجم الطعام: عافه وكرهه.

(٣) زيادات ر: «قال ابن الأعرابي ثم لقع فلان فلانا بعينه، وزلقه، وزلقه (بتشديد اللام) وأزلقه، وشقذه، وشوّه، ويقول الرجل إذا أجاد في عمله: لا تشوّه عني، أي لا تقل لي: أجدت فتصيبني بالعين، ورجل معين، إذا أصيب بالعين، وشاه وشائه وشقذ وشقذان».

(٤) زيادات ر: «اسم أبي الأسود الدؤلي ظالم بن عمرو بن سفيان، وقيل عمرو بن جندل بن سفيان، وأمه من بني عبد الدار، بصرى تابعة ثقة، من أصحاب علي من كتابه».

وحدثني الرياشي قال: دخل أبو الأسود الدؤلي على عبيد الله بن زياد وقد أسنَّ، فقال له عبيد الله يَهْزَأُ به: يا أبا الأسود، إنك لجميل، فلو تعلَّقتَ تَمِيمَةً تردُّ عنك بعضَ العيون، فقال أبو الأسود:

أَفَنِي الشَّبَابَ الَّذِي أَفْنَيْتُ جَدَّتَهُ كَرُّ الْجَدِيدَيْنِ مِنْ آتٍ وَمُنْطَلِقِ
لَمْ يَتْرُكْهُ لِي فِي طَوْلِ اخْتِلَافِهِمَا شَيْئًا أَخَافُ عَلَيْهِ لَذَعَةُ الْحَدَقِ

قوله: «فلو تعلَّقتَ تَمِيمَةً» هي: المعَاذَةُ يُعَلِّقُهَا الرَّجُلُ.

قال ابن قيس الرقيات:

صَدَرُوا لَيْلَةً أَنْقَضَى الْحَجَّ فِيهِمْ طِفْلَةً زَانَهَا أَغْرُ وَسِيمُ
يَتَّقِي أَهْلَهَا الْعِيُونَ عَلَيْهَا فَعَلَى جِيدِهَا الرُّقَى وَالتَّمِيمُ

وقال أبو ذؤيب:

وَإِذَا الْمَيْتَةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ

وقوله: «لَذَعَةُ الْحَدَقِ» فهو من قولك: لَذَعَتِ النَّارُ، إِذَا لَفَحَتْهُ، ويقال: لَذَعُ فُلَانٌ فُلَانًا بِأَدَبٍ، إِذَا أَدَبَهُ أَدَبًا سَيْرًا، كَأَنَّهُ كَالْمَقْدَارِ الَّذِي وَصَفَنَاهُ مِنَ النَّارِ.

وقول ابن قيس الرقيات: «زَانَهَا أَغْرُ وَسِيمُ»، فالأَغْرُ: الأَبْيَضُ - يَعْنِي الْوَجْهَ، وَالْوَسِيمُ: الْجَمِيلُ، وَالْمَصْدَرُ الْوَسَامَةُ وَالْوَسَامُ.

[بعضُ المحدثين في الخطاب]

وقال بعضُ المحدثين، ذكرناه بقول أبي الأسود:

قَدْ كُنْتُ أُرْتَاعُ لِلْبَيْضَاءِ فِي حَلْكَ فَصُرْتُ أُرْتَاعُ لِلسَّوْدَاءِ فِي يَقَقِ^(١)
مَنْ لَمْ يَشَبْ لَيْسَ مِمْلَاقًا حَلِيلَتَهُ وَصَاحِبُ الشَّيْبِ لِلنَّسْوَانِ ذُو مَلَقِ
قَدْ كُنْ يَفْرَقُنْ مِنْهُ فِي شَبِيبَتِهِ فَصَارَ يَفْرَقُ مَنْ كَانَ ذَا فَرْقِ
إِنَّ الْخِضَابَ لَتَدْلِيسٌ يُغْشَى بِهِ كَالثَّوْبِ فِي السُّوقِ مَطْوِيًّا عَلَى حَرَقِ

وَيُرَوَّى: «يُطْوَى لِتَدْلِيسٍ عَلَى حَرَقٍ».

(١) اليقق: البياض.

وشبيه بهذا المعنى قول أبي تمام:
طَالَ إنْكَارِي البِيضَ وَإِنْ

عَمَرْتُ شَيْئًا أَنْكَرْتُ لَوْنَ السَّوَادِ

وحدثني الزَّيَادِيُّ قَالَ: قِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ: أَلَا تَخْضُبُ بِالْوَسْمَةِ، فَقَالَ: لِمَ ذَاكَ؟
فَقَالَ: لِنَتَّصِبُو إِلَيْكَ النِّسَاءَ، فَقَالَ: أَمَّا نِسَاؤُنَا فَمَا يُرِدُنَ بِنَا بِدِيلَا، وَأَمَّا غَيْرُهُنَّ فَمَا
نَلْتَمِسُ صَبَوْتَهُنَّ.

[العتبي]

وقال العتبيُّ:

وَقَائِلَةٌ تَبَيَّضُ وَالْغَوَانِي نَوَافِرُ عَنْ مُعَالَجَةِ الْقَتِيرِ^(١)
عَلَيْكَ الْخَطَرُ عَلَّكَ أَنْ تَدْنَى إِلَى بَيْضِ تَرَائِبُهُنَّ حُورِ^(٢)
فَقُلْتُ لَهَا الْمَشِيبُ نَذِيرُ عُمْرِي وَلَكِنَّتُ مُسَوِّدًا وَجْهَ النَّذِيرِ

[ليزيد بن المهلب]

وقال آخر - وهو أبو خالدٍ يزيدُ بن محمدٍ المَهْلَبِيُّ:

صَبَغْتُ الرَّأْسَ خَتْلًا لِلْغَوَانِي كَمَا غَطَّى عَلَيَّ الرِّيبُ الْمُرِيبُ
أَعْلَلُ مَرَّةً وَأَسَاءُ أُخْرَى وَلَا تُحْصَى مِنَ الْكِبَرِ الْعُيُوبُ
أُسُوفُ تَوْبَتِي خَمْسِينَ عَامًا وَظَنِّي أَنَّ مَثْلِي لَا يَتُوبُ
يُقَوْمُ بِالثَّقَافِ الْعُودُ لَدُنَّا وَلَا يَتَقَوْمُ الْعُودُ الصَّلِيبُ^(٣)

وقال مالكُ بن دينارٍ: جَاهِدُوا أَهْوَاءَكُمْ، كَمَا تُجَاهِدُونَ أَعْدَاءَكُمْ. وكان
يقول: مَا أَشَدَّ فِطَامَ الْكَبِيرِ.

وقال آخر:

دَعَى لَوْمِي وَمَعْتَبَتِي أُمَامَا فَلِإِنِّي لَمْ أُعْوِّدَ أَنْ أُلَامَا
وَكَيْفَ مَلَامَتِي إِذْ شَابَ رَأْسِي عَلَى خَلْقٍ نَشَأَتْ بِهِ غُلَامَا

(١) زيادات ر: «ويروى «معالجة»، بكسر اللام، فمن فتح اللام جعله مصدرًا، ومن كسر اللام فهي الجماعة التي تعالج ذلك الشيء».

(٢) الخطر: نبات يخضب به. (٣) الثقاف: آلة لتقويم الرماح.

وقيل لأعرابي: أَلَا تُغَيِّرُ شَيْبَكَ بِالْخَضَابِ؟ فقال: بَلَى، ففَعَلَ ذَاكَ مَرَّةً، ثُمَّ لَمْ يَعَاوِدْ، فَقِيلَ لَهُ: لِمَ لَا تُعَاوِدُ الْخَضَابَ؟ فقال: يَا هَنَاهُ، لَقَدْ شُدَّ لِحْيَايَ فَجَعَلْتُ أَخَالَئِي مَيِّتًا.

[لحمود الوراق، في الشيب]

وقال بعضُ المُحدِّثين، وهو محمودُ الرَّاق:

يا خَاضِبَ الشَّيْبِ الَّذِي	فِي كُلِّ ثَالِثَةِ يَعُودُ
إِنَّ النُّصْرَةَ إِذَا بَدَأَ	فَكَأَنَّهُ شَيْبٌ جَدِيدُ
وَلَهُ بَدَاهَةُ لَوْعَةٍ	مَكْرُوهُهَا أَبَدًا عَتِيدُ ^(١)
فَدَعِ الْمَشِيبَ لِمَا أَرَأَا	دَ فَلَنْ يَعُودَ كَمَا تُرِيدُ

وقال محمودُ أيضًا:

أَلَيْسَ عَجِيبًا بَأَنَّ الْفَتَى	يُصَابُ بِبَعْضِ الَّذِي فِي يَدَيْهِ
فَمَنْ بَيْنَ بَاكِ لَهُ مُوْجِعُ	وَبَيْنَ مُعَزِّ مُغَدٍّ إِلَيْهِ ^(٢)
وَيَسْلُبُهُ الشَّيْبُ شُرْخَ الشَّبَابِ	فَلَيْسَ يُعَزِّيه خَنْقٌ عَلَيْهِ

وقال أيضًا:

يَا خَاضِبَ الشَّيْبَةِ نَحْ فَقْدَهَا	فَإِنَّمَا تُدْرِجُهَا فِي كَفْنِ
أَمَّا تَرَاهَا مِنْذُ عَايَتِهَا	تَزِيدُ فِي الرَّأْسِ بِنَقْصِ الْبَدَنِ

وقال أيضًا:

اغْتَنِمْ غَفْلَةَ الْمَنِيَةِ وَاعْلَمْ	أَنَّ الشَّيْبَ لِلْمَنِيَةِ جَسْرُ
كَمْ كَبِيرٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقْصَى	وَصَغِيرٍ لَهُ هُنَالِكَ قَدْرُ

قال أبو الحسن: يقال «جِسْرٌ وَجَسْرٌ»، وهو مأخوذٌ من الناقة الكبيرة، يقال لها: «الْجَسْرُ».

(١) يقال: عند الشيء إذا حضر، فهو عنيد.

(٢) مغد: مسرع.

[لأبي النجم العجلي]

وقال أعرابي^(١):

قالت سُلَيْمَى أَنْتَ شَيْخٌ أَنْزَعُ^(٢) فقلتُ مَا ذَاكَ وَإِنِّي أَصْلَعُ
ثم حَسَرْتُ عَنْ صَفَاةٍ تَلْمَعُ فَأَقْبَلْتُ قَائِلَةً تَسْتَرْجِعُ

* ما رَأْسُ ذَا إِلَّا جَبِينٌ أَجْمَعُ *

[للرؤبة]

وقال آخرُ، وهو رؤبة:

قد تَرَكَ الدَّهْرُ صَفَاتِي صَفْصَفَا فصارَ رَأْسِي جَبْهَةً إِلَى الْقَفَا
كَأَنَّهُ قَدْ كَانَ رُبْعًا فَعَفَا يُمَسِّي وَيُضْحِي لِلْمَنَايَا هَدَفَا

[لنصر بن حجاج وقتل عمر رأسه]

وكان نصر بن حجاج بن علاط السُّلَمِيُّ ثم البَهْزِيُّ جَمِيلًا، فَعَثَرَ عَلَيْهِ عُمَرُ -
بن الخطاب رحمه الله في أمر - الله أعلم به - فَحَلَقَ رَأْسَهُ، وَكَانَ أَصْلَعٌ، لَمْ يَبْقَ
من شَعْرِهِ إِلَّا حُقَافٌ^(٣)، كَذَلِكَ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ فَقَالَ نَصْرُ بْنُ حَجَّاجٍ:

لَبِضْنَ ابْنُ خَطَّابٍ عَلَى بَجْمَةٍ إِذَا رَجُلٌ تَهْتَزُّ مَرَّ السَّلَاسِلِ
فَصَلَّعَ رَأْسًا لَمْ يُصَلِّعْهُ رَبُّهُ يَرِفُ رَفِيقًا بَعْدَ أَسْوَدَ جَائِلِ^(٤)
لَقَدْ حَسَدَ الْفُرْعَانُ أَصْلَعُ لَمْ يَكُنْ إِذَا مَا مَشَى بِالْفَرْعِ بِالْمُتَخَايِلِ^(٥)

قوله: «بِالْفَرْعِ بِالْمُتَخَايِلِ» ليس أَنَّهُ جَعَلَ «بِالْفَرْعِ»، من صِلَةِ الْمُتَخَايِلِ فَيَكُونُ
ذَلِكَ مَعْنَاهُ: بِالَّذِي يَخْتَالُ بِالْفَرْعِ، فَيَكُونُ قَدْ قَدَّمَ الصِّلَةَ عَلَى الْمَوْصُولِ، وَلَكِنَّهُ

(١) زيادات ر: «هو أبو النجم».

(٢) أَنْزَعُ، من النزع، وهو انحسار مقدم شعر الرأس من جانبي الجبهة.

(٣) حُقَاف: شعر حول الصلعة.

(٤) الجائل: الشعر الكثير الملتف.

(٥) الفرعان: جمع أفرع، وهو الوافى الشعر.

جَعَلَ قَوْلَهُ: «بِالْفَرْعِ» تَبَيَّنًا، فَصَارَ بِمَنْزِلَةِ «بِكَ» الَّتِي تَقَعُ بَعْدَ «مَرْحَبًا» لِلتَّبَيُّينِ، وَقَدْ مَرَّ تَفْسِيرُ هَذَا مُسْتَقْصًى فِي الْكِتَابِ «الْمُقْتَضَبِ».

وَقَالَ آخِرُ:

تُعْطَى نُمَيْرٌ بِالْعَمَائِمِ لُؤْمَهَا	وَكَيْفَ يُعْطَى اللَّؤْمُ طَى الْعَمَائِمِ
فَإِنْ تَضْرِبُونَا بِالسَّيَاطِ فَإِنَّا	ضَرْبِنَاكُمْ بِالْمَرْهَفَاتِ الصَّوَارِمِ
وَأِنْ تَحْلُقُوا مِنَّا الرُّعُوسَ فَإِنَّا	حَلَقْنَا رُعُوسًا بِاللَّهَى وَالْغَلَاصِمِ ^(١)
وَأِنْ تَمْنَعُوا مِنَّا السَّلَاحَ فَعِنْدَنَا	سِلَاحٌ لَنَا لَا يُشْتَرَى بِالْذَّرَاهِمِ
جَلَامِيدٌ أَمْلَاءُ الْأَكْفِ كَأَنَّهَا	رُعُوسٌ رِجَالٌ حُلِقَتْ بِالْمَوَاسِمِ

[مِنْ شَعْرِ يَزِيدَ بْنِ الطَّطْرِيةِ وَأَخْبَارِهِ]

وَكَانَ يَزِيدُ بْنُ الطَّطْرِيةِ غَزَلًا، وَكَانَ أَخُوهُ ثَوْرٌ ذَا مَالٍ، فَكَانَ يَزِيدُ يَأْتِي الْعِطَّارَ فَيَقُولُ: اذْهَبِي دَهْنَةً بِنَاقَةٍ مِنْ إِبِلِ ثَوْرٍ، فَيَفْعَلُ ذَلِكَ، وَكَانَ ذَا جُمَّةٍ حَسَنَةٍ، فَإِذَا كَثُرَ عَلَيْهِ الدِّينُ هَرَبَ فَتَبَدَّى^(٢)، فَإِذَا ذَكَرَ حَوْشِيَّةً - وَهِيَ امْرَأَةٌ كَانَتْ يُشَبَّبُ بِهَا^(٣) - قَدِمَ فَاقْتَطَعَ مِنْ إِبِلِ أَخِيهِ مَا يَقْضِي بِهِ دَيْنَهُ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ:

قَضَى غُرْمَائِي حُبُّ أَسْمَاءَ بَعْدَمَا	تَخَوَّفَنِي ظُلْمُ لَهُمْ وَفُجُورُ
فَذَلِكَ دَأْبِي مَا حَيَّيْتُ وَمَا مَشَى	لَثَوْرٍ عَلَيَّ ظَهَرَ الْفَلَاةِ بَعِيرُ

فَاسْتَعْدَى عَلَيْهِ ثَوْرُ السُّلْطَانِ، فَأَمَرَ بِحُلْقِ رَأْسِهِ، فَقَالَ:

أَقُولُ لَثَوْرٍ وَهُوَ يَحْلُقُ لِمَتِي	بِعَقْفَاءِ مَرْدُودٍ عَلَيْهَا نَصَابُهَا
تَرْفُقُ بِهَا يَا ثَوْرٌ لَيْسَ ثَوَابُهَا	بِهَذَا وَلَكِنْ عِنْدَ رَبِّي ثَوَابُهَا
أَلَا رَبَّمَا يَا ثَوْرٌ فَرَّقَ بَيْنَهَا	أَنَا مِلُّ رَخْصَاتٍ حَدِيثُ خِضَابُهَا

(١) اللها: جمع لهاء، وهي لحمة في أقصى الفم، والغلاصم: جمع غلصمة، وهي لحمة ما بين الرأس والعنق.

(٢) تبدى: أقام بالبادية.

(٣) زيادات ر: «حوشية بنت أبي فديك بن قرة، ولها مع يزيد حديث طريف».

فَتَهْلِكُ مَدْرَى الْعَاجِ فِي مُدْلَهَمَةٍ
فَجَاءَ بِهَا نُورٌ تَرَفُّ كَأَنَّهَا
وَرُحْتُ بِرَأْسٍ كَالصُّخَيْرَةِ أَشْرَفْتُ
خُدَارِيَّةً كَالشَّرِيَةِ الْفَرْدِ جَادَهَا

إِذَا لَمْ تُفَرِّجْ مَاتَ غَمًّا صُؤَابَهَا^(١)
سَلَسَلُ بَرْقٍ لَيْنُهَا وَأَنْسَكَابَهَا
عَلَيْهَا عُقَابٌ ثُمَّ طَارَتْ عُقَابُهَا
مِنَ الصَّيْفِ أَنْوَاءٌ مَطِيرٌ سَحَابُهَا^(٢)

(١) فتهلك، قال المصنفى. «يريد تضل» والصواب: بيض القملة، والجمع صُبَّان.

(٢) خُدَارِيَّة. وصف للمة، وهى شدة السواد، والشرية: النخلة تنبت من النواة، والفردة: المنفردة (المصنفى).

باب

[لقيس بن عاصم المنقري]

قال رجلٌ من المتقدمين، وهو قيس بن عاصم المنقريُّ:

أَيَّا ابْنَةَ عَبْدِ اللَّهِ وَابْنَةَ مَالِكٍ	وَيَا ابْنَةَ ذِي الْبُرْدَيْنِ وَالْفَرَسِ الْوَرْدِ ^(١)
إِذَا مَا أَصَبْتَ الزَّادَ فَالْتَمَسِي لَهُ	أَكِيلًا فَإِنِّي غَيْرُ آكِلِهِ وَحَدِي
قَصِيًّا كَرِيمًا أَوْ قَرِيبًا فَإِنِّي	أَخَافُ مَذَمَّاتِ الْأَحَادِيثِ. مِنْ بَعْدِي
وَإِنِّي لَعَبْدُ الضَّيْفِ مَا دَامَ ثَاوِيًا	وَمَا مِنْ خِلَالِي غَيْرَهَا سَيِّمَةُ الْعَبْدِ

«غيرها» استثناءٌ مقدَّم. وقد مضى تفسيره.

وقوله: «قَصِيًّا كَرِيمًا» من طريف المعاني، وذلك أنه لم يحتجْ إلى أن يشترط في نسبته الكرم، لأنه قد ضَمِنَ ذلك، واشترط في القصي أن يكون كريمًا، لأنه كره أن يكون مؤاكله غير كريم.

[الجريهجو بنى هزان]

وهذا ليس من الباب الذي ذكره جريُّ، حيث يقول في هجائه بنى هزان:

ضَيْفُكُمْ جَائِعٌ إِذْ لَمْ يَبْتَ غَزَلَا	وَجَارُكُمْ يَا بَنَى هَزَانَ مَسْرُوقٌ
رَأَيْتُ هَزَانَ فِي أَحْرَاحِ نِسْوَتِهَا	رُحْبٌ وَهَزَانٌ فِي أَخْلَاقِهَا ضَيْقٌ

[يحيى بن نوفل يهجو]

وقال آخرٌ من المُحدثين، وهو يحيى بن نوفل، أنشدَه دَعْبِلُ:

كُنْتُ ضَيْفًا بِرَمْنَا يَا لَعْبُدِ	اللَّهُ وَالضَّيْفُ حَقُّهُ مَعْلُومٌ
فَانْبِرَى يَمْدَحُ الصِّيَامَ إِلَى أَنْ	صُمْتُ يَوْمًا مَا كُنْتُ فِيهِ أَصُومُ
ثُمَّ أَنْشَأَ يَسْتَامُ بِرَدُونِي الْوَرْدِ	دَمْلِحًا كَمَا يُلِحُ الْغَرِيمُ

[قال الأخفش: يَرُوى «بِرَدُونِي الزَّرْد» وهو الأصغر]

وَلَعَمْرِي إِنَّ أَبْنَ قَنِيلَةَ إِذْ يَسْتَامُ بِرَدُونٍ ضَيْفُهُ لِلَّيْمِ

(١) البردان: ثوبان لبسهما عامر بن أحيمر في مجلس النعمان بن المنذر. والورد، لون بين الحمرة والصفرة.

[لأبي دلامة بن الجون]

وقال رجل^(١)، أَشَدَّ نِيهِ السَّجِسْتَانِيُّ، يَقُولُهُ لَابْنِ دَعْلَجٍ، وَكَانَ ابْنُ دَعْلَجٍ
يَتَوَالَى بَنِي تَمِيمٍ:

إِذَا جِئْتَ الْأَمِيرَ فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ الرَّحِيمِ
وَأَمَّا بَعْدَ ذَلِكَ فَلِي غَرِيمٌ مِنَ الْأَعْرَابِ قُبْحٌ مِنْ غَرِيمٍ!
لَزُومٌ مَا عَلِمْتُ بِبَابِ دَارِي لَزُومَ الْكَهْفِ أَصْحَابُ الرَّقِيمِ
لَهُ مَائَةٌ عَلَى وَنِصْفٍ أُخْرَى وَنِصْفُ النِّصْفِ فِي صِكَ قَدِيمٍ
دِرَاهِمٌ مَا انْتَفَعْتُ بِهَا وَلَكِنْ حَبَوْتُ بِهَا شَيْوْخَ بَنِي تَمِيمٍ

روى^(٢) أبو الحسن:

أَتَوْنِي فِي الْعَشِيرَةِ يَسْأَلُونِي وَلَمْ أَكْ فِي الْعَشِيرَةِ بِالْمَلِيمِ
قَالَ أَبُو الْحَسَنِ: لَمْ يَعْرِفْ أَبُو الْعَبَّاسِ هَذَا الْبَيْتَ الْآخِرَ، وَهُوَ صَحِيحٌ.

وَجَاوَرَ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ بَنَ سَنَانَ بْنِ خَالِدِ بْنِ مَنقَرٍ بْنِ عُيَيْدٍ تَاجِرًا خَمَّارًا،
فَشَرِبَ شَرَابَهُ، وَأَخَذَ مَتَاعَهُ، ثُمَّ أَوْثَقَهُ، فَقَالَ: أَفَدَّ نَفْسَكَ. وَقَالَ فِي ذَلِكَ:
وَتَاجِرٍ فَاجِرٍ جَاءَ إِلَهُ بِهِ كَأَنَّ عُثُونَهُ أَذْنَابُ أَجْمَالِي
قَالَ ذَلِكَ، لِأَن ذَنْبَ الْبَعِيرِ يَضْرِبُ إِلَى الصُّهْبَةِ، وَفِيهِ اسْتِوَاءٌ، وَهُوَ يُشَبِّهُ
اللَّحِيَّةَ.

[للنمر بن تولب]

وقال النمر بن تولب:

إِذَا كُنْتَ فِي سَعْدٍ وَأَمْلَكَ مِنْهُمْ غَرِيْبًا فَلَا يَغْرُرُكَ خَالُكَ مِنْ سَعْدٍ
فَإِنَّ ابْنَ أُخْتِ الْقَوْمِ مُصْغَى إِنْأَوْهُ إِذَا لَمْ يُزَاحِمْ خَالَهُ بِأَبٍ جَلْدٍ

(١) قال المصنف: «هو أبو دلامة بن الجون».

(٢) ر: «زاد».

[قيس بن عاصم وبنو منقر]

وَاسْتَعْمَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَيْسَ بْنَ عَاصِمٍ عَلَى صَدَقَاتِ بَنِي سَعْدِ، فَتُوفِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَسَمَهَا قَيْسٌ بَعْدُ فِي بَنِي مَنَقَرٍ، وَقَالَ:

مَنْ مَبْلَغٌ عَنِّي قُرَيْشًا رِسَالَةً إِذَا مَا أَتَتْهَا مُحْكَمَاتُ الْوَدَائِعِ
حَبُوتٌ بِمَا صَدَقْتُ فِي الْعَامِ مَنَقَرًا وَأَيَّاسْتُ مِنْهَا كُلَّ أَطْلَسَ طَامِعِ

[من أخبار أبي خراش الهذلي وشعره]

وَجَاوَرُ عُرْوَةَ بْنِ مُرَّةَ أَخُو أَبِي خِرَاشٍ الْهَذَلِيُّ ثَمَالَةَ مِنَ الْأَزْدِ، فَجَلَسَ يَوْمًا بِفَنَاءِ بَيْتِهِ آمِنًا لَا يَخَافُ شَيْئًا، فَاسْتَدْبَرَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ مِنْ بَنِي بَلَّالٍ بِسُهُمٍ، فَقَصَمَ صَلْبَهُ، فَفِي ذَلِكَ يَقُولُ أَبُو خِرَاشٍ:

لَعَنَ الْإِلَهِ وَجُوهَ قَوْمٍ رُضِعَ غَدَرُوا بِعُرْوَةَ مِنْ بَنِي بَلَّالٍ
وَأَسَرَ خِرَاشُ بْنُ أَبِي خِرَاشٍ، أَسْرَتُهُ ثَمَالَةُ، فَكَانَ فِيهِمْ مُقِيمًا، فَدَعَا آسَرُهُ يَوْمًا رَجُلًا مِنْهُمْ لِلْمَنَادِمَةِ، فَرَأَى ابْنَ أَبِي خِرَاشٍ مُوثَقًا فِي الْقَدِّ، فَأَمْهَلَ حَتَّى قَامَ الْأَسِيرُ لِحَاجَةٍ، فَقَالَ الْمَدْعُوُّ لَابْنِ أَبِي خِرَاشٍ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا ابْنُ أَبِي خِرَاشٍ، فَقَالَ: كَيْفَ دَلِيلَاكَ؟ قَالَ: قِطَآءٌ، قَالَ: فَقِمِ فَاجْلِسْ وَرَائِي، وَأَلْقَى عَلَيْهِ رِدَاءَهُ، وَرَجَعَ صَاحِبُهُ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ أَصْلَتَ بِالسَّيْفِ، وَقَالَ: أَسِيرِي، فَتَنَلَّ (١) الْمُجِيرُ كَنَانَتَهُ، وَقَالَ: وَاللَّهِ لَأُرْمِيَنَّكَ إِنْ رُمْتَهُ، فَإِنِّي قَدْ أَجَرْتُهُ، فَخَلَّى عَنْهُ، فَجَاءَ إِلَى أَبِيهِ، فَقَالَ لَهُ: مَنْ أَجَارَكَ؟ فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا أَعْرِفُهُ، فَقَالَ: أَبُو خِرَاشٍ، وَقَالَ الرَّوَاةُ: لَا نَعْرِفُ أَحَدًا مَدَحَ مَنْ لَا يَعْرِفُ غَيْرَ أَبِي خِرَاشٍ:

حَمِدْتُ إِلَهِي بَعْدَ عُرْوَةَ إِذْ نَجَا فَوَاللَّهِ لَا أَنْسَى قَتِيلًا رَزَيْتَهُ
بَلَى إِنَّهَا تَعْفُو الْكُلُومَ وَإِنَّمَا وَلَمْ أَدْرِ مَنْ أَلْقَى عَلَيْهِ رِدَاءَهُ
[وَلَمْ يَكْ مَثْلُوجَ الْفُؤَادِ مُهَيَّجًا]

(١) نثل كنانته: استخرج ما فيها من النبل.

(٢) البيتان بين علامتي الزيادات لم يردا في نسخة الأصل، وهما في ر، س. والربيلة: السمن. والخفض: الدعة ولين العيش.

على أنه ذو مرة صادق النهض
خفيف المشاش عظمه غير ذى نحض^(١)
يحث الجناح بالتبسط والقبط

ولكنه قد لوحته محامص
كأنهم يسعون فى إثر طائر
يبادر جنح الليل فهو مهابد

قوله:

* قَبَحَ الْإِلَهَ وَجْوهَ قَوْمٍ رُضِعَ *

فهو جماعة راضع. وقوم يقولون: هو توكيد للثيم كما يقولون: جائع نائع، وحسن بسن، وعطشان نطشان، وأجمع أكنع. وقوم يقولون: الراضع هو الذى يرتضع من الضرع لئلا يسمع الضيف أو الجار صوت الحلب فيطلب منه. وتصديق ذلك ما أنشدناه أبو عثمان عمرو بن بحر لرجل من الأعراب ينسب ابن عم له إلى اللؤم والتوحش:

أحبُّ شىءٍ إليه أن يكون له
لا تعرفُ الرِّيحُ نمسَاهُ ومُصْبَحَهُ
لا يحلبُ الضَّرْعُ لَوْمًا فى الإناء ولا
حلَقُومٌ واد له فى جوفه غارُ
ولا يُشبُّ إذا أمسى له نارُ
يرى له فى نواحي الصَّحنِ آثارُ

وقوله: كيف «دليلك» فهي كثرة الدلالة، و«الفعيلي» إنما تستعمل فى الكثرة، ويقال: القيتي لكثرة النيمة، ويقال: الهجيرى لكثرة الكلمة المترددة على لسان الرجل، يقال: ذكرك هجيرى أى هو الذى يجرى على لسانى، وفى الحديث: «كان هجيرى أبى بكر الصديق رحمه الله بلا إله إلا الله» ويقال: كان بينهم رميا، لكثرة الرمي، وكذلك كل ما أشبه هذا.

وقوله: «بجانب قوسى» فهو بلد تحله ثمالة بالسرّة.

وقوله: «بلى إنها تعفو الكلوم» فهي الجراح والآثار التى تشبهها، قال جرير:

تلقى السليطى والأبطال قد كلموا
وسطَ الرِّجالِ سليماً غير مَكْلُومٍ^(٢)

(١) المشاش: رءوس العظام.

(٢) السليطى: نسبة إلى سليط، وهو كعب بن الحارث بن يربوع.

وينشد : «وَسَطَ الرَّجَالِ»، و«تَعَفُّو» تَدْرُسُ.

وقوله : «عَظْمُهُ غَيْرُ ذِي نَحْصٍ». النَحْصُ : اللَّحْمُ، يقالُ : يَأْكُلُ وَيُرَوِّى الرَّجَالُ مَحْضًا.

وقوله : «فَهُوَ مُهَابَذٌ» يقولُ : مجتهدٌ. وَهَذِيلٌ فِيهَا سَعْيٌ شَدِيدٌ، وَفِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْقَبَائِلِ الَّتِي تَحُلُّ بِأَكْنَافِ الْحِجَازِ.

[من أخبار الحطيئة وذكر المختار من شعره]

ولقى الزُّبْرَقَانُ بنَ بَدْرٍ - وهو قاصدٌ بصَدَقَاتِ قومه إلى أبي بكر الصديق رحمه الله - الحُطَيْئَةَ في طريقه، فقال له الزُّبْرَقَانُ : مَنْ أَنْتَ؟ فقال : أنا أبو مُلَيْكَةَ. أَنَا حَسَبٌ مَوْضُوعٌ، فقال له الزُّبْرَقَانُ : إِنِّي أُرِيدُ هَذَا الْوَجْهَ، وَمَالِكَ مَنْزِلٌ، فَامْضِ إِلَى مَنْزِلِي بِهَذَا السَّهْمِ، فَسَلْ عَنِ الْقَمَرِ ابْنَ الْقَمَرِ، وَكُنْ هُنَاكَ حَتَّى أَعُودَ إِلَيْكَ، فَفَعَلَ، فَأَنْزَلُوهُ وَأَكْرَمُوهُ، فَأَقَامَ فِيهِمْ فَحَسَدَهُمْ^(١) عَلَيْهِ بَنُو عَمَّتِهِمْ مِنْ بَنِي قُرَيْعٍ، وَذَلِكَ أَنَّ الزُّبْرَقَانَ مِنْ بَنِي بَهْدَلَةَ بْنِ عَوْفٍ بْنِ كَعْبٍ بْنِ سَعْدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ مَنَاةَ بْنِ تَمِيمٍ، وَحَاسِدُوهُ بَنُو قُرَيْعٍ بْنِ عَوْفٍ بْنِ كَعْبٍ بْنِ سَعْدٍ، وَلَمْ يَكُنْ لِعَوْفٍ إِلَّا قُرَيْعٌ وَعُطَارِدٌ وَبَهْدَلَةُ. وَكَانَ الَّذِينَ حَسَدُوهُ مِنْهُمْ بَنُو لَأْيَ بْنِ شِمَاسٍ بْنِ أَنْفِ النَّاقَةِ بْنِ قُرَيْعٍ فَدَسُّوا إِلَى الْحُطَيْئَةِ : أَنْ تَحُولَ إِلَيْنَا نُعْطِكَ مَائَةَ نَاقَةٍ، وَنَشُدُّ كُلَّ طَنْبٍ^(٢) مِنْ أَطْنَابِ بَيْتِكَ بِجَلَّةٍ^(٣) بِحَوْنَةٍ، قَالَ : فَأَنَّى لِي بِذَلِكَ ! قَالُوا : إِنَّهُمْ يَرِيدُونَ النُّجْعَةَ فِإِذَا احْتَمَلُوا فَتَخَلَّفَ عَنْهُمْ، ثُمَّ دَسُّوا إِلَى امْرَأَةِ الزُّبْرَقَانِ مِنْ خَبَرِ بَانَ^(٤) الزُّبْرَقَانِ إِنَّمَا قَدَّمَ هَذَا الشَّيْخَ لِيَتَزَوَّجَ ابْنَتَهُ، فَقَدَحَ ذَلِكَ فِي قَلْبِهَا، فَلَمَّا تَحَمَّلَ الْقَوْمُ^(٥) تَخَلَّفَ الْحُطَيْئَةُ، فَاحْتَمَلَهُ الْقُرَيْعِيُّونَ، فَبَنَوْا لَهُ وَوَقَّوْا لَهُ، فَلَمَّا جَاءَ الزُّبْرَقَانُ صَارَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ : رُدُّوا عَلَيَّ جَارِي، فَقَالُوا : لَيْسَ لَكَ بِجَارٍ وَقَدْ طَرَحْتَهُ، فَذَلِكَ حَيْثُ يَقُولُ^(٦) الْحُطَيْئَةُ :

(١) س : «فحسده».

(٢) الطنب : جبل تشد به الخيمة.

(٣) الجلة : وعاء من خوص يوضع فيه التمر.

(٤) س : «أن الزبرقان».

(٥) س : «احتمل القوم».

(٦) س : «قول الحطيئة».

وإنَّ التي^(١) نَكَبَتْهَا عن مَعَاشِرِ
 أَتَتْ آلَ شَمَّاسٍ بنِ لَأْيٍ وَإِنَّمَا
 فَإِنَّ الشَّقِيَّ مَنْ تَعَادَى صُدُورَهُمْ
 يَسُوسُونَ أَحْلَامًا بَعِيدًا أَنَاتُهَا
 أَقْلُوا عَلَيْهِمْ لَا أَبَا لِأَيِّكُمْ
 أَوْلَئِكَ قَوْمٌ إِنْ بَنَوْا أَحْسَنُوا الْبِنَا
 وَإِنْ كَانَتِ النِّعَمَاءُ فِيهِمْ جَزَوْا بِهَا
 وَإِنْ قَالَ مَوْلَاهُمْ عَلَى جُلٍّ حَادِثٍ
 وَتَعَذَّلْنِي أَفْنَاءَ سَعْدٍ عَلَيْهِمْ

عَلَى غَضَابٍ أَنْ صَدَدْتُ كَمَا صَدُّوا^(٢)
 أَنَاهُمْ بِهَا الْأَحْلَامُ وَالْحَسْبُ الْعَدُّ
 وَذَا الْجَدُّ مَنْ لَأْنُوا إِلَيْهِ وَمَنْ وَدُّوا^(٣)
 وَإِنْ غَضِبُوا جَاءَ الْحَفِيزَةُ وَالْجَدُّ
 مِنَ اللَّوْمِ أَوْسَدُوا الْمَكَانَ الَّذِي سَدُّوا
 وَإِنْ عَاهَدُوا أَوْفَوْا وَإِنْ عَقَدُوا شَدُّوا
 وَإِنْ أَنْعَمُوا لَا كَدَّرُوهَا وَلَا كَدُّوا
 مِنَ الدَّهْرِ رُدُّوا فَضْلَ أَحْلَامِكُمْ رَدُّوا
 وَمَا قُلْتُ إِلَّا بِالَّذِي^(٤) عَلِمْتُ سَعْدُ

قَوْلُهُ «جَلَّةٌ بِحَوْنَةٍ»، أَي ضَخْمَةٌ، يُقَالُ ذَلِكَ لِلنَّاقَةِ وَالنَّخْلَةِ إِذَا اسْتَفْحَلَتْ
 وَطَالَتْ.

وقوله «نَكَبَتْهَا» يقول: عَدَلْتُ بِهَا.

وقوله: «وَالْحَسْبُ الْعَدُّ» معناه: الجليلُ الكثير، وَأَصْلُ ذَلِكَ فِي الْمَاءِ: يُقَالُ
 بَثْرٌ عِدٌّ، إِذَا كَانَتْ ذَاتُ مَادَةٍ مِنَ الْعَيُونِ لَا تَنْقَطِعُ، وَكُلُّ مَاءٍ ثَابِتٍ فَهُوَ عِدٌّ.
 وقوله:

* يَسُوسُونَ أَحْلَامًا بَعِيدًا أَنَاتُهَا *

يقول: ثَقَالٌ لَا يُبْلَغُ آخِرُهَا، وَأَصْلُ الْأَنَاءِ مِنَ التَّائِي وَالِانْتِظَارِ، يَقُولُ:
 لَا يُبْلَغُ آخِرُهَا فَتُسَفَّهَ.
 وقوله:

* أَوْلَئِكَ قَوْمٌ إِنْ بَنَوْا أَحْسَنُوا الْبِنَا *

وإن شئتَ قلتَ «البنَا» فهما مقصوران، يُقَالُ: بَنَى بِنِيَّةً وَبُنِيَّةً فَجَمَعَ بِنِيَّةً بِنَى

(١) س: «الذي» تحريف.

(٢) نَكَبَتْهَا: عَدَلْتُ بِهَا.

(٣) س: الحظ والبخت.

(٤) س: «بِالَّتِي».

وَجَمْعُ بُنْيَةٍ بُنَى فَبُنْيَةٍ وَبُنَى كَكُسْرَةٍ وَكُسِرَ، وَبُنْيَةٌ وَبُنَى كَطَلْمَةٍ وَظَلِمَ، فَأَمَّا الْمَصْدَرُ مِنْ «بُنَيْتٌ فَمَمْدُودٌ»، يُقَالُ: بَنَيْتُهُ بِنَاءً حَسَنًا، وَمَا أَحْسَنَ بِنَاءَكَ.

وقوله: «وإن عاهدوا أوفوا» أوفى، أحسن اللغتين، يقال وفى وأوفى. قال الشاعر - فجمع [بين^(١)] اللغتين:

أَمَّا ابن بيض فقد أوفى بذيَمَتِهِ كما وفى بِقِلَاصِ التَّجْمِ حَادِيهَا^(٢)
وفى القرآن: ﴿بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ﴾^(٣) وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾^(٤) وقال عز وجل: ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾^(٥).

فهذا كله على «أوفى». وقال رسول الله ﷺ فيما روى من أنه قتل مسلماً بمُعَاهَدٍ، وقال: «أَنَا أَوْلَى مَنْ أَوْفَى بِذِمَّتِهِ».

وقال السَّمَوِيُّ فِي اللُّغَةِ الْآخَرَى:

وَفَيْتُ بِأَدْرُعِ الْكِنْدِيِّ إِنِّي إِذَا عَاهَدْتُ أَقْوَامًا وَفَيْتُ^(٦)
وقال الْمُكْعَبِيُّ الضَّبِّيُّ:

[قال أبو الحسن: حَفِظْتُ «الْمُكْعَبِيَّ»:]

وَفَيْتُ وَفَاءً لَمْ يَرَ النَّاسُ مِثْلَهُ بَتَعَشَارَ إِذْ تَحَبُّوْا إِلَى الْأَكَابِرِ^(٧)
وقوله:

وإن كانت النعماء فيهم جزوا بها وإن أنعموا لا كدروها ولا كدوا
يقول ما قال جرير مثله:

وإنى لأستحيي أخي أن أرى له على من الحق الذي لا يرى ليَا
يقول: أَسْتَحْيِي أَنْ أَرَى نِعْمَتَهُ عَلَيَّ وَلَا يَرَى عَلَيَّ نَفْسَهُ لِي مِثْلُهَا.

(١) تكملة من س.

(٢) ابن بيض، بفتح الباء وكسرهما: رجل تاجر مكثّر، كان لقمان بن عاد يجيزه على خراج يؤديه إليه كل عام، فلما حضرته الوفاة قال لولده: لا تجاورن لقمان، وسر بمالك وأهلك، فإذا صرت إلى عقبه كذا فضع حقه عليها، فجاء لقمان فأجده وانصرف. حكاه المصنف عن أبي زيد.

(٣) سورة آل عمران ٧٦.

(٤) سورة النحل ٩١.

(٥) سورة البقرة ١٧٧.

(٦) س: «إذا ما خان أقوات وقيت».

(٧) تعشار: موضع بالدهناء.

وقوله: «على جُلِّ حادثٍ» فهو الجليلُ من الأمر، ويقال: فلان يُدعى للجلِّي، قال طرفة:

* وَإِنْ أَدَعَ لِلْجَلِّي أَكُنْ مِنْ حِمَاتِهَا * (١)

وفيهم يقولُ الخطيئةُ (٢):

لَقَدْ مَرَيْتُكُمْ لَوْ أَنَّ دَرَّتْكُمْ
لَمَّا بَدَأَ لِي مِنْكُمْ غَيْبُ أَنْفُسِكُمْ
أَزْمَعْتُ يَأْسًا مُبِينًا مِنْ نَوَالِكُمْ
مَا كَانَ ذَنْبُ بَغِيضٍ لَا أَبَا لَكُمْ
جَارٍ لِقَوْمٍ أَطَالُوا هَوْنَ مَنَزَلِهِ
مَلُّوا قَرَاهُ وَهَرَّتْ كِلَابُهُمْ
دَعِ الْمَكَارِمَ لَا تَرْحَلْ لِبَغْيَتِهَا
مَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ لَا يَعْدَمُ جَوَازِيَهُ

يَوْمًا يَجِيءُ بِهَا مَسْحِي وَإِسَاسِي
وَلَمْ يَكُنْ لَجْرَاحِي فَيْكُمُ آسِي
وَلَا تَرَى طَارِدًا لِلْحُرِّ كَالْيَاسِ
فِي بَأْسٍ جَاءَ يَحْدُو آخِرَ النَّاسِ
وَعَادَرُوهُ مُقِيمًا بَيْنَ أَرْمَاسٍ
وَجَرَّحُوهُ بِأَنْيَابٍ وَأَضْرَاسٍ
وَأَقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي
لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ

قوله: «لقد مرَّيتُكم» أصلُ المرَّي المسَّحُ، يقال مرَّيتُ الناقةَ، إذا مسحتَ ضرعَها لتدرَّ، ويقال: مرَّي الفرسُ والناقةُ إذا قام أحدهما على ثلاثٍ ومسحَ الأرضَ بيده الأخرى، قال الشاعر:

إِذَا حُطَّ عَنْهَا الرَّحْلُ أَلْقَتْ بِرَأْسِهَا
إِلَى شَذَبِ الْعِيدَانِ أَوْصَفَتْ تَمْرِي (٣)

وهذا من أحسنِ أوصافِها.

وقال بعضُ المحدثين يصفُ برذونًا بحسن الأدب (٤):

وَإِذَا احْتَبَى قَرْبُوسُهُ بَعْنَانَهُ
عَلَّكَ اللَّجَامَ إِلَى انْصِرَافِ الزَّائِرِ (٥)

(١) تَمَامُهُ:

* وَإِنْ تَأْتِكَ الْأَعْدَاءُ بِالْجَهْدِ فَاجْهَدْ *

(٢) كلمة «الخطيئة» ساقطة من س.

(٣) شذب العيدان: ما تفرق منها، الواحد شذبة.

(٤) زيادات ر: «الشعر لمحمد بن يزيد» من ولد مسلمة بن عبد الملك، يصف فرسه، وقبلة:

عَوْدَتُهُ فِيمَا أَزُورُ حِبَابِي إِيْمَالَهُ وَكَذَاكَ كُلِّ مَخَاطِرِ

(٥) القربوس: حنو السرج، العنان: سير اللجام الذي تمسك به.

ويقال: مَرَأَهُ مائة سوط ومائة درهم، إذا أَوْصَلَ ذلك إليه، وكـ «مَرَأَهُ» موضع آخر، ومعناه مَرَأَهُ حَقَّهُ، إذا دَفَعَهُ عنه ومنَعَهُ منه، وقد قُرئ ﴿أَفْتَمِرُونَهُ عَلَى مَا يَرَى﴾^(١) أى تَدَفَعُونَهُ، و«على» فى موضع «عن» قال العَامِرِيُّ^(٢):

إِذَا رَضِيَتْ عَلَى بَنُو قُشَيْرٍ لَعَمَرُ اللَّهِ أَعْجَبَنِي رِضَاهَا

وبنو كعب بن ربيعة بن عامر يقولون: «رضى الله عليك».

وأما الإِبْسَاسُ فأن تَدْعُو الناقَةَ بِاسْمِهَا، أو تُلَيِّنَ لها الطريقَ إلى الحَلَبِ، بقول أو مَسَحَ أو ما أشبه ذلك، فإذا كانت الناقَةُ تَدْرُ على الدُّعاء والمَلَقِ قيل: ناقَةٌ بَسُوسٌ، وذلك من صفاتها فى حُسْنِ الخُلُقِ.

وقوله:

* ولم يَكُنْ لجِراحِي فيكُمُ أَسَى *

يقول: مُدَاوٍ، الأَسَى: الطَّيِّبُ، قال الفَرَزْدَقُ يَصِفُ شَجَةً:

إِذَا نَظَرَ الْأُسُونُ فِيهَا تَقَلَّبَتْ حَمَالِيْقُهُمْ مِنْ هَوْلِ أُنْيَابِهَا الْعُصْلُ^(٣)

والإِسَاءُ الدُّوَاءُ، ممدودٌ، وقال الحَطيئةُ:

هُمُ الْأُسُونُ أَمَّ الرَّأْسِ لَمَّا تَوَاكَلَهَا الْأَطِبَّةُ وَالْإِسَاءُ

فأما الأَسَى فمقصورٌ، وهو: الحُزْنُ، ومن ذلك قولُ الله جلَّ ثناءؤه: ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾^(٤) وقال العَجَّاجُ:

يَا صَاحِ هَلْ تَعْرِفُ رَسَمًا مُكْرَسًا قال نعم أعرفه، وأبلسا^(٥)

* وَاِنْحَلَبْتَ عَيْنَاهُ مِنْ فَرَطِ الْأَسَى *

فإذا قلت: «الأَسَى» قَصَرَتْ أَيْضًا، وهو جَمْعُ أَسْوَةٍ، يقالُ فلانٌ أُسَوَتِي وَقُدَوَتِي، قال الله جلَّ وعزَّ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾^(٦).

(١) سورة النجم ١٢.

(٢) زيادات ر: «هو القحيف العقيلي».

(٣) العصل: جمع أعصل، وهو الموج من كل شىء فيه صلابة.

(٤) سورة المائدة ٦٨.

(٥) أبلسا، من الإبلّاس وهو الهم والحزن.

(٦) سورة الأحزاب ٢١.

والرَّمْسُ: التُّراب، يقال: رُمِسَ فلانٌ في قبره.

وأشعارُ الحُطَيْيَةِ في هذا الكتاب كثيرةٌ، ولولا أنَّها معروفةٌ مشهورةٌ لَأَتَيْنَا على آخرِها، ولكنَّا نذكرُ منها شيئاً مختاراً.

فمن ذلك قوله:

جَزَى اللهُ خيراً والجَزَاءُ بِكَفِّهِ على خَيْرٍ ما يَجْزِي الرجالَ بَغِيضاً
فلو شاء إِذْ جِئناه ضَنْفٌ فلم يَلَمْ وصادفَ مِنَّا في البلادِ عَرِيضاً^(١)

يقول: كَثُرَتْ مَحاسِنُهُ حتى كُذِّبَ دَامُهُ، فاستَغْنَى عن أن يُكثَّرَ مادحه، ثَقَّةٌ بأنَّ حاجِيَه غيرُ مُصَدِّقٍ، فاعتَبِرَ هذا الكلامَ، فإنك تجده رأساً في بابِه.

ومن ذلك قوله:

وَإِنِّي قَدْ عَلَقْتُ بِحَبْلِ قَوْمٍ أَعَانَهُمْ على الحَسَبِ الثَّرَاءُ
إِذَا نَزَلَ الشِّتَاءُ بِجَارِ قَوْمٍ تَجَنَّبَ جَارَ بَيْتِهِمُ الشِّتَاءُ
هَمُّ الْأَسْوَونَ أَمَّ الرَّاسِ لَمَّا تَوَاكَلَهَا الْأَطْبَةُ وَالْإِسَاءُ

ثم قال يخاطبُ الزُّبْرَقَانَ ورَهْطَهُ:

أَلَمْ أَكُ نَائِياً فَدَعَوْتُمُونِي فِجَاءَ بَنِي المَوَاعِدِ والدُّعَاءُ
فَلَمَّا كُنْتُ جَارَكُمْ أَبَيْتُمْ وَشَرُّ مَوَاطِنِ الحَسَبِ الإِبَاءُ
وَلَمَّا كُنْتُ جَارَهُمْ حَبَوْنِي وفيكم كان لو شِئْتُمْ حَبَاءُ
فَلَمَّا أَنْ مَدَحْتُ الْقَوْمَ قَلْتُمْ هَجَوْتُ، وَهَلْ يَحِلُّ لِي الهَجَاءُ!
وَلَمْ أَشْتِمْ لَكُمْ حَسَباً وَلَكِنْ حَدَوْتُ بِحَيْثُ يُسْتَمَعُ الحُدَاءُ

ويُروى أَنَّ الحُطَيْيَةَ - واسمُه جَرُولُ بنِ أَوْسٍ ويكنى: أبا مُلَيْكَةَ - مرَّ بِحَسَّانِ ابنِ ثابِتٍ وهو يُنْشِدُ:

(١) زيادات ر: «كذا وقعت الرواية «منا» والصواب: «منأى»، أى بعدا، مأخوذ «نأيت» إذا بعدت. ومنه النأى».

لَنَا الْجَفَنَاتُ الْغُرُ يُلْمَعْنَ بِالضُّحَى وَأُسَيَافُنَا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمًا

[ش: أَدْخَلَهُ سَيُوبِيهِ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى أَنَّ «الْجَفَنَاتِ» مِنَ الْجَمْعِ الْكَثِيرِ].

فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: كَيْفَ تَرَى فَقَالَ: مَا أَرَى بِأَسَاءَ، قَالَ حَسَّانُ: انْظُرُوا إِلَى [هَذَا^(١)] الْأَعْرَابِيَّ يَقُولُ: مَا أَرِ بِأَسَاءَ، أَبُو مَنْ؟ قَالَ: أَبُو مُلَيْكَةَ، قَالَ حَسَّانُ: مَا كُنْتَ عَلَى أَهْوَنَ مِنْكَ حَيْثُ أَكْتَنَيْتَ بِامْرَأَةٍ! مَا اسْمُكَ؟ قَالَ: الْحُطَيْئَةُ، قَالَ: امْضِ بِسَلَامٍ.

وَكَانَ الْحُطَيْئَةُ فِي حَبْسِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ، بِاسْتِدْعَاءِ الزُّبَيْرِ قَانَ عَلَيْهِ فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ، وَلِعُمَرَ يَقُولُ:

مَاذَا تَقُولُ لِأَفْرَاخٍ بَذَى مَرَحٍ حُمْرِ الْخَوَاصِلِ لَا مَاءٌ وَلَا شَجَرٌ^(٢)
أَلْقَيْتَ كَاسِبَهُمْ فِي قَعَرٍ مُظْلِمَةٍ فَاغْفِرْ عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ يَا عُمَرُ
أَنْتَ الْإِمَامُ الَّذِي مِنْ بَعْدِ صَاحِبِهِ أَلْقَتْ إِلَيْكَ مَقَالِيدَ النَّهْيِ الْبَشَرُ
مَا أَتْرُوكَ بِهَا إِذْ قَدَّمُوكَ لَهَا لَكِنْ بَكَ اسْتَثَرُوا إِذْ كَانَتْ الْأَثَرُ

وَيُرَوَّى عَنْ أَبِي زَيْدِ الْأَنْصَارِيِّ أَنَّهُ قَالَ: وَيُرَوَّى «الْأَثَرُ» وَالْوَحْدَةُ أَثَرَةٌ وَإِثْرَةٌ، وَمَعْنَاهُ الْاسْتِثَارُ.

فَرَّقَ لَهُ عُمَرُ فَأَخْرَجَهُ، فَيُرَوَّى أَنَّ عُمَرَ رَحِمَهُ اللَّهُ دَعَا بِكَرْسِيِّ فَجَلَسَ عَلَيْهِ، وَدَعَا بِالْحُطَيْئَةِ فَأَجْلَسَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَدَعَا بِإِسْفَى وَشَفْرَةٍ^(٣)، يُوْهِمُهُ أَنَّهُ عَلَى قَطْعِ لِسَانِهِ، حَتَّى ضَجَّ مِنْ ذَلِكَ، فَكَانَ فِيمَا قَالَ لَهُ الْحُطَيْئَةُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنِّي وَاللَّهِ قَدْ هَجَوْتُ أَبِي وَأُمِّي، وَهَجَوْتُ امْرَأَتِي، وَهَجَوْتُ نَفْسِي. فَتَبَسَّمَ عُمَرُ رَحِمَهُ اللَّهُ، ثُمَّ قَالَ: فَمَا الَّذِي قُلْتَ؟ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي وَأُمِّي - وَالْمَخَاطَبَةُ لِلْأُمِّ:

وَلَقَدْ رَأَيْتُكَ فِي النِّسَاءِ فَسُوِّتَنِي وَأَبَا بَنِيكَ فَسَاءَنِي فِي الْمَجْلِسِ

(١) تكملة من س.

(٢) ذو مرخ: واد بالحجاز.

(٣) الإِسْفَى: مثقب للأساكفة يثقبون به الجلد، والشفرة: السكين العريضة.

وقلتُ لها:

تَنَحَّى فَاجْلِسِي مِنِّي بَعِيدًا أَرَاكَ اللَّهُ مِنْكَ الْعَالَمِينَ
أَغْرِبَالًا إِذَا اسْتَوْدَعْتَ سِرًّا وَكَانُونَا عَلَى الْمُتَحَدِّثِينَ^(١)

وقلتُ لامراتي:

أَطُوفُ مَا أَطُوفُ ثُمَّ آوِي إِلَى بَيْتِ قَعِيدَتِهِ لِكَاعٍ

فقال له عمرُ رحمه الله: فكيف هَجَوْتَ نَفْسَكَ؟ فقال: اظَّلَعْتُ فِي بَيْتٍ
فَرَأَيْتُ وَجْهِي فَاسْتَقْبَحْتُهُ، فقلتُ:

أَبْتُ شَفَتَايَ الْيَوْمَ إِلَّا تَكَلَّمًا بِسُوءٍ فَمَا أَدْرِي لِمَنْ أَنَا قَائِلُهُ
أَرَى لِي وَجْهًا قَبِيحَ اللَّهِ خَلَقَهُ فَقُبِّحَ مِنْ وَجْهِهِ وَقُبِّحَ حَامِلُهُ

[المثنى بن معروف مع أبي جبر الفزاري]

ونزلَ أعرابيٌّ من طَيِّئٍ، يُقَالُ لَهُ الْمُثَنَّى بْنُ مَعْرُوفٍ بِأَبِي جَبْرِ الْفَزَارِيِّ، فَسَمِعَهُ
يَوْمًا يَقُولُ: وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي أَبَيْتُ اللَّيْلَةَ خَالِيًا بِابْنَةِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، فَقَالَ لَهُ
الْمُثَنَّى: أَحَلَّ لَا أُمَ حَرَامًا؟ فَقَالَ: مَا أَبَالِي، فَوَثَبَ عَلَيْهِ فَضْرَبَ رَأْسَهُ بِرِحَالَةٍ^(٢)، ثُمَّ
انْتَقَلَ وَهُوَ يَقُولُ:

أَبْلَغُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ رِسَالَةً عَلَى النَّأْيِ أَنِّي قَدْ وَتَرْتُ أَبَا جَبْرِ
كَسَرْتُ عَلَى الْيَافُوخِ مِنْهُ رِحَالَةً لِنَصْرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَا يَدْرِي
عَلَى غَيْرِ شَيْءٍ غَيْرَ أَنِّي سَمِعْتُهُ بَنَى بِنِسَاءِ الْمُسْلِمِينَ بِلَا مَهْرٍ

[من أخبار الحجاج]

وَيُرَوَّى: أَنَّ الْحَجَّاجَ [بَنَ يَوْسَفَ^(٣)] جَلَسَ لِقَتْلِ أَصْحَابِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ
مُحَمَّدَ بْنِ الْأَشْعَثِ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَقَالَ: أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ! إِنَّ لِي عَلَيْكَ حَقًّا،
قَالَ: وَمَا حَقُّكَ؟ قَالَ: سَبَّكَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ يَوْمًا فَردَدْتُ عَلَيْهِ، قَالَ: مَنْ يَعْلَمُ ذَاكَ؟

(١) زيادات ر: «قوله: كانونا، قيل: الكانون: التنام، وقيل: الثقليل، وقيل: الذي إذا دخل على قوم كنوا
حديثهم منه، وقيل: هو المصطلى، وقيل: هو كانون النار؛ لأنه... ويحرقهن».

(٢) الرحالة: ثوب يغشى بالجلد.

(٣) تكملة من س.

قال: أَنشُدُ اللَّهَ رجلاً سَمِعَ ذاكَ إِلَّا شَهِدَ بِهِ، فقام رجلٌ من الأسراء^(١) فقال: قد كان ذاكَ أَيُّهَا الأميرُ، قال: خَلُّوا عَنْهُ، قال للشاهد: فما منعك أن تُنكَرَ كما أنكَرَ؟ قال: لَقَدِيمُ بُغْضِي إِيَّاكَ، قال: وَيُخَلِّي عَنْهُ لَصِدِّقَهُ.

وقال عمرُ بن الخطاب لرجل - وهو أبو مريم السَّلُولِيُّ -^(٢): وَاللَّهِ لَا أُحِبُّكَ حَتَّى تَحِبَّ الْأَرْضُ الدَّمَ، قال: أَقَتَمْنِعْنِي حَقًّا؟ قال: لَا، قال: فَلَا بَأْسَ، إِنَّمَا يَأْسَفُ عَلَى الْحُبِّ النِّسَاءُ.

وقال الحَجَّاجُ لرجلٍ من الخوارج: وَاللَّهِ إِنِّي لأُبْغِضُكُمْ، فقال له الخارجيُّ: أَدْخَلَ اللَّهُ أَشَدَّنَا بُغْضًا لِمُصَاحِبِهِ الْجَنَّةَ.

وَأَتَى الْحَجَّاجُ بامرأة من الخوارج، فجعلتْ لَا تَنْظُرُ إِلَيْهِ، وكان يزيد بن أبي مُسْلَمٍ يَرَى رَأْيَ الْخَوَارِجِ وَيَكْتُمُ ذاكَ^(٣)، فَأَقْبَلَ عَلَى الْمَرْأَةِ فَقَالَ: انْظُرِي إِلَى الْأَمِيرِ، فَقَالَتْ: لَا أَنْظُرُ إِلَى مَنْ لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِ. فَكَلَّمَهَا الْحَجَّاجُ وَهِيَ كَالسَّاهِيَةِ، فَقَالَ لَهَا يَزِيدُ: اسْمَعِي وَيَلَيْكَ مِنَ الْأَمِيرِ! فَقَالَتْ: بَلِ الْوَيْلُ لَكَ أَيُّهَا الْكَافِرُ الرَّدِّيُّ! قال أبو العباس: وَالرَّدِّيُّ عِنْدَ الْخَوَارِجِ الَّذِي لَهُ عَقْدُهُمْ وَيُظْهَرُ خِلَافُهُ رَغْبَةً فِي الدُّنْيَا.

وكان صالحُ بن عبد الرحمن كاتب الحَجَّاجِ وصاحب دواوين العراق. والذي قَلَبَ الدَّوَاوِينَ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ، ثُمَّ كَانَ عَلَى خَرَاكِ الْعِرَاقِ أَيَّامَ وَلِيِّ يَزِيدَ بْنِ

(١) س: «الأسرى».

(٢) زيادات ر: «وهم أبو العباس رحمه الله في قوله: «أبو مريم السَّلُولِيُّ، إنما هو أبو مريم الحنفي؛ وكان سب بغضه إياه أنه قتل أخاه زيد بن الخطاب، وكان أبو مريم صاحب مسيلمة الكذاب؛ واسم أبي مريم إياس بن صبيح، ثقة كوفي، واسم أبي مريم السَّلُولِيُّ مالك بن ربيعة، من الصحابة، روى عنه ابنه يزيد وغيره».

(٣) س: «ذلك».

المُهَلَّب [العراق^(١)] فأشجى^(٢) يزيد، وقد كان يرى رأى الخوارج فكأيدَه يزيدُ بن أبي مُسلمٍ مولى الحَجَّاج، فأشارَ على الحَجَّاج أن يأمرَه بقتل جَوَّاب الضَّبِّي، وهو رأسٌ من رءوس الخوارج، وقال يزيد: إِنْ فَعَلَ بَرِئْتُ مِنْهُ الْخَوَارِجُ وَقَتَلْتَهُ، وَإِنْ أَمْسَكَ قَتَلَهُ الْحَجَّاجُ فَقَتَلَهُ.

وخبِرْتُ أنه قال: والله ما قتلته رغبةً في الحياة، ولكنني خِفْتُ يَسْبِي الحَجَّاجُ بَنَاتِي، وكان يقول [بعد^(٣)]: إِنِّي حِينَ أَقْتُلُ جَوَّابًا لَحَرِيصٌ عَلَى الدُّنْيَا، فَلَمَّا عَذَّبَهُ عُمَرُ بْنُ هُبَيْرَةَ فِي خِلَافَةِ يَزِيدَ بْنِ عَاتِكَةَ رُمِيَ بِهِ عَلَى قِمَامَةٍ، وَهُوَ لِمَا بِهِ^(٤) فَسَمِعَ يُحْكَمُ عَلَيْهَا^(٥)، وَحَكَّمَ مَالِكُ بْنُ الْمُنْذِرِ بْنِ الْجَارُودِ، وَهُوَ بِأَخْرَ رَمَقٍ فِي سَجْنِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ.

ودخلَ يزيدُ بن أبي مُسلمٍ على سليمان بن عبد الملك، وكان دَمِيمًا، فلما رآه [سليمان^(٦)] قال: قَبَّحَ اللَّهُ رَجُلًا أَجَرَكَ رَسَنَهُ^(٧)، وَأَشْرَكَكَ فِي أَمَانَتِهِ! فقال له يزيد: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، رَأَيْتَنِي وَالْأَمْرُ لَكَ وَهُوَ عَنِّي مُدْبِرٌ، وَلَوْ رَأَيْتَنِي وَالْأَمْرُ عَلَيَّ مُقْبِلٌ لَأَسْتَكْبَرْتُ مِنِّي مَا اسْتَصْغَرْتُ، وَاسْتَعْظَمْتُ مِنِّي مَا اسْتَحْقَرْتُ، فَقَالَ: أَتُرَى الْحَجَّاجَ اسْتَقَرَّ فِي قَعْرِ الْجَحِيمِ بَعْدُ! فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَا تَقْلُ ذَلِكَ [فِي الْحَجَّاجِ]، فَإِنَّ الْحَجَّاجَ وَطَأَ لَكُمْ الْمَنَابِرَ، وَأَذَلَّ لَكُمْ الْجَبَابِرَ، وَهُوَ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ يَمِينِ أَبِيكَ، وَعَنْ يَسَارِ أَخِيكَ فَحَيْثُ كَانَا كَانَ.

(١) تكملة من س.

(٢) أشجاء: أحزنه.

(٣) تكملة من س.

(٤) لمآبه: لعاقبته.

(٥) يحكم، أى يقول بقول الخوارج: لا حكم إلا لله.

(٦) تكملة من س.

(٧) الرسن فى الأصل: الحبل يقاد به البعير، وأجرك: جعلك تجره، والكلام هنا على الكناية.

باب

[من تكاذيب الأعراب]

قال أبو العباس وهذا بابٌ من تكاذيب الأعراب.

حدثني أبو عمر الجرميُّ قال: سألتُ أبا عبيدة عن قول الرَّاجِزِ:

أَهْدَمُوا بَيْتَكَ لَا أَبَالَكَ وَأَنَا أَمْشِي الدَّالِيَّ حَوَالِكَ!

فقلتُ: لِمَنْ هذا الشعرُ؟ فقال: [تقولُ العربُ^(١)]: هذا يقولُه الضَّبُّ للحِسلِ، أَيَّامَ كَانَتْ الْأَشْيَاءُ تَتَكَلَّمُ.

الدَّالِي: مَشَى كَمَشَى الذُّئْبِ، يقالُ: هو يَدُلُّ في مَشْيِهِ، إِذَا مَشَى كَمِشِيَّةَ الذُّئْبِ، من قول امرئ القيس:

* أَقْبَ حَيْثُ الرِّكْضِ وَالِدَّالَانَ^(٢) *

وَمَنْ قَالَ فِي بَيْتِ ابْنِ عَنَمَةَ الضَّبِّيِّ:

[حَقِيبَةُ رَحْلِهَا بَدَنٌ وَسَرَجٌ]^(٣) تُعَارِضُهُ مُرَبَّيَّةٌ دَعُولُ

فإنما أرادَ هذا، ومن قال «دَعُولُ» فإنما أرادَ السُّرْعَةَ، يقالُ: مَرَّ يَدُّال، إِذَا مَرَّ يُسْرَعُ.

وقوله «حَوَالِكَ» يقالُ: هو يطوف حَوَالَهُ وَحَوَالِيَهُ. وَمَنْ قَالَ:

«حواليه» بالكسر: فقد أَخْطَأَ، وفي القرآن: ﴿نُودِيَ أَنَّ بُورِكَ مِنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾^(٤) وَحَوَالِيَهُ: تَنْثِيَةُ حَوَالٍ، كما تقولُ: حَنَانِيَّةٌ، الواحدُ حَنَانٌ، قال الشاعرُ:

فَقَالَتْ: حَنَانٌ مَا أَتَى بِكَ هَاهُنَا أَذُو نَسَبٍ أَمْ أَنْتَ بِالْحَيِّ عَارِفُ

والحنانُ: الرحمةُ، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا﴾^(٥). وقال الشاعرُ:

[وهو الحَظِيئَةُ^(٦)] لِعَمْرٍو بْنِ الْخَطَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(١) تكملة من س.

(٢) صدره:

* عَلَى رَيْزٍ يَزْدَادُ عَفْوًا إِذَا جَرَى *

(٣) ما بين العلامتين تكملة من ر.

(٤) سورة النمل ٨.

(٥) سورة مريم ١٣.

(٦) تكملة من س.

تَحَنَّنْ عَلَيَّ هَذَاكَ الْمَلِيكَ فَإِنَّ لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالاً
 وقال طَرْفَةً:
 أَبَا مُنْذِرٍ أَفْنَيْتَ فَاسْتَبَقَ بَعْضَنَا حَنَانِيكَ بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ

قال أبو العباس: وحدثني غير واحدٍ من أصحابنا، قال: قيل لرُؤبة:
 ما قولك:

لَوْ أَنِّي عُمِرْتُ سِنَّ الْحِجْلِ أَوْ عُمِرَ نُوْحٌ زَمَنَ الْفِطْحِلِ
 * وَالصَّخْرُ مُبْتَلًى كَمَثَلِ الْوَحْلِ *

ما زمنُ الفِطْحِلِ؟ قال: أيامُ كانت السَّلامُ رِطَاباً^(١).

قوله: «سِنَّ الْحِجْلِ» مثلٌ، تَضْرِبُهُ الْعَرَبُ فِي طَوْلِ الْعُمُرِ^(٢).

وأنشدني رجلٌ من بني العنبر، أعرابيٌّ فصيح، لعبيد بن أيوب العنبري:
 كَأَنِّي وَلَيْلَى لَمْ يَكُنْ حَلَّ أَهْلُنَا بَوَادٍ خَصِيبٍ وَالسَّلامُ رِطَابٌ

وحدثني سليمان بن عبد الله عن أبي العَمَيْثِلِ مَوْلَى الْعَبَّاسِ بْنِ مُحَمَّدٍ:
 تَكَادَبَ أَعْرَابِيَّانَ فَقَالَ أَحَدُهُمَا: خَرَجْتُ مَرَّةً عَلَى فَرَسٍ لِي، فَإِذَا [أَنَا^(٣)] بِظُلْمَةٍ
 شَدِيدَةٍ، فَيَمَّمْتُهَا حَتَّى وَصَلْتُ إِلَيْهَا، فَإِذَا قُطِعَ مِنَ اللَّيْلِ لَمْ تَنْتَبَهُ، فَمَا زِلْتُ
 أَحْمِلُ بِفَرَسِي عَلَيْهَا حَتَّى أَنْبَهْتُهَا، فَاَنْجَابْتُ، فَقَالَ الْآخَرُ: لَقَدْ رَمَيْتُ ظَبِيًّا مَرَّةً
 بِسَهْمٍ فَعَدَلَ الظَّبْيُ يَمَنَةً، فَعَدَلَ السَّهْمُ خَلْفَهُ، فَتَيَاسَرَ الظَّبْيُ، فَتَيَاسَرَ السَّهْمُ
 خَلْفَهُ، ثُمَّ عَلَا الظَّبْيُ فَعَلَا السَّهْمُ خَلْفَهُ، فَاَنْحَدَرَ فَاَنْحَدَرَ عَلَيْهِ حَتَّى أَخَذَهُ.

وتزعمُ الرُّوَاهُ أَنَّ عُرْوَةَ بْنَ عُثْبَةَ بْنَ جَعْفَرٍ بْنِ كِلَابٍ قَالَ لِابْنِي الْجَوْنِ
 الْكِنْدِيِّ يَوْمَ جَبَلَةٍ: إِنْ لِي عَلَيْكَمَا حَقًّا لِرِحْلَتِي وَوَفَادَتِي، فَدَعُونِي أَنْذِرَ قَوْمِي مِنْ

(١) السَّلام: جمع سلمة، وهي الحجارة الصلبة.

(٢) زيادات ر: «ذكر ابن جني أن الحسل يعيش ثلاثمائة سنة»، والحسل: ولد الضب.

(٣) تكملة من س.

مَوْضِعِي هَذَا، فَقَالُوا: شَأْنُكَ، فَصَرَخَ بِقَوْمِهِ بَعْدَ أَنْ قَالَا لَهُ: شَأْنُكَ، فَأَسْمَعَهُمْ عَلَى مَسِيرَةِ لَيْلَةٍ.

وَيُرَوَّى عَنْ حَمَّادِ الرَّائِيَةِ قَالَ: قَالَتْ لَيْلَى بِنْتُ عُرْوَةَ بْنِ زَيْدِ الْخَيْلِ لِأَبِيهَا: أَرَأَيْتَ قَوْلَ أَبِيكَ:

أَبُو مَكْنَفٍ قَدْ شَدَّ عَقْدَ الدَّوَايِرِ	بَنِي عَامِرٍ هَلْ تَعْرِفُونَ إِذَا غَدَا
تَرَى الْأَكْمَ مِنْهُ سُجْدًا لِلْحَوَافِرِ	بِجَيْشٍ تَضِلُّ الْبُلُقُ فِي حَجَرَاتِهِ
كَثِيرِ تَوَالِيهِ سَرِيعِ الْبَوَادِرِ	وَجَمْعٍ كَمَثَلِ اللَّيْلِ مُرْتَجِسِ الْوَعَى
وَحَاجَةً رُمِحِي فِي نَمِيرِ بْنِ عَامِرٍ	أَبَتْ عَادَةً لِلرَّوْدِ أَنْ يَكْرَهُ الْوَعَى

فَقُلْتُ لِأَبِي: أَحَضَرْتَ هَذِهِ الْوَقْعَةَ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، فَقُلْتُ: فَكَمْ كَانَتْ خَيْلُكُمْ؟ قَالَ: ثَلَاثَةُ أَفْرَاسٍ، أَحَدُهَا فَرَسُهُ، قَالَ: فَذَكَرْتُ هَذَا لِابْنِ أَبِي بَكْرِ الْهَذَلِيِّ، فَحَدَّثَنِي عَنْ أَبِيهِ قَالَ: حَضَرْتُ يَوْمَ جَبَلَةَ، قَالَ: وَكَانَ قَدْ بَلَغَ مِائَةَ سَنَةٍ، وَكَانَ قَدْ أَدْرَكَ أَيَّامَ الْحَجَّاجِ، قَالَ: فَكَانَتْ الْخَيْلُ فِي الْفَرِيقَيْنِ، مَعَ مَا كَانَ مَعَ ابْنِي الْجَوْنِ، ثَلَاثِينَ فَرَسًا، قَالَ: فَحَدَّثْتُ بِهَذَا الْحَدِيثِ الْخُثْعَمِيَّ - وَكَانَ رَاوِيَهُ أَهْلُ الْكُوفَةِ - فَحَدَّثَنِي: أَنَّ خُثْعَمَ قَتَلَ رَجُلًا مِنْ بَنِي سُلَيْمِ بْنِ مَنْصُورٍ، فَقَالَتْ أُخْتُهُ تَرِيهَ:

لَعَمْرِي وَمَا عَمْرِي عَلَى بِهِيْنِ	لَنَعْمَ الْفَتَى غَادَرْتُمُ آلَ خُثْعَمَا
وَكَانَ إِذَا مَا أَوْرَدَ الْخَيْلَ بَيْشَةً	إِلَى جَنْبِ أَشْرَاجٍ أَنَاخَ فَأَلْجَمَا
فَأَرْسَلَهَا رَهْوَاً رِعَالَا كَأَنَّهَا	جَرَادٌ زَهَتْهُ رِيحٌ نَجَدٍ فَأَتَهَمَا

فَقِيلَ لَهَا: كَمْ كَانَتْ خَيْلُ أَخِيكَ؟ فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ إِنِّي لَا أَعْرِفُ إِلَّا فَرَسَهُ.
قَوْلُهُ: «قَدْ شَدَّ عَقْدَ الدَّوَايِرِ» يَرِيدُ عَقْدَ دَوَايِرِ الدَّرْعِ، فَإِنَّ الْفَارِسَ إِذَا حَمَى فَعَلَ ذَلِكَ.

وَقَوْلُهُ: «تَضِلُّ الْبُلُقُ فِي حَجَرَاتِهِ» يَقُولُ: لِكَثْرَتِهِ لَا يُرَى فِيهِ الْأَبْلَقُ، وَالْأَبْلَقُ مَشْهُورُ الْمَنْظَرِ، لِاخْتِلَافِ لَوْنِيهِ، مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ:

فَلَنْ وَقَفْتَ لَتَخْطِفَنَّكِ رِمَاحُنَا
وَلَكِنْ هَرَبْتَ لِيُغْرِفَنَّ الْأَبْلَقُ

وَحَجَرَاتِهِ : نَوَاحِيهِ .

وَقَوْلُهُ :

* تَرَى الْأُكْمَ مِنْهُ سَجْدًا لِلْحَوَافِرِ *

يقول : لكثرة الجيش تطحن الأكم تُلصِقُهَا بِالْأَرْضِ .

وقوله : «كَمَثَلِ اللَّيْلِ» يقول : كثرةً ، فيكاد يسدُّ سوادهُ الأفقَ ، ولذلك يقال :

كَتَبَتْ خِضْرَاءُ ، أَيْ سُدَّاءُ ، وَكَانَتْ كَتَبَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ الَّتِي هُوَ فِيهَا وَالْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ يُقَالُ لَهَا : الْخَضِرَاءُ .

وَالْمُرْتَجِسُ : الَّذِي يُسْمَعُ صَوْتُهُ وَلَا يَبِينُ كَلَامُهُ ، يُقَالُ : ارْتَجَسَ الرَّعْدُ ، مِنْ هَذَا . وَالْوَعَى : الْأَصْوَاتُ .

وَالْتَوَالَى : اللَّوَاحِقُ ، يُقَالُ : تَلَاهُ يَتْلُوهُ ، إِذَا اتَّبَعَهُ ، وَتَلَوْتُ الْقُرْآنَ ، أَيْ أَتْبَعْتُ بَعْضُهُ بَعْضًا ، وَالْمُتَلِيَّةُ : الَّتِي مَعَهَا أَوْلَادُهَا .

وقوله : «فَارْسَلَهَا رَهْوًا» ، يقول : سَاكِنَةً ، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ : «وَأَتْرَكِ الْبَحْرَ رَهْوًا»^(١) ، وَيُقَالُ : عِشْ رَاهِ يَا فَتَى ، أَيْ سَاكِنٌ .

وَرِعَالٌ : جَمْعُ رَعِيلٍ ، وَهُوَ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْخَيْلِ ، يُقَالُ : جَاءَ فِي الرَّعِيلِ الْأَوَّلِ ، قَالَ عَتْرَةُ :

إِذَا لَا أَبَادِرُ فِي الْمَضِيقِ فَوَارِسِي وَلَا أُوَكِّلُ بِالرَّعِيلِ الْأَوَّلِ

وقوله : «زَهَتْهُ رِيحٌ نَجْدٌ فَأَتَتْهُمَا» يقول : رَفَعَتْهُ وَاسْتَخَفَّتْهُ ، قَالَ ابْنُ أَبِي رِييعة :

فَلَمَّا تَوَاقَفْنَا وَسَلَّمْتُ أَشْرَقَتْ وَجْوهُ زَهَاها الْحُسْنُ أَنْ تَتَقَنَّعا

وَمَعْنَى أَنَّهُمْ أَتَى تَهَامَةً .

وَزَعَمَ أَبُو عُبَيْدَةَ [مَعْمَرُ بْنُ الْمُنْتَنَى^(٢)] عَمَّنْ حَدَّثَهُ أَنَّ بَكْرَ بْنَ وَائِلٍ أَرَادَتْ الْغَارَةَ عَلَى قَبَائِلِ بَنِي تَمِيمٍ ، فَقَالُوا : إِنَّ عِلْمَ بِنَا السُّلَيْكِ أَنْذَرَهُمْ ، فَبِعَثُوا فَارْسِينَ

(١) سورة الدخان ٢٤ .

(٢) تكملة من س .

على جوادين يُريغان^(١) السُّلَيْكَ، بَصْرًا به فَقَصَدَاهُ، وَخَرَجَ يَمَحْصُ^(٢) كَأَنَّهُ ظَبْيٌ، فَطَارَدَاهُ سَحَابَةً يَوْمَهُمَا، فَقَالَا: هَذَا النَّهَارُ، وَلَوْ جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ لَقَدْ قَتَرْتُ، فَجَدَا فِي طَلْبِهِ، فَإِذَا بِأَثَرِهِ قَدْ بَالَ فَرَعًا فِي الْأَرْضِ وَخَدَّهَا، فَقَالَا: قَاتَلَهُ اللَّهُ! مَا أَشَدَّ مَتْنِيهِ! وَلَعَلَّ هَذَا كَانَ مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ فَلَمَّا امْتَدَّ بِهِ اللَّيْلُ قَتَرْتُ، فَاتَّبَعَاهُ، إِذَا بِهِ قَدْ عَبَرَ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ فَنَدَرَ^(٣) مِنْهَا كَمَا كَانَ تَلَكُ، وَانْكَسَرَتْ قَوْسُهُ، فَارْتَزَتْ قَصْدَةً مِنْهَا فِي الْأَرْضِ فَنَشِبْتُ، فَقَالَا: قَاتَلَهُ اللَّهُ! وَاللَّهِ لَا نَتَّبِعُهُ بَعْدَ هَذَا، فَرَجَعَا عَنْهُ، وَأَتَمَّ إِلَى قَوْمِهِ.

ش: يَرَوَى «أَتَمَّ» بِالْفِ، وَ«تَمَّ» بغير الألفِ «وَنَمَّ» بالنون، ومعنى «تَمَّ» إِلَى قَوْمِهِ «أَي نَفَذَ».

فَأَنْذَرَهُمْ، فَلَمْ يَصِدِّقُوهُ لِبُعْدِ الْغَايَةِ، فَفِي ذَلِكَ يَقُولُ:

يُكَذِّبُنِي الْعَمْرَانُ عَمْرُو بْنُ جُنْدُبٍ وَعَمْرُو بْنُ كَعْبٍ وَالْمَكْدُبُ أَكْذَبُ
تَكَلَّتْ كَمَا إِنْ لَمْ أَكُنْ قَدْ رَأَيْتُهَا كَرَادِيسَ يَهْدِيهَا إِلَى الْحَيِّ مَوْكِبُ^(٤)
كَرَادِيسُ فِيهَا الْحَوْفَزَانُ وَحَوْلَهُ فَوَارِسُ هَمَامٍ مَتَى يَدْعُ يَرْكَبُوا
فَصَدَّقَهُ قَوْمٌ فَجَنَوا، وَكَذَّبَهُ قَوْمٌ فَوَرَدَ عَلَيْهِمُ الْجَيْشُ فَاكْتَسَحَهُمْ.

وَحَدَّثَنِي التَّوَزِيُّ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عُبَيْدَةَ عَنْ مِثْلِ هَذِهِ الْأَخْبَارِ مِنْ أَخْبَارِ الْعَرَبِ؟ فَقَالَ لِي: إِنْ الْعَجَمُ تَكَذَّبَ فَتَقُولُ: كَانَ رَجُلٌ ثَلَاثَةٌ مِنْ نُحَاسٍ، وَثَلَاثَةٌ مِنْ رِصَاصٍ، وَثَلَاثَةٌ مِنْ ثُلُجٍ، فَتَعَارِضُهَا الْعَرَبُ بِهَذَا وَمَا أَشْبَهَ.

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ مُهَلِّهِلِ بْنِ رَبِيعَةَ:

فَلَوْ نَشَرَ الْمَقَابِرُ عَنْ كُليِّبٍ قَتُّخْبِرَ بِالذَّنَائِبِ أَيْ زِيرٍ!
يَوْمَ الشَّعْثَمِينَ لَقَرَّ عَيْنًا وَكَيْفَ لِقَاءٍ مَنْ تَحْتَ الْقُبُورِ

(١) يريغان: يطليان.

(٢) يحص: يعدو عدوا شديدا.

(٣) ندر: سقط.

(٤) الكراديس: جمع كردوس، وهو القطعة العظيمة من الخيل.

بِجَنْبِ عُنْزَةٍ رَحِيًّا مُدِيرٍ
بَعِيدٍ بَيْنَ جَالِيهَا جَرُورٍ^(١)
صَلِيلَ الْبَيْضِ تَقْرَعُ بِالذُّكُورِ

كَلَانًا غُدُوَّةً وَبَنَى أَبِينَا
كَأَنَّ رَمَاحَهُمْ أَشْطَانُ بَيْرٍ
فَلَوْلَا الرِّيحُ أَسْمِعَ مَنْ بِحَجَرٍ

[قال أبو الحسن: يقال فلان: زيرُ نساء، وطلبُ نساء، وتبعُ نساء، وخلوُ نساء، إذا كان صاحبَ نساء؛ وذلك أن مهلهلاً كان صاحبَ نساء، فكان كليبٌ يقول: إن مهلهلاً زيرُ نساء ولا يدركُ بثَّار، فلماً أدركَ مهلهلاً بثَّار كليب، قال: أي زير! فرفع «أيا» بالابتداء، والخبرُ محذوف، فكأنه قال: أي زير أنا في هذا اليوم!].

قال أبو العباس: وحدثني عمرو بن بحر قال: أتيت أبا الربيع الغنوي وكان من أفصح الناس وأبلغهم، ومعى رجلٌ من بني هاشم، فقلت: أأبو الربيع هاهنا؟ فخرج إلي وهو يقول: خرج إليك رجلٌ كريمٌ فلماً رأى الهاشمي استحيًا من فخره بحضرته، فقال: أكرمُ الناس رديقًا، وأشرفهم حليفاً، فتحدثنا ملياً، فنهض الهاشمي، فقلت لأبي الربيع: يا أبا الربيع من خيرُ الخلق؟ فقال: الناسُ والله. فقلت: من خيرُ الناس؟ قال: العربُ والله، فقلت: فمن خيرُ العرب؟ قال: مضرٌ والله، قلت: فمن خيرُ مضر؟ قال: قيسٌ والله، قلت: فمن خيرُ قيس؟ قال: يعصرُ والله، قلت: فمن خيرُ يعصر؟ قال: غنيٌ والله، قلت: فمن خيرُ غني؟ قال: المخاطبُ لك والله، قلت: أفأنت خيرُ الناس؟ قال: نعم إني والله، قلت: أيسرك أن تحتك بنتُ يزيد بن المهلب؟ قال: لا والله، قلت: ولك ألف دينار؟ قال: لا والله، قلت: فألف دينار؟ قال: لا والله، قلت: ولك الجنة! فأطرق [ملياً]^(٢) ثم قال: على ألا تلد مني، وأنشد:

تَأْبَى لِأَعْصَرٍ أَعْرَاقُ مُهَذَّبَةٌ مِنْ أَنْ تُنَاسِبَ قَوْمًا غَيْرَ أَكْفَاءِ
فَإِنْ يَكُنْ ذَاكَ حَتْمًا لَا مَرَدَّ لَهُ فَادْكُرْ حُذِيفَ فَإِنِّي غَيْرُ أَبَاءِ

وقوله: «أكرمُ الناس رديقًا» فإن أبا مرثد الغنوي كان رديفَ رسولِ الله ﷺ.

(١) أشطان البئر: حبالها. (٢) تكلمة من س.

وقوله: «وأشرفهم حليفاً»، كان أبو مرثد حليف حمزة بن عبد المطلب.

وقوله: «فاذكر حذيف»، أراد حذيفة بن بدر الفزاري، وإنما ذكره من بين الأشراف لأنه أقربهم إليه نسباً، وذاك يعصر بن سعد بن قيس، وهؤلاء بنو ريث ابن غطفان بن سعد بن قيس، وقد قال عيينة بن حصن يهجو ولد يعصر، وهم غنى وباهلة والطفافة:

أباهل ما أدرى أمن لؤم منصبي أحبكم أم بي جنون وأولق^(١)
أسيد أحوالي ويعصر إخوتي فمن ذا الذي مني مع اللؤم أحمق!
فقال الباهلي يجهيه:

وكيف تحب الدهر قوماً هم الأولى نواصيكُم في سالف الدهر حلّقوا
ألست فزارياً عليك غضاضةً وإن كنت كندياً فإنك ملصق

وتحدث الرواة بأن الحجاج رأى محمد بن عبد الله بن نُمير الثقفي، وكان ينسب بزینب بنت يوسف، فارتاع من نظر الحجاج [إليه^(٢)] فدعاه به، فلما عرفه قال مبتدئاً:

هاك يدي ضاقت بي الأرض رحبها وإن كنت قد طوّقت كل مكان
ولو كنت بالعنقاء أو ييسومها لخلتكَ إلا أن تصدّ تراني^(٣)

ثم قال: والله إن قلت إلا خيراً، إنما قلت:

يخبئن أطراف البنان من الثقي ويخرجن جنح الليل معتجرات

قال: أجل، ولكن أخبرني عن قولك:

ولما رأت ركب النُميريّ أعرضت وكُنَّ من أن يلقينه حذرات

في كم كنت؟ قال: والله إن كنت إلا على حمار هزيل، ومعى رفيق على أتان مثله.

(٣) يوم: جيل بعيد.

(٢) تكلمة من س.

(١) الأولي: الجنون.

ومن ذلك ما يحْكُون في خبر لُقْمَانَ بن عَاد، فإنهم يَصِفُون أنَّ جَارِيَةً لَهُ
سُئِلَتْ عَمَّا بَقِيَ مِنْ بَصَرِهِ، لِدُخُولِهِ فِي السَّنِّ؟ فَقَالَتْ: وَاللَّهِ لَقَدْ ضَعُفَ بَصَرُهُ،
وَلَقَدْ بَقِيَتْ مِنْهُ بَقِيَّةٌ، إِنَّهُ لَيَفْصَلُ بَيْنَ أَثَرِ الْأُنْثَى وَالذَّكَرِ مِنَ الذَّرِّ إِذَا دَبَّ عَلَى
الصَّفَا، فِي أَشْيَاءٍ تَشَاكِلُ هَذَا مِنَ الْكَذْبِ.

وَحَدَّثْتُ أَنَّ امْرَأَةَ عِمْرَانَ بْنِ حِطَّانَ السَّدُوسِيَّ قَالَتْ لَهُ: أَمَا حَلَفْتَ أَنَّكَ لَا
تَكْذِبُ فِي شَعْرٍ؟ فَقَالَ لَهَا: أَوْ كَانَ ذَاكَ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، قُلْتَ:
فَكَذَاكَ مَجْزَأَةُ بْنُ ثَوْرٍ رَكَانَ أَشْجَعَ مِنْ أُسَامَةَ
أَيُّكَونَ رَجُلٌ أَشْجَعُ مِنْ أَسَدٍ! فَقَالَ لَهَا: مَا رَأَيْتُ أَسَدًا فَتَحَ مَدِينَةً قَطُّ،
وَمَجْزَأَةُ بْنُ ثَوْرٍ قَدْ فَتَحَ مَدِينَةً^(١).

وَمَرَّ عِمْرَانُ بْنُ حِطَّانَ بِالْفِرْزَدِقِ وَهُوَ يُشَدُّ، فَوَقَفَ عَلَيْهِ فَقَالَ:
أَيُّهَا الْمَادِحُ الْعِبَادَ لِيُعْطَى إِنَّ اللَّهَ مَا بِأَيْدِي الْعِبَادِ
فَاسْأَلِ اللَّهَ مَا طَلَبْتَ إِلَيْهِمْ وَارْجُ فَضْلَ الْمَقْسَمِ الْعَوَادِ
لَا تَقُلْ لِلْجَوَادِ مَا لَيْسَ فِيهِ وَتُسَمِّ الْبَخِيلَ بِاسْمِ الْجَوَادِ

وَأُنْشَدَنِي الْحَسَنُ بْنُ رَجَاءٍ لِرَجُلٍ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ لَمْ يُسَمِّهِ^(٢):
أَبَا دُلْفٍ يَا أَكْذَبَ النَّاسِ كُلَّهُمْ سِوَايَ فِائِي فِي مَدِيحِكَ أَكْذَبُ

وَأُنْشَدَنِي آخَرَ لِرَجُلٍ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ:
إِنِّي امْتَدَحْتُكَ كَاذِبًا فَأَتَّبَتْنِي لَمَّا امْتَدَحْتُكَ مَا يُثَابُ الْكَاذِبُ
قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: قُلْتُ لِأَعْرَابِيٍّ كُنْتَ أَعْرِفُهُ بِالْكَذْبِ: أَصَدَقْتَ قَطُّ؟ قَالَ:
لَوْلَا أَنِّي أَخَافُ أَنْ أَصْدُقَ فِي هَذَا لَقُلْتُ لَكَ: لَا.

(١) زيادات ر: «مجزأة بن ثور، جعل له عمر رحمه الله رياسة بكر، فلما أسن مجزأة فعل عثمان بن عفان
رضي الله عنه ذاك مع ابنه شقيق بن مجزأة، وقتل رحمه الله على شتر، هو والبراء بن مالك، وكانا من
أبطال المسلمين». (٢) زيادات ر: «وهو بكر بن النطاح في أبي دلف».

وَتَحَدَّثُوا مِنْ غَيْرِ وَجْهِ أَنَّ عَمْرُو بْنَ مَعْدَى كَرَبَ كَانَ مَعْرُوفًا بِالْكَذِبِ، وَقِيلَ لَخَلْفِ الْأَحْمَرِ - وَكَانَ شَدِيدَ التَّعَصُّبِ لِلْيَمَنِ: أَكَانَ عَمْرُو بْنُ مَعْدَى كَرَبٌ يَكْذِبُ؟ فَقَالَ: كَانَ يَكْذِبُ فِي الْمَقَالِ، وَيَصْدُقُ فِي الْفَعَالِ.

وَذَكَرُوا مِنْ غَيْرِ وَجْهِ أَنَّ أَهْلَ الْكَوْفَةِ مِنَ الْأَشْرَافِ كَانُوا يَظْهَرُونَ بِالْكَنَاسَةِ فَيَتَحَدَّثُونَ عَلَى دَوَابِّهِمْ، إِلَى أَنْ يَطْرُدَهُمْ حَرُّ الشَّمْسِ، فَوَقَفَ عَمْرُو بْنُ مَعْدَى كَرَبَ وَخَالِدُ بْنُ الصَّقْعَبِ النَّهْدِيُّ، فَأَقْبَلَ عَمْرُو بْنُ يَحْدَثُهُ، فَقَالَ: أَغَرْنَا مَرَّةً عَلَى بَنِي نَهْدٍ، فَخَرَجُوا مُسْتَرْعَفِينَ بِخَالِدِ بْنِ الصَّقْعَبِ، فَحَمَلْتُ عَلَيْهِ فِطْعَتَهُ فَأَذْرَيْتَهُ (١)، ثُمَّ مَلْتُ عَلَيْهِ بِالصَّمْصَمَةِ، فَأَخَذْتُ رَأْسَهُ، فَقَالَ لَهُ خَالِدٌ: حَلًّا أَبَا ثَوْرٍ، إِنَّ قَتِيلَكَ هُوَ الْمَحْدَثُ. فَقَالَ: يَا هَذَا، إِذَا حَدَّثْتَ فَاسْتَمِعْ، فَإِنَّمَا نَتَحَدَّثُ بِمَثَلِ مَا تَسْمَعُ لِتَرْهَبَ بِهِ هَذِهِ الْمَعْدِيَّةُ (٢).

قَوْلُهُ: «مُسْتَرْعَفِينَ» يَقُولُ: مُقَدَّمِينَ لَهُ، يُقَالُ: جَاءَ فُلَانٌ يَرْعَفُ الْجَيْشَ وَيَوْمَ الْجَيْشِ، إِذَا جَاءَ مُتَقَدِّمًا لَهُمْ، وَيُقَالُ فِي الرَّعَافِ: رَعَفَ يَرْعَفُ، لَا يُقَالُ غَيْرُ «رَعَفَ»، وَيَجُوزُ «يَرْعَفُ» مِنْ أَجْلِ الْعَيْنِ، وَلَيْسَ مِنَ الْوَجْهِ. وَسَنَذْكُرُ هَذَا الْبَابَ بَعْدَ انْقِضَاءِ هَذِهِ الْأَخْبَارِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

وَقَوْلُهُ: «حَلًّا أَبَا ثَوْرٍ» يَقُولُ: اسْتَشْنَى، يُقَالُ: حَلَفَ وَلَمْ يَتَحَلَّلْ، أَيْ لَمْ يَسْتَشِنْ.

* * *

وُخْبِرْتُ أَنَّ قَاصًّا كَانَ يُكْثِرُ الْحَدِيثَ عَنْ هَرَمِ بْنِ حَيَّانٍ (٣) فَاتَّفَقَ هَرَمٌ [مَرَّةً] (٤) مَعَهُ فِي مَسْجِدٍ وَهُوَ يَقُولُ: حَدَّثَنَا هَرَمُ بْنُ حَيَّانٍ، مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ، بِأَشْيَاءَ لَا يَعْرِفُهَا هَرَمٌ، فَقَالَ لَهُ: يَا هَذَا، أَتَعْرِفُنِي؟ أَنَا هَرَمُ بْنُ حَيَّانٍ، [وَاللَّهُ] مَا حَدَّثْتُكَ مِنْ هَذَا بِشَيْءٍ قَطُّ، فَقَالَ لَهُ الْقَاصُّ: وَهَذَا أَيْضًا مِنْ عَجَائِبِكَ، إِنَّهُ لَيُصَلِّيَ مَعَنَا فِي مَسْجِدِنَا خَمْسَةَ عَشَرَ رَجُلًا، اسْمُ كُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ هَرَمُ بْنُ حَيَّانٍ، كَيْفَ تَوَهَّمْتَ أَنَّهُ لَيْسَ فِي الدُّنْيَا هَرَمُ بْنُ حَيَّانٍ غَيْرُكَ!

(١) أَذْرَيْتَهُ: رَمَيْتَهُ. (٢) الْمَعْدِيَّةُ: الْمُنْسُوبُونَ إِلَى مَعْدَى.

(٣) زِيَادَاتُ ر: «الْهَرَمُ: الضَّبُّ، يُقَالُ إِنَّهُ فِي الشِّتَاءِ يَأْكُلُ حَسُولَهُ وَلَا يَخْرُجُ، قَالَ الشَّاعِرُ:

* كَمَا أَكَبَّ عَلَى ذِي بَطْنِهِ الْهَرَمُ *

قِيلَ إِنَّ هَرَمَ بْنَ حَيَّانٍ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ أَرْبَعَ سِنِينَ: وَلِذَلِكَ سُمِّيَ هَرَمًا.

(٤) مِنْ س.

وكان بالرقّة قاصٌّ يُكَنَّى أبا عقيل، يُكثِرُ التحدّثَ عن بنى إسرائيلَ فيُظَنُّ به الكذبُ، فقال له يوماً الحجاجُ بن حنّمة: ما كان اسمُ بقرة بنى إسرائيل؟ قال: حنّمة، فقال له رجلٌ من ولد أبي موسى الأشعري: فى أىّ الكتبِ وَجَدْتَ هذا؟ قال: فى كتاب عمرو بن العاصِ.

وقال القَيْنِي: أَنَا أَصْدُقُ فى صَغِيرٍ مَا يَضُرُّنِي، لِيَجُوزَ كَذِبِي فى كَبِيرٍ مَا يَنْفَعُنِي.

وَأَنشُدِ الْمَازِنِي لِلْأَعَشَى - وليس مما رَوَتِ الرواةُ متّصلاً بقصيدة:
فَصَدَقْتُهُمْ وَكَذَبْتُهُمْ وَالْمَرْءُ يَنْفَعُهُ كِذَابُهُ

ويروى أَنَّ رجلاً وَفَدَ على رسول الله ﷺ، فسأله [عن بعض شيء] (١)، فكذّبهُ، فقال له رسول الله ﷺ: أَسَأَلْتُكَ فَتَكْذِبُنِي؟ لَوْلا سَخَاءُ فَيْكَ وَمِقَّكَ اللَّهُ عَلَيْهِ لَشَرَدْتَ بِكَ مِنْ وَافِدِ قَوْمٍ.

معنى «وَمِقَّكَ» أَجَبَكَ، يقال وَمَقَّتُهُ أَمَقُّهُ، وهو على «فَعَلْتُ أَفْعُلُ» ونظيره من هذا المَعْتَلُّ وَرِمَ يَرِمُ، ووَلِيَ يَلِي. وكذلك وَسَعَ يَسَعُ، كانت السَّيْنُ مكسورةً، وإنما فُتِحَتْ للعَيْنِ، ولو كان أَصْلُهَا الفتح لظَهَرَتْ الواوُ، نحو وَجَلْ يَوْجَلُ، وَوَحَلْ يَوْحَلُ. والمصدرُ «مِقَّةٌ» كقولك: وَعَدَ يَعِدُ عِدَّةً، وَوَجَدَ يَجِدُ جِدَّةً.

ويُروى: أَنَّ رجلاً أَتَى رسولَ الله ﷺ فأسلم، ثم قال: يَا رَسُولَ اللَّهِ، [إِنِّي] (١) إِنَّمَا أُؤْخِذُ مِنَ الذُّنُوبِ بِمَا ظَهَرَ، وَأَنَا أَسْتَسِرُّ بِخِلَالِ أَرْبَعٍ: الزَّنا وَالسَّرْقَ (٢) وَشَرْبَ الْخَمْرِ وَالْكَذِبِ، فَأَيُّهُنَّ أَحَبُّبَتَ تَرَكْتُ لَكَ سِرًّا، فقال رسولُ الله: دَعِ الْكَذِبَ، فَلَمَّا تَوَلَّى مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ هَمَّ بِالزَّنا، فقال: يَسْأَلُنِي رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ جَعَدْتُ نَقَضْتُ مَا جَعَلْتُ لَهُ، وَإِنْ أَقْرَرْتُ حُدُدْتُ، فلم يزل، ثم هَمَّ بِالسَّرْقِ (٢)، ثم هَمَّ بِشَرْبِ الْخَمْرِ، ففكَّرَ فى مِثْلِ ذَلِكَ، فَرَجَعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ تَرَكْتُهُنَّ جُمْعَ.

(١) تكملة من س.

(٢) السرقة: السرقة.

وشهد أعرابيٌ عند معاويةَ بشهادة، فقال له معاويةُ: كذبت، فقال له الأعرابي: الكاذبُ مُتَرَمِّلٌ في ثيابك، فقال معاويةُ: هذا جزاءُ مَنْ عَجَلَ. وقال معاويةُ يوماً للأحنف - وحديثه حديثاً: أتَكْذِبُ؟ فقال: والله ما كذبتُ مُذْ علمتُ أَنَّ الكذبَ يَشِينُ أَهْلَهُ.

ودخلَ عبد الله بن الزبير يوماً على معاوية، فقال: اسمع أبياتاً قُلْتُهِنَّ - وكان واجداً عليه، فقال معاوية: هات، فأنشده:

إذا أنتَ لم تُنْصِفْ أَخَاكَ وَجَدْتَهُ على طَرَفِ الْهَجْرَانِ إِنْ كَانَ يَعْقِلُ
ويركبُ حَدَّ السَّيْفِ مَنْ أَنْ تَضِيْمُهُ إذا لم يكن عن شَفْرَةِ السَّيْفِ مَزْحَلُ

فقال له معاوية: لقد شعرتَ بعدنا يا أبا بكر، ثم لم يَنْشَبْ معاوية أنْ دَخَلَ عليه مَعْنُ بن أَوْسٍ المَزْنِيُّ، فقال له: أَقُلْتَ بعدنا شيئاً؟ قال: نَعَمْ، فأنشده:

لَعَمْرُكَ مَا أَدْرِي وَإِنِّي لَأَوْجَلُ على آيِنَا تَعْدُو الْمَنِيَّةُ أَوَّلُ

حتى صارَ إلى الأبيات التي أنشدها ابنُ الزبير، فقال له معاوية: يا أبا بكر، أَمَا ذَكَرْتَ أَنْفًا أَنَّ هذا الشَّعْرَ لك؟ قال: أنا أَصْلَحْتُ مَعَانِيَهُ، وهو أَلْفَ الشَّعْرِ، وهو بَعْدُ ظِئْرِي، فما قالَ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ لِي. وكان عبدُ الله بن الزُّبَيْرِ مُسْتَرْضِعاً فِي مَزِينَةٍ.

وَحَدَّثْتُ أَنَّ عُمَرَ بن عبد العزيز [بن مروان^(١)] كَتَبَ فِي إِشْخَاصِ إِيَّاسَ بن معاويةَ الْمَزْنِيِّ وَعَدِيَّ بن أَرْطَاةَ الْفَزَارِيِّ أَمِيرَ الْبَصْرَةِ وَقَاضِيَهَا يَوْمَئِذٍ، فَصَارَ إِلَيْهِ عَدِيٌّ، فَقَرَّبَ أَنْ يَمِزَّهُ عِنْدَ الْخَلِيفَةِ، فَقَالَ: يَا أَبَا وَائِلَةَ، إِنَّ لَنَا حَقًّا وَرَحْمًا، فَقَالَ إِيَّاسُ: أَعَلَى الْكَذْبِ تَرِيدُنِي؟ وَاللَّهِ مَا يَسُرُّنِي أَنِّي كَذَبْتُ كَذِبَةً يَغْفِرُهَا اللَّهُ وَلَا يَطْلُعُ عَلَيْهَا إِلَّا هَذَا - وَأَوْمَأَ إِلَى أَبِيهِ - وَلِي مَا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ.

[قال أبو الحسن^(١): «الْتَمِزِينَ» الْمَدْحُ، وَلَمْ أَسْمَعْ هَذِهِ اللَّفْظَةَ إِلَّا مِنْ

(١) تكملة من س.

أبى العباس، وهى عندى مشتقة من «المازن» وهو بيض^(١) النمل، وبهذا سُميت «مازن» كأنه أراد منه أن تكبره.

ويروى يكثره. قال القتيبي: المازن: بيض النمل.

قال الشيخ: قوله: «أن يمزنه عند الخليفة»، أى كأنه يجعله سيد مزينة، لأنه كان مزنياً، والصواب: «يمزّره» قال الموصلي:

* وَإِنِّي مَعَ ذَا الشَّيْبِ حُلُوٌّ مَزِيرٌ *

ولم يكن في القضاة، وإنما كان أميراً على البصرة... إن مات عمرو... وكتب عمر إلى عدي: اجمع ناساً ممن قبلك وشاورهم في إياس بن معاوية والقاسم بن ربيعة، واستقض أحدهما، فولّى عدي إياساً^(٢). [

ويروى أن أخا إياس صار إلى ابن هبيرة فقال: طرقتي اللصوص فحاربتهم فهزمتهم، وظفرت منهم بهذا المغول^(٣)، فجعله ابن هبيرة تحت مصلاه، ثم بعث إلى الصياقلة فأحضرهم، فقال: أيعرف منكم الرجل عمله؟ قالوا: نعم، فأخرج المغول فقال: من عمل أيكم هذا^(٤)؟ فقال قائل منهم: أنا عملت هذا، واشترأ مني هذا أمس.

(١) كلمة «بيض» ساقطة من ر، س، وهى في الأصل.

(٢) ما بين العلامتين زيادة في نسخة ر، وذكر المصحح أنها من إحدى النسخ التي رجع إليها، وموضع النقط مقطوع من الأصل المنقول عنه، وهذه الزيادة ليست في الأصل، وليست في س أيضاً.

(٣) زيادات ر: «المغول سيف صغير».

(٤) س: «أيكم عمل هذه».

بَاب

[ما يجوز فيه «يَفْعَلُ» فيما ماضيه «فَعَلَ» مفتوح العين]

اعلم أنَّ كلَّ فعلٍ على «فَعَلَ» فهو غيرُ متعدٍّ إلى مفعول، لأنَّه فعلٌ الفاعِلِ في نفسه، وتأويلُه الانتقالُ، وذلك قولك: كَرَّمَ عبدُ الله، وظَرَفَ عبدُ الله.

وتأويلُ قولي: «الانتقال»، إنما هو انتقالٌ من حالٍ إلى حال، تقول: ما كَانَ كريماً ولقد كَرَّمَ، وما كان شريكاً ولقد شَرَّفَ، فهذا تأويلُه، فأما قولهم: كَدْتُ أَكَادُ، فإنما كَدْتُ معترضةٌ على أَكَادُ.

وما كَانَ من «فَعَلَ» [من] ^(١) الصحيح فإنه «يَفْعَلُ» نحو: شَرِبَ يَشْرَبُ، وَعَلِمَ، وَفَرِقَ، وَيَكُونُ متعدِّياً وغيرَ متعدٍّ، تقول: حَذَرْتُ زَيْدًا، وَعَلِمْتُ عبدَ الله، وَيَكُونُ فيه مثلُ سَمَنْتُ، وَبَخَلْتُ، غيرَ متعدٍّ، وكلُّه على «يَفْعَلُ» نحو يَسْمَنُ، وَيَبْخُلُ، وَيَعْلَمُ، وَيَطْرَبُ.

فأما قولهم في الأربعة من الأفعال: «يَحْسِبُ»، و«يَيْسُسُ»، و«يَنْعَمُ»، و«يَيْبَسُ»، فهي معترضةٌ على «يَفْعَلُ» تقولُ في جميعها: «يَحْسَبُ»، و«يَنْعَمُ»، و«يَيْسُسُ»، و«يَيْبَسُ».

وما كان على «فَعَلَ» فبأبه «يَفْعَلُ» و«يَفْعَلُ» نحو قَتَلَ يَقْتُلُ، وَضَرَبَ يَضْرِبُ، وَقَعَدَ يَقْعُدُ، وَجَلَسَ يَجْلِسُ، فقد أثبتُّكَ أن يكونَ متعدِّياً وغيرَ متعدٍّ. فأما يَأْبَى، وَيَقْلَى فلهما عِلَّةٌ تَبَيَّنُ عِنْدَمَا أَذْكَرُهُ لَكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

ولا يكونَ «فَعَلَ يَفْعَلُ» إِلَّا أَنْ يَكُونَ يعرضُ له حرفٌ من حروفِ الحَلْقِ الستة في موضعِ العينِ أو موضعِ اللام، فإن كان ذلك الحرفُ عَيْنًا فَتَحَ نَفْسَهُ، وَإِنْ كَانَ لَامًا فَتَحَ العينَ.

وحروفُ الحَلْقِ: الهمزةُ، والهاءُ، والعَيْنُ، والحاءُ، والغينُ، والحاءُ.

وذلك قولهم: قَرَأَ يَقْرَأُ قَرَأَ، يَا فَتَى، قِرَاءَةً، وَسَأَلَ يَسْأَلُ، وَجَبَّهَ يَجْبَهُ، وَذَهَبَ يَذْهَبُ، وَتَقُولُ: صَنَعَ يَصْنَعُ، وَظَنَّ يَظُنُّ، وَضَبَحَ يَضْبَحُ، وَكَذَلِكَ فَرَّغَ يَفْرِغُ، وَسَلَخَ يَسْلَخُ.

(١) من س.

وقد يجوزُ أَنْ يَجِيءَ الحَرْفُ عَلَى أَصْلِهِ وَفِيهِ أَحَدُ السَّتَةِ، وَيَجُوزُ: زَارَ يَزُرُّ،
وَفَرَّغَ يَفْرُغُ، وَصَبَغَ يَصْبُغُ، إِلَّا أَنَّ الْفَتْحَ لَا يَكُونُ فِيمَا مَاضِيهِ «فَعَلَ» إِلَّا وَاحِدُ هَذِهِ
الْحُرُوفِ فِيهِ.

وَأَمَّا «يَأْبَى» فَهِيَ عَلَّةٌ، وَأَمَّا «يَقْلَى» فَلَيْسَ يَثْبُتُ. وَسَيُؤَيِّدُهُ يَذْهَبُ فِي «يَأْبَى»
إِلَى أَنَّهُ إِنَّمَا انْفَتَحَ مِنْ أَجْلِ أَنَّ الْهَمْزَةَ فِي مَوْضِعِ فَائِهِ، وَالْقَوْلُ عِنْدِي عَلَى مَا
شَرَحْتُ لَكَ، مِنْ أَنَّهُ إِذَا فُتِحَ حَدَّثَ فِيهِ حَرْفٌ مِنْ حُرُوفِ الْخَلْقِ، فَإِنَّمَا انْفَتَحَ لِأَنَّهُ
يَصِيرُ إِلَى الْأَلْفِ، وَهِيَ مِنْ حُرُوفِ الْخَلْقِ، وَلَكِنْ لَمْ نَذْكُرْهَا لِأَنَّهَا لَا تَكُونُ
أَصْلًا، إِنَّمَا تَكُونُ زَائِدَةً أَوْ بَدَلًا، وَلَا تَكُونُ مُتَحَرِّكَةً، فَإِنَّمَا هِيَ حَرْفٌ سَاكِنٌ، وَلَا
يَعْتَمِدُ اللِّسَانُ بِهِ عَلَى مَوْضِعٍ، فَهَذَا الَّذِي ذَكَرْتُ لَكَ مِنْ أَنَّ يَسْعُ، وَيَطَأُ، حَدُّهُمَا
«فَعَلَ يَفْعَلُ» فِي الْمَعْتَلِّ، كَحَسَبَ يَحْسِبُ، مِنَ الصَّحِيحِ، وَلَكِنْ فَتَحْتَهُمَا الْعَيْنُ
وَالْهَمْزَةُ، كَمَا تَقُولُ: وَلَغَّ الْكَلْبُ، يَلْغُ، وَالْأَصْلُ «يَلْغُ» فَحَرَفُ الْخَلْقِ فَتَحَهُ.

باب

[من أخبار عبد الله بن العباس وابنه]

يُرَوَّى عن علي بن أبي طالب رحمه الله عليه أنه افتقد عبد الله بن العباس رحمه الله [في وقت صلاة الظهر ^(١)]، فقال [لأصحابه ^(١)]: ما بال أبي العباس لم يحضر؟ فقالوا: ولد له مولود، فلما صلى على رحمه الله قال: امضوا بنا إليه، فأتاه فهناه، فقال: شكرت الواهب، وبورك لك في الموهوب، ما سميتُهُ؟ قال: أو يجوز لي أن أسميه حتى تسميه! فأمر به فأخرج إليه، فأخذه وحنكه ودعا له، ثم رده إليه، وقال: خذه إليك أبا الأملاك، قد سميتُهُ علياً، وكنيتُهُ أبا الحسن، فلما قام معاوية قال لابن عباس: ليس لكم اسمه وكنيته، فقد كنيتُهُ أبا محمد، فجرت عليه.

وكان علي سيداً شريعاً بليغاً، وكان له خمسُمائة أصل زيتون، يصلى في كل يوم إلى كل أصل ركعتين، فكان يدعى ذا الثفّنات ^(٢).

وضرب بالسوط مرتين، كلتاهما ضربه الوليد، إحداهما: في تزوجه لبابة بنت عبد الله بن جعفر، وكانت عند عبد الملك، فعصّ تفاحة ثم رمى بها إليها - وكان أبخر - فدعت بسكين، فقال: ما تصنعين به؟ ^(٣) قالت أُميط عنها الأذى، فطلقها، فتزوجها علي بن عبد الله، فضربه الوليد، وقال: إنما تتزوج بأُمّهات الخلفاء لتضع منها، لأن مروان بن الحكم تزوج أم خالد بن يزيد بن معاوية ليضع منه، فقال علي بن عبد الله: إنما أردت الخروج من هذه البلدة، وأنا ابن عمها فتزوجتها لأكون لها مخرجاً.

وأما ضربه إيّاه في المرة الثانية فإنما نرويه من غير وجه، ومن أتم ذلك ما حدّثنيه أبو عبد الله محمد بن شجاع البلخي ^(٤) في إسناده له متصّل، لست

(١) من س.

(٢) الثفّنات: جمع ثفنة، وهي من كل ذي أربع ما يصيب الأرض منه.

(٣) أى بالسكين، والسكين تذكر وتؤنث.

(٤) زيادات ر، «هو محمد بن شجاع الثلجي، كذا صوابه».

أَحْفَظُهُ، يَقُولُ فِي آخِرِ ذَلِكَ الْإِسْنَادِ: رَأَيْتُ عَلِيًّا مَضْرُوبًا بِالسَّوْطِ يُدَارُّ بِهِ عَلَى بَعِيرٍ وَوَجْهُهُ مِمَّا يَلِي ذَنْبَ الْبَعِيرِ، وَصَائِحٌ يَصِيحُ عَلَيْهِ: هَذَا عَلَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْكَذَّابُ! قَالَ: فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: مَا هَذَا الَّذِي نَسَبُوكَ فِيهِ إِلَى الْكَذْبِ؟ قَالَ: بَلَّغَهُمْ قَوْلِي: إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ سَيَكُونُ فِي وَلَدِي. وَاللَّهُ لَيَكُونَنَّ فِيهِمْ حَتَّى يَمْلِكَهُمْ عِبِيدُهُمُ الصَّغَارُ الْعَيُونَ، الْعِرَاضُ الْوُجُوهُ، الَّذِينَ كَانُوا وَجُوهَهُمُ الْمَجَانُّ الْمَطْرُقَةُ.

وَمَعَ هَذَا الْحَدِيثِ آخَرُ شَبِيهِهُ بِإِسْنَادِهِ، أَنَّ عَلِيَّ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ دَخَلَ عَلَى سُلَيْمَانَ ابْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، وَمَعَهُ ابْنُ ابْنِهِ، الْخَلِيفَتَانِ: أَبُو الْعَبَّاسِ، وَأَبُو جَعْفَرٍ - قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ: وَهَذَا غَلَطٌ، لَمَّا أَذْكُرُهُ لَكَ، إِنَّمَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ دَخَلَ عَلَى هِشَامٍ - فَأَوْسَعَ لَهُ عَلَى سَرِيرِهِ، وَسَأَلَهُ عَنْ حَاجَتِهِ، فَقَالَ: ثَلَاثُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ عَلَى دِينَ، فَأَمَرَ بِقَضَائِهَا، قَالَ لَهُ: وَتَسْتَوْصِي بَابْنِي هَذِينَ خَيْرًا، فَفَعَلَ، فَشَكَرَهُ، وَقَالَ: وَصَلَّتْكَ رَحِمٌ، فَلَمَّا وَلَّى عَلَى قَالَ الْخَلِيفَةُ لِأَصْحَابِهِ: إِنَّ هَذَا الشَّيْخَ قَدْ اخْتَلَى وَأَسَنَّ وَخَلَطَ فَصَارَ يَقُولُ: إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ سَيَنْتَقِلُ إِلَيَّ وَلَدِهِ، فَسَمِعَ ذَلِكَ عَلَى فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ فَقَالَ: وَاللَّهُ لَيَكُونَنَّ ذَلِكَ، وَلَيَمْلِكَنَّ هَذَانِ.

قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ: أَمَّا قَوْلِي: «إِنَّ الْخَلِيفَةَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ لَمْ يَكُنْ سُلَيْمَانٌ»، فَلَأَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ كَانَ يُمْنَعُ مِنْ تَزْوِجِ الْحَارِثِيَّةِ، لِلْحَدِيثِ الْمَرْوِيِّ، فَلَمَّا قَامَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ جَاءَهُ مُحَمَّدٌ، فَقَالَ لَهُ: إِنِّي أَرَدْتُ أَنْ أَتَزَوَّجَ بِنْتِ خَالِي مِنْ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ، أَفَتَأْذَنُ لِي [يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ]؟

فَقَالَ عُمَرُ: تَزَوَّجْ - رَحِمَكَ اللَّهُ - مَنْ أَحْبَبْتَ، فَتَزَوَّجَهَا، فَأَوْلَدَهَا أَبَا الْعَبَّاسِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَعُمَرُ بَعْدَ سُلَيْمَانَ، فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ تَهَيَّأَ لَهُ أَنْ يَدْخُلَ عَلَى خَلِيفَةٍ حَتَّى يَتَرَعَّرَ.

[ش: كَذَا وَقَعَ فِي الْأُمِّ وَالرَّوَايَةِ، وَالصَّحِيحُ «لَهُمَا أَنْ يَدْخُلَا عَلَى خَلِيفَةٍ حَتَّى يَتَرَعَّرَ»].

فَلَا يَتِمُّ مِثْلُ هَذَا إِلَّا فِي أَيَّامِ هِشَامٍ.

(١) تكملة من س.

وكان عبدُ الملك يُكرِّمُ عليًّا ويقدمُـه، فحدثني التَّوَزِيُّ، قال: قال عليُّ بن عبد الله: سَايَرْتُ يَوْمًا عبدَ الملك، فما جاوزنا إِلَّا يسيرًا حتى لَقِيَـهُ الْحَجَّاجُ قَادِمًا عليه، فلما رآه تَرَجَّلَ وَمَشَى بين يديه، فخبَّ عبدُ الملك، فأسرعَ الْحَجَّاجُ، فزادَ عبدُ الملك، فَهَرَوَلَ الْحَجَّاجُ، فقلتُ لعبد الملك: أَيْـبِكَ مَوْجِدَةٌ على هذا؟ فقال: لا، ولكنَّه رَفَعَ مِنْ نَفْسِهِ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَعْصِيَّ مِنْهُ.

وحدثني جعفرُ بن عيسى بن جعفر الهاشميُّ، قال: حضر عليُّ عبدُ الملك وقد أُهْدِيَ له من خُرَاسَانَ جاريةٌ وفَصٌّ وسيفٌ، فقال: يا أبا محمد، إِنَّ حَاضِرَ الهديةِ شريكٌ فيها، فاختَرْتُ مِنَ الثلاثةِ واحدًا، فاختارَ الجاريةَ، وَكَانَتْ تُسَمَّى سَعْدَى، وهى من سَبِي الصُّغْدِ^(١) من رَهْطِ عُجَيْفِ بن عَنبَسَةَ، فأولدها سليمانُ وصالحًا ابْنِي عليُّ.

وذكرَ جعفرُ بن عيسى أنه لَمَّا أَوْلَدَهَا سليمانَ اجْتَنَبَتْ فِرَاشَهُ، فمرضَ سليمانُ من جُدْرِيٍّ خرجَ عليه، فانصرفَ عليُّ مِنْ مُصَلَّاهُ، فإذا بها على فراشه، فقال: مرحبًا بك يا أُمُّ سليمانَ، فوقعَ بها، فأولدها صالحًا، فاجتنبتَ بَعْدُ، فسألها عن ذلك؟ فقالت: خِفْتُ أَنْ يَمُوتَ سليمانُ فينقطعَ النَّسَبُ بَيْنِي وبين رسولِ الله ﷺ، فالآنَ إِذْ وُلِدْتُ صالحًا فَبِالْحَرَى إِنَّ ذَهَبَ أَحَدُهُمَا أَنْ يَبْقَى الْآخَرُ، وليس مثلى اليومَ مِنْ وَطْئِهِ الرِّجَالُ.

وزعم جعفرُ أنه كانت فيه رُتَّةٌ.

فالرُّتَةُ: تَعَذُّرُ الْكَلَامِ إِذَا أَرَادَهُ الرَّجُلُ، فهى الآنَ معروفةٌ فى ولدِ سليمانَ وولدِ صالحٍ.

وكان عليُّ يقول: أَكْرَهُ أَنْ أُوصَى إِلَى مُحَمَّدٍ - وَكَانَ سَيِّدَ وَلَدِهِ - خَوْفًا مِنْ أَنْ أَشْيَيْنَهُ بِالْوَصِيَّةِ، فَأَوْصَى إِلَى سليمانَ، فلما دُفِنَ عليُّ جاءَ محمدٌ إِلَى سَعْدَى

(١) الصُّغْدُ: كورةٌ قصبتها سمرقند.

[ليلاً^(١)] فقال [لها]^(١): أَخْرِجِي إِلَى وَصِيَّةِ أَبِي، فَقَالَتْ: إِنْ أَبَاكَ أَجَلٌ مِنْ أَنْ تُخْرِجَ وَصِيَّتُهُ لَيْلًا، وَلَكِنَّهَا تَأْتِيكَ غَدًا، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدًا بِهَا عَلَيْهِ سَلِيمَانُ، فَقَالَ: يَا أَبِي وَيَا أَخِي، هَذِهِ وَصِيَّةُ أَبِيكَ، فَقَالَ مُحَمَّدٌ: جَزَاكَ اللَّهُ مِنْ ابْنٍ وَأَخٍ خَيْرًا، مَا كُنْتُ لِأُتْرِبَ عَلَى أَبِي بَعْدَ مَوْتِهِ، كَمَا لَمْ أُتْرِبْ عَلَيْهِ فِي حَيَاتِهِ.

قال أبو العباس: التَّمَتَّةُ: التَّرْدُّدُ فِي التَّاءِ، وَالْفَأْفَاءُ: التَّرْدُّدُ فِي الْفَاءِ، وَالْعُقْلَةُ: التَّوَاءُ اللِّسَانِ عِنْدَ إِرَادَةِ الْكَلَامِ، وَالْحُبْسَةُ: تَعَذُّرُ الْكَلَامِ عِنْدَ إِرَادَتِهِ، وَاللَّفَفُ: إِدْخَالُ حَرْفٍ فِي حَرْفٍ، وَالرُّتَّةُ: كَالرَّجِّ تَمْنَعُ أَوَّلَ الْكَلَامِ، فَإِذَا جَاءَ مِنْهُ شَيْءٌ اتَّصَلَ. وَالْغَمْغَمَةُ: أَنْ تَسْمَعَ الصَّوْتَ وَلَا يَتَبَيَّنُ لَكَ تَقْطِيعُ الْحُرُوفِ. وَالطَّمْطَمَةُ: أَنْ يَكُونَ الْكَلَامُ مُشَبَّهًا لِكَلَامِ الْعَجَمِ. وَاللُّكْنَةُ: أَنْ تَعْتَرِضَ عَلَى الْكَلَامِ اللُّغَةُ الْأَعْجَمِيَّةُ. وَسَنَفَسَرُ هَذَا بِحَجَبِهِ حَرْفًا حَرْفًا، وَمَا قِيلَ فِيهِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ. وَاللُّغْنَةُ: أَنْ يُعْدَلَ بِحَرْفٍ إِلَى حَرْفٍ. وَالْغَنَّةُ: أَنْ يُشْرَبَ الْحَرْفُ^(٢) صَوْتِ الْخَيْشُومِ. وَالْخَنَّةُ: أَشَدُّ مِنْهَا. وَالتَّرْخِيمُ: حَذْفُ الْكَلَامِ، يَقَالُ: رَجُلٌ فَأَفَاءُ يَا فَتَى! تَقْدِيرُهُ «فَاعَالٌ». وَنَظِيرُهُ مِنَ الْكَلَامِ: سَابَاطٌ وَخَاتَامٌ، قَالَ الرَّاجِزُ:

يَا مَيَّ ذَاتَ الْجَوْرِبِ الْمُنْشَقِّ أَخَذَتْ خَاتَامِي بِغَيْرِ حَقٍّ^(٢)

[لربيعه الرقي يمده يزيد بن حاتم]

وقال ربيعة الرقي في مَدْحِهِ يَزِيدَ بْنَ حَاتِمِ بْنِ قَبِيصَةَ بْنِ الْمُهَلَّبِ وَرَبِيعَةَ احْتِجَّ بِهِ الْأَصْمَعِيُّ - وَدَمَهُ يَزِيدُ بْنُ أَسِيدٍ السُّلَمِيُّ:

لَشَّتَانِ مَا بَيْنَ الْيَزِيدَيْنِ فِي النَّدَى	يَزِيدُ سَلِيمٌ وَالْأَغْرُ بْنُ حَاتِمِ
فَهُمُ الْفَتَى الْأَزْدِيُّ إِتْلَافُ مَالِهِ	وَهُمُ الْفَتَى الْقَيْسِيُّ جَمْعُ الدَّرَاهِمِ
فَلَا يَحْسِبُ التَّمَتَّامُ أَنِّي هَجَوْتُهُ	وَلَكِنِّي فَضَلْتُ أَهْلَ الْمَكَارِمِ

(١) تكملة من س..

(٢) زيادات ر: كذا ذكره أبو العباس بغير همز الألف الأولى، والصحيح أنه بالهمز على «فعلال» مثل «خضخاض»، و«مقام»، فالذي حكى أبو العباس غلط؛ لأن سيبويه رحمه الله قال: ليس في الصفات «فاعال». قال أبو الحسن. يقال: «خانم» على وزن «دانق» و«خاتم» على وزن ضارب، و«خيتام» على وزن «ديان» و«خاتام» على وزن «ساباط».

وقال آخر أيضاً:

ليس بفأفأ ولا تمّتام
وقال الشاعر:

وقد تعترّيه عُقْلَةٌ فى لسانه إذا هُزَّ نَصْلُ السيفِ غيرَ قريبٍ

وزعم عمرو بن بحر الجاحظ عن محمد بن الجهم قال: أقبلت على الفكر فى أيام محاربة الزطّ، فاعترّتنى حُبْسَةٌ فى لسانى، وهذا يكون لأنّ اللسانَ يحتاج إلى التمرين على القول، حتى يخفّ له، كما تحتاج اليد إلى التمرين على العمل، والرجل إلى التمرين على المشى، وكما يعانىهِ مُوتِرُ القوسِ ورافعُ الحجر ليصلب ويشتد، قال الراجز:

كأنّ فيه لفافاً إذا نطق من طول تحبّيسٍ وهمّ وأرق

وقال ابن المقفع: إذا كثّر قلبُ اللسان رقت جوانبه ولانت عذّبته.

وقال العتّابى: إذا حبسَ اللسانُ عن الاستعمال اشتدت عليه مخارج الحروف.

وأما الرتّة فإنها تكون غريزة، قال الراجز:

* يأيّها الخلطُ الأرت *

ويقال: إنها تكثّر فى الأشرف، ولم توجد تختصّ واحداً دون واحد.

وأما الغمغمّة فقد تكون من الكلام وغيره، لأنه صوت لا يفهم تقطيع حروفه.

[أفصح الناس]

وحدثنى مَنْ لا أُحصى من أصحابنا عن الأصمعى عن شعبة عن قتادة، قال: قال معاوية يوماً: مَنْ أفصحُ الناس؟ فقام رجلٌ من السّماط فقال: قوم تباعدوا عن فُراتيّة العراق، وتيامنوا عن كشكشة تميم، وتياسروا عن كسكسة بكر، ليس فيهم غمغمّة قضاعة، ولا طمطمانيّة حمير. فقال له معاوية: مَنْ أولئك؟ فقال: قَوْمِي يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فقال له معاوية: مَنْ أَنْتَ؟ قال: أنا رجلٌ من جرّم. قال الأصمعى: وجرّم من فُصحاء الناس.

قوله: «تَيَامَنُوا عَنْ كَشْكَشَةِ تَمِيمٍ»، فَإِنَّ بَنِي عَمْرِو بْنِ تَمِيمٍ إِذَا ذَكَرْتَ كَافَ الْمُؤَنَّثُ فَوَقَفَتْ عَلَيْهَا أَبْدَلْتُ مِنْهَا شَيْئًا، لِقَرَبِ الشَّيْنِ مِنَ الْكَافِ فِي الْمَخْرَجِ، وَأَنَّهَا مَهْمُوسَةٌ مِثْلُهَا، فَأَرَادُوا الْبَيَانَ فِي الْوَقْفِ، لِأَنَّ فِي الشَّيْنِ تَقَشُّبًا، فَيَقُولُونَ لِلْمَرْأَةِ: جَعَلَ اللَّهُ لَكَ الْبَرَكَهَ فِي دَارِشٍ، وَيَحْكُ مَالِشٍ، وَالتَّى يُدْرِجُونَهَا يَدْعُونَهَا كَافًا، وَالتَّى يَقْعُونَ عَلَيْهَا يُبَدِّلُونَهَا شَيْئًا.

وَأَمَّا بَكْرٌ فَتَخْتَلَفُ فِي الْكَسْكَسَةِ، فَقَوْمٌ مِنْهُمْ يُبَدِّلُونَ مِنَ الْكَافِ سَيْنًا، كَمَا يَفْعَلُ التَّمِيمِيُّونَ فِي الشَّيْنِ، وَهُمْ أَقْلُهُمْ، وَقَوْمٌ يَبِينُونَ حَرَكَةَ كَافِ الْمُؤَنَّثِ فِي الْوَقْفِ بِالسَّيْنِ، فَيَزِيدُونَهَا بَعْدَهَا، فَيَقُولُونَ: أُعْطِيتُ كَسٌ. أما الغمغمة فما ذكرت لك.

وقال الهارب^(١) لامراته يوم الخندمة، وذلك أنها نظرت إليه يحُدُّ حَرْبَةً فِي يَوْمِ فَتْحِ مَكَّةَ، فَقَالَتْ: مَا تَصْنَعُ بِهِذِهِ؟ قَالَ: أَعَدَدْتُهَا لِمُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ، فَقَالَتْ: وَاللَّهِ إِنْ أَرَاهُ يَقُومُ لِمُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ شَيْءٌ، فَقَالَ لَهَا: إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أُخْدِمَكَ بَعْضُهُمْ، وَأَنْشَأَ يَقُولُ:

إِنْ تُقْبِلُوا فَمَا بِي عَلَيْهِ هَذَا سِلَاحٌ كَامِلٌ وَأَلَّهُ
* وَذُو غَرَارَيْنِ سَرِيعِ السَّلَةِ *

الْأَلَّةُ: الْحَرْبَةُ، وَالْغَرَارُ هَاهُنَا: الْحَدُّ، يَعْنِي «بَذَى غَرَارَيْنِ» السَّيْفَ. فَلَمَّا لَقِيَهُمْ خَالِدٌ يَوْمَ الْخَنْدَمَةِ انْهَزَمَ الرَّجُلُ، فَلَامَتَهُ امْرَأَتُهُ، فَقَالَ:

إِنَّكَ لَوْ شَهِدْتَ يَوْمَ الْخَنْدَمَةِ إِذْ فَرَّ صَفْوَانٌ وَفَرَّ عَكْرَمَهُ
وَلَحَقْتَنَا بِالسَّيُوفِ الْمُسْلِمَةِ يَفْلُقْنَ كُلَّ سَاعِدٍ وَجَمَجَمَهُ
ضَرْبًا وَلَا تَسْمَعُ إِلَّا غَمْغَمَهُ لَهُمْ نَهَيْتُ^(٢) حَوْلَنَا وَجَمَجَمَهُ

* لَمْ تَنْطِقِي فِي اللَّوْمِ أَدْنَى كَلِمَةٍ *

(١) زيادات ر: «الهارب هو أبو عثمان الهذلي»، ويقال له الرعاش، ويقال إن الرجز المذكور بعد هذا لحماس ابن قيس أخى بنى بكر بن عبد مناة، أنشده له أبو إسحاق، والخندمة: جبل دخل منه النبي ﷺ مكة يوم الفتح، وقيل: الخندمة مشى فيه إسرار، فأضيف إلى اليوم لما كثر فيه.
(٢) النهيت: صوت الأسد دون زئيره.

وأما الطُّمُطُمَانِيَّةُ، ففيها يقولُ عَنَتْرَةُ:

تَبْرِي لَهُ حَوْلُ النَّعَامِ كَأَنَّهَا حِزَقُ يَمَانِيَّةٍ لِأَعْجَمَ طِمْطِمٍ
وكان صُهَيْبُ أَبُو يَحْيَى صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَرْتَضِخُ لُكْنَةً رُومِيَّةً،
وَيَذْكُرُونَ أَنَّ نَسَبَهُ فِي النَّمْرِ بَيْنَ قَاسِطٍ صَحِيحٍ.
وقد قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «صُهَيْبُ سَابِقُ الرُّومِ، وَسَلْمَانُ سَابِقُ الْفُرْسِ،
وَبِلَالٌ سَابِقُ الْحَبَشَةِ».

وقال عمرُ لصُهَيْبٍ فِي قَوْلِهِ: إِنَّهُ مِنَ النَّمْرِ بْنِ قَاسِطٍ: قد سمعتَ ما قال
رسولُ اللَّهِ ﷺ فيمن أنتمى إلى غيرِ نَسَبِهِ، فقال صُهَيْبٌ: أنا منِ الْقَوْمِ، وَلَكِنْ
وَقَعَ عَلَى سَبَاءٍ.

وكان عَبْدُ بَنِي الْحَسْحَاسِ يَرْتَضِخُ لُكْنَةً حَبَشِيَّةً، فلما أنشدَ عمرُ بنَ الْخَطَّابِ:
عَمِيرَةٌ وَدَّعَ إِنْ تَجَهَّزْتَ غَادِيَا كَفَى الشَّيْبُ وَالْإِسْلَامُ لِلْمَرْءِ نَاهِيَا
فقال عمرُ: لو كنتَ قَدَّمْتَ الْإِسْلَامَ عَلَى الشَّيْبِ لَأَجَزْتُكَ، فقال: ما
سَعَرْتُ، يَرِيدُ: ما سَعَرْتُ.

وكان عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ يَرْتَضِخُ لُكْنَةً فَارْسِيَّةً، وإِنَّمَا أَتَتْهُ مِنْ قِبَلِ زَوْجِ أُمِّهِ
شَيْرَوِيَّةِ الْإِسْوَارِيَّةِ.

ويقالُ: إن عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ عَادَ زِيَادًا فِي مَنْزِلِ شَيْرَوِيَّةٍ، فقال عُبَيْدُ اللَّهِ يَوْمًا
لِرَجُلٍ كَلَّمَهُ فَظَنَّ بِهِ رَأْيَ الْخَوَارِجِ^(١): أَهْرُورِيٌّ مِنْذُ الْيَوْمِ؟ يَرِيدُ: أَحْرُورِيٌّ، وهذه
الْهَاءُ تَشْتَرِكُ فِي قَلْبِهَا مِنَ الْحَاءِ أَصْنَافٌ مِنَ الْعَجَمِ.

وكان زِيَادُ الْأَعْجَمِ - وهو رَجُلٌ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ - يَرْتَضِخُ لُكْنَةً أُعْجَمِيَّةً،
يَذْهَبُ فِيهَا إِلَى مَذْهَبِ قَوْمٍ بِأَعْيَانِهِمْ مِنَ الْعَجَمِ.
وَأَنشَدَ الْمُهَلَّبُ بْنُ أَبِي صَفْرَةَ فِي مَدْحِهِ إِياهُ:

فَتَى زَادَهُ السُّلْتَانُ فِي الْمَدْحِ رَغْبَةً إِذَا غَيَّرَ السُّلْتَانُ كُلَّ خَلِيلٍ

(١) زيادات ر، «الرجل الذي كلمه عبيد الله بن زياد وظن أنه من الخوارج هانئ بن قبيصة».

يريد «السلطان»، وذلك أن بين التاء والطاء نَسَبًا، فلذلك قَلَبَهَا تاءً؛ لأن التاء من مخرج الطاء، فقال: «السُّلْطَان».

أَمَّا الْغِنَى، فَتُسْتَحْسَنُ مِنَ الْجَارِيَةِ الْحَدِيثَةِ السَّنِّ، لِأَنَّهَا مَالِمٌ تَفْرِطُ تَمِيلُ إِلَى ضَرْبٍ مِنَ النَّعْمَةِ، قَالَ ابْنُ الرَّقَّاعِ الْعَامِلِيُّ يَصِفُ الظَّيَّةَ وَوَلَدَهَا:

تُزْجَى أَغْنَى كَأَنَّ إِبْرَةَ رَوْقِهِ قَلَمٌ أَصَابَ مِنَ الدَّوَاةِ مِدَادَهَا

باب

[لمحمد بن عبد الله الثقفي]

قال محمد بن عبد الله بن نُمَيْرِ الثَّقَفِيُّ:

لَمْ تَرَ عَيْنِي مِثْلَ سِرْبِ رَأْيْتُهُ
مَرَرْنَ بَفَخٍّ ثُمَّ رُحْنُ عَشِيَّةٍ
تَضَوَّعَ مَسْكَاً بَطْنُ نَعْمَانَ أَنْ مَشَتْ
وَقَامَتْ تَرَاءَى يَوْمَ جَمْعٍ فَافْتَتَتْ
وَلَمَّا رَأَتْ رَكْبَ النُّمَيْرِ أَعْرَضَتْ
دَعَتْ نِسْوَ شَمِّ الْعَرَائِينَ بُدْنًا
فَأَذْنَيْنِ لَمَّا قُمْنَ يَحْجُبْنَ دُونَهَا
أَحْلَ الَّذِي فَوْقَ السَّمَاوَاتِ عَرْشُهُ
يُخَبِّئْنَ أَطْرَافَ الْبَنَانِ مِنَ التُّقَى

خَرَجْنَ مِنَ التَّعِيمِ مُعْتَجِرَاتِ
يُلْبِئْنَ لِلرَّحْمَنِ مُؤْتَجِرَاتِ
بِهِ زَيْنٌ فِي نِسْوَ عَطَرَاتِ
بِرُؤْيَيْهَا مَنْ رَاحَ مِنْ عَرَفَاتِ
وَكُنْ مِنْ أَنْ يَلْقَيْنَهُ حَذَرَاتِ
نَوَاعِمَ لَا شُعْثًا وَلَا غَبِرَاتِ^(١)
حَجَابًا مِنَ الْقَسِيِّ وَالْحَبِرَاتِ
أَوَّاسٍ بِالْبَطْحَاءِ مُعْتَمِرَاتِ
وَيَخْرُجْنَ جُنْحَ اللَّيْلِ مُخْتَمِرَاتِ

قوله: «مثل سِرْبِ رَأْيْتُهُ»، هو القطعة من النساء، أو من الطباء، أو من البقر، أو من الطير، كما قال:

لَمْ تَرَ عَيْنِي مِثْلَ سِرْبِ رَأْيْتُهُ
خَرَجْنُ عَلَيْنَا مِنْ زُقَاقِ ابْنِ وَاقِفِ
فهذا يعني نساء^(٢)، ويقال: مَرَّتْ بِنَا سُرْبَةً مِنَ الطَّيْرِ، فِي هَذَا الْمَعْنَى، قَالَ
ذُو الرِّمَّةِ:

سَوَى مَا أَصَابَ الذُّبُّ مِنْهُ وَشُرْبُهُ
أَطَافَتْ بِهِ مِنْ أُمَّهَاتِ الْجَوَازِلِ
ويقال: فُلَانٌ وَاسِعُ السَّرْبِ، يَعْنِي بِذَلِكَ الصَّدْرَ، وَيَقَالُ: خَلَّ لِفُلَانٍ سَرْبُهُ،
أَيُّ طَرِيقَهُ الَّذِي يَسْرُبُ فِيهِ، وَيَقَالُ لِلْإِبِلِ كَذَلِكَ بِالْفَتْحِ: لَاذْعَرَنَّ سَرْبَكَ.
ويقال: حَذَرَاتٌ، وَحَذَرَاتٌ، وَيَقِظُ، وَيَقِظُ، قَالَ ابْنُ أَحْمَرَ:
هَلْ يُنْسِنُنْ يَوْمِي إِلَى غَيْرِهِ
أَنِي حَوَالِيَّ وَأَنْتَى حَذِرُ

(١) زيادات ر، «ولا غفرات»، بالفاء أخت القاف، من الغفر وهو الشعر الذي ينبت في اللحيين؛ يقال: غفرت المرأة إذا نبت لها ذاك الشعر.

(٢) زيادات ر، «القطيع من السباع يقال له سرب، قاله ابن جنى، وكذا من الماشية كلها».

وقوله:

* وَكَنَّ مَنْ أَنْ يَلْقِيَنَّهُ حَذَرَاتِ *

الأصلُ «مَنْ أَنْ يَلْقِيَنَّهُ» ولكنَّ الهمزة إذا خُفِّفَتْ وقبلها ساكنٌ ليس من حروف اللين الزوائد، فتخفيفُها - متصلة كانت أو منفصلة - أَنْ تُلْقَى حركتها على ما قبلها وتُحذفُها، تقول: مَنْ أَبوك؟ فتفتحُ النونَ وتُحذفُ الهمزة، وَمَنْ أَخوانُكَ؟ وَمَنْ أُمُّ زَيْدٍ؟ فَتَضُمُّ النونَ وتُكسِرُها وتُفْتَحُها، على ما ذكرتُ لك، وتقول: «الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَّ فِي السَّمَوَاتِ»^(١) وفلانٌ لَهُ هَيْئَةٌ، وهذه مَرَّةٌ، إذا خُفِّفَتِ الهمزة في «الْخَبِّ» و«الْهَيْئَةِ» و«الْمَرَأَةِ»، وعلى هذا قوله تعالى: «سَلِّ بَنِي إِسْرَائِيلَ»^(٢) لأنها كانت «أَسْأَلُ» فَلَمَّا حُرِّكَتِ السِّينُ بحركة الهمزة سَقَطَتْ أَلْفُ الوصلِ، لِتَحْرُكَ ما بعدها، وإنما كان التخفيفُ في هذا الموضع بحذف الهمزة؛ لأن الهمزة إذا خُفِّفَتْ قُرِبَتْ من الساكنِ، والدليلُ على ذلك أنها لا تُبَدَأُ إِلَّا مُحَقَّقَةً، كما لا يُبَدَأُ إِلَّا بِمُتَحَرِّكٍ، فلما التَقَى الساكنُ وحروفٌ تَجْرِي مَجْرَى السَّاكِنِ حَذَفَتْ المعتلُّ منها، كما تَحذفُ لِالتقاء السَّاكِنَيْنِ.

وقوله: «دَعَتْ نِسْوةً شُمَّ الْعَرَانِينَ»، السماءُ السَّائِغَةُ الأنفِ والمصدرُ الشَّمَمُ.

وقال أحد الشعراء يمدحُ قُثَمَ بْنَ الْعَبَّاسِ:

يَا نَاقَ إِنِّ قَرَّبْتَنِي مِنْ قُثَمٍ	نَجَّوْتُ مِنْ حِلٍّ وَمِنْ رَحَلَةٍ
عَاشَ لَنَا الْيُسْرُ وَمَاتَ الْعَدَمُ	إِنَّكَ إِنِّ قَرَّبْتَنِيهِ غَدًا
نُورٌ وَفِي الْعَرْنَيْنِ مِنْهُ شَمَمٌ	فِي بَاعِهِ طَوْلٌ وَفِي وَجْهِهِ
فَعَافَهَا وَأَعْتَاضَ مِنْهُ «نَعَمٌ»	لَمْ يَدْرِ مَا «لَا» وَ«بَلَى» قَدْ دَرَى

قال أبو الحسن: أنشدنيه أبي لسليمان بن قَتَّة، وزادني:

أَصَمُّ عَنْ ذِكْرِ الْخَنَّا سَمْعُهُ وَمَا عَنِ الْخَيْرِ بِهِ مِنْ صَمَمٍ

وَالْعَرْنَيْنِ وَالْمَرْسِنِ وَالْأَنْفُ وَاحِدٌ، لِمَا يُحِيطُ بِالْجَمِيعِ.

وَالْبَدَنُ: وَاحِدُهَا بَادِنٌ كَقَوْلِكَ: شَاهِدٌ وَشُهَدٌ، وَضَامِرٌ وَضَمَرٌ، وَهُوَ الْعَظِيمُ

(١) سورة النمل ٢٥.

(٢) سورة البقرة ٢١١.

البدن، يقال: بدن فلان، إذا كثر لحمه، وبدن، إذا أسن. وفي الحديث عن رسول الله ﷺ: «إني قد بدنت، فلا تسبقوني بالركوع والسجود»^(١).

والأشعث والشعثاء: الخاليان من الدهن، وكان عمر بن عبد العزيز يتمثل:
 مَنْ كَانَ حِينَ تَمَسُّ الشَّمْسُ جَبْهَتَهُ أَوِ الْغُبَارُ يَخَافُ الشَّيْنَ وَالشَّعْثَا
 وَيَأْلَفُ الظِّلَّ كَيْ تَبْقَى بَشَاشَتُهُ فَسَوْفَ يَسْكُنُ يَوْمًا رَاعِمًا جَدًّا
 [قال أبو الحسن، وزادني أبي:

فِي بَطْنٍ مُظْلَمَةٍ غَبْرَاءَ مُقْفَرَةٍ كَيْمَا يُطِيلَ بِهَا فِي بَطْنِهَا اللَّبْثَا
 تَجْهَرُ بِجَهَارٍ تَبْلُغِينَ بِهِ يَا نَفْسَ وَاقْتَصِدِي لَمْ تُخْلَقِي عَبَا]

[لحمر بن أبي ربيعة في أم عمر بنت مروان]

وقال عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة^(٢): وَنَظَرَ إِلَى أُمِّ عَمْرِ بِنْتِ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ، وَكَانَتْ صَارَتْ إِلَيْهِ مُتَنَكِّرَةً، فَرَأَتْهُ وَقَضَتْ مِنْ مُحَادَثَتِهِ وَطَرًّا، ثُمَّ انصرفت، فلما رجعت من منى عرفها، فعلمت ذلك، فبعثت إليه: لَا تَرْفَعْ بِي صَوْتًا، وَأَهْدَتْ لَهُ أَلْفَ دِينَارٍ، فَاشْتَرَى بِهَا عِطْرًا وَبِزًّا وَأَهْدَاهُ لَهَا، فَأَبَتْ أَنْ تَقْبَلَهُ، فَقَالَ: إِذَا وَاللَّهِ أَنَّهُبُهُ فَيَكُونُ أَذِيعَ لَهُ فَقَبِلْتَهُ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ:

وَكَمْ مِنْ قَتِيلٍ لَا يُبَاءُ بِهِ دَمٌ وَمِنْ غَلَقٍ رَهْنًا إِذَا ضَمَّهُ مِنِّي
 وَكَمْ مَالِي عَيْنِهِ مِنْ شَيْءٍ غَيْرِهِ إِذَا رَاحَ نَحْوَ الْجَمْرَةِ الْبَيْضِ كَالدُمَى
 يُجَرَّرْنَ أَذْيَالُ الْمَرْوُطِ بِأَسْوَقٍ خَدَالٍ إِذَا وَلَّيْنَ أَعْجَازُهَا رَوَى
 أَوَانِسُ يَسْلُبْنَ الْحَلِيمَ فَوَادَهُ فَيَا طَوْلَ مَا حَزَنَ وَيَا حُسْنَ مُجْتَلَى!
 فَلَمْ أَرْ كَالْتَّجْمِيرِ مَنْظَرٍ نَاطِرٍ وَلَا كَلَيْالَى الْحَجِّ أَفْتَنَ ذَا هَوَى

وفيهما أيضًا يقول:

أَيُّهَا الرَّائِحُ الْمُجَدُّ ابْتِكَارًا قَدْ قَضَى مِنْ تِهَامَةِ الْأَوْطَارَا
 لَيْتَ ذَا الْحَجِّ كَانَ حَتْمًا عَلَيْنَا كُلَّ شَهْرَيْنِ حِجَّةً وَاعْتِمَارَا

(١) زيادات ر: «من رواه: «بدنت»، بضم الدال فقد أخطأ؛ لأن «بدن» بمعنى ضخم، ولم يكن من صفته عليه السلام أنه ضخم الجسم، ولكنه الرجل بين الرجلين، ومعنى «بدن» بالتشديد، أسن.

(٢) ر: «عمر بن أبي ربيعة» وما أثبتته عن الأصل، س.

قوله:

* وَكَمْ مِنْ قَتِيلٍ لَا يُبَاءُ بِهِ دَمٌ *

يقول: لَا يُقَادُ بِهِ قَاتِلُهُ، وَأَصْلُ هَذَا أَنَّهُ يُقَالُ: أَبَاتُ فُلَانًا بِفُلَانٍ، فَبَاءُ بِهِ، إِذَا قَتَلْتَهُ بِهِ، وَلَا يَكَادُ يُسْتَعْمَلُ هَذَا إِلَّا وَالثَانِي كُفَّ لِلأَوَّلِ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ مُهْلِيلِ ابْنِ رَبِيعَةَ، حَيْثُ قَتَلَ بُجَيْرَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ، فَقِيلَ لِلْحَارِثِ - وَلَمْ يَكُنْ دَخَلَ فِي حَرْبِهِمْ: إِنَّ ابْنَكَ قُتِلَ، فَقَالَ: إِنَّ ابْنِي لِأَعْظَمُ قَتِيلَ بَرَكَةٍ، إِذْ أَصْلَحَ اللَّهُ بِهِ بَيْنَ ابْنِي وَائِلٍ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّهُ لَمَّا قُتِلَ قَالَ مُهْلِيلُ: بُوَيْشَسَعُ نَعْلِ كَلْبٍ^(١)، فَعِنْدَ ذَلِكَ أَدْخَلَ الْحَارِثُ يَدَهُ فِي الْحَرْبِ، وَقَالَ:

قَرَبًا مَرَبُطَ النَّعَامَةِ مِنِّي لَقَحَتُ حَرْبٌ وَائِلٌ عَنْ حِيَالِ^(٢)
لَا بُجَيْرٌ أَغْنَى قَتِيلًا وَلَا رَهْ طُ كَلْبٍ تَزَا جَرُوا عَنْ ضَلَالِ
لَمْ أَكُنْ مِنْ جُنَاتِهَا عَلِمَ اللَّهُ وَإِنِّي بِحَرِّهَا الْيَوْمَ صَالِي
وَقَالَتْ لَيْلَى الْأَخِيلِيَّةُ:

فَإِنْ تَكُنِ الْقَتْلَى بَوَاءً فَإِنَّكُمْ فَتَى مَا قَتَلْتُمْ آلَ عَوْفٍ بِنِ عَامِرٍ
وَقَالَ التَّغْلِبِيُّ^(٣):

أَلَا تَنْتَهَى عَنَّا مَلُوكٌ وَتَتَّقَى مَحَارِمَنَا لَا يَبُوءُ الدَّمُ بِالْدَمِ
وَيُقَالُ: بَاءَ فُلَانٌ بِذَنْبِهِ، أَيْ. بَخَعَ بِهِ وَأَقْرَأَ، قَالَ الْفَرَزْدَقُ لِمَعَاوِيَةَ:

فَلَوْ كَانَ هَذَا الْحَكْمُ فِي غَيْرِ مُلْكِكُمْ لَبُؤْتُ بِهِ أَوْ غَصَّ بِالْمَاءِ شَارِبُهُ
وَيُقَالُ: بَاءَ فُلَانٌ بِالشَّيْءِ، مِنْ قَوْلٍ أَوْ فَعَلٍ، أَيْ احْتَمَلَهُ فَصَارَ عَلَيْهِ.

وَقَالَ الْمَفْسَّرُونَ فِي قَوْلِ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ﴾^(٤)، أَيْ يَجْتَمِعَا^(٥) عَلَيْكَ فَتَحْمِلَهُمَا.

(١) الشَّعْصَعُ: الزَّمَامُ الَّذِي يَكُونُ بَيْنَ الإصْبَعِ الْوَسْطَى وَالتَّى تَلِيهَا.

(٢) مَرَبُطٌ: اسْمُ مَكَانِ الرِّبْطِ، وَالنَّعَامَةُ: اسْمُ فَرْسِهِ.

(٣) هُوَ جَابِرُ بْنُ حَنْظَلَةَ، وَفِي رِ: «عَمْرُ بْنُ حَبِي»، وَهُوَ خَطَأٌ صَوَابُهُ مِنَ الْأَصْلِ، س.

(٤) سُورَةُ الْمَائِدَةِ ٢٩.

(٥) كَذَا فِي الْأَصْلِ، ر، وَفِي س: «يَجْتَمِعَان».

وأما قوله: «ومن غلق رهن» (١) «فمن جرَّ فهو من قولهم: رهن غلق، فلما قدَّم النعت اضطراراً أبدل منه المنعوت، ولو قال: «ومن غلق رهنًا» فنصب على الحال من المعرفة بقي الاسم المضمر في «غلق».

وقوله: «إذا ضمه منى» وإنما سُميت «منى» لما يُمنى فيها من الدم، يقال في المنى - وهى النطفة - منى الرجل وأمنى، والقراءة «أفرأيتُم ما تُمنون» (٢). ويقال: مدى الرجل وأمدى، وودى وأودى، فقولهم: ودى، يعنى البلّة (٣) التى تكون فى عقب البول كالمذى، وأما المذى فيعتري من الشهوة والحركة.

وقال على بن أبى طالب رحمه الله: كلُّ فحلٍ مذاءٌ.

ومن كلام العرب: كلُّ فحلٍ يمدى وكلُّ أنثى تقذى، وهو أن يكون منها مثل المذى، وال «منى» موضع آخر، يقال: منى الله لك خيراً، أى قدر لك خيراً، ويقال: منى الله أن ألقى فلاناً، أى قدر، والمنية من ذأ، يقال: لقي فلان منيته، أى ما قدر له من الموت، فأما المنية (بالهمز) فهى المدبغة، وهى المكان الذى يدبغ فيه. وقوله:

* إذا راح نحو الجمرة البيض كالدّمى *

الجمرة إنما سُميت لاجتماع الحصى فيها، ومن ثم قيل: لا تجمروا المسلمين فتفتنّوهم وتفتنوا نساءهم، أى لا تجمعوهم فى المغازى، والتجمير التجميع. وكذلك قيل فى جمرات العرب. وهم: بنو نُمير بن عامر بن صعصعة، وبنو الحارث بن كعب بن علة بن جلد، وبنو ضبة بن أد بن طابخة، وبنو عبس ابن بغيض ريث. لأنهم تجمّعوا فى أنفسهم ولم يدخلوا معهم غيرهم. وأبو عبدة لم يعدد فيهم عبساً فى كتاب «الديباج» ولكنه قال: فطفت جمرتان، وهما بنو ضبة - لأنها صارت إلى الرباب فحالف - وبنو الحارث، لأنها صارت إلى مذحج، وبقيت بنو نُمير إلى الساعة، لأنها لم تحالف، وقال النُميرى يجيب جريراً:

نُمير جمرّة العرب التى لم تزل فى الحرب تلتهب التهباً
وإنى إذ أسب بها كليباً فتحت عليهم للخسف باباً

(١) رسمت فى ر، وتحتها كسرتان وفوقها فتحتان.

(٢) سورة الواقعة ٥٨.

(٣) زيادات ر: «بكسر الباء رواية عاصم، وبفتحتها رواية ابن سراج».

وقال فى هذا الشعر:

ولولا أن يقال هجاً نُميراً ولم تسمع لشاعرها جواباً
رغبنا عن هجاء بنى كليب وكيف يشاتم الناس الكلاباً!

[لهمر بن أبى ربيعة فى الثريا بنت على]

وقال عمر بن عبد الله بن أبى ربيعة:

لَيْتَ شَعْرِي هَلْ أَقُولَنْ لِرَكْبٍ بفلاة هم لديها هُجُوعُ
طالما عَرَسْتُمْ فَاسْتَقْلُوا حَانَ مِنْ نَجْمِ الثُّرَيَّا طُلُوعُ
إِنْ هَمَى قَدْ نَفَى النَّوْمَ عَنِّي وحديث النفس شىءٌ وَلُوعُ
قال لى فيها عَتِيقٌ مَقَالاً فَجَرَتْ مِمَّا يَقُولُ الدُّمُوعُ
قال لى: ودّعْ سُلَيْمَى، ودّعْها فَأَجَابَ الْقَلْبُ: لَا أَسْتَطِيعُ
لا تَلْمَنِي فِى اشْتِياقِي إِلَيْهَا وابك لى مِمَّا تُجِنُّ الضُّلُوعُ
قوله:

* حَانَ مِنْ نَجْمِ الثُّرَيَّا طُلُوعُ *

كناية، وإنما يريد الثريا بنت على بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر، وهم العَبَلَاتُ، وكانت الثريا وأختها عائشة أَعْتَقَتَا الْغَرِيضَ الْمُغْنَى، واسمه عبد الملك، ويكنى أبا يزيد، ويقول إسحاق بن إبراهيم الموصلي: إنما سُمِّيَ الْغَرِيضُ بِالطَّلَعِ؛ لأنَّ الطَّلَعَ يقالُ له الإغريضُ، وليس هو عندى كما قال، وإنما سُمِّيَ الْغَرِيضُ لَطَرَاءَتِهِ، يقال: لَحْمٌ غَرِيضٌ. وكانت الثريا موصوفة بالجمال، وتزوجها سهيل بن عبد الرحمن بن عوف الزهري، فنقلها إلى مصر، فقال عمر، يضربُ لهما المثل بالكوكبين:

أَيُّهَا الْمُنْكَحُ الثُّرَيَّا سُهَيْلاً عَمَرَكَ اللَّهُ، كَيْفَ يَلْتَقِيَانِ !
هى شاميةٌ إذا ما اسْتَقَلَّتْ وسُهَيْلٌ إذا اسْتَقَلَّ يَمَانِي
وقوله:

* قال لى فيها عَتِيقٌ مَقَالاً *

يزعمُ الرواةُ أنَّ كلَّ شىءٍ ذَكَرَ فِيهِ عَتِيقًا أَوْ بَكَرًا فَإِنَّمَا يَعْنِي ابْنَ أَبِي عَتِيقٍ.

[طَرَفٌ مِنْ أَخْبَارِ أَبِي عَتِيقٍ]

وكان ابنُ أبي عتيق من نُسَّاك قريش وظُرَفَائِهِمْ، بل كان قد بَذَهُمْ ظَرْفًا، وله أخبارٌ كثيرةٌ، سَيَمُرُّ بَعْضُهَا فِي الْكِتَابِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

فَمِنْ طَرِيفِ أَخْبَارِهِ أَنَّهُ سَمِعَ وَهُوَ بِالْمَدِينَةِ قَوْلَ ابْنِ أَبِي رِبِيعَةَ:
فَمَا نَلْتُ مِنْهَا مُحَرَّمًا غَيْرَ أَنَّنَا كِلَانَا مِنَ الثَّوْبِ الْمُطَرَّفِ لَا بَسَ
فَقَالَ: أَبْنَا يَلْعَبُ ابْنُ أَبِي رِبِيعَةَ! فَأَيُّ مُحَرَّمٍ بَقِيَ! فَرَكِبَ بَغْلَتَهُ مَتَوَجِّهًا إِلَى
مَكَّةَ، فَلَمَّا دَخَلَ أَنْصَابَ الْحَرَمِ، قِيلَ لَهُ: أَحْرَمَ، قَالَ: إِنْ ذَا الْحَاجَةُ لَا يُحْرَمُ،
فَلَقِيَ ابْنَ أَبِي رِبِيعَةَ فَقَالَ: أَمَا زَعَمْتَ أَنَّكَ لَمْ تَرْكَبْ حَرَامًا قَطُّ! قَالَ: بَلَى، قَالَ:
فَمَا قَوْلُكَ:

* كِلَانَا مِنَ الثَّوْبِ الْمُطَرَّفِ لَا بَسَ *

فَقَالَ لَهُ: إِذَا أَخْبَرْتُكَ! خَرَجْتُ بَعْلَةً إِلَى الْمَسْجِدِ، فَصَرْنَا إِلَى بَعْضِ الشَّعَابِ،
فَأَخَذْتَنَا السَّمَاءُ، فَأَمَرْتُ بِمُطَرَفِي فَسَتَرْنَا الْغُلَمَانُ بِهِ، لَثَلًا يَرَوْنَ بِهَا بَلَّةً فَيَقُولُوا: هَلَا
اسْتَتَرْتُ بِسِقَائِفِ الْمَسْجِدِ! فَقَالَ لَهُ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ: يَا عَاهِرُ! هَذَا الْبَيْتُ يَحْتَاجُ إِلَى
حَاضِنَةٍ.

وَهُوَ الَّذِي سَمِعَ قَوْلَ عُمَرَ بْنِ أَبِي رِبِيعَةَ:
مَنْ رَسُولِي إِلَى الثُّرَيَّا بِأَنِّي ضِيقْتُ ذَرْعًا بِهِجْرِهَا وَالْكِتَابُ!
فَلَبَسَ ثِيَابَهُ وَرَكِبَ بَغْلَتَهُ وَأَتَى بَابَ الثُّرَيَّا، فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهَا، فَقَالَتْ: وَاللَّهِ مَا
كُنْتُ لَنَا زَوَّارًا، فَقَالَ: أَجَلْ، وَلَكِنِّي جِئْتُ بِرِسَالَةٍ، يَقُولُ لَكَ ابْنُ عَمِّكَ عُمَرُ بْنُ
أَبِي رِبِيعَةَ:

* ضِيقْتُ ذَرْعًا بِهِجْرِهَا وَالْكِتَابُ *

فَلَمَّا هُوَ عُمَرُ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ: إِنَّمَا رَأَيْتُكَ مُتَلَدِّدًا تَلْتَمِسُ رَسُولًا،
فَخَفَفْتُ فِي حَاجَتِكَ، فَإِنَّمَا كَانَ ثَوَابِي أَنْ أَشْكُرَ.

ومن طريف أخباره أن عائشة بنت طلحة عتبت على مُصعب بن الزبير فهجرتُه، فقال مصعب: هذه عشرة آلاف درهم لمن احتال لي أن تكلمني، فقال له ابنُ أبي عتيق: عدل المال، ثم صار إلى عائشة، فجعل يستعيبها لمصعب، فقالت والله ما عزمي أن أكلمه أبداً. فلما رأى جدّها قال لها: يا بنت عمّ، إنه قد ضمن لي إن كلمته عشرة آلاف درهم. فكلّمه حتى أخذها، ثم عودى إلى ما عودك الله.

ومن أخباره أن مروان بن الحكم قال يوماً: إنني لمشغوف ببغلة الحسن رحمهما الله، فقال له ابنُ أبي عتيق: إن دفعتها إليك، أتقضى لي ثلاثين حاجة؟ قال: نعم، قال: إذا اجتمع الناسُ عندك العشيّة إنني أخذ في مآثر قريش، ثم أمسك عن الحسن، فلمني على ذلك، فلما أخذ الناسُ مجالسهم أخذ في مآثر قريش، فقال له مروان: ألا تذكر أوليّة أبي محمد، وله في هذه ما ليس لأحد؟ فقال: إنما كنّا في ذكر الأشراف، ولو كنّا في ذكر الأنبياء لقدّمنا ما لأبي محمد! فلما خرج الحسن ليركب تبعه ابنُ أبي عتيق، فقال له الحسن - وتبسّم -: ألك حاجة؟ فقال: ذكرت البغلة، فنزل الحسن ودفعها إليه.

ومن طريف أخباره أن عثمان بن حيان المريّ لما دخل المدينة والياً عليها اجتمع الأشراف عليه من قريش والأنصار، فقالوا له: إنك لا تعملُ عملاً أجدي ولا أولى من تحريم الغناء والرثاء، ففعل، وأجلهم ثلاثاً، فقدم ابنُ أبي عتيق في الليلة الثالثة، فحط رحله بباب سلامة الزرقاء، وقال لها: بدأت بك قبل أن أصير إلى منزلي، فقالت: أو ما تدري ما حدث؟ وأخبرته الخبر، فقال: أقسمي إلى السحر حتى ألقاه، فقالت: إنا نخاف ألا تُغني شيئاً وننكظ^(١)، فقال: إنه لا بأس عليك، ثم مضى إلى عثمان فاستأذن عليه، فأخبره أن أحب ما أقدمه عليه حبّ التسليم عليه، وقال له: إن من أفضل ما عملت به تحريم الغناء والرثاء. قال: إن أهلك أشاروا علىّ بذلك، قال: فإنك قد وفقت، ولكني رسول امرأة إليك تقول: قد كانت هذه صناعتني فثبت إلى الله منها، وأنا أسألك أيها الأمير ألا تحول بينها

(١) زيادة ر: «تعنى تالنا شدة».

وبينَ مجاورةَ قبرِ النبي ﷺ، فقال عثمانُ: إِذْنُ أَدْعَهَا لَكَ، قال: إِذْنُ لَا يَدْعُهَا الناسُ، ولكنْ تَدْعُوْهَا فَنَنْظُرُ إِلَيْهَا، فَإِنْ كَانَ مِمَّنْ يَتْرَكَ تَرْكَهَا، قال: فَادْعُ بِهَا، قال: فَأَمَرَهَا ابنُ أَبِي عَتِيقٍ فَتَقَشَّفَتْ، وَأَخَذَتْ سُبْحَةً فِي يَدِهَا، وَصَارَتْ إِلَيْهِ، وَحَدَّثَتْهُ عَنْ مَآثِرِ آبَائِهِ، فَفَكَهَ لَهَا. فقال لها ابنُ أَبِي عَتِيقٍ: اقْرَأِي لِلْأَمِيرِ، ففعلتُ، فَأَعْجَبَ بِذَاكَ، فقال لها: فَاحْدِي لِلْأَمِيرِ، فَحَرَّكَ حَدَاؤُهَا، ثُمَّ قَالَ لَهَا: غَيْرِي لِلْأَمِيرِ، فَجَعَلَ يُعْجَبُ بِذَلِكَ عِثْمَانُ، فقال له ابنُ أَبِي عَتِيقٍ: فَكَيْفَ لَوْ سَمِعْتَهَا فِي صِنَاعَتِهَا! فقال: قُلْ لَهَا فَلْتَقُلْ، فَأَمَرَهَا فَتَغَنَّتْ:

سَدَدَنْ خَصَاصَ الْخَيْمِ لَمَّا دَخَلْنَهُ
بِكُلِّ لَبَانٍ وَاضِحٍ وَجَبِينِ

فَنَزَلَ عِثْمَانُ بْنُ حِيَّانٍ عَنْ سَرِيرِهِ حَتَّى جَلَسَ بَيْنَ يَدَيْهَا، ثُمَّ قَالَ: لَا وَاللَّهِ، مَا مِثْلُكَ يُخْرِجُ عَنِ الْمَدِينَةِ! فقال له ابنُ أَبِي عَتِيقٍ: إِذْنُ يَقُولُ النَّاسُ أَذْنُ لِسَلَامَةٍ فِي الْمَقَامِ وَمَنْعَ غَيْرِهَا! فقال له عثمانُ: قَدْ أَذِنْتُ لَهُمْ جَمِيعًا.

[لِابْنِ نَمِيرِ الثَّقَفِيِّ]

وقال ابنُ نَمِيرِ الثَّقَفِيُّ:

أَشَاقَتَكَ الظَّعَّائِنُ يَوْمَ بَانُوا	بَذَى الزَّرَى الْجَمِيلِ مِنَ الْأَثَاثِ
ظُعَّائِنُ أُسْلَكْتَ نَقَبَ الْمَنْقَى	نَحْتُ إِذَا وَنَتْ أَى أَحْتَثَاثِ
كَانَ عَلَى الظَّعَّائِنِ يَوْمَ بَانُوا	نَعَاجًا تَرْتَعَى بِقُلِّ الْبَرَاثِ
يَهَيِّجُنِي الْحَمَامُ إِذَا تَغْنَى	كَمَا سَجَعَ النَّوَائِحُ بِالْمَرَاثِ

قوله: «الظُعَّائِنُ» واحدها ظُعِينَةٌ، وإنما قيلَ لها: ظُعِينَةٌ، وهم يريدون مَطْعُونًا بها، كقولك: قتيلٌ، فى معنى مقتول، ثم استعمل هذا وكثُرَ حتى قيلَ للمرأة المقيمة: ظُعِينَةٌ.

وقوله:

* بَذَى الزَّرَى الْجَمِيلِ مِنَ الْأَثَاثِ *

هى الروايةُ الصحيحة، وقد قيلَ بَذَى «الرَّيَّ الْجَمِيلِ» واستهواهمُ إليه قولُ الله جلَّ ثَنَاهُ: ﴿هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِيًّا﴾^(١) فَلَا أَثَاثُ مَتَاعُ الْبَيْتِ، والرَّيُّ مَا ظَهَرَ مِنْ

(١) سورة مريم ٧٤.

الزَّيْتَةَ، وَإِنَّمَا أُخِذَ مِنْ قَوْلِكَ: رَأَيْتُ، فَالرَّيُّ غَيْرُ الْأَثَاثِ وَالزَّيُّ مِنَ الْأَثَاثِ، فَمِنْ هَاهُنَا غَلَطُوا.

وقوله: «أَسْلَكْتَ نَقْبَ الْمَنْقَى»، فَاِلْمُنَقَى مَوْضِعٌ بَعَيْنُهُ، وَالنَّقْبُ: الطَّرِيقُ فِي الْجَبَلِ، وَالْحُلُّ: الطَّرِيقُ فِي الرَّمْلِ، فَإِنْ اتَّسَعَ الطَّرِيقُ فِي الْجَبَلِ وَعَلَا فَهُوَ ثَنِيَّةٌ، قَالَ ابْنُ الْأَيْمَنِ التَّغْلَبِيُّ:

وَتَرَاهُنَّ شُرْبًا كَالسَّعَالِي يَتَطَلَّعْنَ مِنْ ثَنَايَا النَّقَابِ^(١)
وقوله:

* نَعَاجًا تَرْتَعِي بِقُلِّ الْبِرَاثِ *

فَالنَّعْجَةُ عِنْدَ الْعَرَبِ الْبَقَرَةُ الْوَحْشِيَّةُ، وَحُكْمُ الْبَقَرَةِ عِنْدَهُمْ حُكْمُ الضَّائِنَةِ، وَحُكْمُ الظَّبْيَةِ عِنْدَهُمْ حُكْمُ الْمَاعِزَةِ، وَالْعَرَبُ تَكْنِي بِالنَّعْجَةِ عَنِ الْمَرْأَةِ وَبِالشَّاةِ، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾^(٢) وَقَالَ الْأَعَشَى:

فَرَمَيْتُ غَفْلَةً عَيْنَهُ عَنْ شَاتِهِ فَأَصَبْتُ حَبَّةً قَلْبِهَا وَطَحَالَهَا
يُرِيدُ الْمَرْأَةَ، وَأَمَّا الْبِرَاثُ، فَهِيَ الْأَمَاكِنُ السَّهْلَةُ مِنَ الرَّمْلِ، وَاحِدُهَا بَرَثٌ، مِفْتَاحُ مَوْضِعِ الْفَاءِ مِنَ الْفِعْلِ، وَتَقْدِيرُهَا: كَلْبٌ وَكِلَابٌ، وَالسَّجْعُ مِنَ الْكَلَامِ: أَنْ تَأْتَلَفَ أَوَاخِرُهُ عَلَى نَسْقٍ، كَمَا تَأْتَلَفُ الْقَوَافِي، وَهُوَ فِي الْبَهَائِمِ: مُوَالَاةُ الصَّوْتِ، قَالَ ابْنُ الدُّمَيْنَةِ:

أَنَّ سَجَعَتْ وَرَقَاءً فِي رَوْتِقِ الضُّحَى عَلَى فَنَنِ غَضِّ النَّبَاتِ مِنَ الرَّندِ^(٣)

[لَحْمَرُ بْنُ أَبِي رِبِيعَةَ]

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رِبِيعَةَ:

قَالَ لِي صَاحِبِي لِيَعْلَمَ مَا بِي أَتُحِبُّ الْقَتْلَ أَمْ أُحِبُّ الرِّبَابَ؟
قُلْتُ: وَجَدِي بِهَا كَوَجْدِكَ بِالْمَا إِذَا مَا مُنِعْتَ بَرْدَ الشَّرَابِ
مَنْ رَسُولِي إِلَى الثَّرِيَّا بَأْنِي ضَيَّقْتُ ذَرْعًا بِهَجْرِهَا وَالْكِتَابِ

(١) الشذب: الضوامر.

(٢) سورة ص ٢٣.

(٣) زيادات ر: «الزند»: صغار الآس.

سَلَبْتَنِي مُجَاغَةً الْمَسْكِ عَقْلِي
 أَزْهَقْتَ أَمْ نَوَقْلٌ إِذْ دَعَيْتَهَا
 حِينَ قَالَتْ لَهَا أَجِيبِي فَقَالَتْ
 فَاسْتَجَابْتُ عِنْدَ الدُّعَاءِ كَمَا لَبَّيْ
 أَبْرَزُوهَا مِثْلَ الْمَهَاةِ تَهَادَى
 وَهِيَ مَكْنُونَةٌ تَحْيَرُ مِنْهَا
 ثُمَّ قَالُوا: تَحِبُّهَا؟ قُلْتُ: بَهْرًا
 دُمِيَّةٌ عِنْدَ رَاهِبٍ ذِي اجْتِهَادٍ
 قَوْلُهُ:

فَسَلُّوْهَا بِمَا تَحُلُّ اغْتِصَابِي^(١)؟
 مُهْجَتِي مَا لَقَاتِلِي مِنْ مَتَابِ
 مَنْ دَعَانِي؟ قَالَتْ أَبُو الْخَطَّابِ
 رَجَالٌ يَرْجُونَ حُسْنَ الثَّوَابِ
 بَيْنَ خَمْسِ كَوَاعِبِ أَتْرَابِ
 فِي أَدِيمِ الْخَدَيْنِ مَاءُ الشَّبَابِ
 عَدَدَ النِّجْمِ وَالْحَصَى وَالتُّرَابِ
 صَوَّرُوهَا فِي جَانِبِ الْمَحْرَابِ

* قُلْتُ: وَجَدِي بِهَا كَوَجْدَكَ بِالْمَاءِ *
 معنَى صحيحٌ، وقد اعتوره الشعراءُ، وكلُّهم أجاد فيه.
 وقوله:

* إِذَا مَا مُنِعْتَ بَرْدَ الشَّرَابِ *

يريد: عِنْدَ الْحَاجَةِ، وبذلك صَحَّ الْمَعْنَى. وَيُرْوَى عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ
 رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّ سَائِلًا سَأَلَهُ، فَقَالَ: كَيْفَ كَانَ حُكْمُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالَ: كَانَ
 وَاللَّهِ أَحَبَّ إِلَيْنَا مِنْ أَمْوَالِنَا وَأَوْلَادِنَا وَأَبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا وَمِنَ الْمَاءِ الْبَارِدِ عَلَى الظُّمَأِ.
 وَقَالَ آخَرٌ - وَأَحْسَبُهُ قَيْسَ بْنَ ذَرِيحٍ:

حَلَفْتُ لَهَا بِالْمَشْعَرِينَ وَزَمَزِمِ وَذُو الْعَرْشِ فَوْقَ الْمُقْسِمِينَ رَقِيبٌ^(٢)

[قَالَ أَبُو الْحَسَنِ: وَيُرْوَى: «وَاللَّهُ فَوْقَ الْمُقْسِمِينَ»، وَهُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ].

لِئِنْ كَانَ بَرْدُ الْمَاءِ حَرَّانَ صَادِيًا
 وَقَالَ الْقُطَامِيُّ:

يَقْتُلُنَا بِحَدِيثٍ لَيْسَ يَعْلَمُهُ
 فَهَنْ يَنْبِذَنَّ مِنْ قَوْلٍ يَصْبِنُ بِهِ
 وَالْقَوْلُ فِيهِ كَثِيرٌ.
 مَنْ يَتَّقِينَ وَلَا مَكْنُونُهُ بَادِي
 مَوَاقِعِ الْمَاءِ مِنْ ذِي الْغُلَّةِ الصَّادِي

(١) قَالَ الْمَرْصُفِيُّ: مُجَاغَةُ الْمَسْكِ: وَمَجْتَهَا الَّتِي تَنْفَحُ رَائِحَةُ الْمَسْكِ.

(٢) أَرَادَ بِالْمَشْعَرِينَ، الْمَشْعَرَ الْحَرَامَ فَتَنَاهُ، وَهُوَ مَوْضِعٌ بِالْمَزْدَلِفَةِ، قَالَهُ الْمَرْصُفِيُّ.

وقوله:

* ضِيقْتُ ذَرْعًا بِهِجْرِهَا وَالْكِتَابِ ^(١) *

قوله: «وَالْكِتَابِ» قَسَمٌ.

وقوله:

* أَزْهَقْتُ أَمْ نُوْقِلْ إِذْ دَعَتْهَا مُهْجَتِي *

تأويله: أَبْطَلْتُ وَأَذْهَبْتُ، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿فَيَذْمُغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ ^(٢) وَلِلزَّاهِقِ مَوْضِعٌ آخَرُ، وَهُوَ السَّمِينُ الْمُفْرَطُ، قَالَ زُهَيْرٌ:

القائد الخليل منكوبا دوائرها منها الشنون ومنها الزاهق الزهم ^(٣)

وقوله: «مَا لِقَاتِلِي مِنْ مَتَابٍ» يَقُولُ: مِنْ تَوْبَةٍ، وَالْمَصْدَرُ إِذَا كَانَ بِزِيَادَةِ الْمِيمِ مِنْ «فَعَلَ يَفْعُلُ» فَهُوَ عَلَى «مَفْعَلٍ» قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ ^(٤)، وَأَمَّا قَوْلُهُ جَلَّ ذَكَرَهُ: ﴿غَافِرُ الذَّنْبِ وَقَابِلُ التَّوْبِ﴾ ^(٥) فَيَكُونُ عَلَى ضَرْبَيْنِ، يَكُونُ مَصْدَرًا، وَيَكُونُ جَمَاعًا. فَالْمَصْدَرُ قَوْلُكَ: تَابَ يَتُوبُ تَوْبًا، كَقَوْلِكَ: قَالَ يَقُولُ قَوْلًا.

وَالْجَمْعُ تَوْبَةٌ وَتَوْبٌ، مِثْلُ تَمْرَةٍ وَتَمْرٍ، وَجَمْرَةٍ وَجَمْرٍ.
وقوله:

* أَبْرَزُوهَا مِثْلَ الْمَهَاءِ تَهَادَى *

الْمَهَاءُ: الْبَقْرَةُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، وَتُشَبَّهُ الْمَرْأَةَ بِالْبَقْرَةِ مِنَ الْوَحْشِ لِحُسْنِ عَيْنِهَا وَلَمِشِّيَّتِهَا، وَالْبَقْرَةُ يُقَالُ لَهَا: الْعَيْنَاءُ، وَالْجِمَاعُ، الْعَيْنُ، وَكَذَلِكَ يُقَالُ لِلْمَرْأَةِ. وَتَكُونُ الْمَهَاءُ الْبَلُورَةُ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ.

وقوله: «تَهَادَى» يَرِيدُ: يَهْدِي بَعْضُهَا بَعْضًا فِي مِشْيَتِهَا، وَمِشْيَةُ الْبَقْرَةِ تَسْتَحْسَنُ، قَالَ ابْنُ أَبِي رِبِيعَةَ:

(١) الذرع: الطاقة.

(٢) سورة الأنبياء ١٨.

(٣) قال المرصفي: منكوبا، من نكبت الحجارة الحافر تنكب أصابته فأمسته.

(٤) سورة الفرقان ٧١.

(٥) سورة غافر ٣.

أَبْصَرْتُهَا لَيْلَةً وَنَسَوْتُهَا يَمْشِينَ بَيْنَ الْمَقَامِ وَالْحَجَرِ
يَمْشِينَ فِي الرِّيطِ وَالْمَرُوطِ كَمَا تَمْشَى الْهُوَيْنَى سَوَاكِنُ الْبَقَرِ
وقوله: «كواعب» الواحدة كاعبٌ، وهى التى قد كعبَ ثدياها للنُّهُودِ.
أُتْرَابٌ أَقْرَانٌ، ويقال: تَرَبُّ فلانٍ.
والمُكْتَرِزَةُ: المُكْتَرِزَةُ.
وقوله:

* ثم قالوا: تُحِبُّهَا؟ قلتُ: بَهْرًا *

قال قومٌ: أراد بقوله: «تُحِبُّهَا» الاستفهام، كما قال امرؤ القيس:

* أَحَارٍ تَرَى بَرَقًا أَرِيكَ وَمِيزُهُ *

فحذفَ أَلِفَ الاستفهام، وهو يريدُ «أَتَرَى»، وقالوا: أرادَ «أَتُحِبُّهَا»، وهذا خطأ فاحشٌ، إنما يجوز حذفُ الألفِ إذا كان فى الكلام دليلٌ عليها، وسنفسرُ هذا ونذكرُ الصَّوابَ منه إن شاء الله.

قوله: «تُحِبُّهَا» إيجابٌ عليه، غيرُ استفهامٍ، إنما قالوا: أَنْتَ تُحِبُّهَا، أى قد علمنا ذاك، فهذا معنى صحيحٌ لا ضرورةَ فيه.

وأما قولُ امرؤ القيسِ فإنما جازَ لأنه جعلَ الألفَ التى تكونُ للاستفهامَ تنبيهاً للنداء، واستغنى بها، ودلَّتْ على أَنَّ بعدها ألفاً منويَّةً، فحذفتُ ضرورةً، للدلالةِ هذه عليها، ونظيرُ قولِ امرئ القيسِ: «أَحَارٍ تَرَى بَرَقًا» فاكْتَفَى بِالْألفِ عَنِ أَنْ يُعِيدَهَا فى «تَرَى» قولُ ابنِ هَرَمَةَ:

وَلَا أَرَاهَا تَزَالُ ظَالِمَةً تُظْهِرُ لِي قَرْحَةً وَتَنْكُؤُهَا

أَسْتَغْنَى بِهَا الْأَوَّلَى عَنْ إِعَادَتِهَا، كما قال التَّمِيمِيُّ، وهو اللَّعِينُ الْمُنْقَرِىُّ:
لَعَمْرُكَ مَا أَدْرَى وَإِنْ كُنْتُ دَارِيًّا شُعَيْثُ بْنُ سَهْمٍ أَمْ شُعَيْثُ بْنُ مِنْقَرٍ

يريدُ «أَشُعَيْثُ» فدَلَّتْ «أَمْ» على أَلِفِ الاستفهام، وقال ابنُ أبى ربيعة:

لَعَمْرُكَ مَا أَدْرَى وَإِنْ كُنْتُ دَارِيًّا بِسَبْعِ رَمَينَ الْجَمْرِ أَمْ بِثَمَانٍ

مثل ذلك: وَبَيْتُ الْأَخْطَلِ فِيهِ قَوْلَانِ، وهو:

كَذَبْتُكَ عَيْنُكَ أَمْ رَأَيْتَ بِوَاسِطٍ غَلَسَ الظَّلَامُ مِنَ الرَّبَابِ خَيَالًا

قال: أراد: «أَكْذَبْتُكَ عَيْنُكَ» كما قلنا فيما قبله، وليس هذا بالأجود، ولكنه
ابتدأ متيقناً ثم شك، فأدخل «أم» كقولك: «إنها لإبل» ثم تشك فتقول: «أم شاء»
يا قوم.

وقوله: «قلت بهراً» يكون على وجهين: أحدهما: حباً يبهرنى بهراً.
أى يملؤنى، ويقال للقمر ليلة البدر: باهر، أى يبهر النجوم، يملؤها، كما
قال ذو الرمة:

* كما يبهر البدر النجوم السواريًا *

وقال الأعشى:

حَكَمْتُمُوهُ فَقَضَى بَيْنَكُمْ أبلجُ مثلُ القمرِ الباهرِ
والوجه الآخر: أن يكون أراد «بهراً لكم» أى: تباً لكم حيث تلوموننى على
هذا، كما قال ابن ميادة^(١):

تَفَاقَدَ قَوْمِي إِذْ يَبِيعُونَ مُهْجَتِي بجاريةٍ بهراً لهم بعدَهَا بهراً
وقوله:

* عَدَدَ النَّجْمِ وَالْحَصَى وَالتُّرَابِ *

فيه قولان: أحدهما أنه أراد بالنجم النجوم، وَوَضَعَ الواحدَ فى موضع
الجمع، لأنه للجنس، كما تقول: أَهْلَكَ النَّاسَ الدَّرْهَمُ وَالدينارُ، وقد كَثُرَتِ الشَّاةُ
والبعيرُ، وكما قال الله جلَّ وعزَّ: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ﴾ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴿٢﴾.

وقال الشاعر:

فَبَاتَ يَعْدُ النَّجْمَ فى مُسْتَحِيرَةٍ سريعَ بأيدي الآكلين جُمودَهَا
يريدُ النجومَ، ويعنى بالمستحيرة إهالة^(٣). والوجه الآخر أن يكون النجمُ ما
نَجِمَ مِنَ النَّبْتِ، وهو ما لم يَقُمْ عَلَى ساقٍ، والشجرُ ما يَقُومُ عَلَى ساقٍ:

(١) فى ر، س: «ابن مفرع» وصوابه من الأصل.

(٢) سورة العصر ٢، ٣.

(٣) الإهالة: ما أذيب من الشحم.

وَالْيَقِطِينَ: ما انتشر على وجه الأرض. قال الله عز وجل: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ
يَسْجُدَانِ﴾^(١)، وقال الحرث بن ظالم، للأسود بن المنذر بن ماء السماء:
أَخْصَيْ حِمَارٍ بَاتَ يَكْدُمُ نَجْمَةً
ومن طريف شعره وله:

مَصَابِيحُ شُبَّتْ بِالْعِشَاءِ وَأَنْوُرُ
وَرَوْحِ رَعِيَانٍ وَنَوْمِ سَمَرِ
حُبَابٍ وَرَكْنِي خِيفَةَ الْقَوْمِ أَزُورُ
وَكَادَتْ بِمَكْنُونِ التَّحِيَّةِ تَجْهَرُ
وَأَنْتَ أَمْرٌ مِيسُورٌ أَمْرُكَ أَعْسَرُ
رَقِيبًا وَحَوْلِي مِنْ عَدُوِّكَ حُضِرُ
سَرَتْ بِكَ أَمْ قَدْ نَامَ مَنْ كُنْتَ تَحْذَرُ
إِلَيْكَ وَمَا عَيْنٌ مِنَ النَّاسِ تَنْظُرُ
وَمَا كَانَ لَيْلِي قَبْلَ ذَلِكَ يَقْصُرُ
لَنَا لَمْ يُكْدِرْهُ عَلَيْنَا مُكْدَرُ
رَقِيقُ الْحَوَاشِي ذُو غُرُوبٍ مُؤَشِّرُ
حَصَى بَرْدٍ أَوْ أَفْحَوَانٌ مُغُورُ
إِلَى رَبِّبِ وَسْطِ الْخَمِيلَةِ جُوْذُرُ
وَكَادَتْ تَوَالِي نَجْمَهُ تَتَغُورُ
هُبُوبٌ وَلَكِنْ مَوْعِدَ لَكَ عَزُورُ
وَقَدْ لَاحَ مَفْتُوقٌ مِنَ الصُّبْحِ أَشْقَرُ
وَأَبْقَاطُهُمْ قَالَتْ أَشْرُ كَيْفَ تَأْمُرُ
وَأَمَّا يَنَالُ السِّيفُ ثَأْرًا فَيَشَارُ
عَلَيْنَا، وَتَصْدِيقًا لِمَا كَانَ يُؤْثَرُ!
مِنَ الْأَمْرِ أَدْنَى لِلْخَفَاءِ وَأَسْتَرُ
وَمَالِي مِنْ أَنْ تَعْلَمَا مَتَّأَخِرُ

فَلَمَّا فَقَدْتُ الصَّوْتَ مِنْهُمْ وَأُطْفِئْتُ
وَغَابَ قَمِيرٌ كُنْتُ أَرْجُو غُيُوبَهُ
وَتَقَضَّتْ عَنِّي الْعَيْنُ أَقْبَلْتُ مَشِيَّةً أَلْ
فَحَيَّيْتُ إِذْ فَاجَأَتْهَا فَتَوَلَّيْتُ
وَقَالَتْ وَعَضَّتْ بِالْبَنَانِ: فَضَحَّتَنِي
أَرَيْتُكَ إِذْ هُنَا عَلَيْكَ أَلَمْ تَخَفْ
فَوَاللَّهِ مَا أَذْرِي أَتَعْجِيلُ حَاجَةً
فَقُلْتُ لَهَا: بَلْ قَادَنِي الشَّوْقُ وَالْهَوَى
فَيَا لَكَ مِنْ لَيْلٍ تَقَاصَرَ طَوْلُهُ
وَيَا لَكَ مِنْ مَلْهَى هُنَاكَ وَمَجْلَسِ
يَمُجُّ ذِكْيَ الْمِسْكِ مِنْهَا مُفْلَحٌ
يَرَفُ إِذَا يَفْتَرُّ عَنْهُ كَأَنَّهُ
وَتَرَنُو بَعِينِيهَا إِلَى كَمَا رَنَا
فَلَمَّا تَقَضَّى اللَّيْلُ إِلَّا أَقْلَهُ
أَشَارَتْ بَأَنَّ الْحَى قَدْ حَانَ مِنْهُمْ
فَمَا رَاعَنِي إِلَّا مُنَادٍ بِرَحْلَةٍ
فَلَمَّا رَأَتْ مَنْ قَدْ تَنَوَّرَ مِنْهُمْ
فَقُلْتُ: أَبَادِيهِمْ فِيمَا أَفُوتِهِمْ
فَقَالَتْ: أُنْحَقِيقًا لِمَا قَالَ كَاشِحُ
فَإِنْ كَانَ مَا لَا بُدَّ مِنْهُ فَعْيَرُهُ
أَقْصُ عَلَى أُخْتِي بَدْءَ حَدِيثِنَا

(١) سورة الرحمن ٦.

وَأَنْ تَرْحَبَا سَرَبًا بِمَا كُنْتُ أَخْصِرُ
 مِنَ الْحَزَنِ تُذْرَى عِبْرَةً تَتَحَدَّرُ
 أَنْتَى زَائِرًا وَالْأَمْرُ لِلْأَمْرِ يُقْدَرُ
 أَقْلَى عَلَيْكَ الْهَمُّ فَالْخَطْبُ أَيْسَرُ
 فَلَا سِرًّا يَفْشُو وَلَا هُوَ يَظْهَرُ
 ثَلَاثُ شُخُوصٍ كَاعْيَانٍ وَمَعْصِرُ
 أَلَمِ تَتَّقِ الْأَعْدَاءَ وَاللَّيْلُ مَقْمَرُ !
 أَمَا تَسْتَحِي أَوْ تَرْعَوِي أَوْ تُفَكِّرُ !

لَعَلَّهُمَا أَنْ تَبْغِيَا لَكَ مَخْرَجًا
 فَقَامَتْ كَثِيرًا لَيْسَ فِي وَجْهَهَا دَمٌ
 فَقَالَتْ لِأَخْتَيْهَا: أَعِينَا عَلَى فَتَى
 فَأَقْبَلَتَا فَارْتَاعَتَا ثُمَّ قَالَتَا:
 يَقُومُ فَيَمْشِي بَيْنَنَا مُتَنَكِّرًا
 فَكَانَ مَجْنَى دُونِ مَنْ كُنْتُ أَتَقَى
 فَلَمَّا أَجَزْنَا سَاحَةَ الْحَيِّ قُلْنَ لِي:
 وَقُلْنَ: أَهَذَا دَأْبُكَ الدَّهْرِ سَادِرًا

قوله « شَبَّت » يقول: أَوْقَدْتُ، يقال: شَبَّتِ النَّارَ وَالْحَرْبَ، أَيْ أَوْقَدْتُهُمَا.
 وقوله: « وَأَنْوَرُ » إِنْ شِئْتَ هَمَزْتَ، وَإِنْ شِئْتَ لَمْ تَهْمِزْ، وَإِنَّمَا الْهَمْزُ لَانْضِمَامِ
 الْوَاوِ، وَقَدْ مَضَى تَفْسِيرُ هَذَا.

وقوله: « قُمَيْرٌ »، إِنَّمَا صَغَرَهُ؛ لِأَنَّهُ نَاقِصٌ عَنِ التَّمَامِ، وَهَذَا فِي أَوَّلِ الشَّهْرِ،
 وَكَذَلِكَ يُصَغَّرُ فِي آخِرِ الشَّهْرِ؛ لِأَنَّ النِّقْصَانَ فِيهِمَا وَاحِدٌ، قَالَ عُمَرُ:

وَقُمَيْرٌ بَدَأَ ابْنُ خَمْسٍ وَعَشْرٍ بَنَ لَهُ قَالَتِ الْفَتَاتَانِ قُومًا

وقوله: « رُعْيَانٌ » يَرِيدُ جَمْعَ الرَّاعِي، وَمِثْلُهُ: رَاكِبٌ وَرُكْبَانٌ، وَفَارِسٌ
 وَفُرْسَانٌ.

وَالسَّمَرُ: جَمْعُ السَّامِرِ، وَهَمُ الْجَمَاعَةُ يَتَحَدَّثُونَ لَيْلًا.
 وَالْحَبَابُ: حَيَّةٌ بَعِينَةٌ.

وقوله: « وَنَفَضْتُ عَنِّي الْعَيْنَ » يَقُولُ: احْتَرَسْتُ مِنْهَا وَأَمْتَنْتُهَا، وَالنَّفْضَةُ: أَمَامَ
 الْعَسْكَرِ: الْقَوْمُ يَتَقَدَّمُونَ فَيَنْفُضُونَ الطَّرِيقَ.

وقوله: « أَزُورُ »، يَعْنِي مُتَجَافِيًا، يُقَالُ: تَزَاوَرُ فُلَانٌ، إِذَا ذَهَبَ فِي شِقِّ.

وقوله: « ذُو غُرُوبٍ »، غَرْبٌ كُلُّ شَيْءٍ: حَدَّهُ، وَإِنَّمَا يَعْنِي الْأَسْنَانَ.

وقوله: « مُؤَشَّرٌ » يَعْنِي لَهُ أُشْرٌ، وَهُوَ تَشْرِيرُ الْأَسْنَانِ فِي قَوْلِ النَّاسِ جَمِيعًا،
 يُقَالُ: لِأَسْنَانِهِ أُشْرٌ، فَهَذَا الشَّائِعُ الذَّائِعُ، وَأَمَّا الشَّنْبُ، فَهُوَ عِنْدَهُمْ جَمِيعًا بَرْدٌ فِي
 الْأَسْنَانِ.

وحدَّثني الرياشي عن ابن عائشة قال: أخذ أبي حبة رُمانٍ بين إصبعيه فإذا هي ترفُّ، فقال: هذا الشنبُ.
وقوله:

* وكادتُ تَوَالِي نَجْمَهُ تَتَغَوَّرُ *

التَّوَالِي: التَّوَابِعُ، وَتَتَغَوَّرُ: تَغَوَّرُ فَتَذْهَبُ، وَهُوَ مَأْخُوذٌ مِنَ الْغَوَرِ.
وقوله: «أشارتُ بأنَّ الحَيَّ قَدْ حَانَ مِنْهُمْ هُبُوبٌ» يقول: انتباه، يقال: هَبَّ من نومه يَهَبُ، قال عمرو بن كلثوم:
أَلَا هُبِيَّ بِصَحْنِكَ فَاصْبَحِينَا وَلَا تَبْقَى خَمُورَ الْأُنْدَرِينَا
وقال الآخر:

هَبَّتْ تَلُومٌ وَلَيْسَتْ سَاعَةَ الْإِلَاحِي هَلَا انتظرتِ بهذا اللَّوْمِ إِيصَابِي
وعزَّورُ: موضع بعينه.
وقوله: «وَأَيْقَاطَهُمْ» جمعُ يَقْطُ.

وقوله: «فَقَالَتْ أَتَحْقِيقًا» أَي أَتَفْعَلُ هَذَا تَحْقِيقًا، وَمِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ: أَكُلُّ هَذَا بَخْلًا! وَذَاكَ أَنَّهُ رَأَى يَفْعَلُ شَيْئًا أَنْكَرَهُ فَقَالَ: أَتَفْعَلُ كُلَّ هَذَا بَخْلًا!
وقوله: «أَبَادِيهِمْ» أَظْهَرُ لَهُمْ، غَيْرَ مَهْمُوزٍ يُقَالُ. بَدَأَ يَبْدُو، غَيْرَ مَهْمُوزٍ، إِذَا ظَهَرَ، وَبَدَأْتُ بِهَذَا مَهْمُوزٌ، إِذَا أَرَدْتَ بِهِ مَعْنَى الْأَوَّلِ.
وقوله: «بَدَأَ حَدِيثَنَا» يَرِيدُ أَوَّلَ حَدِيثِنَا.

وقوله: «أَنْ تَرَحَّبًا» يَرِيدُ: أَنْ تَتَّسِعَا أَي تَتَّسِعَ صَدُورُهُمَا، مِنْ قَوْلِهِمْ: فَلَانٌ رَحِيبُ الصَّدْرِ.

وقوله: «أَحْصَرُ» أَضِيقُ بِهِ ذَرْعًا، قَدْ مَضَى تَفْسِيرُهُ.

وقول: «مِجَنِّي» يَرِيدُ تُرْسِي.

وقوله: «ثَلَاثَ شُخُوصٍ» وَالْوَجْهَ «ثَلَاثَةَ أَشْخَاصٍ» وَلَكِنَّهُ لَمَّا قَصَدَ إِلَى النِّسَاءِ أَتَتْ عَلَى الْمَعْنَى، وَأَبَانَ مَا أَرَادَ بِقَوْلِهِ: «كَاعِبَانَ وَمُعْصِرٍ».

ومثله قول الشاعر:

فإن كلاباً هذه عَشْرُ أَبْطُنٍ وأنت برىء من قبائلها العَشْرِ

فقال: «عَشْرُ أَبْطُنٍ»؛ لأن البطنَ قبيلةٌ، وأبانَ ذلك في قوله: «من قبائلها العَشْرِ»، وقال الله جلَّ وعزَّ: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾^(١) لأن المعنى حسناتٌ.

ويروى أن يزيد بن معاوية لما أراد توجيهَ مُسلم بن عُقْبَةَ المرىَّ إلى المدينة اعترضَ الناسَ، فمرَّ به رجلٌ من أهل الشام معه تُرسٌ قبيحٌ، فقال له: يا أخا أهل الشام، مَجْنُ ابن أبي ربيعةَ أحسنُ من مَجْنُك! يريدُ قولَ ابن أبي ربيعة:

فكانَ مَجْنَى دُونَ مَنْ كُنْتُ أَتَقَى ثلاثَ شُخُوصٍ كاعِبانٍ ومُعْصِرِ

وقوله: «أما تستحي»، يريد: «تستحيي» وله تفسيرٌ يبعد في العربية قليلاً، وسنذكره بعد هذا، إن شاء الله.

(١) سورة الأنعام ١٦٠.

بَاب

[عمر الوادي والحبذ الأسود]

قال أبو العباس: وحَدَّثْتُ أَنَّ عُمَرَ الْوَادِيَّ قَالَ: أَقْبَلْتُ مِنْ مَكَّةَ أُرِيدُ الْمَدِينَةَ، فَجَعَلْتُ أَسِيرُ فِي صَمَدٍ^(١) مِنَ الْأَرْضِ، فَسَمِعْتُ غَنَاءً مِنَ الْقَرَارِ^(٢) لَمْ أَسْمَعْ مِثْلَهُ، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَا تَوْصِلَنَّ إِلَيْهِ وَلَوْ بِذَهَابِ نَفْسِي، فَانْحَدَرْتُ إِلَيْهِ، فَإِذَا عَبْدٌ أَسْوَدُ، فَقُلْتُ لَهُ: أَعَدُّ عَلَيَّ مَا سَمِعْتُ، فَقَالَ لِي: وَاللَّهِ لَوْ كَانَ عِنْدِي قَرَرِي أَقْرَبُكَ مَا فَعَلْتُ، وَلَكِنِّي أَجْعَلُهُ قَرَاكَ، فَإِنِّي [وَاللَّهِ^(٣)] رَبِّمَا غَنَيْتُ هَذَا الصَّوْتِ وَأَنَا جَائِعٌ فَأَشْبِعُ، وَرَبِّمَا غَنَيْتُهُ وَأَنَا كَسَلَانٌ فَأَنْشِطُ، وَرَبِّمَا غَنَيْتُهُ وَأَنَا عَطْشَانٌ فَأَرْوِي، ثُمَّ انْبَرَى يُغْنِيَنِي^(٤):

وَكُنْتُ إِذَا مَا زُرْتُ سَعْدَى بِأَرْضِهَا أَرَى الْأَرْضَ تُطَوِّي لِي وَيَدُنُو بَعِيدِهَا
مِنَ الْخَفِرَاتِ الْبَيْضِ وَدَّ جَلِيسُهَا إِذَا مَا انْقَضَتْ أَحَدُوهُ لَوْ تُعِيدُهَا^(٥)
[وبَعْدَهُ:]

تُحَلِّلُ أَحْقَادِي إِذَا مَا لَقَيْتُهَا وَتَبْقَى بِلَا ذَنْبٍ عَلَيَّ حُقُودُهَا
وَكَيْفَ يُحِبُّ الْقَلْبُ مَنْ لَا يُحِبُّهُ بَلَى قَدْ تَرِيدُ النَّفْسُ مَنْ لَا يُرِيدُهَا^(٦)

قال عمر: فحفظته عنه، ثُمَّ تَغَنَّيْتُ بِهِ عَلَى الْحَالَاتِ الَّتِي وَصَفَ، فَإِذَا هُوَ كَمَا ذَكَرَ.

[خالد صامة والوليد بن يزيد]

وَتَحَدَّثْتُ الزُّبَيْرِيَّ عَنْ خَالِدِ صَامَةٍ أَنَّهُ كَانَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ ضَرْبًا بَعُودًا^(٧)، قَالَ: فَقَدِمْتُ عَلَى الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدَ، وَهُوَ فِي مَجْلَسِ نَاهِيكَ بِهِ مَجْلِسًا! فَأَلْفَيْتُهُ عَلَى سَرِيرِهِ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ مَعْبِدٌ، وَمَالِكُ بْنُ أَبِي السَّمْحِ، وَابْنُ عَائِشَةَ، وَأَبُو كَامِلٍ غَزِيلُ الدَّمَشْقِيِّ، فَجَعَلُوا يُغْنُونَ، حَتَّى بَلَغَتْ النَّوْبَةُ إِلَيَّ فَغَنَيْتُهُ:

(١) الصمد: المكان المرتفع من الجبال، وفي ر: «صرد».

(٢) القرار: المظمن من الأرض.

(٣) تكلمة من س. (٤) س: «يغني».

(٥) ر: «إذا ما قضت أحدوثة».

(٦) ما بين العلامتين من زيادات ر.

(٧) كذا في الأصل، ر، وفي س: «بالعود».

سَرَى هَمَّى وَهَمَّ الْمَرْءُ يَسْرِي - وَغَارَ النَّجْمُ إِلَّا قَيْدَ فِتْرِ
أَرَأَيْتُ فِي الْمَجْرَةِ كُلِّ نَجْمٍ تَعْرِضُ أَوْ عَلَى الْمَجْرَةِ يَجْرِي
لَهُمْ مَا أَزَالُ لَهُ قَرِينًا كَأَنَّ الْقَلْبَ أَبْطَنَ حَرِّ جَمْرٍ
عَلَى بَكْرٍ أَخِي فَارَقْتُ بَكْرًا وَأَيُّ الْعَيْشِ يَصْلُحُ بَعْدَ بَكْرٍ!

فقال لى: أَعَدُّ يَا صَامُ^(١)، ففعلتُ، فقال لى: مَنْ يَقُولُ هَذَا الشَّعْرَ؟ فقلتُ:

هَذَا يَقُولُهُ عُرْوَةُ بْنُ أُذَيْنَةَ يَرْتِي أَخَاهُ بَكْرًا، فقال لى الوليدُ:

* وَأَيُّ الْعَيْشِ يَصْلُحُ بَعْدَ بَكْرٍ *

هَذَا الْعَيْشُ الَّذِي نَحْنُ فِيهِ، وَاللَّهُ قَدْ تَحَجَّرَ وَاسِعًا عَلَى رَعْمٍ أَنْفِهِ.

وَحَدَّثْتُ أَنَّ سَكِينَةَ بِنْتَ الْحُسَيْنِ أَنْشَدَتْ هَذَا الشَّعْرَ، فَقَالَتْ: وَمَنْ بَكْرٌ؟
فَوُصِفَ لَهَا، فَقَالَتْ: أَذَاكَ الْأَسِيدُ الَّذِي يَمُرُّ بِنَا؟ وَاللَّهِ لَقَدْ طَابَ كُلُّ شَيْءٍ بَعْدَ
ذَلِكَ، حَتَّى الْخُبْزُ وَالزَّيْتُ.

[مِنْ أَخْبَارِ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ]

وَرَوَى أَصْحَابُنَا أَنَّ يَزِيدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ - وَأُمُّهُ عَاتِكَةُ بِنْتُ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ،
وَالِهَا كَانَ يُنْسَبُ - قَالَ يَوْمًا: يَقَالُ: إِنَّ الدُّنْيَا لَمْ تَصْفُ لِأَحَدٍ قَطُّ يَوْمًا، فَإِذَا
خَلَّوْتُ يَوْمِي هَذَا فَاطُوُوا عَنِّي الْأَخْبَارَ، وَدَعُونِي وَلَدَّتِي وَمَا خَلَّوْتُ لَهُ، ثُمَّ دَعَا
بِحَبَابَةِ، فَقَالَ: اسْقِينِي وَغَنِّينِي، فَخَلَّوْا فِي أَطْيَبِ عَيْشٍ، فَتَنَاولَتْ حَبَابَةُ حَبَةً
رَمَانًا، فَوَضَعَتْهَا فِي فِيهَا، فَغَصَصَتْ بِهَا فَمَاتَتْ، فَجَزَعَ يَزِيدٌ جَزَعًا أَذْهَلَهُ وَمَنَعَ مِنْ
دَفْنِهَا، حَتَّى قَالَ لَهُ مَشَايِخُ بَنِي أُمَيَّةَ: إِنَّ هَذَا عَيْبٌ لَا يُسْتَقَالُ، وَإِنَّمَا هَذِهِ جِيفَةٌ،
فَإَذْنِ فِي دَفْنِهَا، وَتَبِعَ جَنَازَتَهَا، فَلَمَّا وَارَاهَا قَالَ: أَمْسَيْتُ وَاللَّهِ فِيكَ كَمَا قَالَ كَثِيرٌ:

فَإِنْ تَسَلَّ عَنْكَ النَّفْسُ أَوْ تَدَعَ الْهَوَى - فَبِالْيَاسِ تَسْلُو عَنْكَ لَا بِالتَّجَلْدِ
وَكُلُّ خَلِيلٍ رَأَى نَفْسِي فَهُوَ قَائِلٌ مِنْ أَجْلِكَ: هَذَا هَامَةٌ الْيَوْمِ أَوْ غَدٍ
فَعَدَّ بَيْنَهُمَا خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا.

(١) صَامٌ، بِالْتَّخِيمِ.

وقوله: «رَأَيْتَنِي» يريد «رَأَيْتَنِي»، ولكنه قلبَ، فأخَرَّ الهمزة. ونظيرُ هذا من الكلام «قَسِيٌّ» في جمع «قَوْسٍ» وإنما الأصلُ «قَوْوسٌ» ولَمَّا أَخَرَّ الْوَائِنَ أَبَدَلَ مِنْهُمَا يَاءَيْنِ، كَمَا يَجِبُ فِي الْجَمْعِ، وَتَقُولُ دَلُوٌّ وَدُلِيٌّ، وَعَاتٌ وَعُتِيٌّ وَإِنْ شَتَّ قَلْتَ: عَتِيٌّ وَدُلِيٌّ مِنْ أَجْلِ الْيَاءِ، فَإِنْ كَانَ «فُعُولٌ» لَوَاحِدٌ قَلْتَ: عَتُوٌّ. وَيَجُوزُ الْقَلْبُ، وَالْوَجْهُ فِي الْوَاحِدِ إِبْثَاتُ الْوَائِنِ، كَمَا تَقُولُ: «مَغْرُوٌّ» وَ«مَدْعُوٌّ» وَيَجُوزُ «مَغْرِيٌّ» وَ«مَدْعِيٌّ» وَفِي الْقُرْآنِ «وَعَتَوْنَا عُنُوتًا كَبِيرًا»^(١) وَقَالَ: «أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا»^(٢) وَقَالَ: «ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً»^(٣) وَالْأَصْلُ «مَرْضُوءَةٌ» لِأَنَّهُ مِنَ الْوَائِنِ، مِنَ الرِّضْوَانِ، وَمِنْ الْقَلْبِ قَوْلُهُمْ: «طَأْمَنَ» ثُمَّ قَالُوا: اطْمَأَنَّ، فَأَخْرَجُوا الْهَمْزَةَ وَقَدَّمُوا الْمِيمَ، وَمِثْلُ هَذَا كَثِيرٌ جَدًّا.

وقوله: «هَذَا هَامَةٌ الْيَوْمِ أَوْ غَدٌ»، يَقُولُ: مَيِّتٌ فِي يَوْمِهِ أَوْ فِي غَدِهِ، يَقَالُ: إِنَّمَا فَلَانٌ «هَامَةٌ» أَيْ يَصِيرُ فِي قَبْرِهِ، وَأَصْلُ ذَلِكَ شَيْءٌ كَانَتْ الْعَرَبُ تَقُولُهُ، قَدْ مَضَى تَفْسِيرُهُ.

[إِسْحَاقُ الْمَوْصِلِيُّ وَالرَّشِيدُ]

وَحَدَّثَنِي عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ الْمُعَدَّلِ قَالَ: سَمِعْتُ إِسْحَاقَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ الْمَوْصِلِيَّ يَتَحَدَّثُ قَالَ: حَجَجْتُ مَعَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الرَّشِيدِ، فَلَمَّا قَفَلْنَا فَتَزَلْنَا الْمَدِينَةَ أَخِيَّتُ بِهَا رَجُلًا كَانَ لَهُ سَنٌّ وَمَعْرِفَةٌ وَأَدَبٌ، فَكَانَ يُمْتَعِنِي، فَإِنِّي ذَاتَ لَيْلَةٍ فِي مَنْزِلِي إِذَا أَنَا بِصَوْتِهِ يَسْتَأْذِنُ عَلَيَّ، فَظَنَنْتُ أَمْرًا قَدْ فَدَحَهُ فَفَزَعُ فِيهِ إِلَيَّ، فَأَسْرَعْتُ نَحْوَ الْبَابِ، فَقُلْتُ: مَا جَاكَ بِكَ؟ فَقَالَ: إِذْنُ أَخْبَرَكَ، دَعَانِي صَدِيقٌ لِي إِلَى طَعَامٍ عَتِيدٍ^(٤)، وَشَرَابٍ قَدْ التَّقَى طَرَفَاهُ، وَشَوَاءَ رَشْرَاشٍ، وَحَدِيثُ مُتَمِّعٍ، وَغَنَاءُ مُطْرَبٍ، فَأَجَبْتُهُ، وَأَقِمْتُ مَعَهُ إِلَى هَذَا الْوَقْتِ، فَأَخَذْتُ مِنِّي حَمِيًّا الْكَاسِ مَأْخَذَهَا، ثُمَّ غَنَيْتُ بِقَوْلِ نَصِيبٍ:

بَزِينَبَ أَلَمْ قَبْلَ أَنْ يَرْحَلَ الرَّكْبُ وَقُلْ إِنَّ تَمَلِّينَا فَمَا مَلَكِ الْقَلْبُ

فَكَدْتُ أُطِيرُ طَرَبًا، ثُمَّ وَجَدْتُ فِي الطَّرَبِ نَقْصًا إِذْ لَمْ يَكُنْ مَعِيَ مَنْ يَفْهَمُ هَذَا كَمَا فَهَمَّتُهُ، فَفَزَعْتُ إِلَيْكَ لِأَصِفَ لَكَ هَذِهِ الْحَالَ، ثُمَّ أَوْجَعْتُ إِلَى صَاحِبِي، وَضَرَبَ نَعْلِيهِ مُوَكِّيًا عَنِّي! فَقُلْتُ: قِفْ أَكَلِّمُكَ، فَقَالَ: مَا بِيَ إِلَى الْوُقُوفِ إِلَيْكَ مِنْ حَاجَةٍ.

(١) سورة الفرقان ٢١. (٢) سورة مريم ٦٩.

(٣) سورة الفجر ٢٨. (٤) عتيد: معتد.

[من أخبار حسان بن ثابت]

وحدثني غير واحد من أصحابنا عن أبي زيد سعيد بن أوس الأنصاري،
يسنده، قال: كانت وليمه في أخوالنا، وهم حتى يقال لهم بنو نبط من الأنصار،
قال: فحضر الناس وجاء حسان بن ثابت وقد ذهب بصره، ومعه ابنه عبد الرحمن
يقوده، فلما وضع الطعام وجيء بالثرید قال حسان لابنه: يا بني، أطعام يد أم
طعام يدين؟ فقال: بل طعام يد، فأكل ثم جيء بالشواء، فقال: أطعام يد أم طعام
يدين؟ فقال: طعام يدين، فأمسك، وفي المجلس قينتان تغنيان بشعر حسان:
انظر خليلي يباب جلق هل تؤنس دون البلقاء من أحد؟^(١)

قال: وحسان يبكي، يذكر ما كان فيه من صحة البصر والشباب،
وعبد الرحمن يومئ إليهما أن زيدا قال أبو زيد: فلا أعجبنى ما أعجبه من أن تبكيا
أباه.

يقول: عَجِبْتُ ما الذي اشتهى من أن تبكيا أباه، فقلوه: «أعجبنى» أى
تركنى أعجب، ومثله قول ابن قيس الرقيات:

أَلَا هَزَيْتُ بِنَا قُرَشِيَّ هُ يَهْتَزُّ مَوَكِبُهَا
رَأَتْ بِي شَيْبَةً فِي الرَّأ سِ عَنِّي مَا أُعْجِبُهَا
فَقَالَتْ: أَبْنُ قَيْسٍ ذَا؟ وَبَعْضُ الشَّيْبِ يُعْجِبُهَا

أى تتعجب منه .

[خليلان الأموي يغني لأمير البصرة]

وحدثني عبد الصمد بن المعدل، قال: كان خليلان^(٢) الأموي يتغنى، ويرى
ذاك زائدا في الفتوة، وكان خليلان شريفا وذا نعمة واسعة، فحضر يوما منزلا
عقبه بن سلم الهنائي وهو أمير البصرة، وكان عاتيا جبارا، فلما طعما وخلقوا نظر
خليلان إلى عود موضوع في جانب البيت، فعلم أنه عرض له به، فأخذه فتغنى:

(١) جلق: إحدى قرى دمشق.

(٢) خليلان، كان يعرف به خليل بن عمرو، مولى بنى عامر بن لوى، كان يؤدب الصبيان ويعلم الجوارى
الغناء فى موضع واحد. (رغبة الأمل).

بابنة الأزديّ قلبى كئيبٌ مُسْتَهَامٌ عندها ما يؤوبُ
ولقد لاموا فقلتُ: دَعُونِي إِنَّ مَنْ تَلْحَوْنَ فِيهِ حَبِيبُ

فَجَعَلَ وَجْهَهُ عُقْبَةً يَتَغَيَّرُ، وَخَلِيلَانِ فِي سَهْوٍ عَمَّا فِيهِ عُقْبَةٌ، يَرَى أَنَّهُ مُحْسِنٌ.
ثُمَّ فَطَنَ لَتَغَيَّرَ وَجْهَهُ عُقْبَةً، فَعَلِمَ أَنَّهُ كَارُهُ^(١) لِمَا تُغْنِي بِهِ، فَقَطَعَ الصَّوْتَ، وَجَعَلَ
مَكَانَهُ:

أَلَا هَزَيْتُ بِنَا قُرْشِيَّةً يَهْتَزُّ مَوْكِبُهَا

فَسَرَّيَ عَنْ عُقْبَةٍ، فَلَمَّا انْقَضَى الصَّوْتُ وَضَعَ خَلِيلَانِ الْعُودَ، وَوَكَّدَ عَلَى
نَفْسِهِ الْحَلْفَ أَلَّا يُغْنِيَ عِنْدَ مَنْ يَجُوزُ أَمْرُهُ عَلَيْهِ أَبَدًا.

[**مُغْنِبُ الرِّشِيدِ لَشَجَرِ مَدْحٍ بِهِ أَجْوَهُ**]

وَحَدَّثْتُ أَنَّ رَجُلًا تَغْنَى بِحَضْرَةِ الرِّشِيدِ بِشَعْرِ مَدْحٍ بِهِ عَلَى بَنِي رَيْطَةَ، وَهُوَ
عَلِيُّ بْنُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمَهْدِيُّ، وَتَغَنَّاهُ الْمُغْنَى عَلَى جَهْلٍ، وَهُوَ:

قُلْ لِعَلِّي: أَيَا فَتَى الْعَرَبِ وَخَيْرَ نَامٍ وَخَيْرَ مُتَسَبِّ
أَعْلَاكَ جَدَّاكَ يَا عَلِيُّ إِذَا قَصَّرَ جَدُّ فِي ذُرْوَةِ الْحَسَبِ

فَفَتَّشَ عَنِ الْمَغْنَى فَوَجَدَهُ لَمْ يَذَرِ فِيمَنْ الشَّعْرُ، فَبُحِثَ عَنْ أَوَّلِ مَنْ تَغْنَى فِيهِ،
فَإِذَا هُوَ عَبْدُ الرَّحِيمِ الرَّقَاصُ، فَأَمْرٌ فَضْرِبَ أَرْبَعُمِائَةِ سَوْطٍ.

[**مَعَاوِيَةُ وَابْنُهُ يَزِيدُ**]

وَحَدَّثْتُ أَنَّ مَعَاوِيَةَ اسْتَمَعَ عَلَى يَزِيدَ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَسَمِعَ مِنْ عِنْدِهِ غِنَاءً
أَعْجَبَهُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ لِيَزِيدَ: مَنْ كَانَ مُلْهِيكَ الْبَارِحَةِ؟ فَقَالَ لَهُ يَزِيدُ: ذَاكَ سَائِبُ
خَاثِرٍ، قَالَ: إِذَا فَأَخْبِرْ لَهُ مِنَ الْعَطَاءِ.

[**مَعَاوِيَةُ عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ**]

وَحَدَّثْتُ أَنَّ مَعَاوِيَةَ قَالَ لِعَمْرُو: امْضِ بِنَا إِلَى هَذَا الَّذِي قَدْ تَشَاغَلَ بِاللَّهِوِ
وَسَعَى فِي هَلْدَمِ مَرْوَتِهِ، حَتَّى نَنْعَى عَلَيْهِ، أَيْ نَعِيبَ عَلَيْهِ فَعَلَهُ - يَرِيدُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ
جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - فَدَخَلَ إِلَيْهِ، وَعِنْدَهُ سَائِبُ خَاثِرٍ، وَهُوَ يُلْقَى عَلَى جَوَارِ
لِعَبْدِ اللَّهِ، فَأَمْرٌ عَبْدُ اللَّهِ بِتَنْحِيَةِ الْجَوَارِي لِدُخُولِ مَعَاوِيَةَ وَثَبَتَ سَائِبُ مَكَانَهُ، وَتَنَحَّى

(١) كلمة «كاره» ساقطة من ر، وهى فى الأصل، س.

عبدُ الله عن سريره لمعاوية، فرفع معاويةً عمرًا فأجلسه إلى جانبه، ثم قال لعبد الله: أعد ما كنت فيه، فأمر بالكراسي فألقيت، وأخرج الجوارى، فتغنى سائبُ بقول قيس بن الخطيم:

ديارُ التي كادتُ ونحْنُ على منى تحلُّ بنا لولا نَجاءَ الرِّكائبِ
ومثلكَ قد أصببتُ ليست بكنةٍ ولا جارةٍ ولا حليلةٍ صائبٍ^(١)

وردَّده الجوارى عليه، فحرك معاوية يديه وتحرك في مجلسه، ثم مدَّ رجله، فجعل يضربُ بهما وجه السرير. فقال له عمرو: اتُّد يا أمير المؤمنين، فإن الذي جئت لتلجأه أحسنُ منك حالا وأقلُّ حركةً. فقال معاوية: اسكُتْ لا أبالك! فإن كلَّ كريم طروبٌ.

[سفيانُ بن عيينة وجاره السهمي]

وحدَّثتُ من غير وجه أن سفيانَ بن عيينة قال لجلسائه يوماً: إنني أرى جارنا هذا السهميَّ قد أثري وأنفسحتُ له نعمةً. وصار ذا جاه عند الأمراء، ووافداً إلى الخلفاء، فممَّ ذاك؟ يعنى يحيى بن جَامِع، فقال له جلساؤه: إنه يصيرُ إلى الخليفة فيتغنى له، فقال سفيان: فيقول ماذا؟ فقال أحدُ جلسائه: يقول:

أطوفُ نَهاري مع الطائفين وأرفعُ من مئزري المسبلِ

فقال سفيان: ما أحسنَ ما قال! فقال الرجل:

وأسهرُ ليلى مع العاكفين وأتلو من المحكم المنزَلِ

قال: حسنَ والله جميلٌ، قال: إنَّ بعدَ هذا شيئاً، قال سفيان: وما هو؟ قال:

عسى فارحُ الكربِ عن يوسفٍ يسخرُ لى ربَّةِ المحملِ

فزوى سفيان وجهه، وأوماً بيده أن كُفَّ، وقال: حلالاً حلالاً!

[ابن أبجر يغنى لعطاء بن أبي رباح]

ولقى ابنُ أبجرَ عطاءَ بنَ أبي رباحٍ وهو يطوفُ، فقال: اسمع صوتاً للغريض، فقال له عطاء: يا خبيثُ، أفى هذا الموضع! فقال ابن أبجر: وربُّ هذه البنية لتسمعنه خفيةً، أو لأشيدن به، فوقف له، فتغنى:

(١) الكنة: امرأة الابن أو الأخ.

عُوجِي عَلَيْنَا رَبَّةَ الْهُودَجِ
أَنْتِي أُتِيحَتْ لِي يَمَانِيَّةٌ
تَلْبَثُ حَوْلًا كَامِلًا كُلَّهُ
فِي الْحَجِّ إِنْ حَجَّتْ، وَمَاذَا مِنِّي
إِنَّكَ إِلَّا تَفْعَلِي تَخْرَجِي^(١)
إِحْدَى بَنِي الْحَارِثِ مِنْ مَذْحِجٍ
لَا نَلْتَقِي إِلَّا عَلَى مَنَهْجٍ
وَأَهْلُهُ إِنْ هِيَ لَمْ تَخْجُجْ !

فقال له عطاء: الكثير الطيب يا خبيث!

[سليمان بن عبد الملك في عسكره]

وَسَمِعَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ مُتَغَنِّيًّا فِي عَسْكَرِهِ، فَقَالَ: اطْلُبُوهُ، فَجَاءُوا بِهِ،
فَقَالَ: أَعَدَّ مَا تَغْنِيَتْ، فَتَغَنَّى وَاحْتَفَلَ، وَكَانَ سُلَيْمَانُ مُفْرَطَ الْغَيْرَةِ، فَقَالَ
لَأَصْحَابِهِ: وَاللَّهِ لَكَأَنَّهَا جَرْجَرَةُ الْفَحْلِ فِي الشَّوْلِ^(٢)، وَمَا أَحْسِبُ أَنْتِي تَسْمَعُ هَذَا
إِلَّا صَبَبْتَ. ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَخَصِيَ.

[الفرزدق يسخن الأحموس بشعر جرير]

وَحَدَّثْتُ أَنَّ الْفَرَزْدَقَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ فَتَزَلَ عَلَى الْأَحْوَصِ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ
ابْنَ عَاصِمِ بْنِ ثَابِتِ بْنِ أَبِي الْأَفْلَحِ، فَقَالَ لَهُ الْأَحْوَصُ: أَلَا أَسْمِعُكَ غِنَاءً مِنْ غِنَاءِ
الْقُرَى؟ فَتَاهَا بِمَغْنٍ فَجَعَلَ يُغْنِيهِ، فَكَانَ مِمَّا غَنَاهُ:

أَتَنْسَى إِذْ تُودِّعُنَا سُلَيْمِي
وَلَوْ وَجَدَ الْحَمَامُ كَمَا وَجَدْنَا
بَفَرْعِ بَشَامَةٍ، سَقَى الْبَشَامُ!^(٣)
بَسْلَمَانَيْنِ لَا كُتَّابَ الْحَمَامِ^(٤)

فقال الفرزدق: لِمَنْ هَذَا [الشعر]؟ فقالوا: لجرير، ثم غناه:

أَسْرَى لَخَالِدَةَ الْخِيَالُ وَلَا أَرَى
إِنَّ الْبَلِيَّةَ مَنْ تَمَلُّ حَدِيثَهُ
شَيْئًا أَلَدَّ مِنَ الْخِيَالِ الطَّارِقِ
فَانْقَعَ فُوَادُكَ مِنْ حَدِيثِ الْوَامِقِ^(٥)

(١) تخرجي: من الحرج وهو الإثم.

(٢) الجرجرة: هدير الفحل، والشول: جمع شائلة، وهي من الإبل التي أنى عليها من حملها أو وضعها
سبعة أشهر فجف لبنها به.

(٣) سلمانين: واديا في جبل لغني.

(٤) تكملة من س.

(٥) الوامق: المحب.

فقال: لمن هذا؟ فقيل: لجرير، ثم غناه:

إِنَّ الَّذِينَ غَدَوْا بِلُبِّكَ غَادِرُوا
وَشَلَا بَعَيْنِكَ مَا يَزَالُ مَعِينَا
غَيْضُنَ مِنْ عِبْرَاتِهِنَّ وَقُلْنَ لِي
مَاذَا لَقِيتَ مِنَ الْهَوَى وَلَقِينَا؟

فقال: لمن هذا؟ فقالوا: لجرير، فقال الفرزدق: ما أَحْوَجَهُ مع عَفَافِهِ إلى خُسُونَةِ شِعْرِي، وَأَحْوَجَنِي مع فَسُوقِي إلى رِقَّةِ شِعْرِهِ!

[الأَحْوَصُ وَمَعْبُدٌ عَقِيلَةُ الْمُخْنِيَةِ]

وقال الأَحْوَصُ يوماً لِمَعْبُدٍ: امْضِ بِنَا إلى عَقِيلَةٍ حَتَّى نَتَحَدَّثَ إِلَيْهَا، وَنَسْمَعَ مِنْ غَنَائِهَا وَغَنَاءِ جَوَارِيهَا. فَمَضِيًّا، فَأَلْفَيَْا عَلَى بَابِهَا مُعَادًا الْأَنْصَارِيَّ، ثُمَّ الزُّرْقِيَّ، وَابْنَ صَائِدِ النَّجَّارِيَّ، فَاسْتَأْذَنُوا عَلَيْهَا جَمِيعًا، فَأَذْنَتْ لَهُمْ إِلَّا الْأَحْوَصَ، فَإِنِهَا قَالَتْ: نَحْنُ غَضَابٌ عَلَى الْأَحْوَصِ، فَانْصَرَفَ الْأَحْوَصُ وَهُوَ يَلُومُ أَصْحَابَهُ عَلَى اسْتِبْدَادِهِمْ، فَقَالَ:

ضَنْتُ عَقِيلَةً لَمَّا جِئْتُ بِالزَّادِ
فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَوْلَا أَنْ تَقُولَ لَهُ
قُلْنَا لِمَنْزِلِهَا: حَيِّتَ مِنْ طَلَلٍ
إِنِّي جَعَلْتُ نَصِيبِي مِنْ مَوَدَّتِهَا
لَأَبْنِ اللَّعِينِ الَّذِي يُخْبَأُ الدُّخَانَ لَهُ
أَمَّا مُعَادٌ فَإِنِّي لَسْتُ ذَا كَرِهِ
وَأَثَرَتْ حَاجَةُ الشَّاوِي عَلَى الْغَادِي
قَدْ بَاحَ بِالسَّرِّ أَعْدَائِي وَحُسَّادِي
وَلِلْعَقِيقِ: أَلَا حَيِّتَ مِنْ وَادِي!
لِمَعْبُدٍ وَمُعَاذُ وَابْنِ صَيَّادٍ
وَلِلْمُغْنَى رَسُولَ الزُّورِ قَوَادِي
كَذَاكَ أَجْدَادُهُ كَانُوا لِأَجْدَادِي

قال الزُّبَيْرِيُّ: وَكَانَ مُعَادٌ جَلْدًا، فَخَافَ الْأَحْوَصُ أَنْ يَضْرِبَهُ، فَحَلَفَ مَعْبُدٌ أَلَّا يَكَلِّمَ الْأَحْوَصَ وَلَا يَتَغَنَّى فِي شِعْرِهِ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى الْأَحْوَصِ، فَلَمَّا طَالَتْ هَجْرَتُهُ إِيَّاهُ رَحَلَ نَجِييًّا لَهُ وَجَعَلَ طَلَاءً^(١) فِي مِذْرَعٍ^(٢) فِي حَقِيْبَةِ رَحْلِهِ، وَأَعَدَّ دَنَانِيرَ، وَمَضَى نَحْوَ مَعْبُدٍ فَأَنَاحَ بَابَهُ - وَمَعْبُدٌ جَالِسٌ بِفَنَائِهِ - فَنَزَلَ إِلَيْهِ الْأَحْوَصُ فَكَلَّمَهُ، فَلَمْ يَكَلِّمْهُ مَعْبُدٌ، فَقَالَ: يَا أَبَا عَبَّادٍ، أَتَهْجُرُنِي! فَخَرَجْتَ إِلَيْهِ أَمْرَأَتُهُ أُمُّ كَرْدَمَ، فَقَالَتْ: أَتَهْجُرُ أَبَا مُحَمَّدٍ! وَاللَّهِ لَتَكَلَّمْتَهُ، قَالَ: فَاحْتَمَلَهُ الْأَحْوَصُ فَأَدْخَلَهُ الْبَيْتَ، وَقَالَ: وَاللَّهِ لَا رِمْتُ هَذَا الْبَيْتَ حَتَّى أَكُلَ الشُّوَاءَ وَأَشْرَبَ الطَّلَاءَ وَاسْمَعُوا

(١) الطَّلَاءُ: اسم لما طَبَخَ من عَصِيرِ الْعَنْبِ حَتَّى ذَهَبَ ثَلَاثًا.

(٢) حَاشِيَةٌ ر: «وَالْمِذْرَعُ: فَرْقٌ سَلَخَ حِينَ سَلَخَ مِمَّا يَلِي الذَّرَاعَ».

الغناء، فقال له معبدٌ: قد أخزى الله الأبعدَ هذا الشَّواءَ أَكَلْتَهُ، والغناء سمعته، فَأَنَّى لَكَ بالطَّلَاءِ! قال: قُمْ إلى ذلك المِذْرَعِ ففيه طلاءٌ ومعه دنانيرٌ، فأصلح بها ما نريدُ من أمرنا، ففعل كلُّ ما قال، فقالت أُمُّ كَرْدَمَ لمعبد: أَتَهْجُرُ مَنْ إِنْ زَارْنَا أَغْدَرَ^(١) فينا فَضْلاً وَنَيْلاً، وَإِنْ فَارَقْنَا خَلَفَ فينا عَقْلاً وَنَيْلاً! فَانصرفَ الأَحوصُ مع العصر، فمرَّ بَيْنَ الدَّارَيْنِ وهو يَمِيلُ بَيْنَ شُعْبَتَيْ رَحْلِهِ.

[هَجَاءُ الْأَحْوَصِ لِمُعَبَّدِ بْنِ مَصْعَبٍ]

وَحَدَّثْتُ أَنَّ سَعْدَ بْنَ مُصْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ أَتَاهُمْ بِامْرَأَةٍ فِي لَيْلَةٍ مَنَاحَةٌ أَوْ عُرْسٌ، وَكَانَتْ تَحْتَهُ ابْنَةُ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، فَقَالَ الْأَحْوَصُ - وَكَانَ بِالْمَدِينَةِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: «سَعْدُ النَّارِ»:

لَيْسَ بِسَعْدِ النَّارِ مَنْ تَذْكُرُونَهُ	وَلَكِنَّ سَعْدَ النَّارِ سَعْدُ بْنُ مُصْعَبٍ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْقَوْمَ لَيْلَةً جَمَعَهُمْ	بَعَاوُهُ فَأَلْفَوْهُ لَدَى شَرِّ مَرْكَبٍ
فَمَا يَتَنَغَّى بِالشَّرِّ لَا دَرٌّ دَرُهُ	وَفِي بَيْتِهِ مِثْلُ الْغَزَالِ الْمَرْبَبِ

فَأَمَرَ سَعْدُ بْنُ مُصْعَبٍ بِطَعَامٍ فَصْنِعَ، ثُمَّ حَمَلَ إِلَى قَبَابِ الْعَرَبِ، وَقَالَ لِلْأَحْوَصِ - وَكَانَ لَهُ صَدِيقًا: تَعَالَ نَمْضِي فَنُصِيبَ مِنْهُ، فَلَمَّا خَلَا بِهِ أَمَرَ بِهِ فَأُوثِقَ، وَأَرَادَ ضَرْبَهُ، فَقَالَ لَهُ الْأَحْوَصُ: دَعْنِي، فَلَا وَاللَّهِ لَا أَهْجُو زُبَيْرِيًّا أَبَدًا، فَحَلَّهُ، ثُمَّ قَالَ: إِنِّي وَاللَّهِ مَا لُمْتُكَ عَلَى مَزْحِكَ، وَلَكِنِّي أَنْكَرْتُ قَوْلَكَ:

* وَفِي بَيْتِهِ مِثْلُ الْغَزَالِ الْمَرْبَبِ *

وَحَدَّثْتُ أَنَّ ابْنَ أَبِي عَتِيقٍ ذَكَرَ لَهُ أَنَّ الْمُخْتَنَيْنِ بِالْمَدِينَةِ خُصُّوا، وَأَنَّهُ خُصِيَ الدَّلَالُ فِيهِمْ، فَقَالَ: إِنَّا لِلَّهِ! أَمَّا وَاللَّهِ لئنْ فَعَلَ ذَلِكَ بِهِ لَقَدْ كَانَ يُحْسِنُ:

لَمَنْ رُبْعُ بَذَاتِ الْجَيْشِ أَمْسَى دَارِسًا خَلَّتَا

ثُمَّ اسْتَقْبَلَ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ الْقَبِيلَةَ يَصْلِي، فَلَمَّا كَبُرَ سَلَمَ، ثُمَّ التَفَتَتْ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَ يُحْسِنُ خَفِيفَهُ، فَأَمَّا ثَقِيلُهُ فَلَا - اللَّهُ أَكْبَرُ!

(١) أغدر: ترك.

[شفاعة]

وَحَدَّثْتُ أَنْ مَدَنِيًّا كَانَ يَصَلِّيْ مُذْ طَلَعَتِ الشَّمْسُ إِلَى أَنْ قَارَبَ النَّهَارُ أَنْ يَنْتَصِفَ، وَمِنْ وَرَائِهِ رَجُلٌ يَتَعَنَّى، وَهُمَا فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَإِذَا رَجُلٌ مِنَ الشَّرْطَةِ قَدْ قَبِضَ عَلَى الْمُغْنَى، فَقَالَ: أَتَرَفَعُ عَقِيرَتَكَ بِالْغَنَاءِ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ فَأَخَذَهُ، فَاَنْتَلَى الْمَدْنِيُّ مِنْ صَلَاتِهِ، فَلَمْ يَزَلْ يَطْلُبُ إِلَيْهِ فِيهِ حَتَّى اسْتَفَقَهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ فَقَالَ: أَتَدْرِي لَمْ شَفَعْتُ فِيكَ؟ فَقَالَ: لَا وَاللَّهِ، وَلَكِنْ إِخَالَكَ رَحِمَتِي، قَالَ: إِذَا فَلَا وَحَمَنِي اللَّهُ! قَالَ: فَأَحْسِبُكَ عَرَفْتَ قَرَابَةً بَيْنَنَا؟ قَالَ: إِذَا فَقَطَّعَهَا اللَّهُ! قَالَ: فَلَيْدَ تَقَدَّمْتُ مِنِّي إِلَيْكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ، وَلَا عَرَفْتُكَ قَبْلَهَا، قَالَ: فَخَبَّرْنِي، قَالَ: لِأَنِّي سَمِعْتُكَ غَنَيْتَ أَنْفًا، فَأَقَمْتَ وَأَوَاتِ مَعْبِدٍ، أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ أَسَاءْتَ التَّأْدِيَةَ لَكُنْتُ أَحَدَ الْأَعْوَانِ عَلَيْكَ!

والصوتُ الذي يُنسَبُ إلى واواتِ معبِدٍ شعُرُ الأعشى الذي يعاتبُ فيه يزيدُ ابنُ مُسَهَّرِ الشَّيْثَانِيَّ، وهو قوله:

هَرِيرَةٌ وَدَعَّهَا وَإِنْ لَمْ لَائِمٌ غَدَاةَ غَدٍ أَمْ أَنْتَ لِلْبَيْنِ وَاجِمٌ
لَقَدْ كَانَ فِي حَوْلٍ ثَوَاءٍ ثَوَيْتُهُ تُقْضَى لُبَانَاتٌ وَيَسَامُ سَائِمٌ

قوله: «هَرِيرَةٌ وَدَعَّهَا وَإِنْ لَمْ لَائِمٌ» منصوبٌ بفعلٍ مضمرٍ، تفسيره «ودَّعَّهَا» كأنه قال: «ودَّعَ هَرِيرَةً»، فلَمَّا اخْتَزَلَ الفعلَ أظهرَ ما يدلُّ عليه، وكان ذلك أجود من ألا يُضْمَرُ؛ لأنَّ الأمرَ لا يكون إلا بفعلٍ، فأضمرَ الفعلَ إذ كان الأمرُ أحقَّ به، وكذلك «زَيْدًا اضْرِبْهُ» و«زَيْدًا فَأَكْرَمْهُ» وإن لم تُضْمَرْ ورفعتَ جاز، وليس في حُسْنِ الْأَوَّلِ، تَرْفَعُهُ عَلَى الْإِبْتِدَاءِ وَتُصِيرُ الْأَمْرَ فِي مَوْضِعِ خَبَرِهِ، فَأَمَّا قَوْلُ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾^(١) وكذلك: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾^(٢) فليس على هذا، والرفعُ الوجهُ؛ لأنَّ معناه الجزاء، كقوله: «الزَّانِيَةُ» أَى التى تُزْنَى، فإِنَّمَا وَجِبَ الْقَطْعُ لِلسَّرْقِ وَالْجَلْدُ لِلزَّانَا، فَهَذَا مُجَازَاةٌ، وَمِنْ ثَمَّ جَازَ: الذى يَأْتِينِى فَلهِ درهمٌ، فدخلتِ الفاءُ لأنه استحقَّ الدرهمَ بِالْإِيتْيَانِ، فَإِنْ لَمْ تَرِدْ هَذَا الْمَعْنَى قُلْتَ: الذى يَأْتِينِى له درهمٌ، وَلَا يَجُوزُ:

(١) سورة المائدة ٣٨.

(٢) سورة النور ٢.

زيدٌ فله درهمٌ، على هذا المعنى، ولكن لو قلت: زيدٌ فله درهمٌ، على معنى: هذا زيدٌ فله درهمٌ، أو هذا زيدٌ، فحسنٌ جميلٌ، جازٌ، على أنَّ «زيداً» خبرٌ، وليس بابتداءٍ، وللإشارة دخلت الفاءُ، وفي القرآن: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾^(١)، ودخلت الفاءُ لأن الثوابَ دخلَ للإنفاق. وقد قرأت القراءُ: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا﴾ و«السارقَ والسارقة فاقطعوا» بالنصب، على وجه الأمر، والوجهُ الرِّفْعُ، والنصبُ حسنٌ في هاتين الآيتين، وما لم يكن فيه معنى جزاءٍ فالنصبُ الوجهُ.

[فخرٌ محبوبٌ بخمسة أصواتٍ من غنائهِ]

وَيُرْوَى أَنَّ مَعْبَدًا بَلَغَهُ أَنَّ قُتَيْبَةَ بْنَ مُسْلِمٍ فَتَحَ خَمْسَ مَدَائِنَ، فَقَالَ: لَقَدْ غَنَيْتُ خَمْسَةَ أَصْوَاتٍ، هُنَّ أَشَدُّ مِنْ فَتْحِ الْمَدَائِنِ الَّتِي فَتَحَهَا قُتَيْبَةُ، وَالْأَصْوَاتُ:

وَدَّعْ هُرَيْرَةَ إِنَّ الرِّكْبَ مُرْتَحِلٌ وَهَلْ تُطِيقُ وَدَاعًا أَيُّهَا الرَّجُلُ
وقوله:

هُرَيْرَةَ وَدَّعَهَا وَإِنْ لَأَمْ لَأَتُمُ غَدَاةَ غَدٍ أَمْ أَنْتَ لِلْبَيْنِ وَاجِمُ
وقوله:

رَأَيْتُ عَرَابَةَ الْأَوْسَى يَسْمُو إِلَى الْخَيْرَاتِ مُنْقَطِعَ الْقَرِينِ
وقوله:

وَدَّعْ لِبَابَةَ قَبْلَ أَنْ تَتَرَحَّلَا وَاسْأَلْ فَإِنَّ قَلِيلَهُ أَنْ تَسْأَلَا
وقوله:

لَعَمْرِي لئن شَطَّتْ بَعْثَمَةَ دَارُهَا لَقَدْ كُنْتُ مِنْ خَوْفِ الْفِرَاقِ أَلِيحُ

أما قوله:

* وَدَّعْ هُرَيْرَةَ إِنَّ الرِّكْبَ مُرْتَحِلٌ *

(١) سورة البقرة ٢٧٤.

وقوله:

* هُرَيْرَةٌ وَدَعَهَا وَإِنْ لَمْ لَأْتِ *

فَلَا عَشَى، يُعَاتِبُ فِيهِمَا يَزِيدُ بْنُ مُسْهَرٍ الشَّيْبَانِي، يَقُولُ:
أَبْلَغُ يَزِيدُ بَنَى شَيْبَانَ مَالِكَةَ
أَلَسْتُ مُنْتَهِيًا عَنْ نَحْتِ أَثْلَتْنَا
وَلَسْتُ ضَائِرَهَا مَا أَطَّتِ الْإِبِلُ (١)
فَلَمْ يَضِرْهَا وَأَوْهَى قَرْنَهُ الْوَعْلُ
وَيَقُولُ فِي الْأُخْرَى يُعَاتِبُهُ أَيْضًا:

يَزِيدُ يَغْضُ الطَّرْفَ دُونِي كَأَنَّمَا
فَلَا يَنْبَسُطُ مِنْ بَيْنِ عَيْنِكَ مَا أَنْزَوِي
فَأَقْسِمُ إِنْ جَدَّ التَّقَاطُعُ بَيْنَنَا
وَتُلْفَى حِصَانٌ تَنْصِفُ ابْنَةَ عَمِّهَا
إِذَا اتَّصَلَتْ قَالَتْ: أَبْكَرَ بَنٍ وَائِلُ!
زَوَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَلَى الْمَحَاجِمِ
وَلَا تَلْقَنِي إِلَّا وَأَنْفُكَ رَاغِمٌ
لَتَصْطَفِقَنَّ يَوْمًا عَلَيْكَ الْمَاتَمُ (٢)
كَمَا كَانَ يُلْفَى النَاصِفَاتُ الْخَوَادِمُ (٣)
وَبَكَرٌ سَبَتْهَا وَالْأَنْوْفُ رَوَاغِمُ

فَأَمَّا الشَّعْرُ الثَّالِثُ فَلِلشَّمَاخِ بْنِ ضِرَارِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ غَطَفَانَ، يَقُولُهُ لِعَرَابَةِ بْنِ أَوْسِ بْنِ قَيْطِيٍّ الْأَنْصَارِيِّ:

رَأَيْتُ عَرَابَةَ الْأَوْسِيِّ يَسْمُو
إِذَا مَا رَأَيْتُ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ
إِذَا بَلَّغْتَنِي وَحَمَلْتَ رَحْلِي
إِلَى الْخَيْرَاتِ مَنْقَطَعَ الْقَرِينِ
تَلَقَّاهَا عَرَابَةُ بِالْيَمِينِ
عَرَابَةُ فَاشْرُقِي بِدَمِ الْوَتِينِ

وَالرَّابِعُ لِعَمْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَيْعَةَ، يَقُولُهُ فِي بَعْضِ الرُّوَايَاتِ:

وَدَّعَ لُبَابَةَ قَبْلَ أَنْ تَتَرَحَّلَا
أَمْكْتُ لَعَمْرُكَ سَاعَةً فَتَأْتَاهَا
لَسْنَا نُبَالِي حِينَ نُنْذِرُكَ حَاجَةً
وَالشَّعْرُ الْخَامِسُ لَا أَعْرِفُهُ.
وَاسْأَلْ فَإِنْ قَلِيلَهُ أَنْ تَسْأَلَا
فَعَسَى الَّذِي بَخَلْتُ بِهِ أَنْ يُبْذَلَا
إِنْ بَاتَ أَوْ ظَلَّ الْمَطِيُّ مُعْقَلَا (٥)

(١) المألكة: الرسالة، وتأنل: تغضب.

(٢) أثلتنا: أصلنا، وأطيط الإبل: أنينها.

(٣) الاصطفان: الاضطراب.

(٤) الحصان: العفيفة. وتنصف: تخدم.

(٥) معقلا، من عقلت الإبل إذا شددتها بالعقال.

ولم يَتَغَنَّ معبد في مدحٍ قَطُّ إِلَّا في ثَلَاثَةِ أَشْعَارٍ، منها ما ذكرنا في عَرَابَةٍ،
ومنها قولُ عبدِ الله بنِ قَيْسِ الرُّقِيَّاتِ في عبدِ الله بنِ جعفرِ بنِ أبي طالبٍ:

تَقَدَّتْ بِي الشَّهْبَاءُ نَحْوَ ابْنِ جَعْفَرٍ سَوَاءٌ عَلَيْهَا لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا

والثالثُ قولُ موسى شَهَوَاتٍ في حمزةَ بن عبدِ الله بن الزُّبَيْرِ:

حمزةُ المُبْتَاعُ بِالمالِ الثَّنَا ويرى في بَيْعِهِ أَنَّ قَدْ غَبَنُ
وهو إن أعطى عطاءً كاملاً ذا إِيخَاءٍ لَمْ يُكَدِّرْهُ بَمَنْ

ونحنُ ذَاكِرُو قِصَصِ هذه الأشعارِ التي جَرَتْ في عَقَبِ ما وصفنا إن شاء
اللهُ.

قال أبو العباس: كان عبدُ الله بنُ قَيْسِ الرُّقِيَّاتِ منقطعاً إلى مُصْعَبِ بنِ
الزُّبَيْرِ، وكان كثيرَ المدحِ له، وكان يُقَاتَلُ معه، وفيه يقولُ:

إِنَّمَا مُصْعَبٌ شَهَابٌ مِنْ الله تَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظُّلُمَاءُ
مُلْكُهُ مُلْكُ قُوَّةٍ لَيْسَ فِيهِ جَبَرُوتٌ مِنْهُ وَلَا كَبِيرَاءُ
يَتَّقِي اللهُ فِي الْأُمُورِ وَقَدْ أَفَ لَحَ مَنْ كَانَ هَمَّهُ الْأَتْقَاءُ

[قال أبو العباس^(١): وله فيه أشعار كثيرة، فلَمَّا قُتِلَ مُصْعَبُ [بن الزُّبَيْرِ]^(١)

كان عبدُ الملك على قتل عبدِ الله بن قيس، فَهَرَبَ فَلَحِقَ بعبدِ الله بن جعفر،
فَشَفَعَ فيه إلى عبدِ الملك، فَشَفَّعَهُ في أَنْ تَرَكَ دَمَهُ، فقال: وَيَدْخُلُ إِلَيْكَ يَا أَمِيرَ
المُؤْمِنِينَ فَتَسْمَعَ مِنْهُ! فَأَبَى، فلم يَزَلْ به حتى أجابه، ففي ذلك يقولُ لعبدِ الله بن
جعفر:

أَتَيْنَاكَ نُثْنِي بِالذِي أَنْتَ أَهْلُهُ عليكَ كَمَا أَثْنَى عَلَى الْأَرْضِ جَارُهَا
تَقَدَّتْ بِي الشَّهْبَاءُ نَحْوَ ابْنِ جَعْفَرٍ سَوَاءٌ عَلَيْهَا لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا
تَزُورُ فَتَيَّ قَدْ يَعْلَمُ النَّاسُ أَنَّهُ تَجُودُ لَهُ كَفٌّ قَلِيلٌ غَرَارُهَا
فو الله لولا أَنَّ تَزُورُ ابْنَ جَعْفَرٍ لَكَانَ قَلِيلًا فِي دِمَشْقَ قَرَارُهَا

(١) من س.

والشعرُ الذى مَدَحَ به عبدُ الملكِ :
عَادَ لَهُ مِنْ كَثِيرَةِ الطَّرَبِ
وفيهَا يقولُ :

فَعَيْنُهُ بِالدَّمُوعِ تَسْكِبُ

مَا نَقَمُوا مِنْ بَنَى أُمِّيَّةٍ إِلَّا
وَأَنَّهُمْ سَادَةُ الْمُلُوكِ فَلَا
إِنْ الْفَنِيْقَ الَّذِى أَبُوهُ أَبُو الْعَدِ
خَلِيفَةُ اللَّهِ فِي رَعِيَّتِهِ
يَعْتَدِلُ التَّاجُ فَوْقَ مَفْرِقِهِ
أَنَّهُمْ يَحْلُمُونَ إِنْ غَضِبُوا
تَصْلُحُ إِلَّا عَلَيْهِمُ الْعَرَبُ
أَصَى عَلَيْهِ الْوَقَارُ وَالْحُجُبُ
جَفَّتْ بِذَاكَ الْأَقْلَامُ وَالْكَتُبُ
عَلَى جَبِينِ كَأَنَّهُ الذَّهَبُ

فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ : أَتَقُولُ لِمُصْعَبٍ :
إِنَّمَا مُصْعَبٌ شِهَابٌ مِنَ اللَّهِ

تَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظُّلُمَاءُ

وَتَقُولُ لِي :

يَعْتَدِلُ التَّاجُ فَوْقَ مَفْرِقِهِ
عَلَى جَبِينِ كَأَنَّهُ الذَّهَبُ !

وَأَمَّا شِعْرُ الشَّمَاخِ فِي عَرَابَةٍ فَقَدْ ذُكِرَ فِي مَوْضِعِهِ بِحَدِيثِهِ .

وَأَمَّا الشُّعْرُ فِي حَمْزَةِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّبِيرِ فَإِنَّهُ لِمُوسَى شَهَوَاتٍ ، وَكَانَ
مُوسَى قَالَ لِمُعَبَّدٍ : أَقُولُ شِعْرًا فِي حَمْزَةٍ وَتَتَغَنَّى أَنْتَ بِهِ ، فَمَا أَعْطَاكَ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ
بَيْنَنَا ! فَقَالَ هَذَا الشُّعْرُ :

حَمْزَةُ الْمُبْتَاعُ بِالْمَالِ الشَّنَا
وَهُوَ إِنْ أَعْطَى عَطَاءً كَامِلًا
وَإِذَا مَا سَنَةً مُجْجَفَةً
حَسَرَتْ عَنْهُ نَقِيًّا لَوْنُهُ
وَيَرَى فِي بَيْعِهِ أَنْ قَدْ غَبِنَ
ذَا إِخَاءٍ لَمْ يُكَدِّرْهُ بِمَنْ
بَرَّتْ الْمَالُ كَبْرِيَّ السَّفْنِ
طَاهِرَ الْأَخْلَاقِ مَا فِيهِ دَرَنُ

فَأَعْطَاهُ مَالًا ، فَقَاسَمَهُ مُوسَى .

باب

[لحبة بن شماس في عمر بن عبد العزيز]

قال أبو العباس: قال عتبة بن شماس:

إِنَّ أَوْلَى بِالْحَقِّ فِي كُلِّ حَقٍّ ثُمَّ أَحْرَى بِأَنْ يَكُونَ حَقِيقًا
مَنْ أَبَوْهُ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَا نَ وَمَنْ كَانَ جَدُّهُ الْفَارُوقَا
رَدَّ أَمْوَالَنَا عَلَيْنَا وَكَانَتْ فِي ذُرَا شَاهِقٍ يَفُوتُ الْأَنْوَقَا

يقول هذا الشعر في عمر بن عبد العزيز، وأمُّ عمر أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، رحمه الله.

والأنوق: الرخمة، ولا يقال: الأنوق إلا للرخمة الأنثى. ومن أمثال العرب: «هو أعزُّ من بيض الأنوق»، وتقول العرب لمن يطلب الأمر العسير: «سألتنى بيض الأنوق» وذلك أنها تبيض في رؤوس الجبال، فلا يكاد يوجد بيضها، لبعد مطلبه وعُسره. فإن سأل محالا قال: «سألتنى الأبلق العقوق»، وإنما هو الذكر من الخيل، ويقال: فرس عقوق، إذا حملت فامتلا بطنها، فالأبلق العقوق محال.

ويروى أن رجلا سأل معاوية أمرا لا يوجد، فأعلمه ذلك، فسأل أمرا عسرا بعده، فقال معاوية:

طَلَبَ الْأَبْلَقَ الْعَقُوقَ فَلَمَّا لَمْ يَنْلُهُ أَرَادَ بَيْضَ الْأَنْوَقِ
وإنما الأبلق الذكر من الخيل، يقال: فرس عقوق إذا حملت فامتلا بطنها، فالأبلق العقوق محال.

(الجري في عمر بن عبد العزيز)

وقال جرير يمدح عمر بن عبد العزيز:

مَا عَدَّ قَوْمٌ كَأَجْدَادِ تَعَدُّهُمْ مَرَّوَانُ ذُو النُّورِ وَالْفَارُوقُ وَالْحَكَمُ
أَشْبَهَتْ مِنْ عُمَرَ الْفَارُوقُ سِيرَتَهُ قَادَ الْبَرِيَّةَ وَأَتَمَّتْ بِهِ الْأُمَمُ
تَدْعُو قُرَيْشٌ وَأَنْصَارُ النَّبِيِّ لَهُ أَنْ يُمْتَعُوا بِأَبِي حَفْصٍ وَمَا ظَلَمُوا

وفيه يقول جريرٌ أيضاً:

وَتَفْرُجُ عَنْهُمْ الْكَرْبَ الشَّدَادَا وَيُعَيِّنُ النَّاسَ وَحَشُّكَ أَنْ يُصَادَا وَتَكْفِي الْمَحَلَّ السَّنَةَ الْجَمَادَا ^(١) وَتَذَكِّرُ فِي رَعِيَّتِكَ الْمَعَادَا بَأَجُودَ مِنْكَ يَا عَمْرَ الْجَوَادَا ^(١)	يَعُودُ الْحَلْمُ مِنْكَ عَلَى قُرَيْشٍ وَقَدْ آمَنْتَ وَحَشَّاهُمْ بِرَفْقٍ [وَتَبْنِي الْمَجْدَ يَا عَمْرَ بْنَ لَيْلَى وَتَدْعُو اللَّهَ مَجْتَهِدًا لِيَرْضَى]فَمَا كَعْبُ بْنُ مَامَةَ وَابْنُ سَعْدَى
---	--

وقال أيضاً - وكان ابنُ سعدٍ الأزدِيُّ قد تَوَلَّى صَدَقَاتِ الْأَعْرَابِ وَأَعْطِيَانِهِمْ، فقال جريرٌ يشكوهُ إلى عَمْرٍ -:

وَعِنْدَ ابْنِ سَعْدٍ سَكْرٌ وَزَيْبُ وَمَا الظَّنُّ إِلَّا مُخْطِئٌ وَمُصِيبُ مَتَاعُ لَيْالٍ وَالْأَدَاءُ قَرِيبُ وَلَيْسَ لِدَاءِ الرُّكْبَتَيْنِ طَبِيبُ	إِنَّ عِيَالِي لَا فَوَأكَهُ عِنْدَهُمْ وَقَدْ كَانَ ظَنِّي بِابْنِ سَعْدٍ سَعَادَةٌ فَإِنْ تَرَجَّعُوا رَزَقِي إِلَى فَإِنَّهُ تَحْنِي الْعِظَامُ الزَّاحِفَاتُ مِنَ الْبِلَى
---	---

وقال يرثيه أيضاً:

يَا خَيْرَ مَنْ حَجَّ بَيْتَ اللَّهِ وَاعْتَمَرَ وَقَمْتُ فِيهِ بِحَقِّ اللَّهِ يَا عُمَرَا تَبْكِي عَلَيْكَ نَجُومَ اللَّيْلِ وَالْقَمَرَا	نَعَى النُّعَاةَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَنَا حَمَلْتُ أَمْرًا جَسِيمًا فَاصْطَبَرْتُ لَهُ فَالشَّمْسُ طَالِعَةٌ لَيْسَتْ بِكَاسِفَةٍ
---	---

قوله: «يا عمرًا» نُدْبَةٌ، أراد: يا عُمَرَاهُ! وإنما الألفُ للنُدْبَةِ وحدها، والهاءُ تَزَادُ فِي الْوَقْفِ لِحَفَاءِ الْأَلْفِ، فإذا وَصَلْتَ لَمْ تَزِدْهَا، تقول: يا عُمَرَا ذَا الْفَضْلِ، فإن وَقَفْتَ قُلْتَ: يَا عُمَرَاهُ، فحذَفَ الْهَاءُ فِي الْقَافِيَةِ لِاسْتِغْنَائِهِ عَنْهَا.

فأما قوله: «نجومَ الليلِ والقمرَا»، ففيه أقاويلٌ كُلُّهَا جَيِّدٌ، فمنها أَنْ تَنْصِبَ «نَجُومَ، والقمرَ» بقوله: «بكَاسِفَةٍ»، يقول: الشَّمْسُ طَالِعَةٌ لَيْسَتْ بِكَاسِفَةٍ نَجُومَ

(١) ما بين العلامتين من زيادة ر.

الليل والقمر، يقول: إنما تكسفُ النجوم والقمرَ بإفراط ضيائها، فإذا كانت من الحزن عليه قد ذهبَ ضياؤها ظهرت الكواكبُ. ويقال: إن الغبار يوم حليمة سدَّ عينَ الشمس فظهرت الكواكب المتباعدة عن مَطْلَعِ الشمس، ويوم حليمة هو اليوم الذي سافر فيه المنذر بن المنذر بعرب العراق إلى الحارث الأحمج الغساني، وهو الأكبر، والحارث في عرب الشام وهو أشهر أيام العرب، ومن أمثالهم في الأمر الفاشي: «ما يوم حليمةٍ يسرٌّ»، وفيه يقول النابغة:

تُخَيِّرُنْ مِنْ أَرْمَانِ يَوْمِ حَلِيمَةٍ إِلَى الْيَوْمِ قَدْ جُرْبُنْ كُلَّ التَّجَارِبِ
وَأَظُنُّ قَوْلَ الْقَائِلِ مِنَ الْعَرَبِ: «لَأَرِيَنَّكَ الْكَوَاكِبَ ظُهُرًا»؛ إِنَّمَا أُخِذَ مِنْ يَوْمِ
حَلِيمَةٍ، قَالَ طَرْفَةُ:

إِنْ تُنَوَّلَهُ فَقَدْ تَمْنَعَهُ وَتُرِيهِ النَّجْمَ يَجْرِي بِالظَّهْرِ

وقال الفرزدق لخالد بن عبد الله القسري:

لَعَمْرِي لَقَدْ سَارَ ابْنُ شَيْبَةَ سِيرَةً أَرْتَكُ نَجُومَ اللَّيْلِ مُظْهِرَةً تَجْرِي

ويجوز أن يكون: «نجوم الليل والقمر» أراد بهما الظرف، يقول: تبكى الشمسُ عليك مدةَ نجوم الليل والقمر، كقولك: تبكى عليك الدهر والشهر، وتبكي عليك الليل والنهار، يا فتى. ويكون: تبكى عليك الشمس النجوم، كقولك: أبكى زيداً على فلان لما رأيتُ به.

وقد قال في هذا المعنى أَحَدُ الْمُحَدِّثِينَ شَيْئًا مَلِيحًا، وهو أحمد أخو أشجع السلمي، يقوله لنصر بن شُبَّانِ الْعُقَيْلِيِّ، وكان أوقع بقومٍ مِنْ بَنِي تَغْلِبَ بِمَوْضِعٍ يُعْرَفُ بِالسَّوَاكِيرِ، وهو أشبه بالشعر، قال:

لِللَّهِ سَيْفٌ فِي يَدَيْ نَصْرٍ فِي حَذِّهِ مَاءُ الرَّدَى يَجْرِي
أَوْقَعَ نَصْرٌ بِالسَّوَاكِيرِ مَا لَمْ يُوقِعِ الْجَحَافُ بِالْبِشْرِ
أَبْكَى بَنِي بَكْرٍ عَلَى تَغْلِبٍ وَتَغْلِبٌ أَبْكَى عَلَى بَكْرٍ

ويكون: «تبكى عليك نجوم الليل والقمر»، على أن تكون الواو في معنى «مع»، وإذا كانت كذلك فكان قبل الاسم الذي يليه أو بعده فعلٌ انتصب لأنه في المعنى مفعول وصل الفعل إليه فنصبه. ونظير ذلك: «استوى الماء والخشبة» لأنك

لم تُرَدِّه استوى الماء واستوت الخشبة، ولو أردت ذلك لم يكن إلا الرفع، ولكن التقدير: ساوى الماء الخشبة، وكذلك «مازلت أسير والنيل» يا فتى؛ لأنك لست تخبر عن النيل بسير، وإنما تريد أن سيرك بحدائقه ومعه، فوصل الفعل. وهذا باب يطول شرحه. فإن قلت: «عبد الله وزيد أخواك» وأنت تريد بالواو معنى «مع»، لم يكن إلا الرفع، لأن قبلها اسماً مبتدأ، فهي على موضعه.

وأجود التفسير عندنا في قول الله جلَّ وعزَّ: ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾^(١) أن تكون الواو في معنى «مع»، لأنك تقول: أجمعت رأيي وأمرى، وجمعت القوم، فهذا هو الوجه. وقوم ينصبونه على دخوله بالشركة مع اللام في معنى الأول، والمعنى الاستعداد بهما، فيجعلونه كقول القائل:

يا ليت زوجك قد غداً متقلداً سيفاً ورمحاً
والرمح لا يتقلد، ولكن أدخله مع ما يتقلد، فتقديره: «متقلداً سيفاً وحاملاً رمحاً»، ويكون تقدير الآية: فأجمعوا أمركم وأعدوا شركاءكم، والمعنى يؤول إلى أمر واحد. ومن ذلك قوله:

* شراب ألبان وتمر وأقط *

فأما ما جاء في القرآن على هذا خاصة، فقوله جلَّ وعزَّ: ﴿والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم من يمشى على أربع﴾^(٢) فأدخل «من» ههنا؛ لأن الناس مع هذه الأشياء، فجرت على لفظ واحد، ولا تكون «من» إلا لمن يعقل إذا أفردتها.

(الرجل يشكو إلى عمر بن عبد العزيز عماله)

وقال رجل لعمر بن عبد العزيز يشكو إليه عماله:

إن الذين أمرتهم أن يعدلوا نبذوا كتابك واستحلَّ المحرم
وأردت أن يلى الأمانة منهم بر وهيئات الأبر المسلم
طلس الثياب على منابر أرضنا كل ينقص نصيبنا يتكلم
أنشدني الرياشي عن الأصمعي.

(١) سورة يونس ٧١. (٢) سورة النور ٤٥.

ونظيرُ هذا قولُ ابنِ هَمَّامٍ السَّلُولِيّ :

إِذَا نَصَبُوا لِلْقَوْلِ قَالُوا فَأَحْسِنُوا وَلَكِنَّ حُسْنَ الْقَوْلِ خَالَفَهُ الْفِعْلُ
وَذَمُّوا لَنَا الدُّنْيَا وَهُمْ يَرْضَعُونَهَا أَفَلَاوَيْقَ حَتَّى مَا يَدِرُ لَهَا ثِيْلُ

وقد مرَّ تفسيرُ هذا الشعرِ، والأَطلَسُ: الأَغْبَرُ، ورَبَّمَا اشْتَدَّتْ غُبْرَتُهُ حَتَّى يَخْفَى فِي الْغُبَارِ، وَإِنَّمَا أَرَادَ بِقَوْلِهِ: «أَاطَلَسُ الثِّيَابَ» أَنَّهُمْ يُظْهِرُونَ تَقَشُّفًا، وَيَكُونُ أَنْ يَكُونَ جَعَلَهُمْ بِمَنْزِلَةِ الذِّئْبِ، وَهُوَ أَحْسَنُ.

(عمر بن الخطاب مع أحد ولاته)

وَيُرَوَّى أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ وَلَّى رَجُلًا بَلَدًا، فَوَفَّدَ عَلَيْهِ، فَجَاءَهُ مُدْهِنًا حَسَنَ الْحَالِ فِي جِسْمِهِ، عَلَيْهِ بُرْدَانٌ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: أَهَكَذَا وَلِيِّنَاكَ! ثُمَّ عَزَلَهُ، وَدَفَعَ إِلَيْهِ غَنِيمَاتَ يَرْعَاهَا، ثُمَّ دَعَا بِهِ بَعْدَ مَدَّةٍ، فَرَأَاهُ بَالِيًا أَشْعَثَ فِي ثَوْبَيْنِ أَطْلَسَيْنِ، وَذَكَرَ عِنْدَ عُمَرَ بِخَيْرٍ، فَرَدَّهُ إِلَى عَمَلِهِ، وَقَالَ: كُلُّوا وَاشْرَبُوا وَادَّهِنُوا، فَإِنَّكُمْ تَعْلَمُونَ الَّذِي تُنْهَوْنَ عَنْهُ.

وَيُرَوَّى عَنِ الْحَسَنِ أَنَّهُ قَالَ: اقْرَبُوا مِنْ هَذِهِ الْأَعْوَادِ^(١)، فَإِنَّهُمْ إِذَا رَقُّوْهَا لُقِّنُوا الْحِكْمَةَ، لَتَكُونَ عَلَيْهِمْ حِجَّةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

(الرجل يرثي عمر بن عبد العزيز)

وَقَالَ رَجُلٌ لِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَرِثِيهِ، أَنْشَدْنِيهِ الرَّيَّاشِيّ:

قَدْ غَيَّبَ الدَّافِنُونَ اللَّحْدَ إِذْ دَفَنُوا بَدِيرَ سَمْعَانَ قَسْطَاسَ الْمَوَازِينِ^(٢)
مَنْ لَمْ يَكُنْ هَمُّهُ عَيْنًا يُفَجِّرُهَا وَلَا النَخِيلَ وَلَا رَكْضَ الْبَرَادِينِ
أَقُولُ لَمَّا أَتَانِي ثُمَّ مَهْلِكُهُ لَا يَبْعَدَنَّ قَوَامُ الْمُلْكِ وَالْدِّينِ

يُقَالُ: هَذَا قَوَامُ الْأَمْرِ وَمَلَائِكُهُ لَا غَيْرُ، وَتَقُولُ: فَلَانُ حَسَنُ الْقَوَامِ، مَفْتُوحٌ، تُرِيدُ بِذَلِكَ الشَّطَّاطَ^(٣)، لَا يَكُونُ إِلَّا ذَاكَ، وَقَوَامٌ إِذَا كَانَ اسْمًا لَمْ تَنْقَلِبْ وَאוُهُ يَاءٌ

(١) الأعواد هنا: المناбір.

(٢) دير سمعان: بلد بنواحی دمشق.

(٣) الشطاط: حسن القوام.

من أجل الكسرة، لأنها متحركة، إلا أن يكون جمعاً قد كانت الواو في واحده ساكنة، فتقلب في الجمع، لأن حركتها لعة، تقول: سَوَطٌ وسيَاطٌ وثوبٌ وثِيَابٌ وحَوْضٌ وحِياضٌ، فإن كانت الواو في الواحد متحركة ثَبَّتْ في الجمع، نحو طويل وطوال، وكذلك «فعالٌ» إذا كان مصدرًا صَحَّ إذا صحَّ فعله، واعتَلَّ إذا اعتَلَّ فعله، فما كان مصدرًا لـ «فاعلت» فهو «فعالٌ» صحيح، تقول: قَاوَلْتُهُ قَوَالًا، ولَاوَدْتُهُ لَوَادًا، كقوله تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لَوَادًا﴾^(١)، أى مُلَاوَدَةً، وإذا كان مصدر «فاعلت» اعتَلَّ لاعتلال الفعل فقلت: قَمْتُ قِيَامًا، ونَمْتُ نِيَامًا، وَلَذْتُ لِيَادًا، وَعُدْتُ عِيَادًا.

[لعونهم القوافي يرثي سليمان بن عبد الملك]

وقال عُوَيْفُ القوافي شعراً، يرثي سليمان بن عبد الملك، وينكر عمر بن عبد العزيز، هذا ما اخترنا منه:

ثم تَدَانَى فَسَمِعْنَا صَعْقَهُ	لَا حَ سَحَابٌ فَرَأَيْنَا بَرْقَهُ
وَدُهِمَّهُ ثُمَّ تَزَجَّى وَرَقَهُ	وراحت الرِّيحُ تَزَجَّى بُلْقَهُ
قَبْرَ امْرِئٍ أَعْظَمَ رَبِّي حَقَّهُ	ذَاكَ سَقَى وَدَقًا فَرَوَى وَدَقَهُ
وَجَحَدَ الْخَيْرِ الَّذِي قَدْ بَقَهُ	قبر سليمانَ الَّذِي مِنْ عَقِّهِ
لَمَّا ابْتَلَى اللَّهُ بِخَيْرِ خَلْقِهِ	فِي الْعَالَمِينَ جَلَّهُ وَدَقَّهُ
أَلْقَى إِلَى خَيْرِ قَرِيشٍ وَسَقَهُ	وكادت النفسُ تُسَاوِي حَلْقَهُ
سُمِّيتَ بِالْفَارُوقِ فَافْرَقَ فَرَقَهُ	يَا عَمَرَ الْخَيْرِ الْمُلقَى وَفَقَهُ
واقْصَدَ إِلَى الْخَيْرِ وَلَا تَوَقَّهُ	وارْزُقْ عِيَالِ الْمُسْلِمِينَ رَزَقَهُ
رَبُّكَ، وَالْمَحْرُومُ مِنْ لَمْ يُسَقَّهُ	بحرْكَ عَذْبُ الْمَاءِ مَا أَعَقَّهُ

يقال: لَاحَ البرقُ، إذا بَدَأَ، وَالْأَحَ إذا تَلَأَأَ، وهذا البيت يُنشدُ:

* مَنْ هَاجَهُ اللَّيْلَةُ بَرْقُ الْأَحَ *

ويقال: شَرَقَتِ الشمسُ، إذا بَدَتْ، وَأَشْرَقَتْ إذا أَضَاءَتْ وَصَفَتْ.

ويقال: صَاعِقَةٌ وصَاقِعَةٌ، وبنو تَمِيمٍ تقول: صَاعِقَةٌ، والصَّعَقُ شِدَّةُ الرَّعْدِ، ويعنى في أَكْثَرِ ذَلِكَ مَا يَعْتَرِي مَنْ يَسْمَعُ صَوْتَ الصَّاعِقَةِ.

(١) سورة النور ٦٣.

وقوله: «تُزَجَّى» يقول: تسوقه وتَسَحِّثُهُ.

والأَبْلَقُ من السحاب: ما فيه سوادٌ وبياضٌ، وفي الخيل: كلُّ لونٍ يخالطُهُ بياضٌ فهو بَلَقٌ.

والأَوْرَقُ: الذى بين الخُضْرَةِ والسَّوَادِ، وهو أَلْمُ ألوانِ الإِبِلِ، ويقال: إن لحم البعيرِ الأَوْرَقِ أَطْيَبُ لَحْمَانَ الإِبِلِ.

والودُقُ: المطرُ، يقال: ودَقَتِ السماءُ يَأْفَتِي، تدقُّ ودَقًا، قال الله جلَّ وعزَّ: ﴿فَتَرَى الْوَدُقَ يُخْرَجُ مِنْ خَلَالِهِ﴾^(١)، وقال عامرُ بن جُوَيْنٍ الطائِيُّ:

فلا مُزْنَةٌ ودَقَتْ ودَقَهَا ولا أرضٌ أبْقَلُ إِبْقَالَهَا

وأصلُ العَقِّ القطْعُ فى هذا الموضع، ولِلْعَقِّ مواضعٌ كثيرة، يقال: عَقَّ والديه يَعْقُهُمَا إذا قَطَعَهُمَا، وعَقَقْتُ عن الصبى^(٢) من هذا، وقالوا: بل هو من العَقِيْقَةِ وهى الشَّعْرُ الذى يولدُ الصبىُّ به، يقال: فلانٌ بعَقِيْقَتِهِ إذا كان بشعرِ الصَّبَا لم يَحْلِقْهُ، ويقال: سيفٌ كأنَّه عَقِيْقَةٌ، أى كأنَّه لَمْعَةٌ بَرَقَ، يقال: رأيتُ عَقِيْقَةَ الْبَرَقِ يَأْفَتِي، أى اللَّمْعَةَ منه فى السحاب، ويقال: فلانٌ عَقَّتْ تَمِيْمَتُهُ بِلَدٍ كَذَا، أى قَطَعَتْ عنه فى ذلك الموضع، قال الشاعرُ:

ألمْ تَعْلَمِ يا دارَ بَلْجَاءِ أُنْئى
أَحَبَّ بلادِ الله ما بين مُشْرِفِ
بلادٍ بها عَقَّ الشَّبابُ تَمِيْمَتِي
إذا أَخْصَبَتْ أو كان جَدْبًا جَنابُها
إلىَّ وَسَلَّمِ أن يَصُوبَ سَحَابُها
وأولُ أرضٍ مَسَّ جِلْدِي تُرابُها

وقوله:

* وَجَحَدَ الْخَيْرَ الَّذِى قَدْ بَقَّه *

يقال: بَقَّ فلانٌ فى الناس خَيْرًا كثيرًا، وبَقَّ ولدًا كثيرًا، وأَبَقَّ كلامًا كثيرًا.

وقوله:

* أَلْقَى إِلَى خَيْرِ قَرِيْشٍ وَسَقَهُ *

فهذا مثلٌ، يريد: قلَّده أمره، والوَسَقُ الحِمْلُ.

(١) سورة النور ٤٣.

(٢) أى ذبحت عنه عقيقة.

وقوله: الْمَلْقَى وَفَقَهُ، يقال: لُقِيَ فلانٌ خيراً، أى جعلَ يلقاهُ، والوسقُ من الكيل: مقدارُ خمسةِ أَقْفَزةٍ بَقْفِيزِ البصرةِ، وهو قَفِيزَانِ ونصفُ بَقْفِيزِ مدينةِ السَّلامِ.
وقوله: «ليس في أَقْلٍ من خمسةِ أَوْسُقٍ صَدَقَةٌ» إِنَّمَا مبلغُ ذلك خمسةِ وعشرون قَفِيزاً بالبصرةِ، والوفقُ: التوفيقُ.

وقوله: «سَمِيتَ بالفاروقَ» فتأويلُ الفاروقِ هو الذى يَفْرِقُ بينَ الحقِّ والباطلِ، وكذلك قال المفسرون فى «الْفُرْقَانِ»، وقد أَبَانَ ذلك بقوله: «فأَفَرُقُ فَرَقَهُ».

وقوله:

* وَارْزُقْ عِيَالَ الْمُسْلِمِينَ رَزَقَهُ *

يقال: رَزَقَهُ يَرْزُقُهُ رَزْقاً، والاسم الرِّزْقُ.

وقوله:

* بَحْرُكَ عَذْبُ الْمَاءِ مَا أَعَقَّهُ *

مقلوبٌ، إِنَّمَا هو مَا أَقَعَهُ رَبُّكَ. يقال: ماءٌ قُعَاعٌ، وماءٌ حُرَاقٌ، فالقُعَاعُ: الشديدُ الملوحةُ، يقولُ: ما أَمْلَحَهُ رَبُّكَ، والحُرَاقُ: الذى يُحْرِقُ كلَّ شَيْءٍ بِمِلْوَحَتِهِ، والماءُ العَذْبُ يقالُ له: النُّقَاخُ، وما دونَ ذلك شَيْئاً يقالُ له: المَسُوسُ. أَنشد أبو عبيدة:

لو كُنْتُ مَاءً كُنْتُ لَا عَذْبَ الْمَذَاقِ وَلَا مَسُوسًا

يقال: ماءٌ عَذْبٌ، وماءٌ فُرَاتٌ، وهو أَعَذْبُ العَذْبِ، ويقال: ماءٌ مِلْحٌ، ولا يقال: مَالِحٌ، وَسَمَكٌ مَمْلُوحٌ وَمَلِيحٌ، ولا يقال: مَالِحٌ، وأشدُّ الماءِ ملوحةً الأَجَاجُ، قال الفرَزْدَقُ:

ولو أَسْقَيْتَهُمْ عَسَلًا مُصَفًّى
لَقَالُوا إِنَّهُ مِلْحٌ أَجَاجٌ
بماءِ النَّيْلِ أو ماءِ الْفُرَاتِ
أَرَادَ بِهِ لَنَا إِحْدَى الْهَنَاتِ

وقوله:

* ذَاكَ سَقَى وَدَقًّا فَرَوَى وَدَقَّهُ *

يقالُ فيه قولان: أحدهما: فَرَوَى الغَيْمُ ودَقَّه هذا القبرَ، يريدُ: من ودَقَه، فلَمَّا حَذَفَ حرفَ الجرِّ عَمَلَ الفعلُ. والآخرُ كقولك: «رَوَيْتُ زَيْدًا ماءً»، وروى أكثرُ من أَرَوَى، لأن «رَوَى» لا يَكُونُ إلا مَرَّةً بعدَ مَرَّةٍ، يقولُ: «فروى اللهُ ودَقَّه» أى جَعَلَهُ رَوَاءً، فأضمرَ لعلمِ المخاطَبِ، لأنَّ قولَه: «لَا حَ سَحَابٌ»، إنما معناه: أَلَا حَهُ اللهُ، فالفاعلُ كالمذكور، لأنَّ المعنى عليه، ونظيره قولُه جلَّ وعزَّ: ﴿إِنِّى أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّى حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾^(١) ولم يذكر الشمسَ، وكذلك: ﴿مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾^(٢) ولم يذكر الأرضَ، وقال قومٌ: ودَقَّه، يريد ودَقَّه واحدةً، وهذا رَدِيٌّ فى المعنى، ليس بمُبَالِغٍ.

[الإسحاق بن إبراهيم الموصلى]

قال ابن الموصلى:

لَعَمْرِي لَنْ حُلْتُ عَنْ مَنَهْلِ الصَّبَا	لَقَدْ كُنْتُ وَرَادًا لَمَنْهَلِهِ الْعَذْبَا
لِيَالِي أَمْشَى بَيْنَ بُرْدَى لَاهِيَا	أَمِيسُ كَغُصْنِ الْبَانَةِ النَّاعِمِ الرُّطْبَا
سَلَامٌ عَلَى سَيْرِ الْقَلَاصِ مَعَ الرُّكْبِ	وَوَصَلَ الْغَوَانِي وَالْمُدَامَةِ وَالشَّرْبِ
سَلَامٌ أَمْرِي لَمْ تَبْقَ مِنْهُ بَقِيَّةٌ	سِوَى نَظَرِ الْعَيْنِينَ أَوْ شَهْوَةِ الْقَلْبِ

قوله: «والشَّربُ»، يريد جمعَ شاربٍ، يقال: شاربٌ وشَرِبٌ، وراكِبٌ وركَبٌ، وتاجرٌ وتَجَرٌ، وزائرٌ وزَوَرٌ، قال الطَّرِمَّاحُ:

حَبٌّ بِالزَّوْرِ الَّذِي لَا يُرَى مِنْهُ إِلَّا صَفْحَةٌ عَنْ لَمَامِ

وهذا بابٌ متصلٌ كثيرٌ، قال العَجَّاجُ:

بِوَأَسِطٍ أَكْـرَمَ دَارٍ دَارًا وَاللَّهُ سَمَّى نَصْرَكَ الْأَنْصَارَا

يريد أنصاركَ، فأخرجه على «ناصرٍ ونَصْرٍ».

وقوله: «سَلَامٌ أَمْرِي» على البدلِ من قوله: «سَلَامٌ عَلَى سَيْرِ الْقَلَاصِ» وإن شئتَ نصبتَ بفعلٍ مضمَرٍ، كأنك قلتَ: اسلِّمُ سَلَامَ أَمْرِي، لأنك ذكرتَ سلامًا

(١) سورة ص ٣٢.

(٢) سورة فاطر ٤٥.

أولاً، ومثل ذلك: له صَوْتُ صوت حمار، لأنك لما قلت: «له صوت» دلت على أنه يُصَوَّت، كأنك قلت: يصوَّتُ صَوْتُ حمار، وكذلك: «له حَنِينٌ حَنِينٌ ثَكَلِي» و:

* له صَرِيفٌ صَرِيفٌ الْقَعْوِ بِالْمَسَدِ *

أى: يَصْرِفُ صَرِيفًا، فما كان من هذا نكرةً فنَصَبُهُ على وجهين: على المصدر، وتقديره: يَصْرِفُ صَرِيفًا مثلَ صَرِيفِ جَمَلٍ، وإن شئتَ جعلته حالا، وتقديره: يُخْرِجُهُ فى هذه الحال. وما كان معرفةً لم يكن حالا ولكن على المصدر، فإن كان الأولُ فى غير معنى الفعل لم يكن النصبُ أَلْبَتَةً ولم يَصْلُحْ إِلَّا الرِّفْعُ على البدل، تقول: له رأسُ رأسٍ ثور، وله كفٌ كفٌ أسد، فالمرتفعُ الثانى إذا كان نكرةً كان بدلا أو نعتًا، وإذا كان معرفةً كان بدلا ولم يكن نعتًا، لأن النكرة لا تنعت بالمعرفة، وكذلك إذا كان الأولُ ابتداءً لم يجرُ إِلَّا الرِّفْعُ، لأن الكلامَ غيرُ مُسْتَعْنٍ؛ وإنما يجوزُ الإضمارُ بعد الاستغناء، تقول: صوته صوتُ الحمار، وغناؤه غناءُ المجيدين، وكذلك إن خَبَرْتَ بأمرٍ مُسْتَقَرٍّ فيه اختيرَ الرِّفْعُ، تقول: له عِلْمٌ عِلْمُ الفقهاء، وله رأى رأىُ القضاة؛ لأنك إنما تمدحه بأن هذا قد استقرَّ له، وليس الأبلغُ فى مدحه أن تخبرَ بأنك رأيته فى حال تعلُّم، ويجوزُ النصبُ على أنك رأيته فى حال تعلُّم فاستدلتَ بذلك على علمه فهذا يَصْلُحُ، والأجودُ الرِّفْعُ، فإذا قلت: «له صوتٌ صوتُ حمار»، فإنما خَبَرْتَ أنه يُصَوَّتُ، فهذا سوى تلك المعنى. ومما يُخْتَارُ فيه الرِّفْعُ قولك: عليه نوحٌ نوحُ الحمام، وإنما اختيرَ الرِّفْعُ؛ لأنَّ الهاءَ فى «عليه» اسمُ المفعول له، والهاءُ فى «له» اسمُ الفاعل، ويجوزُ النصبُ على أنك إذا قلت: عليه نوحٌ دَلَّ النُّوحُ على أن معه نائحًا، فكأنك قلت: ينوحون نوحُ الحمام، فهذا تفسيرُ جميع هذه الأبواب.

[لَابِنُ الْخِيَّاطِ الْمَدِينِيّ]

وقال ابنُ الْخِيَّاطِ الْمَدِينِيّ، يعنى مالكُ بنُ أَنَسٍ:

يَأْبَى الْجَوَابَ فَمَا يُرَاجَعُ هَيْبَةً وَالسَّائِلُونَ نَوَاصِصُ الْأَذْقَانِ
هَدَى التَّقَى وَعِزُّ سُلْطَانِ النَّهْيِ فَهُوَ الْعَزِيزُ وَلَيْسَ ذَا سُلْطَانِ

أراد: له هدىُ التَّقَى، أو معه هدىُ التَّقَى.

باب

قال أبو العباس: نَذْكُرُ في هذا الباب من كل شيء شيئاً، ليكون فيه استراحةٌ للقارئ، وانتقالٌ يَنْفِي المَلَلَ؛ لحُسْنِ^(١) مَوْقع الاستطراف، ونَخْلُطُ ما فيه من الجِدِّ بشيءٍ يسيرٍ من الهزل، ليستريحَ إليه القلب، وتَسْكُنَ إليه النفسُ.

[نبذ من الأقوال الحكيمة]

قال أبو الدرداء رحمه الله: إني لَأَسْتَجِمُ نفسي^(٢) بشيءٍ^(٣) من الباطل ليكون أقوى على الحقِّ.

وقال عليُّ بن أبي طالبٍ رحمه الله: القلبُ إذا أُكْرِهَ عَمِيَ.

وقال ابنُ مسعودٍ^(٤) رحمه الله: القلوبُ تَمَلُّ كما تَمَلُّ الأبدانُ فابتغوا لها طَرَائِفَ الحِكْمَةِ.

وقال ابنُ عباسٍ رضي الله عنه: العلمُ أكثرُ من أنْ يُؤْتَى على آخِرِهِ، فخذوا^(٥) من كل شيءٍ أَحْسَنَهُ.

وليس هذا الحديثُ من البابِ الذي ذكرنا. ولكن نذكر الشيءَ بالشيءِ، إمَّا لاجتماعهما في لفظٍ، وإمَّا لاشتراكهما في معنى.

وقال الحسنُ - وليس من هذا الباب - : حادِثُوا هذه القلوبَ، فإنها سَرِيعَةُ الدُّثُورِ، واقدَعُوا هذه الأنفُسَ، فإنها طُلْعَةٌ، وإنكم إِلا تَزَعُّوها تَزِرْ بكم إلى شَرٍّ غايةً، وقد مَضَى تفسِيرُ هذا الكلامِ.

وقال أَرْدَشِيرُ بنُ بَابَكٍ: إِنْ لِلْأَذَانِ مَجَّةٌ، وللقلوبِ مَلَلًا، فَفَرِّقُوا بَيْنَ الْحِكْمَتَيْنِ يَكُنْ ذَلِكَ اسْتِجْمَامًا.

وكان أَنُوشَرَوَانُ يقول: القلوبُ تَحْتَاجُ إلى أَقْوَاتِها من الحِكْمَةِ كاحتياج الأبدانِ إلى أَقْوَاتِها من الغِذَاءِ.

(١) س: «بحسن».

(٢) أَسْتَجِمُ نفسي، يريد أريحها، وأصله في البئر؛ ترك بعد الاستقاء ليتراجع ماؤها.

(٣) كذا في الأصل، س، وفي ر: «لشيء».

(٤) س: «عبد الله بن مسعود».

(٥) كذا في الأصل، س، وفي ر: «فخذ».

وَيُرَوَّى أَنَّهُ أَصِيبَ فِي حِكْمَةِ آلِ دَاوُدَ (١) : لَا يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يُخْلِيَ نَفْسَهُ مِنْ وَاحِدَةٍ مِنْ أَرْبَعٍ : مِنْ عُدَّةٍ (٢) لِمَعَادٍ ، أَوْ إِصْلَاحٍ (٣) لِمَعَاشٍ ، أَوْ فِكْرٍ يَقِفُ بِهِ عَلَى مَا يُصْلِحُهُ مِمَّا يَفْسُدُهُ ، أَوْ لَذَّةٍ فِي غَيْرٍ مُحَرَّمٍ يَسْتَعِينُ بِهَا عَلَى الْحَالَاتِ الثَّلَاثِ .

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ لِأَبِيهِ يَوْمًا : يَا أَبَتِي ، إِنَّكَ تَنَامُ نَوْمَ الْقَائِلَةِ ، وَذُو الْحَاجَةِ عَلَى بَابِكَ غَيْرُ نَائِمٍ ؟ فَقَالَ لَهُ : يَا بُنَيَّ ، إِنَّ نَفْسِي مَطِيتِي ، فَإِنْ حَمَلْتُ عَلَيْهَا فِي التَّعَبِ حَسَرْتُهَا .

تَأْوِيلُ قَوْلِهِ : «حَسَرْتُهَا» : بَلَغْتُ بِهَا أَقْصَى غَايَةِ الْإِعْيَاءِ ، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ : ﴿يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ (٤) . وَأَنْشَدَ أَبُو عُبَيْدَةَ :

إِنَّ الْعَسِيرَ بِهَا دَالًا مُخَامِرُهَا فَشَطَرُهَا نَظَرُ الْعَيْنَيْنِ مَحْسُورُ
قَوْلُهُ : «فَشَطَرُهَا» يَرِيدُ قَصْدَهَا وَنَحْوَهَا ، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ : ﴿قَوْلٌ وَجْهَكَ شَطَرُ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ (٥) [و] (٦) قَالَ الشَّاعِرُ (٧) :

لَهْنُ الْوَجَا لَمْ كُنْ عَوْنًا عَلَى النَّوَى وَلَا زَالَ مِنْهَا ظَالِعٌ وَحَسِيرُ
يَعْنِي الْإِبْلَ ، يَقُولُ : هِيَ الْمُفَرَّقَةُ ، كَمَا قَالَ الْآخَرُ :

مَا فَارَّقَ الْآلَافَ يَعُدُّ دَدَ اللَّهِ إِلَّا الْإِبْلُ
وَلَا إِذَا صَاحَ غُرًّا بٌ فِي الدِّيَارِ اخْتَمَلُوا
وَمَا غَرَابُ الْبَيْنِ إِلَّا نَاقَةُ أَوْ جَمَلُ

[قَالَ أَبُو الْحَسَنِ : وَزَادَنِي فِيهِ غَيْرُ أَبِي الْعَبَّاسِ :

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِ ، س ، وَفِي ر : «دَاءِد» بِالْهَمْزَةِ وَالْأَوَّجِ مَا أَثْبَتَاهُ .

(٢) ر : «غِدُو» ، وَمَا أَثْبَتَهُ عَنْ ر وَالْأَصْلِ .

(٣) س : «صِلَاح» .

(٤) سُورَةُ الْمَلِكِ ٤ .

(٥) سُورَةُ الْبَقَرَةِ : ١٤٤ .

(٦) مِنْ س .

(٧) هُوَ جَمِيلُ بْنُ مَعْمَرِ الْعَذْرَى ، قَالَهُ الْمَرْصُفِيُّ .

بَ الْبَيْنِ لَمَّا جَاهَلُوا
يُطَوَّى عَلَيْهِ الرَّحْلُ

وَالنَّاسُ يَلْحَوْنَ غُرَا
وَالْبَائِسُ الْمُسْكِنُ مَا

ويقال: إنه لأبى الشيصر.

فمن قال: «آلف» للواحد قال للجميع^(١) «أُالِفُ» كعامل وعَمَّال، وشارب
وشُرَّاب، وجاهل وجُهَّال. ومن قال للواحد: إلف. قال للجميع: آلف،
وتقديره: عدل وأعدال، وحمل وأحمال. وثقل وأثقل.

[فى وصف الإبل]

وقد أنصف الإبل الذى يقول:
أَلَا فَرَعَى اللَّهَ الرَّوَّاحِلُ إِنَّمَا
مَطَايَا قُلُوبِ الْعَاشِقِينَ الرَّوَّاحِلُ
عَلَى أَنَّهُنَّ الْوَاصِلَاتُ عَرَى النَّوَى
إذا ما نَأَى بِالْآلِفِينَ التَّوَاصِلُ

وقال الآخر:

أقول والهوجاء تمشى والفضل:
قَطَعَتِ الْأَحْدَاجُ أَعْنَاقَ الْإِبِلِ
الهوجاء: التى تُجَدُّ فى السَّير وتَرْكَبُ رَأْسَهَا، كَأَن بِهَا هَوْجًا.
كما قال:

* اللَّهُ دَرُّ الْيَعْمَلَاتِ الْهَوْجِ *

وكما قال الأعشى:

وفيهما إذا ما هَجَرَتْ عَجْرَفِيَّةٌ
إِذَا خَلَتْ حِرْبَاءَ الْوَدِيقَةِ أَصِيدَا
والفضل: مَشِيَّةٌ فِيهَا اخْتِيَالٌ، كَأَنَّ مَشِيَّتَهَا تَخْرُجُ عَنْ خَطَامِهَا فَتَفْضُلُ عَلَيْهِ،
وَالْأَصْلُ فِي ذَلِكَ أَنَّ يَمْشَى الرَّجُلُ وَقَدْ أَفْضَلَ مِنْ إِزَارِهِ، وَتَمْشَى الْمَرْأَةُ وَقَدْ أَفْضَلَتْ
مِنْ ذَيْلِهَا، وَإِنَّمَا يُفْعَلُ ذَلِكَ مِنَ الْخِيَلَاءِ، وَلِذَلِكَ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «فَضْلُ الْإِزَارِ فِي
النَّارِ»، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي تَمِيمَةَ الْهُجَيْمِيِّ: «وَيْيَاكَ وَالْمَخِيلَةَ»^(٢)، فَقَالَ:
يَا رَسُولَ اللَّهِ، نَحْنُ قَوْمٌ عَرَبٌ، فَمَا الْمَخِيلَةُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سَبَلُ الْإِزَارِ».

(١) كَذَا فِي س، وَفِي الْأَصْلِ، س: «قَالَ آلَفٌ». (٢) الْمَخِيلَةُ: الْكِبَرُ وَالْعَجَبُ وَالْخِيَلَاءُ.

وقال الشاعر^(١) :

ولا يَنْسِينِي الحَدَثَانِ عِرْضِي ولا أَرْخِي مِنَ المَرْحِ الإِزارَا

وقال أبو قيس بن الأَنْصَارِيّ:

تَمْشِي الهُوَيْنِي إِذَا مَشَتْ قُطْفًا^(٢) كَأَنَّهَا عُوْدٌ بَانَةٌ قَصِفٌ

[قال أبو الحسن: هذا وهم من أبي العباس، ما تروى إِلَّا لقيس بن الخطيم
الأنصاري].

وقال الوليدُ بن يزيد:

أنا الوليدُ الإمامُ مُفْتَخِرًا أُنْقِلُ رَجُلِي إِلَى مَجَالِسِهَا
أُنْعِمُ بِأَلِي وَأَتَّبِعُ الغَزَلَ^(٣) وَلَا أَبَالِي مَقَالَ مَنْ عَذَلَا
غَرَاءُ فَرَعَاءُ يُسْتَضَاءُ بِهَا تَمْشِي الهُوَيْنِي إِذَا مَشَتْ قُضْلًا

ثم نعود إلى الباب، قال الراجزُ يصف إبلًا أو نوقًا^(٤) :

إِنَّ لَهَا لَسَائِقًا خَدَلَجًا لَمْ يُدَلِّجِ اللَّيْلَةَ فَيَمْنِ أَدَلَجَا
الخَدَلَجُ: المَدْمَجُ السَّاقِينِ: وإنما عَنَى المرأة التي ساقه حُبُّ إليها.

[ضروب الكلام]

والكلامُ يجرى على ضروب، فمنه ما يكونُ في الأصلِ لنفسِهِ، ومنه ما
يكنى عنه بغيره، ومنه ما يَقَعُ مَثَلًا، فيكونُ أَبْلَغُ في الوصفِ.

(١) زيادات ر: «ويقال إنه لقيس بن الخطيم».

(٢) كذا في الأصل، س، وفي ر: «فضلاً».

(٣) كذا في الأصل، وفي ر، س: قال على بن سليمان: ما نعرف هذا البيت إلا لقيس بن الخطيم
الأنصاري، يعنى: «تمشي الهويني».

(٤) كذا في الأصل: س، وفي ر: «يعنى إبله أو ناقته».

والكنايةُ تَقَعُ على ثلاثةِ أَصْرُبٍ:

أحدها: التَّعْمِيَةُ والتَّغْطِيَةُ، كقولِ النابغةِ الجَعْدِيِّ:

أَكْنَى بِغَيْرِ اسْمِهَا وَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ خَفِيَّاتِ كُلِّ مُكْتَتَمٍ^(١)

وقال ذو الرُّمَّة، استراحةً إلى التصريح من الكناية:

أَحِبُّ الْمَكَانَ الْقَفْرَ مِنْ أَجْلِ أَنْتَنِي بِهِ أَتَغْنَى بِاسْمِهَا غَيْرَ مُعْجَمٍ

وقال أحدُ القرشيين^(٢):

وَقَدْ أَرْسَلْتُ فِي السَّرِّ أَنْ قَدْ فَضَحْتَنِي وَقَدْ بَحَثَ بِاسْمِي فِي النَّسِيبِ وَمَا تَكْنِي

وَيُرَوَّى أَنَّ عَمَرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ قَالَ شِعْرًا، وَكَتَبَ بِهِ إِلَى امْرَأَةٍ مُحَرِّمَةٍ^(٣) بِحَضْرَةِ ابْنِ أَبِي عَتِيقٍ، وَهُوَ:

أَلَمَّا بِذَاتِ الْخَالِ فَاسْتَطَلَعَا لَنَا عَلَى الْعَهْدِ بَاقٍ وَدَهَا أَمْ تَصَرَّمَا
وَقَوْلًا لَهَا إِنْ النَّوَى أَجْنَبِيَّةً بِنَا وَبِكُمْ قَدْ خِفْتُ أَنْ تَتِمَّمَا

قال: فقال له ابنُ أبي عتيقٍ: ماذا تريدُ إلى امرأةٍ مسلمةٍ^(٤) مُحَرِّمَةٍ تَكْتُبُ إليها بمثلِ هذا الشعر! قال: فلما كان بعدَ مُدَيِّدَةٍ قال له ابنُ أبي رَبِيعَةَ:

أَعْلَمْتُ^(٥) أَنَّ الْجَوَابَ جَاءَ^(٦) مِنْ عِنْدِ ذَاكَ الْإِنْسَانِ؟ فَقَالَ لَهُ: مَا هُوَ؟ فَقَالَ: كَتَبْتُ:

أَضْحَى قَرِيضُكَ بِالْهَوَى نَمَامًا فَاقْصِدْ هُدَيْتَ وَكُنْ لَهُ كِتَامًا
وَاعْلَمْ بِأَنَّ الْخَالَ حِينَ ذَكَرْتَهُ قَعَدَ الْعَدُوُّ بِهِ عَلَيْكَ وَقَامَا

ويكونُ من الكناية - وذاك أحسنها - الرغبةُ عن اللفظِ الخسيسِ المُفْحَشِ إلى ما يدلُّ على معناه من غيره، قال الله - وله المثلُ الأعلى: ﴿أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ

(١) ر «مكتتم» بفتح التاءين.

(٢) زيادات ر «هو محمد بن نعيم الثقفي».

(٣) ر: «وكتب به محضرة ابن أبي عتيق إلى امرأة محرمة».

(٤) كلمة «مسلمة» ساقطة من س.

(٥) كذا في الأصل، ص، وفي س: «أما علمت».

(٦) كذا في الأصل، وفي س: «قد جاء»، وفي ر: «جاءنا».

الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ»^(١) وقال: «أَوْ لَا مَسْتَمُ النِّسَاءِ»^(٢) والمَلَامَسَةُ فِي قَوْلِ أَهْلِ
الْمَدِينَةِ - مَالِكٌ وَأَصْحَابُهُ - غَيْرُ كِنَايَةٍ، إِنَّمَا هُوَ اللَّمْسُ بِعَيْنِهِ، يَقُولُونَ فِي الرَّجُلِ
تَقَعُ يَدُهُ عَلَى أَمْرَأَتِهِ أَوْ عَلَى جَارِيَتِهِ بِشَهْوَةٍ^(٣): إِنْ وَضُوهُ قَدْ انْتَقَضَ.

وكَذَلِكَ قَوْلُهُمْ فِي قِضَاءِ الْحَاجَةِ: جَاءَ فُلَانٌ مِنَ الْغَائِطِ، وَإِنَّمَا الْغَائِطُ
الْوَادِي، وَكَذَلِكَ الْمَرْأَةُ، قَالَ عَمْرُو بْنُ مَعْدِي كَرَبَ الزُّبَيْدِيُّ:
فَكَمْ مِّنْ غَائِطٍ مِنْ دُونِ سَلَمَى قَلِيلِ الْإِنْسِ لَيْسَ بِهِ كَتِيعٌ

وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ فِي الْمَسِيحِ ابْنِ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا: «كَانَا
يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ»^(٤). وَإِنَّمَا هُوَ كِنَايَةٌ عَنْ قِضَاءِ الْحَاجَةِ. وَقَالَ: «وَقَالُوا لِحُلُودِهِمْ
لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا»^(٥)، وَإِنَّمَا هِيَ كِنَايَةٌ عَنِ الْفُرُوجِ. وَمِثْلُ هَذَا كَثِيرٌ.

وَالضَرْبُ الثَّلَاثُ مِنَ الْكِنَايَةِ: التَّفْخِيمُ وَالتَّعْظِيمُ، وَمِنْهُ اشْتَقَّتْ «الْكِنَايَةُ» وَهُوَ
أَنْ يُعْظَمَ الرَّجُلُ أَنْ يُدْعَى بِاسْمِهِ، وَوَقَعَتْ فِي الْكَلَامِ عَلَى ضَرْبَيْنِ: وَقَعَتْ فِي
الصَّبِيِّ عَلَى جِهَةِ التَّفَاوُلِ: بِأَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ وَيُدْعَى بِوَلَدِهِ كِنَايَةً عَنْ اسْمِهِ، وَفِي
الْكَبِيرِ أَنْ يُنَادَى بِاسْمِ وَلَدِهِ صِيَانَةً لِاسْمِهِ، وَإِنَّمَا يَقَالُ: كُنِيَ عَنْ كَذَا بِكَذَا، أَيْ تَرِكَ
كَذَا إِلَى كَذَا، لِبَعْضِ مَا ذَكَرْنَا.

وَكَانَ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيُّ لَعَنَهُ اللَّهُ يَلْعَنُ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى الْمَنْبَرِ
فَيَقُولُ: فَعَلَ اللَّهُ عَلَى عَلِيٍّ بِنِ أَبِي طَالِبٍ بِنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بِنِ هَاشِمٍ بِنِ عَبْدِ مَنَافٍ
ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَزَوْجِ ابْنَتِهِ فَاطِمَةَ وَأَبِي الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ. ثُمَّ يَقْبِلُ عَلَى
النَّاسِ وَيَقُولُ: أَكْنَيْتُ! فَهَذَا تَأْوِيلُ هَذَا.

[لِلْأَعْرَابِيِّ]

وَنَرْجِعُ إِلَى الْبَابِ الَّذِي قَصَدْنَا لَهُ:

وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ:

وَحَقُّهُ مِسْكٌ مِنْ نِسَاءٍ لَيْسَتْهَا شَبَابِي وَكَأْسٌ بَاكَرْتَنِي شَمُولُهَا^(٦)

(١) سورة البقرة: ١٨٧.

(٢) سورة النساء: ٤٣.

(٣) ر: «بشهوة».

(٤) سورة المائدة: ٧.

(٥) سورة فصلت: ٣١.

(٦) حقه مسك هنا، كناية عن المرأة.

جَدِيدَةً سَرِبَالِ الشَّبَابِ كَأَنَّهَا أَبَاءَهُ بَرْدِي سَقَتَهَا غُيُولَهَا
مُحْمَلَةً بِاللَّحْمِ مِنْ دُونِ خَصْرِهَا تَطُولُ الْقِصَارَ وَالطَّوَالَ تَطُولَهَا

قوله: «باكرتني شمولها»، زعم الأصمعي أن الخمر إنما سُميت شمولاً؛ لأن لها عصفةً كعصفة الريح الشمال.

وقوله: «أبَاءَهُ بَرْدِي»، الأبَاءَةُ: القَصَبَةُ، وجمعها الأبَاءُ. يافتي (١).

قال كعب بن مالك الأنصاري:
مَنْ سَرَّهُ ضَرْبُ يُرْعَبِلُ بَعْضُهُ بَعْضًا كَمَعْمَعَةِ الْأَبَاءِ الْمُحْرِقِ (٢)

المَعْمَعَةُ: صوت إحراقه، يقال: سمعتُ معمعة القصب. والقَوْصَرَةُ في النار، أي صوت احتراقها.

وإنما شبه المرأة بالبردية والقصبَةِ لبقاء اللونِ المستترِ منها وما وَالَاهُ وَرِقَّتْهُ.
قال حميد بن ثور الهلالي:

لَمْ أَلْقَ عَمْرَةً بَعْدَ إِذْ هِيَ نَاشِيٌ خَرَجَتْ مُعْطَفَةً عَلَيْهَا مِئْزُرُ
بَرَزَتْ عَقِيلَةً أَرْبَعَ هَادِيْنَهَا بِيضِ الْوَجْهِ كَأَنَّهُنَّ الْعُنْقَرُ

العطاف: الوشاح للناس، والعُنْقَرُ: أصول القصب، يقال: عُنْقَرُ وَعُنْقَرُ، وفي هذا الشعر:

ذَهَبَتْ بِعَقْلِكَ رِبْطَةً مَطْوِيَةً وَهِيَ الَّتِي تُهْدَى بِهَا لَوْ تُشَرُّ (٣)

[قال أبو الحسن: أنشدنيهِ ثَعْلَبٌ فِي قَوْلِهِ: «لَوْ تُشَرُّ»: «تَشَعْرُ»].

فَهَمَمْتُ أَنْ أَغْشَى إِلَيْهَا مِحْجَرًا وَلِمَثَلُهَا يُغْشَى إِلَيْهِ الْمِحْجَرُ (٤)

وقوله: «سَقَتَهَا غُيُولَهَا» الغِيلُ: هاهنا: الأجمة، ومن هذا قولهم: أُسْدُ غَيْلٍ، قال طرفة:

(١) ساقطة من ر . (٢) يرعبل: يمزق.

(٣) الربطة: الملاة البيضاء.

(٤) المحجر: المحرم.

أَسَدُ غَيْلٍ فَإِذَا مَا شَرِبُوا وَهَبُوا كُلَّ أُمُونٍ وَطِمِرٍ^(١)
وقد أَمَلِينَا جَمِيعَ مَا فِي الْغَيْلِ وَالْغَيْلِ .
وقوله :

* تَطُولُ الْقَصَارَ وَالطَّوَالَ تَطُولُهَا *

طال : يكون على ضَرْبَيْنِ : أحدهما تقديره : فَعَلَ ، وهو ما يقع في نفسه
انتقالا لا يتعدى إلى مفعول ، نحو ما كان كريماً فكَرُمَ ، وما كان ضيغاً ولقد
وَضَعَ ، وما كان شريفاً ولقد شَرُفَ ، وكان الشيءُ صغيراً فكَبُرَ ، وكذلك كان قصيراً
فطال ، وأصله «طَوَّلَ» .

وقد أَخْبَرْنَا بقصة الياء والواو إذا انفتح ما قبلهما وهما مُتَحَرِّكَتَانِ ، وعلى
ذلك يقال في الفاعل : «فَعِلَ» نحو شَرِيف ، وكَرِيم ، وطَوِيل . فإذا قلتُ : طَاوَلَنِي
فَطَلَّتُهُ ، أَيْ فَعَلَوْتُهُ طَوَلًا ، فتقديره «فَعَلَ» نحو خَاصَمَنِي فَخَصَمْتُهُ ، وَضَارَبَنِي
فَضَرَبْتُهُ ، وَفَاعَلُهُ طَائِلٌ ، كقولك ضاربٌ ، وَخَاصِمٌ . وفي الحديث : «كان رسولُ اللَّهِ
ﷺ فَوْقَ الرَّبْعَةِ ، وَإِذَا مَشَى مَعَ الطَّوَالَ طَالَهُمْ» .

[بين رياح بن سنيح وجري]

وقال رياحُ بن سُنَيْحِ الزَّنْجِيِّ مَوْلَى بَنِي نَاجِيَةٍ - وكان فصيحاً ، يُجِيبُ
جَرِيْرًا ، لما قال جريْرٌ :

لَا تَطْلُبُنَّ خَوْوَلَةَ فِي تَغْلِبِ فَالزَّنْجُ أَكْرَمُ مِنْهُمْ أَخْوَالَا
فتحركَ رِيَّاحٌ فذَكَرَ أَكْثَرَ مَنْ وَلَدَتْهُ الزَّنْجُ مِنْ أَشْرَافِ الْعَرَبِ فِي قَصِيدَةٍ
مشهورة معروفة ، يقول فيها .

وَالزَّنْجُ لَوْ لَاقَيْتَهُمْ فِي صَفِّهِمْ لَاقَيْتَ ثُمَّ جَحَاجِحًا أَبْطَالَا
مَا بِالْ كَلْبِ بَنِي كَلَيْبٍ سَبَّهِمْ إِنْ لَمْ يُؤَاوِزِ حَاجِبًا وَعَقَالَا
إِنَّ الْفَرَزْدَقَ صَخْرَةً عَادِيَةً طَالَتْ فَلَيْسَ تَنَالُهَا الْأَجْبَالَا

يريدُ : طَالَتْ الْأَجْبَالُ وَعَلَتْ^(٢) فَلَيْسَ تَنَالُهَا .

(١) الأمون : الناقة الوثيقة الخلق .

(٢) ساقطة من ر ، وهى فى الأصل .

[لَمْرَوَانُ بْنُ أَبِي حَفْصَةَ]

ثم نعودُ إلى ذكرِ البابِ .

وقال مَرَوَانُ بْنُ أَبِي حَفْصَةَ، وهو مروانُ بن سليمانَ بن يحيى بن يحيى بن أبي حفصة، واسمُ أبي حفصة يزيدُ:

إِنَّ الْعَوَانِي طَالَمَا قَتَلْنَا بُعْيُونَهُنَّ وَلَا يَدِينَ قَتِيلًا
مِنْ كُلِّ آنَسَةٍ كَأَنَّ حِجَالَهَا ضُمْنَ أَحْوَرَ فِي الْكِنَاسِ كَحِيلًا
أَرْدَيْنَ عُروَةً وَالْمَرْقَشَ قَبْلَهُ . كُلُّ أَصِيبَ وَمَا أَطَاقَ ذُهُولًا
وَلَقَدْ تَرَكْنَ أبا ذُؤَيْبٍ هَائِمًا وَلَقَدْ تَبَلَّنَ كُثِيرًا وَجَمِيلًا
وَتَرَكْنَ لابنَ أَبِي رَبِيعَةَ مَنْطِقًا فِيهِنَّ أَصْبَحَ سَائِرًا مَحْمُولًا
إِلَّا أَكْنَ مَمْنٌ قَتَلْنَ فَإِنِّي مَمْنٌ تَرَكْنَ فُؤَادَهُ مَخْبُولًا

قوله: «وَلَا يَدِينُ قَتِيلًا» يقال: ودَى يدي، وكلُّ ما كان من «فَعَلَ» مَّا فَاؤُهُ واوٌ ومضارعُهُ «يَفْعَلُ»، فالواوُ ساقطةٌ منه^(١)، لوقوعها بين ياء وكسرة، وكذلك ما كان منه على فَعَلٍ يَفْعَلُ؛ لأنَّ العلةَ في سقوط الواو كسرةُ العين بعدها. وقد مضى تفسيرُ هذا.

ولكن في «يَدِين» علةٌ أخرى، وهى أن الياءَ التى هى لامُ الفعل بعدَ كسرة، فهى تَعْتَلُّ اعتلالَ آخرٍ «يَرْمِي»، وأوَّلُهُ يَعْتَلُّ اعتلالَ واوٍ «يَعْدُ»، واحْتَمَلَ عِلَّتَيْنِ لِأَنَّ بينهما حاجزًا، ومثْلُ ذَلِكَ وَعَى يَعِى، وَوَقَى يَقِى، وَوَفَى يَفِى، وَوَشَى يَشِى، وَوَنَى فى أمرٍ^(٢) يَنِى، وما أشبهَ ذلك. وَيَقَعُ فى «فَعَلَ»، نحو وكى الأميرُ الآنَ يَلِى.

فإذا أمرتَ كان الفعلُ على حرفٍ واحدٍ فى الوصلِ، لا تُصَالِه بما بعده، تقولُ: يا زَيْدُ عِ كَلَامًا، وشِ ثَوْبًا، وتَقُولُ: لَ عَمْرًا يا زَيْدُ، من وكيتُ، فإذا وَقَفْتَ قلتُ: له، وشهْ، وقهْ، لا يكونُ إِلَّا ذَلِكَ، لأنَّ الواوَ تَسْقُطُ فَبَتَدِئُ بِمُتَحَرِّكٍ، فلا تَحْتَاجُ^(٢) إِلَى أَلِفٍ وَصَلِ^(٣)، فإذا وَقَفْتَ احتجتَ إلى ساكنٍ تَقِفَ عليه

(١) س: «فى أمره».

(٢) س: «يحتاج».

(٣) س: «الوصل».

فأدخلت الهاء لبيان الحركة^(١) في الأول، ولم يَجُزْ إلا ذلك. ومن قال لك: اللفظ «لى» بحرف واحد غير موصول فقد سأل^(٢) محالا، لأنك لا تبتدئ إلا بمحرك. ولا تقف إلا على ساكن، فقد قال لك اللفظ «لى» بساكن متحرك فى حال.

وقوله: «ضَمَّنَ» يقال: ضَمَّنَ القبرُ زيدا، وضَمَّنَ القبرَ زيدٌ، كلُّ صحيح. فمن قال: ضَمَّنَ القبرُ زيدا، فإنما أراد جعلَ القبرِ ضَمِينِ زيد. ومن قال: ضَمَّنَ زيدُ القبرَ، فإنما أراد: جعلَ زيدٌ فى ضَمْنِ القبرِ، وينشدُ هذا البيت على وجهين: وَمَا غَائِبٌ مَنْ غَابَ يُرْجَى إِيَابُهُ وَلَكِنَّهُ مَنْ ضَمَّنَ اللَّحْدَ غَائِبٌ^(٣)

ومن روى «ضَمَّنَ اللَّحْدَ غَائِبٌ» يريدُ من ضَمَّنَهُ اللَّحْدُ، وحذفَ الهاء من صِلَةِ «مَنْ»، وهذا من الواضح الذى لا يحتاج إلى تفسير.

وقوله: «أَحْوَرُ» يعنى ظبيًا، وأهلُ الغريب يذهبون إلى أن «الْحَوْرَ» فى العين شدةُ سوادِ سوادها وشدةُ بياضِ بياضها، والذى عليه العرب إنما هو نقاءُ البياض، فعند ذلك يتَّضح السواد. وقد فسرنا الحورَ والحواريَّ.

والكناسُ: حيثُ تكنسُ البقرة والطَّيِّئَةُ، وهو أن تتخذَ فى الشجرة العاديَّة كالبيت تأوى إليه وتبعرُ فيه، فيقال إن رائحته أطيبُ رائحة، لطيب ما ترتعى، قال ذو الرمة:

إِذَا اسْتَهَلَّتْ عَلَيْهِ غَبِيَّةٌ أَرْجَتْ مَرَابِضُ الْعَيْنِ حَتَّى يَأْرَجَ الْخَشَبُ
كَأَنَّهُ بَيْتٌ عَطَّارٌ يُضَمَّنُهُ لَطَائِمُ الْمِسْكِ يَحْوِيهَا وَتَنْتَهَبُ^(٤)

قوله: «غَبِيَّةٌ» هى الدَّفْعَةُ من المطر، وعند ذلك تتحركُ الرائحة.

والأرجُ: توهجُ الرِّيحِ، وإنما يُستعملُ [ذلك] فى الرِّيحِ الطيبة.

والعين: جمعُ عَيْنَاءٍ، يعنى البقرة الوحشية، وبها شُبَّهَتِ المرأة، فقيل: حورٌ

عينٌ.

واللَّطِيْمَةُ: الإبلُ التى تَحْمِلُ العِطْرَ والبَزَّ، لا تكونُ لغير ذلك.

(١) س: «حركة الأول».

(٢) س: «سأل».

(٣) زيادات ر: «لأبى حبة النيمى».

(٤) من س.

فيقول: ضُمنَ ظَبِيًّا أَحَوَرَ الْعَيْنِ أَكْحَلَ، وَجَعَلَ الْحِجَالَ كَالْكِنَاسِ. وقال ابن عباس في قول الله جلَّ وعزَّ: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ * الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾^(١). قال: أُقْسِمَ^(٢) يَبْقِرُ الْوَحْشَ لَأَنهَا خُنْسُ الْأُنُوفِ، وَالْكُنَّسُ: الَّتِي تَلْزَمُ الْكِنَاسَ. وقال غيره: أُقْسِمَ بِالنُّجُومِ الَّتِي تَجْرِي بِاللَّيْلِ وَتَخُنْسُ بِالنَّهَارِ، وَهُوَ الْأَكْثَرُ.

وقوله: «أُرْدِينَ». يقول^(٣): أَهْلَكُنْ. وَالرَّدَى الْهَلَاكُ وَالْمَوْتُ مِنْ ذَا. وَالذَّهُولُ الْإِنْصِرَافُ. يُقَالُ: ذَهَلَ^(٤) عَنْ كَذَا وَكَذَا: إِذَا انْصَرَفَ عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ. قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَوْمَ تَرَوْنها تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾ أَي تَسْلَى وَتَنْسَى عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ.

قال كثير:

صَحَا قَلْبُهُ يَا عَزَّ أَوْ كَادَ يَذْهَلُ وَأَضْحَى يُرِيدُ الصَّرْمَ أَوْ يَتَدَلَّلُ

وقوله:

* وَلَقَدْ تَبَلَّنَ كَثِيرًا وَجَمِيلًا *

أَصْلُ التَّبَلِّ التَّرَّةُ. يُقَالُ: تَبَلَّى عِنْدَ فُلَانٍ، قَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ:
تَبَلْتُ فُؤَادَكَ فِي الْمَنَامِ خَرِيدَةً تَشْفِي الضَّجِيعَ بِبَارِدِ بَسَامٍ
وَالْخَرِيدَةُ: الْحَيَّةُ.

وقوله:

* مَن تَرَكَنَ فُؤَادَهُ مَحْبُولًا *

يريد: الْخَبْلَ، وَهُوَ الْجَنُونُ، وَلَوْ قَالَ: «مَحْبُولًا» لَكَانَ حَسَنًا يَرِيدُ مَصِيدًا
وَاقِعًا فِي الْحَبَالَةِ، كَمَا قَالَ الْأَعَشَى:
فَكُلُّنَا هَائِمٌ فِي إِثْرِ صَاحِبِهِ دَانٍ وَنَاءٍ وَمَخْبُولٌ وَمَحْتَبِلٌ

(١) سورة التكوين ١٥، ١٦.

(٢) كَذَا فِي الْأَصْلِ، وَفِي ر: «أَقْسَمَ» عَلَى الْمَضَارِعِ.

(٣) كَذَا س، وَالْأَصْلُ: أُرْدِينُ: أَهْلَكُنْ.

(٤) كَذَا الْأَصْلُ، وَفِي ر. «ذَهَلَ»، بِكسر الهاء.

[من طرائف العشاق]

وخبَّرتُ أن رجلاً جافياً عَشِقَ قَينَةَ حَضَريَّةَ، فكلَّمها يوماً على ظَهرِ الطَّرِيقِ فلم تكلمه، فظَنَّ أن ذاك حَياءٌ منها، فقال: يا خَريْدَةُ! قد كنتُ أَحْسِبُكَ عَرُوباً، فما بَالنا نَمُكُّكَ وَتَشْتَتِينَا! فقالت: يا بَنَ الحَبِيبَةِ! أَتَجَمِّسُنِي بِالْهَمَزِ!

الخَريْدَةُ: الحَبِيبَةُ. والعَرُوبُ: الحَسَنَةُ التَّبَعْلُ، وَفَسَّرَ في القرآنِ على ذلك في قوله: ﴿عَرَبًا أْتَرَابًا﴾^(١). فقيل: هُنَّ المُحَبَّاتُ لِأَزْوَاجِهِنَّ.

قال أَوْسُ بنُ حَجَرٍ (٢):

* تَصْنِي الحَلِيمِ عَرُوبَ غَيْرِ مِكَلاَحِ (٣) *

وذكر الليثي أن رجلاً كان يحب^(٤) جاريةً ولم يكن يُحَسِّنُ مما يُتَوَصَّلُ به إلى النساءِ شيئاً، إلا أنه كان يحفظُ القرآنَ، فكانَ يُتَوَصَّلُ إليها بِالآيَةِ بعدَ الآيَةِ، فكانَ إِنْ وَعَدَتْهُ فَأَخْلَفَتْهُ تَحِينَ وَتَمَّ مَرُورُهَا، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾^(٥) وَإِنْ خَرَجَتْ خَرَجَ وَلَمْ يَعْلَمْ بِهَا فَيَنْتَظِرُ تَحِينَهَا فِي أُخْرَى فَتَلَا: ﴿وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ﴾^(٦). وَإِنْ وَشَى بِهِ إِلَيْهَا وَاشْتَبَّ إِلَيْهَا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بَنِيًّا فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ﴾^(٧).

وذكروا أن أبا القمقام^(٨) بن بحر السَّقاءَ عَشِقَ جاريةَ مَدِينَةَ، فَبَعَثَ إِلَيْهَا: إِنَّ إِخْوَانًا لِي زَارُونِي، فابْعَثِي إِلَيَّ بَرءَوسَ حَتَّى نَتَغَدَّى^(٩) وَنَصْطَبِحَ [اليوم]^(١٠) عَلَى ذِكْرِكَ، ففعلتُ، فلما كانَ في^(١١) اليَوْمِ الثَّانِي بَعَثَ إِلَيْهَا: إِنَّ الْقَوْمَ مُقِيمُونَ لَمْ

(١) سورة الواقعة ٣٧.

(٢) زيادات ر: «ويقال عبيد بن الأبرص» وصدّره كما في الزيادات.

* وَقَدْ لَهَوْتُ بِمِثْلِ الرُّمِّ آنَسَ *

(٤) ر: «أحب جارية».

(٦) سورة الأعراف ١٨٨.

(٣) أي غير عبوس.

(٥) سورة الصف ٢.

(٧) سورة الحجرات ٦.

(٨) كذا في الأصل، س، وفي ر: «القمقام».

(٩) كذا في الأصل، س، وفي ر: «تناكلها».

(١١) ساقطة من ر.

(١٠) تكملة من س.

نَفَرْتُ، فابْعَثْنِي إِلَى بَقْلِيَّةٍ جَزْوَريَّةٍ وَبَقْرِيَّةٍ قَدِيَّةٍ^(١) حَتَّى نَتَغَدَّاهَا وَنَصْطَبِحَ عَلَى ذِكْرِكَ. فَلَمَّا كَانَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ بَعَثَ إِلَيْهَا: إِنَّا لَمْ نَفْتَرِقْ، فابْعَثْنِي إِلَى بَسْنُوسِكَ^(٢) حَتَّى نَصْطَبِحَ الْيَوْمَ عَلَى ذِكْرِكَ، فَقَالَتْ لِرَسُولِهِ: إِنِّي رَأَيْتُ الْحَبَّ يَحُلُّ فِي الْقَلْبِ، وَيَفِضُ إِلَى الْكَبِدِ وَالْأَحْشَاءِ. وَإِنَّ حُبَّ صَاحِبِنَا هَذَا لَيْسَ يُجَاوِرُ الْمَعِدَةَ.

وَحَبَّرْتُ أَنَّ أَبَا الْعَتَاهِيَّةَ كَانَ قَدْ اسْتَأْذَنَ فِي أَنْ يُطْلَقَ لَهُ أَنْ يُهْدَى إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمَهْدِيِّ فِي النَّيْرُوزِ وَالْمَهْرَجَانِ، فَأَهْدَى فِي أَحَدِهِمَا بَرْنِيَّةً ضَخْمَةً، فِيهَا ثَوْبٌ نَاعِمٌ مُطَيَّبٌ، قَدْ كَتَبَ فِي حَوَاشِيهِ:

نَفْسِي بِشَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا مَعْلُوقَةٌ اللَّهُ وَالْقَائِمُ الْمَهْدِيُّ يَكْفِيهَا
إِنِّي لَا يُثَسُّ مِنْهَا ثُمَّ يُطْمَعُنِي فِيهَا احْتِقَارُكَ لِلدُّنْيَا بِمَا فِيهَا^(٣)

فَهُمْ بَدَفَعُوا عُتْبَةَ إِلَيْهِ، فَجَزَعَتْ، وَقَالَتْ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَبَعْدَ حُرْمَتِي وَخِدْمَتِي تَدْفَعُنِي^(٤) إِلَى رَجُلٍ قَبِيحٍ الْمَنْظَرِ بَائِعٍ جَرَّارٍ وَمُكْتَسِبٍ بِالْعَشْقِ! فَأَعْفَاهَا، وَقَالَ: امْلُؤُوا لَهُ^(٥) هَذِهِ الْبَرْنِيَّةَ مَا لَا، فَقَالَ لِلْكَتَّابِ: أَمْرًا لِي بِدَنَانِيرَ فَقَالُوا مَا نَدْفَعُ ذَلِكَ، وَلَكِنْ إِنْ^(٦) شِئْتَ أَعْطَيْنَاكَ دَرَاهِمَ إِلَى أَنْ يُفْصَحَ بِمَا أَرَادَ، فَاخْتَلَفَ فِي ذَلِكَ حَوْلًا، فَقَالَتْ عُتْبَةُ: لَوْ كَانَ عَاشِقًا كَمَا يَزْعُمُ لَمْ يَكُنْ يَخْتَلِفُ مُنْذُ حَوْلٍ فِي التَّمْيِيزِ بَيْنَ الدَّرَاهِمِ وَالْدَنَانِيرِ، وَقَدْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي صَفْحًا.

وَدَعَتْ أَبَا الْحَارِثِ جُمَيْنَ^(٧) وَاحِدَةً كَانَ يَحِبُّهَا، فَجَعَلَتْ تَحْدِثُهُ وَلَا تَذْكُرُ

(١) القليلة الجزورية: مرقعة تتخذ من لحوم الجزور وأكبادها: وبقرية: قطعة من لحم البقر، وقدية: طيبة الطعم، طيبة الريح.

(٢) بسنوسك، فارسي معرب، وهو من ضروب الأطعمة.

(٣) ر، س: «وما فيها» وما أثبتته من الأصل.

(٤) ر: «حرمتي وخدمتي أتدفعني»، وما أثبتته عن الأصل.

(٥) ساقطة من ر.

(٦) كذا في الأصل، س، وفي ر: «إذا».

(٧) ر، س: «جميز»، وصوابه ما في الأصل، وهو جمين المدني صاحب النوادر والمزح وانظر المشتبه ١٧٥.

الطعام، فلما طال ذلك به قال: جعلني الله فداك! لا أَسْمَعُ للغداء^(١) ذِكْرًا. قالت: أما تستحي! أما في وجهي ما يشغلك عن ذاك؟ فقال لها: جعلني الله فداك! لو أن جميلاً وبئينة قعدا ساعة لا يأكلان شيئاً لبزق كل واحد منهما في وجه صاحبه وافترقا.

وأنشدت لأعرابي:

وقد رابني من زهدم أن زهدمًا يشدُّ على خُبزى ويبكي على جُمْلٍ
فلو كنت عذري العَلاقة لم تكن سمينًا وأنساك الهوى كثرة الأكلِ
وقال أعرابي:

ذَكَرْتُكَ ذِكْرَةً فَاصْطَدْتُ ضَبًّا وكنت إذا ذَكَرْتُكَ لا أَخِيبُ

[لذي الرمة في مي]

وقال ذو الرمة:

ألم تعلمي يأمي أنا وبيننا مَهاو لطوف العين فيهن مَطْرَحُ
ذَكَرْتُكَ إِنْ مَرَّتْ بِنَا أَمْ شَادَن أَمَامَ الْمُطَايَا تَشْرَبُ وَتَسْنَحُ
مِنَ الْمُؤَلَّفَاتِ الرَّمْلَ أَدْمَاءُ حُرَّة شِعَاعُ الضُّحَى فِي لَوْنِهَا يَتَوَضَّحُ
هِيَ الشَّيْبَةُ أَعْطَافًا وَجِيدًا وَمُقَلَّةً وَمِيَّةُ أَبْهَى بَعْدُ مِنْهَا وَأَمْلَحُ
كَأَنَّ الْبُرَى وَالْعَاجَ عِجَّتْ مُتُونَهُ عَلَى عَشْرِ نَهَى بِهِ السَّيْلُ أَبْطَحُ
لئن كانت الدنيا على كما أرى تَبَارِيحُ مِنْ ذِكْرَاكَ لِلْمَوْتِ أَرُوحُ

قوله: «مهاو»، واحدتها مهواة، وهو الهواء بين الشيتين.

ويقال: لفلان في داره مَطْرَحٌ إذا وصفها بالسعة، يقال: فلان يطرحُ بصره كذا مرةً وكذا مرةً، وأنشد سيبويه:

نَظَّارَةٌ حِينَ تَعْلُو الشَّمْسُ رَاكِبَهَا طَرَحًا بَعَيْنِي لِيَّاحٍ فِيهِ تَحْدِيدُ
اللياحُ من البياض، واللَّوْحُ: العطش، واللَّوْحُ: الهواء.
والشَّادِنُ: الذي قد شَدَنَ، أى تحرَّك.

(١) كذا في الأصل، س، وفي ر: «الغداء».

وقوله: «تَشْرَبُ»، يقال: إذا وَقَفَ يَنْظُرُ كَالْمَتَحَيِّرِ: قد اشْرَأَبَ نحوى، ويقال: هو يَسْرَحُ فى المَرْعى.

وقوله: «من المُولَفَات»، يقال: «أَلَفْتُ المَكَانَ أَوْلَفُهُ إِيْلَاقًا»، ويقال: أَلَفْتُهُ إِيْلَاقًا، وفى القرآن الكريم: «لَا إِلَهَ إِلَّا قُرَيْشٌ إِيْلَافِهِمْ»^(١) وقرءوا: «إِلَافِهِمْ» على القصر.

وقوله: «الرَّمْلَ» النصبُ فيه أجودُ بالفعلِ، ويجوز الخفضُ على شىءٍ نذكره بعد الفراغ من هذا الباب، إن شاء الله.
وأصلُ الهِجَانِ الأَبْيَضُ.

والعطفُ: ما انثنى من العُنُقِ، قال تعالى: «ثَانِي عِطْفِهِ»^(٢). ويقال للأردية: العَطْفُ؛ لأنها تَقَعُ على ذلك الموضع.

وفى الحديث: أَنَّ قومًا يزعمون أنهم من قريش أتوا عمر بن الخطاب رحمه الله، وكان قائمًا^(٣)، لِيُشَبِّتَهُمْ فى قُرَيْشٍ. فقال: اخرجوا بنا إلى البقيع. فنظرَ إلى أكفهم، ثم قال: اطرَحُوا العُطْفَ - واحدها عَطَافٌ - ثم أمرهم فأقبلوا وأدبروا. ثم أقبل عليهم فقال: لَيْسَتْ بِأكْفٍ قُرَيْشٍ ولا شَمَائِلِهَا، فأعطاهم فِيمَن هُمْ منه.
والجيدُ: العُنُقُ.

والبرى: الحَلَاخِيلُ، واحدها بُرَّةٌ، وهى من الناقَةِ التى تَقَعُ فى مارِنِ الأنثى، والذى يَقَعُ فى العَظْمِ يقالُ له الخِشَاشُ.

والعاج كان يَتَّخِذُ مكانَ الأَسُورَةِ، قال جريرُ:

تَرَى العَبَسَ الجَوْلَى جَوْنًا بِكُوعِهَا لها مَسْكًا من غيرِ عَاجٍ ولا ذَبَلٍ

العَبَسُ: ما تَعَلَّقَ^(٤) من الأَبْعَارِ والبُولِ بِأَذْنَابِ الإِبِلِ، والودَحُ: الذى تَعَلَّقَ بِأَطْرَافِ إِيْلَاءِ الشَّاءِ. ويكون العَبَسُ فى أَذْنَابِ الإِبِلِ من البُولِ إذا خَثِرَ.

(١) سورة قريش: ١.

(٢) سورة الحج: ٩.

(٣) القيافة: تتبع الآثار ومعرفتها.

(٤) كذا فى الأصل، س، وفى ر: «ما يتعلق».

والجَوْنُ هاهنا: الأسود وهو الأغلبُ فيه، والكَوْعُ: رأسُ الزَّندِ الذي يَلِي الإِبْهَامَ. والكَرْسُوعُ: رأسُه الذي يَلِي الخَنْصَرَ. والمَسْكَةُ: السَّوَارُ. والذَّيْلُ: شَيْءٌ يَتَّخِذُ مِنَ الْقُرُونِ كَالْأَسْوَرَةِ، يُقَالُ: سَوَارٌ وَسَوَارٌ، وإِسْوَارٌ، قَالَتِ الْخَنَسَاءُ:
* كَأَنَّهُ تَحْتَ طَيِّ الْبُرْدِ إِسْوَارٌ *

والعُشْرُ: شَجَرٌ بَعِينُهُ.
والأَبْطَحُ: مَا انْبَطَحَ مِنَ الْوَادِي، يُقَالُ: أَبْطَحُ وَبَطْحَاءُ يَافَتِي، وَأَبْرَقُ وَبَرَقَاءُ، وَأَمْعَزُ وَمَعْزَاءُ، وَهَذَا كَثِيرٌ.
والتَّبَارِيحُ: الشَّدَائِدُ. يُقَالُ: بَرَّحَ بِهِ، وَفِي الْحَدِيثِ: «فَأَيْنَ أَصْحَابُ النَّهْرِ؟» قَالَ: لَقُوا بَرَحًا، وَالْعَرَبُ لَا تَعْرِفُهُ إِلَّا سَاكِنَ الرَّاءِ، قَالَ جَرِيرٌ:
مَا كُنْتُ أَوَّلَ مَشْغُوفٍ أَضْرَبَهُ بَرَحُ الْهَوَى وَعَذَابٌ غَيْرُ تَفْسِيرِ

[قال أبو الحسن. وقد سمعنا من غير أبي العباس. يقال: لقيت منك برحًا. بالفتح. ويقال: لقي منه البرحين. أى الدواهي الشداد التي تبرح.]

[ما قيل في السر وكتمانه]

قال أبو العباس في المثل السائر: قيل لرجل: ما خفي؟ قال: ما لم يكن.
وفي تفسير هذه الآية: «يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى»^(١). قال: مَا حَدَّثَتْ بِهِ نَفْسَكَ. كما قال: «أَوْ أَكُنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ»^(٢) تقديره في العريية: وَأَخْفَى مِنْهُ.
والعربُ تحذفُ مثل هذا، فيقولُ القائلُ: مررتُ بالفيلِ أو أعْظَمَ، وإنه كالْبَقَّةِ^(٣) أو أصْغَرُ، ولو قال: رأيتُ زيداً أو شَبِيهاً لجاز؛ لأنَّ في الكلام دليلًا، ولو قال: رأيتُ الجمَلَ، أو رَاكِبًا، وهو يريدُ: «عليه»: لم يَجْزُ لأنه لا دليلَ فيه، والأوَّلُ إنما قَرَّبَ شيئًا من شيءٍ، وهاهنا إنما ذكر شيئًا ليس من شَكْلِ ما قَبْلَهُ.
فأما قوله جلَّ ثناؤه: «وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ»^(٤) ففيه قولان: أحدهما - وهو

(١) سورة طه ٧.

(٢) سورة البقرة ٢٣٥.

(٣) ر: «الكلبة»، وما أثبتته عن الأصل، س.

(٤) سورة الروم ٢٧.

المرضى عندنا - : إنما هو: وهو عليه هين، لأن الله جلّ وعزّ لا يكون عليه شيء أهون من شيء آخر، وقد قال معن بن أوس:

لعمرك ما أدرى وإنّي لأوجلّ على أينّا تغدو المنيّة أولّ

أراد: وإنّي لأوجلّ، وكذلك يتأوّل ما في الأذان: «الله أكبر الله أكبر»، أى الله كبير، لأنه إنما يفاضل بين الشيئين إذا كانا من جنس واحد^(١)، يقال: هذا أكبر من هذا، إذا شاكله فى باب.

فأما «الله أجود من فلان» و«الله أعلم بذلك منك»، فوجهه^(٢) بين، لأنه من طريق العلم والمعرفة والبذل والإعطاء.

وقوم يقولون: «الله أكبر من كل شيء»، وليس يقع هذا على محض الروية^(٣)، لأنه تبارك وتعالى ليس كمثله شيء^(٤)، وكذلك قول الفرزدق:

إنّ الذى سمك السماء بنى لنا يئّتا دعائمه أعزّ وأطول

جائز أن يكون قال للذى يخاطبه: «من بيتك»، فاستغنى عن ذكر ذلك بما جرى من المخاطبة والمفاخرة، وجائز أن تكون دعائمه عزيزة طويلة، كما قال الآخر^(٥).

فُبَحْتُمُ يا آلَ زَيْدٍ نَفَرًا أَلَامُ قَوْمٍ أَصْغَرًا وَأَكْبَرًا

يريد: صغارًا وكبارًا.

فأما قول مالك بن نويرة فى ذؤاب بن ربيعة حيث قتل عتيبة بن الحارث بن شهاب، وفخر^(٦) بنى أسد بذلك، مع كثرة من قتلت بنو يربوع منهم:

فَخَرَّتْ بَنُو أَسَدٍ بِمَقْتَلِ وَاحِدٍ صَدَقَتْ بَنُو أَسَدٍ عُتَيْبَةُ أَفْضَلُ

فإنما معناه أفضل ممن قتلوا، على ذلك يدلُّ الكلام، وقد أبان ما قلنا فى

بيته الثانى بقوله:

(١) ساقطة من ر.

(٢) ر: «توجهه».

(٣) ر: «الروية»، وما أثبتته عن الأصل، س.

(٤) ساقطة من ر.

(٥) ر: «قال الراجز»، وما أثبتته عن الأصل، س.

(٦) ر: «وفخر» بالرفع، وما أثبتته عن الأصل.

فَخَرُوا بِمَقْتَلِهِ وَلَا يُوفِي بِهِ مَثْنَى سَرَاتِهِمُ الَّذِينَ نُقِلْتُ
والقولُ الثاني في الآية: وهو أهونُ عليه عندكم، لأن إعادة الشيء عند
الناس أهونُ من ابتدائه حتى يجعل شيئاً من لا شيء.

ثم نعودُ إلى الباب.

قال زهير:

ومهما تكن عند امرئٍ من خَلِيقَةٍ ولو خالها تخفى على الناس تعلم
فهذا مثلُ المثل الذي ذكرناه.

وقال عمرو بن العاص: إذا أنا أفشيتُ سرِّي إلى صديقٍ فأذاعه فهو في
حل، فقيل له: وكيف ذاك؟ قال: أنا كنتُ أحقُّ بصيانتِهِ.

وقال امرؤ القيس:

إذا المرءُ لم يخزنْ عليه لِسَانَهُ فليسَ على شيءٍ سِوَاهُ بخزان

وأحسنَ ما سُمِعَ في هذا ما يُعزى إلى عليِّ بن أبي طالب رضى الله عنه،
فقال يقول: هو له، ويقول آخرون: قاله مُتمثلاً، ولم يُختلف في أنه كان يكثرُ
إنشاده:

فلا تُفشِ سِرَّكَ إِلَّا إِلَيْكَ فإنَّ لكلَّ نصيحٍ نصيحاً
وإنِّي رأيتُ غِوَاةَ الرَّجَا لَ لَا يَتْرُكُونَ أَدِيمًا صَحِيحاً

وذكر العُتْبِيُّ أَنَّ معاويةَ بن أبي سفيانَ أسرَّ إلى عثمان بن عُبَيْسَةَ بن أبي
سفيانَ حديثاً، قال عثمان: فجئتُ إلى أبي، فقلت: إنَّ أميرَ المؤمنين أسرَّ إلى
حديثاً، أفأحدثُك به؟ قال: لا، إنه من كتمَ حديثه كان الخیارُ إليه؛ ومن أظْهره
كان الخیارُ عليه، فلا تجعلُ نفسك مملوكاً بعد أن كنتَ مالكا، فقلت له: أو يدخلُ
هذا بين الرجل وأبيه؟ فقال: لا. ولكني أكره أن تُذللَ لِسَانَكَ بإفشاء السرِّ، قال:
فرجعتُ إلى معاوية، فذكرتُ ذلك له، فقال معاوية: أعتقك أخى من رِقِ الخطأ.
وقال معاوية: أُعنتُ على عليٍّ رحمه الله بأربع: كنتُ رجلاً أكتُمُ سرِّي،

وكان رجلاً ظُهْرَةً^(١)، وكنتُ في أطوع جُند وأصلحه، وكان في أحب جند وأعصاه، وتركته وأصحابَ الجملِ وقلتُ: إنَّ ظَفَرُوا به كانوا أهونَ عليَّ منه، وإنَّ ظَفَرَ بهم اعتدَدْتُ بها عليه في دينه، وكنتُ أحبُّ إلى قُرَيْشٍ منه، فَيَا لَكَ من جامعٍ إلى ومُفَرِّقٍ عنه، وعَوْنٌ لِي وعَوْنٌ عليه!

وقال أَرْدَشِيرُ: الدَّاءُ في كلِّ مكتومٍ.

وقال الأَخطلُ:

إِن العداوةَ تَلْقَاهَا وَإِن قَدُمْتُ كَالْعُرِّ يَكْمُنُ حِينًا ثُمَّ يَنْتَشِرُ

وقال جَمِيلُ:

وَلَا يَسْمَعَنَّ سِرِّي وَسِرَّكَ ثَالِثُ أَلَا كُلُّ سِرٍّ جَاوَزَ اثْنَيْنِ شَائِعُ

وقال آخَرُ، وهو مِسْكِينُ الدَّارِمِيِّ:

وَفَتَيَانُ صَدَقَ لَسْتُ أَطْلَعُ بَعْضَهُمْ^(٢) عَلَى سِرِّ بَعْضٍ غَيْرَ أَنِّي جَمَاعُهَا
يَظْلُتُونَ فِي الْأَرْضِ الْفَضَاءِ وَسِرَّهُمْ إِلَى صَخْرَةٍ أَعْيَا الرِّجَالَ انْصِدَاعُهَا
لِكُلِّ امْرَأٍ شِعْبٌ مِنَ الْقَلْبِ فَارِغُ وَمَوْضِعُ نَجْوَى لَا يَرَامُ اضْطِلَاعُهَا

وقال آخَرُ:

سَأَكْتُمُهُ سِرِّي وَأَحْفَظُ سِرَّهُ وَلَا غَرَبَنِي أَنِّي عَلَيْهِ كَرِيمُ
حَلِيمٌ فَيَنْسَى أَوْ جَهْلٌ يُضِيعُهُ وَمَا النَّاسُ إِلَّا جَاهِلٌ وَحَلِيمُ
وَكَانَ يُقَالُ: أَصْبَرُ النَّاسِ مَنْ صَبَرَ عَلَى كِتْمَانِ سِرِّهِ وَلَمْ يُبْدِهِ لَصَدِيقِهِ فَيُوشِكُ أَنْ يَصِيرَ عَدُوًّا فَيُذِيعُهُ.

وقال العُتْبِيُّ:

وَلِي صَاحِبٌ سِرِّي الْمُكْتَمُ عِنْدَهُ مَخَارِيقُ نِيرَانٍ بَلِيلٍ تُحَرِّقُ^(٣)

(١) أى يظهر أمره للناس.

(٢) ر: «لست مطلع بعضهم»، وما أثبتته عن الأصل، س.

(٣) مخاريق: جمع مخراق، وهو ما تلعب به الصبيان من الخرق المفتولة، يضرب بعضهم بعضاً، وكنى بتحريقها عن إذاعة سره. قاله المصنفى.

عَظَفْتُ عَلَى أَسْرَارِهِ فَكَسَوْتُهَا
فَمَنْ تَكُنْ الْأَسْرَارُ تَطْفُو بِصَدْرِهِ
فَلَا تودَعَنَّ الدَّهْرَ سِرَّكَ أَحْمَقًا
وَحَسْبُكَ فِي سِتْرِ الْأَحَادِيثِ وَاعْظًا
«إِذَا ضَاقَ صَدْرُ الْمَرْءِ عَنْ سِرِّ نَفْسِهِ

وَقَالَ كَعْبُ بْنُ سَعْدٍ الْغَنَوِيُّ:

وَلَسْتُ بِمُبْدٍ لِلرِّجَالِ سَرِيرَتِي
[وَلَا أَنَا يَوْمًا لِلْحَدِيثِ سَمِيعُهُ
وَلَا أَنَا (١) عَنْ أَسْرَارِهِمْ بِسُّؤْلِ
إِلَى هَاهُنَا مِنْ هَاهُنَا بِنَقُولِ (٢)]

وقد ذكرنا قولَ العباسِ بن عبد المطلب رحمه الله لابنه عبد الله: إن هذا الرجل قد اختصَّكَ دونَ أصحابِ رسول الله ﷺ، فاحفظْ عني ثلاثًا: لا يُجَرِّبَنَّ عليك كَذِبًا، ولا تُفْشِينَ له سرًّا، ولا تَغْتَبُ عنده أحدًا. ففيلَ لابن عباس: كل واحدةٍ منهنَّ خيرٌ من ألفِ دينارٍ، فقال: كل واحدةٍ منهنَّ خيرٌ من عشرةِ آلافِ.

وَقَالَ بَعْضُ الْمُحَدِّثِينَ:

لِي حِيلَةٌ فَيَمْنَنَ
مَنْ كَانَ يَكْذِبُ مَا يَرِي
مُ وَلَيْسَ فِي الْكَذَّابِ حِيلَةٌ
بَدَ فحِيلَتِي فِيهِ قَلِيلَةٌ (٣)

وَقَالَ آخَرُ [قَالَ أَبُو الْحَسَنِ: هُوَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْمُبَرَّدُ]:

إِنَّ لِلنَّمُومِ أُعْطِيَ دُونَهُ خَبْرِي
وَلَيْسَ لِي حِيلَةٌ فِي مُفْتَرِي الْكَذِبِ

وَقَالَ بَعْضُ الْمُحَدِّثِينَ:

كَتَمْتُ الْهَوَى حَتَّى إِذَا نَطَقْتُ بِهِ
وَشَاعَ الَّذِي أَضْمَرْتُ مِنْ غَيْرِ مَنْطِقٍ
بِوَادِرٍ مِنْ دَمْعٍ يَسِيلُ عَلَى خَدِّي (٤)
كَأَنَّ ضَمِيرَ الْقَلْبِ يَرْشَحُ مِنْ جِلْدِي

(١) ر: «وما أنا».

(٢) حاشية الأصل: «البيت الثاني سقط من الأصل، وثبت عند ش».

(٣) كذا في الأصل، س، وفي ر: «من كان يخلق ما يقول».

(٤) ر: «تسيل على الخد».

وقال جميلُ بن عبد الله بن معمرِ العُدريُّ (١) :

إذا جاوزَ الإثنينِ سرٌّ فإنَّه بنْتُ وإفشاءَ الحديثِ قَمِينُ

وتأويل قَمِينٌ، وَحَقِيقٌ، وَجَدِيرٌ، وَحَلِقٌ، وَاحِدٌ، أَيْ قَرِيبٌ مِنْ ذَاكَ، هَذِهِ حَقِيقَتُهُ، يُقَالُ: قَمِينٌ، وَقَمْنٌ، فِي مَعْنَى. قَالَ الْحَارِثُ بْنُ خَالِدٍ الْمَخْزُومِيُّ:

مَنْ كَانَ يَسْأَلُ عَنَّا أَيْنَ مَنْزِلُنَا فَلَا أَقْحُوَانَهُ مِنَّا مَنْزِلُ قَمِينُ

وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ بَاعَ دَارًا أَوْ عَقَارًا فَلَمْ يَرُدِّدْ ثَمَنَهُ فِي مِثْلِهِ فَذَلِكَ مَالٌ قَمْنٌ إِلَّا يَبَارَكَ فِيهِ».

وقال الرِّقَاشِيُّ:

إذا نحنُ خفنا الكاشحينَ فلم نُطِقْ كلامًا تكلمنا بأعيننا سرًّا
فَنَقُضِي وَلَمْ يُعْلَمْ بِنَا كُلِّ حَاجَةٍ وَلَمْ نَكْشِفِ النَّجْوَى وَلَمْ نَهْتِكِ السِّرَّ

وقال معاويةُ لعباس (٢) بنِ صُحَارِ الْعَبْدِيِّ: مَا أَقْرَبَ الْاِخْتِصَارِ؟ فَقَالَ: لِمَحَّةٍ دَالَّةٍ.

وقيلَ: خَيْرُ الْكَلَامِ مَا أَغْنَى اخْتِصَارُهُ عَنْ إِكْثَارِهِ.

وقيلَ: النِّمَامُ سَهْمٌ قَاتِلٌ.

وقال أَحَدُ الْمُحَدِّثِينَ:

لَا أَكْتُمُ الْأَسْرَارَ لَكِنْ أَذِيعُهَا وَلَا أَدْعُ الْأَسْرَارَ تَغْلَى عَلَى قَلْبِي
وَأَنْ قَلِيلَ الْعَقْلِ مَنْ بَاتَ لَيْلَةً تَقْلُبُهُ الْأَسْرَارُ جَنْبًا عَلَى جَنْبٍ

وقال آخَرُ:

وَأَمْنَعُ جَارَتِي مِنْ كُلِّ خَيْرٍ وَأَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ بَيْنَ صَحْبِي

ويقالُ لِلنَّمَامِ: الْقَتَاتُ.

وَفِي حَدِيثٍ: «لَا يَرَأَحُ الْقَتَاتُ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ».

وَفِي الْحَدِيثِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ «لَعَنَ اللَّهُ الْمُثَلَّثَ» فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ

(١) المِرْصَفِيُّ: هَذَا غُلَطٌ، وَصَوَابُهُ: وَقَالَ قَيْسُ بْنُ الْخَطِيمِ.

(٢) ر: «عَبَّاسٌ»، وَمَا أَثْبَتَهُ عَنِ الْأَصْلِ، س، وَهُوَ الصَّوَابُ.

المثلث؟ فقال: «الذى يسعى بصاحبه إلى سُلْطَانِه، فيهلك نفسه وصاحبه وسلطانَه».

وقال معاويةُ للأحنفَ فى شيء بلغه عنه، فأنكر ذلك الأحنفُ، فقال له معاويةُ: بَلَّغْنِي عَنْكَ الثَّقَةَ، فقال له الأحنفُ: يا أمير المؤمنين، إن الثقةَ لا يُبَلَّغُ.

وقال أحدُ الماضين^(١):

إِنْ يَسْمَعُوا الْخَيْرَ يَخْفَوُهُ وَإِنْ سَمِعُوا شَرًّا أَذِيعَ، وَإِنْ لَمْ يَسْمَعُوا كَذَبُوا

وقال المهَلَّبُ بن أبى صُفْرَةَ: أدنى أخلاق الشريف ختمانُ السرِّ، وأعلى أخلاقه نسيانُ ما أسرَّ إليه.

ويقالُ للنكاح: السرُّ، على غير وجهه، وهذا ليس من الباب الذى كُنَّا فيه، ولكن يُذكرُ الشيءُ بالشيءِ، وهذا حرف يُغلطُ فيه، لأن قومًا يجعلون السرَّ الزنا، وقومٌ يجعلونه الغشيانَ، وكلا القولين خطأ، إنما هو الغشيانُ من غير وجهه. قال الله جل وعز: ﴿وَلَكِنْ لَا تَوَاعِدُوهُمْ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾^(٢)، فليس هذا موضعَ الزنا.

وقال الحُطَيْثَةُ:

وَيَحْرُمُ سِرُّ جَارَتِهِمْ عَلَيْهِمْ وَيَأْكُلُ جَارُهُمْ أَنْفَ الْقِصَاعِ

وقال الأعشى لسلامة ذى فائش الحميرى:

وَقَوْمُكَ إِنْ يَضْمُنُوا جَارَةً وَكَانُوا بِمَوْضِعِ أَنْضَادِهَا^(٣)
فَلَنْ يَطْلُبُوا سِرَّهَا لِلْغَنَى وَلَنْ يُسَلِّمُوهَا لِأَزْهَادِهَا^(٤)

فى هذا قولان:

(١) زيادات ر: «هو طريح بن إسماعيل الثقلى».

(٢) سورة البقرة: ٢٣٥.

(٣) الأنضاد: الأعمار والأخوال المتقدمون إلى الشرف. قاله المصنفى.

(٤) يقول: لا يتركونها لفلة ما لها، وهو الإزهاد، قاله صاحب اللسان - زهد.

أحدهما أنهم لا يطلبون اجترارها إليهم على رغم أوليائها من أجل ما لها،
غضباً^(١) للجوار، ولا يسلمونها إذا انقطع رجاؤهم من الثواب والمكافأة.
والآخر أنهم لا يرغبون في ذوات الأموال، إنمّا^(٢) يرغبون في ذوات
الأحساب، اختياراً للأولاد، وصيانةً للأصهار، أن يطمع فيهم من لا حسب له.
وقول الحطيئة:

* ويأكل جارهم أنفَ القصاع *

وإنما يريد المستأنف الذي لم يؤكل منه شيء، يقال: روضة أنف، إذا لم
ترع، وكأس أنف، إذا لم يشرب منها شيء قبل، قال لقيط بن زرارة:
إنَّ الشَّوَاءَ والنَّشِيلَ والرُّغْفَ^(٣) والقينةَ الحسناءَ والكأسَ الأنْفُ

* للطاعنين الخيلَ والخيلُ خُنْفٌ^(٤) *

(١) كذا في الأصل، س، وفي ر: «غضباً».

(٢) ر: «وإنمّا».

(٣) النشيل: لحم يطبخ بلا توابل.

(٤) الخنف: جمع خنوف، من خنف الفرس إذا لوى حافره.

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
	باب
٣	في المختار من أشعار المولدين
٣	لعبد الصمد بن المعذل
٣	لبشار بن برد
٤	لمحمود الوراق
٥	للحسن بن هانئ الحكمي المعروف بأبي نواس
٦	لعبد الله بن محمد بن عيينة
٦	لصالح بن عبد القدوس
٦	من الأبيات المنفردة
٧	لعبد الصمد بن عبد المعذل أيضاً
٧	للحسن بن هانئ أيضاً
٨	لدعبل بن علي الخزاعي
٩	لإسماعيل بن القاسم
١٠	لإسماعيل بن القاسم أيضاً
١٢	لابن أبي عيينة
١٢	للخليل بن أحمد
١٣	لمحمد بن بشير يعيب المتكلمين
١٤	للحكمي أبي نواس أيضاً
١٦	لإسحاق بن خلف البهراني يمدح علي بن عيسى القمي
١٩	لإسحاق أيضاً يمدح الحسن بن سهل

٢٠ لشاعر فى عبد الله بن طاهر
٢١ لعبد الله بن محمد بن أبى عيينة
	باب
٣٣ نبذ من أقوال الحكماء
٣٣ للعتبى يذكر ابنًا له مات
٣٤ خالد بن صفوان مع بلال بن أبى بردة
٣٤ خالد بن صفوان وسليمان بن على
٣٥ من أخبار إياس بن معاوية
٣٦ من أخبار أبى دلامة
٣٦ من أخبار عبيد الله بن الحسن العنبرى
٣٧ من أخبار سوار بن عبد الله
٣٨ أنفة عقيل بن علفة
٣٩ عبد الرحمن بن عوف وعمر بن الخطاب
٣٩ لأبى خراش - وكان قد قتل أخاه جميل بن معمر
٤١ بلال بن أبى بردة وعمر بن عبد العزيز
٤١ شعردى الرمة فى بلال
	باب
٤٦ لجريز وقد نزل بقوم من بنى العنبر فلم يقروه
٤٩ ليحيى بن نوفل يهجو العريان بن الهيثم
٥٥ لامرأة من بنى عامر بن صعصعة زوجت فى طيئ
٥٥ لرجل يذكر امرأة زوجت من غير كفء

- ٥٦ لرجل يعير إبراهيم بن النعمان بن بشير ورد إبراهيم عليه
 ٥٦ للقلاخ بن حزن يخاطب يحيى بن أبي حفصة ورد يحيى عليه...
 ٥٧ للفرزدق فى عطية أبى جرير
 ٥٩ للفرزدق يهجو جريرا وجواب جرير عليه
 ٦٣ إغارة النعمان بن المنذر على تميم
 ٦٤ وفود صعصعة بن ناجية على رسول الله ﷺ
 ٦٧ جماعة استجاروا بقبر غالب
 ٧٠ لهو النعمان بن المنذر

باب

- ٧١ أبو رافع مولى الرسول عليه السلام
 ٧٢ أسامة بن زيد يقول عمرو بن عثمان
 ٧٣ الحجاج بن يوسف وسعيد بن جبير
 ٧٤ حديث الجحاف والأخطل
 ٧٥ هرب العدلى من الحجاج
 ٧٦ قول الفرزدق فى عزل مسلمة بن عبد الملك عن العراق
 ٧٦ مفاخرة بين أسدى وهذلى
 ٧٨ محمد بن عبد الله النميرى والحجاج
 ٧٨ مالك بن الريب والحجاج
 ٨٠ مقتل عروة بن مسعود
 ٨٠ فى موت ابن الحجاج وأخيه
 ٨٢ كلمة عمر بن عبد العزيز فى الولاة الظالمين

٨٣ كتاب الحجاج إلى الوليد بن عبد الملك
٨٣ من كلام معاوية لابنه يزيد
٨٣ كتاب الحجاج إلى عبد الملك بن مروان
٨٣ تفجع الوليد لموت الحجاج
٨٣ رسول عمر بن عبد العزيز إلى أليون ملك الروم
٨٥ معاوية وأحد بطارقة الروم
٨٥ رسولا ملك الروم عند معاوية
٨٦ معاوية يهدى ملك الروم قارورة مملوءة ماء
٨٧ طعم الماء
٨٧ عبد الله بن الزبير وعلاج لحيته
٨٧ من أخبار قيس بن سعد

باب

٨٩ لسليك بن السلكة
٩٠ النجباء من أولاد السرارى
٩٣ كتاب محمد بن عبد الله بن حسن إلى المنصور ورده عليه

باب

٩٥ لأعرابي فيمن أطال لحيته
٩٥ لبعض المحدثين في ذم ذوى العى
٩٥ لرجل يصف لحيته
٩٦ لإسحاق بن خلف يصف رجلا بالقصر وطول اللحية
٩٧ من ألفاظ الكنايات

٩٨ لرجل من تميم
٩٩ طلاق ابنة عبد الله بن السائب، ثم زواجها من المصعب
١٠٠ لبلال بن جرير يمدح عبد الله بن الزبير
١٠٣ أبيات عائد الكلب الزبيرى لعبد الله بن حسن
١٠٣ لجرير لمدح هشام بن عبد الملك
١٠٧ فى مدح أبى البخترى
	باب
١٠٩ سؤال عبد الملك لحسان: أىّ المتاديل أفضل؟
١١٠ وفاء ابنة هانئ بن قبيصة
١١١ حديث بنات ذى الإصبع العدوانى
١١٣ الحجاج والمهلب بن أبى صفرة
١١٧ كثير والأخطل عند عبد الملك بن مروان
١١٨ أبيات نصيب فى امرأة نزل عندها فأكرمته
١١٨ نصيب عند عبد الملك بن مروان
١١٨ الوليد بن عبد الملك والحجاج
١١٩ مسلمة بن عبد الملك ونصيب
١١٩ فى نقد الشعر
١٢١ لرجل يمدح الرشيد
١٢٢ لعائشة وقد نظرت إلى رجل متماوت
١٢٢ لعمر وقد نظر إلى رجل يظهر النسك
١٢٢ وفود الروم عند عبد الملك بن صالح العباسى

١٢٢ جهارة صوت العباس
١٢٣ للحسن وقد رأى رجلاً يجود بنفسه
١٢٤ من أخبار عبد الله بن جعفر
١٢٤ نبذ من أقوال الحكماء
١٢٥ النخار العذرى ومعاوية
١٢٦ محمد بن كعب القرظى وسليمان بن عبد الملك
١٢٦ سالم بن عبد الله بن عمر وهشام بن عبد الملك
١٢٦ من أخبار أبى الأسود الدؤلى
١٢٧ لبعض المحدثين فى الخضاب
١٢٨ للعتبى
١٢٨ ليزيد بن المهلبى
١٢٩ لمحمود الوراق فى الشيب
١٣٠ لأبى النجم العجلى
١٣٠ لرؤبة
١٣١ من شعر زيد بن الطثرية وأخباره
	باب
١٣٣ لقيس بن عامر المنقرى
١٣٣ لجرير يهجو بنى هزآن
١٣٣ يحيى بن نوفل يهجو
١٣٤ لأبى دلامة بن الجون
١٣٤ للنمر بن تولى

١٣٥	قيس بن عاصم وبنو منقر
١٣٥	من أخبار أبي خراش الهذلي وشعره
١٣٧	من أخبار الخطيئة وذكر المختار من شعره
١٤٤	المثنى بن معروف مع أبي جبر الفزارى
١٤٤	من أخبار الحجاج
	باب
١٤٧	من تكاذيب الأعراب
	باب
١٥٩	ما يجوز فيه «يفعل» فيما ماضيه «فَعَلَ» مفتوح العين
	باب
١٦١	من أخبار عبد الله بن العباس وابنه
١٦٤	لربيعة الرقى يمدح يزيد بن حاتم
١٦٥	أفصح الناس
	باب
١٦٩	لمحمد بن عبد الله الثقفى
١٧١	لعمر بن أبى ربيعة فى أم عمر بنت مروان
١٧٤	لعمر بن أبى ربيعة فى الثريا بنت على
١٧٥	طرف من أخبار ابن عتيق
١٧٧	لابن غير الثقفى
١٧٨	لعمر بن أبى ربيعة

باب

- ١٨٧ عمر الوادى والعبد الأسود
- ١٨٧ خالد صامة والوليد بن يزيد
- ١٨٨ من أخبار يزيد بن عبد الملك
- ١٨٩ إسحاق الموصلى والرشيد
- ١٩٠ من أخبار حسان بن ثابت
- ١٩٠ خليلان الأموى يغنى لأمير البصرة
- ١٩١ غضب الرشيد لشعر مدح به أخوه
- ١٩١ معاوية وابنه يزيد
- ١٩١ معاوية عند عبد الله بن جعفر
- ١٩٢ سفيان بن عيينة وجاره السهمى
- ١٩٢ ابن أبجر يغنى لعطاء بن رباح
- ١٩٣ سليمان بن عبد الملك فى عسكره
- ١٩٣ الفرزدق يسمع الأحوص يغنى بشعر جرير
- ١٩٤ الأحوص ومعبد عند عقيلة المغنية
- ١٩٥ هجاء الأحوص لسعد بن مصعب
- ١٩٦ شفاعة
- ١٩٧ فخر معبد بخمسة أصوات من غنائه

باب

- ٢٠١ لعبتة بن شماس فى عمر بن عبد العزيز
- ٢٠١ لجرير فى عمر بن عبد العزيز

٢٠٤	رجل يشكو إلى عمر بن عبد العزيز عماله
٢٠٥	عمر بن الخطاب مع أحد ولاته
٢٠٥	لرجل يرثي عمر بن عبد العزيز
٢٠٦	لعوف القوافي يرثي سليمان بن عبد الملك
٢٠٩	لإسحاق بن إبراهيم الموصلي
٢١٠	لابن الخياط المدني
	باب
٢١١	نبد من الأقوال الحكيمة
٢١٣	في وصف الإبل
٢١٤	ضروب الكلام
٢١٦	لأعرابي
٢١٨	بين رياح بن سنيح وجرير
٢١٩	لمروان بن أبي حفصة
٢٢٢	من طرائف العشاق
٢٢٤	لذي الرمة في مي
٢٢٦	ما قيل في السر وكتمانه